خلاصة الكلام في أركان الإسلام

تأليف

السيد

علي فكري

الأمين الأول ورئيس المفتشين بدار الكتب المصرية سابقاً

بتحقيق المرحوم الشيخ محمد الحسيني الظواهري

الطبعة الثانية

منقحة ومهذبة

مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨ م

قال الله تعالى (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ)

(قرآن كريم)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَالْحَجِّ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ » .

(حديث شريف

الإهداء

إلى حضرة المصطفى صاحب الشريعة الغراء ، ومؤسس الدين الإسلامى .

إلى رسول رب العالمين ، وسيد المرسلين ، وإمام المسلمين .

إلى محمد بن عبد الله ، النبي الأمى الأمين (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين) .

أهدى هذا الكتاب ، وأرجو من الله التوفيق لما فيه الخير والصواب ، وأسأله تعالى التوبة والمغفرة وحسن المآب ؟

السيد
على فكرى
ابن المرحوم السيد محمد عبد الله الحكيم

كلمـــة

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر العلامة المرحوم الشيخ
« محمد الحسينى الظواهرى » المدرس بالمعاهد الدينية سابقًا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى اصطفى من عباده جهابذةً أبطالاً ، وقفوا أنفسهم لخدمة الدين فصاروا بذلك أقطاباً وأبدالاً ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد العالمين القائل « مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِى الدِّينِ » وعلى آله السالكين منهج السداد ، الباذلين وسعهم فى تحرير الدين ، فصاروا قدوة للعباد ، وأصحابه السادة الأبرار ، المتمسكين بهدى المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فأصبحوا من خيرة الأخيار .

وبعد ، فقد تصفحت كتاب « أركان الإسلام » لواضعه الأستاذ السيد على فكرى ، فراعنى منه إحاطته بجميع ما يلزم كل مكلف مراعاته ، بعبارة سهلة وجيزة تناسب الخاصة والعامة ، بسط فيه مؤلفه آراء الأئمة بعبارة عذبة جذابة ، لايشبع قارئه أن يلقى نظرة عليه إلاَّ ويكمله فيفوز بالسعادة . وضَّح حكمة التشريع فى كل باب من أبواب العبادات ، بوجه شهى يقع عند ذوى العقول السليمة موقع الماء العذب الزلال عند الظمآن .

أسأل الله أن يجعل جزاءه على عمله هذا ـ الجنة إنه ولىُّ الإجابة ؟

محمد الحسينى الظواهرى

مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

« أما بعد » فقد دفعني حبي للدين ، وميلي لخدمة أبناء المسلمين ، أن أضع كتاباً وسطاً بين الكتب المطولة الكبيرة ، التي تبحث في قواعد الدين الإسلامي ، وبين الكتب المختصرة الصغيرة ؛ بحيث يكون وافياً بالغرض المقصود ، مؤدّياً لعبادة الربّ المعبود فاستخرت الله تعالى للقيام بهذا العمل الشريف ، وأنا معترف بالعجز والتقصير ؛ لأني لست من فرسان هذا الميدان ، ولست من فقهاء هذا الزمان ؛ ولكن قد منَّ الله عليّ ، وهداني لوضع هذا الكتاب ، وأسميته :

خلاصة الكلام فى أركان الإسلام

ليكون اسمه دليلاً عليه .

وقد توخيت فيه سهولة العبارة ، ليكون سهل الفهم على من يطالعه ، وأوضحت فيه الحكمة والسرّ فى كل ركن من الأركان ، مؤيداً ذلك بالبرهان : من الآيات القرآنية ، والأحاديث الشريفة النبوية ، ليكون المطالع مطمئناً مقتنعاً بما جاء فيها ، وليكون على بينة من أحكام دينه ، عالماً بسرّه ويقينه ، قائماً بعبادة ربه وهو على بصيرة .

والله تعالى أسأل أن يجعله نافعاً ومفيداً لأبنائنا المسلمين ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين .

ولا يفوتني أن أشكر حضرة أخينا الأستاذ الشيخ الطاهر عبد الله سليم المدرس بوزارة المعارف على عنايته بمراجعة هذا الكتاب وتصحيحه ؛ كما أنني مدين بالشكر لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ الحسيني الظواهري لتفضله بتصفحه وإبداء رأيه نحوه ، فى كلمة كتبها بخطه ، قد رأيت أن أسجلها له فى أول الكتاب اعترافاً بفضله وقياماً بواجب شكره ؟

السيد

علي فكري

أمين أول ورئيس المفتشين بدار الكتب المصرية سابقاً

مصر الجديدة فى { ٢٠ ربيع الثاني سنة ١٣٥٥ هـ
٩ يوليو سنة ١٩٣٦ م

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ

الحمد لله الذى أنعم وتفضل علينا بنعمة الإيمان والاسلام ، والصلاة والسلام على خير الأنام ، ومصباح الظلام ، ورافع عَلَمَ الإسلام (سيدنا محمد) صاحب الشريعة الغراء ، ومؤسس الدين الإسلامى على أساس متين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، إلى يوم الدين .

« وبعد » فقد نفدت ـ ولله الحمد ـ الطبعة الأولى من كتابنا :

« خلاصة الكلام فى أركان الإسلام »

وقد طلب إلىّ حضرات أصحاب مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى إعادة طبعه للمرة الثانية ، فلبيت الطلب شاكراً الله على نجاح هذا الكتاب ، واختياره وانتشاره بين أيدى الطلاب ، فى المعاهد الدينية ، والمدارس الأميرية ، وغيرها مما يدل على قبوله واستحسانه .

وها أنا أقدمه اليوم للمطبعة بعد مراجعته وتنقيحه وتهذيبه، راجياً المولى سبحانه وتعالى أن يستمر فى انتشاره واختياره ، خصوصاً فى هذا الزمن الذى أصبح فيه القابض على دينه كالقابض على الجمر ، وأصبح الإسلام غريباً فى بلاده ، حتى نصل بتوفيق الله ومعونته إلى الغاية المطلوبة ، وهى تعلّم أبنائنا قواعد الدين وأركانه كما بيَّنها رب العالمين فى كتابه المبين ، وكما شرحها رسوله الكريم سيد المرسلين فى أحاديثه النبوية الشريفة ، وكما فسرها أئمة الدين، والعلماء العاملون الصالحون فى كتبهم وخطبهم ، ليكونوا بفضل الله من رجال الدين العاملين المثقَّفين المتفقهين ؛ وليكون الله راضياً عنهم ، كما قال عليه الصلاة والسلام :

« مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فى الدِّينِ »

وأسأله تعالى أن يجعلنا من عباده المسلمين المخلصين ، وأن يجعل خير أعمالنا خواتيمها ، وخير أيامنا يوم لقائه إنه السميع المجيب ؟

السيد

على فكرى

ابن المرحوم السيد عبد الله الحكيم

العباسية فى يوم الأحد { ١٧ شوال سنة ١٣٦٧هـ
٢٢ أغسطس سنة ١٩٤٨م

الإســـلام

معناه وبعض ما ورد فيه من الآيات والأحاديث

الإسلام : هو الدين الذى ارتضاه الله لعباده ، بدليل قوله تعالى :

(وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) (المائدة)

وكفاه فخراً قوله تعالى :

(إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) (آل عمران)

أى لادين مرضياً عند الله سواه ، فمن طلب ديناً غير الإسلام فلن يقبله الله منه ، ويكون فى الآخرة من الخاسرين ، لقوله تعالى :

(وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)
(آل عمران)

وكيف يطلبون ديناً غير الدين الذى ارتضاه الله ، وهو (الإسلام) وله أسلم ، أى انقاد له أهل السموات والأرض ؟ فمنهم من انقاد إليه طوعًا واختياراً من نفسه بدون شىء ، ومنهم من انقاد إليه كرهاً بالرغم منه ، اعترافاً بأنه الدين المتكفل بمصالح الخلق ، وسعادتهم الدنيوية والأخروية كما قال الله تعالى :

(أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) (آل عمران)

ومعنى الإسلام : الاستسلام ، والخضوع ، والانقياد لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم بفعل الواجبات ، وترك المنهيات .

وقد وصف النبى صلى الله عليه وسلم (المسلم) بأنه هو الذى لايؤذى أحداً لا بلسانه ، ولا بيده ، فقال صلى الله عليه وسلم :

١ — « الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ يَدِهِ وَلِسَانِهِ » .

(عن عبد الله بن عمر . رواه البخارى)

معنى الحديث : يريد النبى صلى الله عليه وسلم أن يسنّ دستورًا يتجلى فى أعماله الانقياد الظاهرى إلى الله تعالى ، ويتصف بآداب الدين المحمدى ذلك الذى سطع نور الإيمان بقلبه فهداه إلى حفظ لسانه من الغيبة ، والنميمة ، والوشاية ، والدس ، والكيد ، وإيقاد نار العداوة والبغضاء بين الناس .

وأبعد يده عن السرقة وعن الأذى وعن الظلم ، وعن التعدى ، وعن كتابة الزور ، والربا وهكذا عن ضروب الفساد ، والاستيلاء على حق الغير بغير حق ، وسبق شرحها فى كتابنا « المعاملات الأدبية » .

٢ — وعنه أيضًا (أى عن عبد الله بن عمر) رضى الله عنه : أن رجلاً سأل النبى صلى الله عليه وسلم : أى الإسلام خير ؟ قال :

تُطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف .

معنى الحديث : يريد النبى صلى الله عليه وسلم أن يجيب جوابًا يجلب النفع ، ويدفع الشر ، ويرشد إلى أفعال النفس المؤمنة السخية الكريمة التى تهذبت بالجود فعمّ خيرها للناس ، وأكثرت من إطعام الطعام للضيوف والفقراء والمساكين ، وكان مكانها مورد الجائعين ، ومؤمل المحتاجين ، وغيث البائسين ، وملجأ اللاجئين .

والحكمة الثانية فى جوابه صلى الله عليه وسلم هى بذل التحية بصفة شرعية ؛ بأن يقول (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) لكل أحد ، سواء كان يعرفه أو لا يعرفه . ولا يكون السلام مصانعةً ، ولا رياء ، ولا ملقاً ، بل مراعاةً لأخوة الإسلام ، وتعظيمًا لشعار الشريعة بأن يكون خالصاً لوجه الله سبحانه وتعالى لايختص بأحد دون أحد .

وقد وعد الله المسلم الذى أحسن إسلامه بالجزاء الأوفى ، فجعل له على كل حسنة يعملها عشر أمثالها ، ويضاعف له الأجر إلى سبعمائة ضعف ؛ أما السيئة فيجازيه عليها بمثلها ، لقوله صلى الله عليه وسلم :

« إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلَامَهُ فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ ، وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِمِثْلِهَا » .

(عن أبى هريرة . رواه البخارى)

٣ — وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « إذا أسلم العبد فحسن إسلامه يكفر الله عنه كل سيئة كان زلفها . وكان بعد ذلك القصاص : الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسيئة بمثلها إلا أن يتجاوز الله عنها» .

معنى الحديث : يخبر صلى الله عليه وسلم بثمرة إخلاص العبادة لله تعالى بإزالة الخطايا جميعها، وأن طاعة الله تجلب الحسنات، وتدفع السيئات، وأن مراقبته تجلب الخير، وتطارد الشر .

قال الثورى : (فحسن إسلامه) أى أنه يسلم إسلاماً محققاً بريئاً من الشكوك (يكفر الله عنه كل سيئة) الكفر التغطية ، وهى فى المعاصى كالإحباط فى الطاعات .

و بعد حسن إسلامه القصاص : وهو مقابلة الشىء بالشىء ، أى كل شىء يعمله يوضع فى مقابله شىء إن خيراً فخير ، و إن شراً فشر .

قال تعالى : (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها) .

قال الجوهرى : ضعف الشىء مثله . وهذا فى فضل الله وسعة رحمته حيث جعل الحسنة كالعشرة ، والسيئة كما هى بلا زيادة .

من المسلم حقاً ؟

المسلم حقاً من عرف لكل من الناس حقه ومرتبته ، فاستعمل صفات العدل والإحسان والرحمة ، كلاً فى محلها، ثم أشرك الناس أجمعين فيما رزقه الله من العلم والعرفان ورغد العيش، كلاً على قدر منزلته ومكانته ، فمثله مثل الشمس يعمّ نورها ، ترى سبيل الهدى من سبيل الضلال واضحاً ، أو كالليل يستر عيوب الضعفاء ، و يستريح فيه المتعب والمنهوك ، أو كالسماء تفيض بالغيث العميم ، أو كالأرض تصلح مهاداً لراحة البشر ، وتؤتيهم أكلها كل حين بإذن ربها .

المسلم حقاً هو الذى تنحل بفضله أعقد المسائل، وتنكشف بهمته أدق المشكلات .

المرحوم محمد جاد المولى بك

أركان الإسلام

أركان الإسلام ، أى القواعد التى بُنى عليها الإسلام ، هى خمسة ، مجموعة فى قوله صلى الله عليه وسلم :

« بُنِيَ الْإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَالْحَجِّ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ »

(عن عبد الله بن عمر . رواه البخارى)

معناها

١ — معنى الشهادتين : الإقرار لله بالوحدانية ، ولسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة .

٢ — ومعنى إقام الصلاة : الإتيان بعبادة الله ، عبادةً مخصوصةً فى أوقات مخصوصة .

٣ — ومَعنى إيتاء الزكاة : إخراج القدر الواجب فى المال وغيره مما يجب فيه الزكاة ، وصرفه للمستحقين له .

٤ — ومَعْنَى الحج : قصد بيت الله الحرام للعبادة ، ولو مرَّة واحدة فى العمر لمن استطاع إليه سبيلاً .

٥ — ومَعنى صوم رمضان : الإمساك عن المفطرات جميع النهار فى شهر رمضان من كل سنة

وسيأتى الكلام على هذه الأركان الخمسة بالتفصيل مع ذكر حكمتها وأسرارها .

الإيمان

الإيمان : هو التصديق القلبى بوجود الخالق جل شأنه ، وبما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الإيمان هو أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، قال الله تعالى :

(آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ)

(البقرة)

وهذه شهادة من الله تعالى للنبى صلى الله عليه وسلم بالإيمان الكامل ولأصحابه معه

من المؤمنين ، ذلك الإيمان الكامل ، هو إيمانهم بالله وملائكته وكتبه ورسله أجمعين . وقال الله تعالى :

(لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ) (البقرة)

وقال الله تعالى :

(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيدًا) (النساء)

وقد وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالحياة الطيبة ، والأجر الجزيل .

قال الله تعالى :

(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (النحل)

وقال الله تعالى :

(الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ) (الرعد)

ومن علامات الإيمان : أن يحب الإنسان لأخيه المسلم مايحب لنفسه ، لقوله صلى الله عليه وسلم :

١ — « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » (عن أنس . رواه البخارى)

معنى الحديث : ينبئ صلى الله عليه وسلم عن خلة المؤمن الكامل الذى ربا الإيمان فى قلبه فأوجد الألفة وغرس المودة والمحبة والبشاشة لإخوانه المسلمين . قال تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) . وكذا من الإيمان أن يبغض لأخيه ما يبغض لنفسه .

والمحبة معناها إرادة الخير واعتقاد النفع والميل الفطرى لمن تحب وتهوى .

وأصل المحبة الميل إلى ما يوافق المحب ثم الميل قد يكون بما يستلذه بحواسه كحسن الصورة ، ولما يستلذه بعقله كمحبة الفضل والكمال ، وقد يكون لإحسانه إليه ودفع الضرر عنه كما قال النووى .

فانظر – رحمك الله – فإن اخترت لأخيك فى الإسلام ما تختار لنفسك فقد اتصفت بصفة الإيمان ، و إن فرقت بينك و بينه فى إرادة الخير فلست على حقيقة الإيمان . و بذلك دلك رسول الله على معرفة الإيمان من نفسك .

٢ — وعن أبى هريرة قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

«فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ»

(رواه البخارى)

معنى الحديث : لا يوجد إيمان كامل يسطع نوره فى قلب المسلم إلا إذا اعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعزّ عزيز لديه من أهله وماله ووالده وكل شىء .

والحق أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم أرسل رحمةً للناس ونعمةً ، فتجب محبته وتتأكد أشد من الوالد والولد ، والأهل والمال ، بل والعالم أجمع . ومن محبته صلى الله عليه وسلم العمل بسنته ، والذبّ عن شريعته ، وتمنى حضور حياته فيبذل ماله ونفسه دونه .

و إن حقيقة الإيمان لا تتم إلا بذلك ، ولا يتحقق الإيمان إلا بتحقيق إعلاء قدر النبى صلى الله عليه وسلم ومنزلته على كل والد وولد ، ومحسن ومفضل ، ومن لم يعتقد هذا فليس بمؤمن .

الإيمان الحق والمؤمن حقاً

آية الإيمان الحق أن يرى الفرد نفسه عضواً فى المجتمع ، نفعه نفع لنفسه ، وضرره إضرار بها ، فإذا أحس هذا الإحساس الصادق ، وانطبع فى نفسه ، رأى غيره كنفسه ، بل رآه نفسه ، فيحب له مثل ما يحب لنفسه ، يحب لنفسه علماً واسعاً ، وخلقاً طيباً ، وعملاً صالحًا ، ومكاناً عالياً ، وشرفًا سامياً ، يحب لها بيتاً جميلاً ، ومالاً غزيراً ، وضياعاً واسعةً وزوجًا صالحةً و بنينَ شهودا ، وركوباً ذلولاً ، وأقرباء مخلصين ، و إخواناً صالحين ، وخدمًا طائعين ، فليحب لأخيه (ابن أبيه) – دنا أو علا – كل ذلك .

إما أن يحب لنفسه أمراً ولا يحبه لغيره ويحسده ، أو يحقد عليه إن ناله ، فذلك منافٍ للإيمان ؛ بل ذلك بقية من آثار الكفران .

وكما يحب لغيره ما يحب لنفسه يبغض له ما يبغض لها ، يبغض الفقر والذل والاستعباد

والانحطاط ، والبلاء فى المال أو النفس أو الأولاد ، وغير ذلك من الأمور المكروهة فليبغض لأخيه ما يبغض لنفسه وفاء بحق الإيمان ، وهذه صفات المؤمن حقاً .

المرحوم عبد العزيز الخولى

ولا يذوق طعم الإيمان إلاَّ من رضى بالله ربًّا ، وبالإسلام ديناً ، و بمحمد رسولاً ، لقوله صلى الله عليه وسلم :

« ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا ، وَ بِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَ بِمُحَمَّدٍ رَسُولاً » (عن العباس)

حلاوة الإيمان . ولا يجد حلاوة الإيمان إلا من كان فيه ثلاث خصال مذكورة فى قوله صلى الله عليه وسلم :

٣ — « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلهِ ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِى الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِى النَّارِ » (عن أنس)

معنى الحديث : ثلاث خصال يتحلى بها الذى تذوّق طعم الإيمان فأشرق فى قلبه فتجلىٰ منه العمل الصالح ، فيقبل .

أولاً : على ربه بمحبته أى بطاعته ، واستلذاذها ، وتحمل المشاق فى دركها ، والسبق فى جنى ثمارها ، والإكثار من ذكره تعالى واستغفاره ، وشدة الخوف منه ، وترك زخارف الدنيا ، والرغبة فى شهواتها . والإبعاد عن المعاصى . ومحبة الرسول إقامة شعائر دينه وكثرة الصلاة عليه ونصر دينه ، ودعوة الناس إلى اتباعه والعمل بسنته .

وثانياً : محبة خلق الله والشفقة عليهم ، والذبّ عن حياضهم ، والميل إلى صالحهم .

وثالثاً : التخلى عن الرذائل ، وكراهية المعاصى ، ونبذ عقيدة الكفر ، وعدم الإشراك بالله . وهذه الثلاث خصال عنوان كمال الإيمان ليعتقد العبد أن المنعم بالذات هو الله سبحانه وتعالى ، ولا مانح ولا مانع سواه ، والرسول هو العطوف ، الساعى فى إصلاح شأنه ، وأن يتيقن أن جملة ما وعد وأوعد حق .

وحقيقة الإيمان : هو نور يقذفه الله تعالى فى قلوب عباده المؤمنين فيبصرون به حقيقته ويقومون بواجب عبادته ، ويخلصون له فى إطاعته والابتعاد عن معصيته .

وقيل : الإيمان يطلق على التصديق بالقلب ، وعلى النطق باللسان ، وعلى الأعمال بالجوارح ، ويزيد بزيادة هذه ، وينقص بنقصانها .

أركان الإيمـان

أركان الإيمـان ستة مجموعة فى قوله صلى الله عليه وسلم :

« الْإِيمَانُ : أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ » (عن عمر)

معناها

١ — معنى الإيمـان بالله : اعتقاد أن الله موجود ، ومتصف بكل كمال ، ومنزّه عن كل نقص ، وأنه لاشريك له فى الألوهية .

٢ — ومعنى الإيمـان بالملائكة : اعتقاد أنهم موجودون ، وأنهم أجسام نورانية ، وليسوا بذكور ولا إناث ، لا يأكلون ، ولا يشربون ، ولا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون .

٣ — ومعنى الإيمـان بالكتب السماوية : اعتقاد أن الله أنزل على بعض رسله كتباً لإصلاح شئون البشر فى دينهم ودنياهم تبين لهم طرق العبادة الصحيحة ، وطرق الخـير والإصلاح ، والابتعاد عن طرق الفساد والضلال ، ومايجب أن يكونوا عليه فى إصلاح معاشهم ومعادهم .

٤ — ومعنى الإيمـان بالرسل : اعتقاد أن الله أرسل الرسل لهداية الخلق ، وإرشادهم إلى طريق الحق ، وهم بشر مثلنا من بنى آدم ، منزهون عن العيوب البشرية المؤدية إلى نقص فى رتبهم العلية ، متصفون بالخُلُق الـكريم ، ومعصومون من الذنوب والآثام .

٥ — ومعنى الإيمـان باليوم الآخر : اعتقاد البعث بعد الموت ، ومحاسبة كل إنسان على عمله ، وبأن الجنة حق ، والنار حق ، وأن الساعة آتية لاريب فيها .

٦ — ومعنى الإيمان بالقدر خيره وشره : اعتقاد أن كل ما وقع وما يقع من الأمور هو بإرادة المولى سبحانه وتعالى و بقدرته ، و إليه المصير ، لا معقب لحكمه ، وهو اللطيف الخبير ، وهو على كل شئ قدير .

سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم

عن الإيمان ، والإسلام ، والإحسان ، وعلم الساعة

عن أبي هريرة قال : « كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ : مَا الْإِيمَانُ ؟ قَالَ : الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَبِلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ . قَالَ : مَا الْإِسْلَامُ ؟ قَالَ : الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ . قَالَ : مَا الْإِحْسَانُ ؟ قَالَ : أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ . قَالَ : مَتَى السَّاعَةُ ؟ قَالَ : مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا : إِذَا وَلَدَتِ الْأَمَةُ رَبَّهَا ، وَإِذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الْإِبِلِ الْبُهْمِ فِي الْبُنْيَانِ فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ ، ثُمَّ تَلَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ) . ثُمَّ أَدْبَرَ فَقَالَ : رُدُّوهُ ، فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا ، فَقَالَ : هَذَا جِبْرِيلُ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ »

(رواه البخاري)

تفصيل أركان الإسلام

الركن الأول : الشهادتان

س ـ ما معنى الشهادتين (أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله) ؟

ج ـ معنى أشهد أن لا إله إلا الله : أقرُّ وأعترف وأعتقد بأن الإله المعبود خالق السموات والأرض وجميع العالم واحد ، وهو (الله) سبحانه وتعالى لا إله غيره ، ولا شريك له في الملك ، قال الله تعالى :

(قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) (الكهف)

وقال صلى الله عليه وسلم : خَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي : لاَ إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ . لَهُ الْمُلْكُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . (رواه الترمذى)

ومعنى أشهد أن محمداً رسول الله : أقرُّ وأعترف وأعتقد بأن الله سبحانه وتعالى أرسل سيدنا (محمداً) إلى جميع الخلق ، ليرشدهم إلى الهدى ودين الحق ، ويعلمهم الدين الإسلامى أى ما يجب عليهم عمله ، وما يجب عليهم تركه . قال الله تعالى :

(يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيراً . وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيراً) (الأحزاب)

وقال الله تعالى :

(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) (الصف والتوبة)

فالواجب على الإنسان أن يشهد بلسانه ويعتقد بجَنانه (قلبه) بألا معبود بحق إلا الله وأن محمدا مرسل من قِبَلِهِ لإرشاد العالَم كافة إلى ما فيه صلاحهم ونجاتهم وسعادتهم فى الدنيا والآخرة .

س ـ ماهى شروط أداء الشهادتين ؟

ج ـ يشترط فى أداء الشهادتين ترتيب ألفاظهما ، وتتابعهما ، وفهم معناهما وإنكار مايخالفهما ولفظ (أشهد) فيهما ، وعدم التردد فيهما . ويكفى التلفظ بهما فى العمر مرةً ، وهو الواجب ؛ لأن الغاية الاعتقاد بمعناهما ، والإكثار من ذكرهما محبوب ومرغوب فيه .

أثر الشهادتين فى النفوس

س ـ ما أثر هاتين الشهادتين فى النفوس ؟

ج ـ لهاتين الشهادتين أثر عظيم فى تهذيب النفوس ، وتقويم الأخلاق ، وتقوية الوحدة الاجتماعية ، فإن فى شهادة (أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ) تحريرَ العقول من الأوهام ، وتطهير النفوس من ضلال الشرك ، والعلوّ بها من العبودية لغير الله ، ومنعها من الانحطاط إلى عبادة الأصنام والحيوان والإنسان ، وبها جمع القلوب على معبود واحد ، وتوجيه الوجوه إلى قِبلة واحدة ، ولهذا التوحيد أثره الطيب فى جمع الكلمة ، وتعاون بنى الإنسان على الخير والصلاح . كما أن فى شهادة (وأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ) والإيمان برسالته وكتابه القويم (القرآن) تقويمًا للأخلاق ، وإصلاحًا للنفوس ، والنظم الاجتماعية ، بدليل قوله تعالى :

(هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُبِينٍ) (الجمعة)

وقوله صلى الله عليه وسلم :

« إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ » .

الطهارة

لما كانت الصلاة لاتصح بلا طهارة ، فلنبدأ أوّلا ببيان الطهارة لأنها وسيلة للصلاة .

س ـ مامعنى الطهارة ؟

ج ـ الطهارة لغةً : النظافة ، وشرعًا : نظافة مخصوصة ، وهى الوسيلة للصلاة ، فلا صلاة بلا طهارة تامة .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا تُقْبَلُ صَلَاةُ مَنْ أَحْدَثَ (أى وقع منه الحدث) حَتَّى يَتَوَضَّأَ . قَالَ رَجُلٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ ، مَا الْحَدَثُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ؟ قَالَ : فُسَاءٌ أَوْ ضُرَاطٌ » (رواه البخارى)

ويراد بها فى الفقه : إزالة النجاسة ، والوضوء ، والغسل ، والتيمم .

أدوات الطهارة

س ـ ما هى المطهرات أو أدوات الطهارة ؟

ج ـ المطهرات الشرعية أربع : الماء ، والتراب ، والحجر ، والدابغ .

وقد خلق الله الماء طهورًا ، لا ينجسه شىء إلا ما غيَّر لونه ، أو طعمه ، أو ريحه

قال الله تعالى : (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا) (الفرقان)

وقال عز وجل :

(وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ) (الأنفال)

أقسام الطهارة

س ـ إلى كم تنقسم الطهارة ؟

ج ـ تنقسم الطهارة إلى قسمين : الطهارة الظاهرية ، والطهارة الباطنية .

فالطهارة الظاهرية هى : طهارة البدن ، والثوب ، والمكان .

والطهارة الباطنية هى : طهارة النفس ، والجوارح من الأخلاق السيئة ، والأعمال الذميمة .

س ـ إلى كم تنقسم الطهارة الظاهرية ؟

ج ـ تنقسم الطهارة الظاهرية إلى قسمين : طهارة صغرى ، وتعرف بالوضوء والتيمم .

وطهارة كبرى ، وهى : الغسل ، والتيمم أيضاً .

وسيأتى الكلام عليهما .

حكمة الطهارة

س ـ ما حكمة الطهارة الظاهرية ، والغرض منها ؟

ج ـ حكمة طهارة البدن بالماء تنشيطه ، وإزالة مابه من النجاسة والأوساخ ، فتفتح مسامّه ليسهل عليه التنفس ، ويرتاح كثيراً كما ثبت ذلك طبيًّا ، ويتبع ذلك طهارة مكان الصلاة من النجاسة .

ولا يخفى أن الإنسان إذا كان قذر الثياب والبدن ، اشمأزت منه النفوس ، وتحولت عنه القلوب والعيون ، وكذلك إذا أراد أن يقابل أحداً من الحكام ، أو ملكاً أو أميراً فلا بد أن يلبس أحسن الثياب وأنظفها ، ويزيل ما على جسمه من الأوساخ والأقذار ، حتى لا يراه فى حالة تبغضه إليه وتنفره منه ، وإذا كان الأمر كذلك مع المخلوقين بعضهم مع بعض فكيف يكون حال من يقف بين يدى ربّ الأرباب وملك الملوك ؟ لهذا فرض الشارع الحكيم الطهارة الظاهرية : الوضوء والغسل ، لأجل أن يكون الإنسان نظيفاً خالياً من النجاسة والأوساخ عند أداء فريضة الصلاة ، ووقوفه بين يدى مولاه ، ودخوله فى حضرته لطلب عفوه ورضاه .

وهناك حكمة أخرى ، وهى أن الملائكة فى أوقات الصلاة تكره أن ترى المصلى وسخ الثياب ، كريه الرائحة ، وأيضاً إذا وقف المصلون صفوفاً . وفيهم رثّ الثياب ، وسخ البدن ، كريه الرائحة ، تضرّروا منه وتأذّوا ، وأذى الناس ممقوت ومذموم . فضلاً عن أن غسل الأعضاء بالماء يوجد نشاطًا فيها ، ويذهب عنها الكسل ، فيؤدى الإنسان فرض الصلاة وهو نشط ، والنشاط يوجد ارتياحاً فى القلب ، فيخلص فى العمل للرب . قال الله تعالى :

(فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ) (التوبة)

وقال جل شأنه :

(مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ)

(المائدة)

وقال عز وجل : (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) (المدثر)

وقال عليه الصلاة والسلام : «مِفْتَاحُ الصَّلَاةِ الطُّهُورُ» (رواه البخارى)

س ـ ما حكمة الطهارة الباطنية ؟

ج ـ الطهارة الباطنية هى : أن يكون طاهر القلب من درن الكبر والحقد والحسد والعجب ، وكل الصفات الذميمة المزرية بالمرء ، المفسدة للأخلاق ، ولذا قال عليه الصلاة والسلام : «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ» .

والمراد من الطهارة هنا الطهارة المعنوية ؛ لأن المسلم إذا كان متصفاً بهذه الصفات المتقدمة يكون إيمانه ضعيفاً ، فإذا ما خلا باطنه منها وصفت روحه ، وخلصت نفسه صار إيمانه كاملاً .

فيجب على الإنسان أن يكون نظيف الجوارح من الأعمال الذميمة التى يكون منشؤها من ميله وشهواته ، أو من وساوس ترد عليه من غيره ، وأن يكون طاهر النفس من الأخلاق السيئة ، غاسلاً جميع الآثام بماء التوبة والندم ، وهذا هو السر فى حكمة الطهارة والغرض منها .

وقبل التكلم على أقسام الطهارة نتكلم على النجاسة وأنواعها ومضارها ، وإزالتها .

النجاسة وأنواعها

س ـ ما هى النجاسة وأنواعها ؟

ج ـ النجاسة لغةً القذارة ، وهى ضد الطهارة . وأنواعها :

الدم (ما عدا الكبد والطحال) لقوله صلى الله عليه وسلم : « أُحِلَّتْ لَنَا مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ ، فَأَمَّا الْمَيْتَتَانِ فَالْحُوتُ وَالْجَرَادُ ، وَأَمَّا الدَّمَانِ فَالْكَبِدُ وَالطِّحَالُ » .

(عن ابن عمر)

والقيح (وهو المِدَّة التى يخالطها دم) والصديد (وهو ماء الجرح الرقيق المختلط بدم وما يسيل من القروح ونحوها) والقىء ، والمسكر المائع ، وما يخرج من السبيلين (ما عدا المنىّ فإنه طاهر) وميتة الحيوان البرى غير الآدمى إذا كان له دم ذاتى يسيل عند جرحه ، بخلاف ميتة الحيوان البحرى فإنها طاهرة ، لقوله صلى الله عليه وسلم :

« هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الحِلُّ مَيْتَتُهُ » .

وبخلاف ميتة الآدمى فإنها طاهرة ، وبخلاف ميتة الحيوان البرّى الذى ليس له دم ذاتى يسيل عند جرحه ، كالجراد فإنها طاهرة كما تقدم .

والكلب والخنزير وما تولد منهما أو من أحدهما ولو مع غيره .

إزالة النجاسة

س — كيف تزال نجاسة الدم ، والقيح ، والصديد ، والقىء ؟

ج — تزال نجاسة الدم ، والقيح ، والصديد ، والقىء ، بغسل محلها بالماء مرةً إن كان ذلك مزيلاً لها فتطهر ، والتثليث أولىٰ وأفضل ، والماء الذى يجوز به التطهير يشترط فيه ألاّ ينتقل من حالته الطبيعية الأصلية وهى الرقة والسيلان ؛ لأنه إذا انتقل من الرقة إلى الثخونة لم يكن صالحًا لإزالة أى شىء من أنواع التطهير[1] .

س — بماذا يطهر جلد الميتة ؟

ج — يطهر جلد الميتة بالدبغ لقوله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا دُبِـغَ الْإِهَابُ (الجِلْدُ) فَقَدْ طَهُرَ » . (عن ابن عباس)

ويستثنى جلد الكلب والخنزير وما تولد منهما أو من أحدهما مع حيوان طاهر فإنه لايطهر بالدبغ ، وأما جلد الحيوان المأكول إذا ذبح فإنه طاهر .

س — بماذا يطهر ولوغ الكلب والخنزير ؟

ج — إذا تنجس شىء بولوغ الكلب ، فإنه يغسل سبع مرات ، واحدة منها بالتراب

(١) ملحوظة . شروط الماء الذى يجوز التطهير به مذكورة فى كتب الفقه لمن يريد الاطلاع عليها

الطهور ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « إِذَ وَلَغَ الكَلْبُ فى إِنَاءِ أَحَدِكُمْ فَلْيُرِقْهُ (أى يلق مافيه) ثُمَّ لِيَغْسِلْهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ » .

وفى رواية : « أُولَاهُنَّ أَوْ إِحْدَاهُنَّ بِالتُّرَابِ » .

وفى أخرى : « السَّابِعَةُ بِالتُّرَابِ » . (رواه مسلم)

هذا فى مذهب الشافعى وأحمد ؛ أما الحنفية فقالوا بنجاسة لُعابه فقط ، وقال مالك : إن الأمر بهذا الغسل تعبدى ، والكلب طاهر .

أما نجاسة الخنزير فهى بالقياس على الكلب ، لأنه أسوأ حالاً منه لنص الشارع على تحريمه ، وحرمة اُقتنائه .

س ـ بماذا يطهر المسكر المائع ؟

ج ـ المسكر المائع كالخمر وأمثالها يطهر بزوال المادة المسكرة فيه كأن تصير الخمرة خلا .

س ـ بماذا يطهر السبيلان مما يخرج منهما ؟

ج ـ الخارج من السبيلين كالبول والغائط (العذرة) يجب إزالته بالماء ، ويسن بحجارة ثم ماء ، ويكفى بماء أو ثلاثة أحجار ينقى بها المحل ، فعن عبد الله يقول :

« أَتَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الْغَائِطَ فَأَمَرَنِى أَنْ آتِيَهُ بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ لِيَسْتَجْمِرَ بِهَا ، فَوَجَدْتُ حَجَرَيْنِ وَالْتَمَسْتُ الثَّالِثَ فَلَمْ أَجِدْهُ فَأَخَذْتُ رَوْثَةً فَأَتَيْتُهُ بِهَا فَأَخَذَ الحَجَرَيْنِ وَأَلْقَى الرَّوْثَةَ وَقَالَ هٰذَا رِكْسٌ (أى رجيع) » .
(رواه البخارى والترمذى والنسائى)

ويكفى فى بول الطفل الذى لم يأكل الطعام ، رشّ الماء على محل البول ، فعن عائشة رضى الله عنها قالت :

«أُتِيَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم بِصَبِيٍّ يَرْضَعُ فَبَالَ فِي حِجْرِهِ فَدَعَا بِمَاءٍ فَصَبَّهُ عَلَيْهِ» . (رواه مسلم)

مضار النجاسة

س ـ ما هى مضار النجاسة ؟

ج ـ لما كانت الطهارة نافعة للجسم ، كانت النجاسة بالعكس ضارة به ، وقد ثبت ضررها طبيًا ، فيجب على الإنسان أن يتطهر إذا أصابه شىء منها ، فالدم والقيح لايخلوان من الجراثيم الضارة ، والمسكر ثبت ضرره بالفعل ، وأقل أضراره إضعاف العقل ، بل إن الإحصاء دل على أن جنون أكثر الناس ناشىء عن المسكر .

أما الخارج من السبيلين فضرره قذارته وقبح رائحته ، أمور ظاهرة لاتحتاج إلى بيان ، أما الكلب والخنزير فقد ثبت من تشريح جسميهما ، أنهما يحملان كثيراً من الجراثيم الضارة ، فينبغى تجنبهما كل الاجتناب .

وأما الميتة فضررها ظاهر لا يحتاج إلى برهان ، لأن موتهـا يكون بلا سبب كمرض أو نحوه ، على أن الدين الإسلامى يسر ، فقد عفى عن كثير من النجاسات التى يتعذر التحرز منها ، وهى المذكورة بعد .

حكم إزالة النجاسة

س ـ ما هو حكم إزالة النجاسة ؟

ج ـ يجب إزالة النجاسة عن بدن المصلى وثوبه ومكانه ، إلا ما عفى عنه لتعذر إزالته ، أو عسر الاحتراز منه ، دفعاً للحرج .

أما عن ثوب المصلى فلقوله تعالى : (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) . (المدثر)

وأما عن البدن ، فلأن البدن أولى بالطهارة من الثوب حفظاً للصحة وانتعاشاً للجسم ، وأما عن المكان ، فلأن إزالة النجاسة يقصد منها تحسين حالة المصلى حال مناجاة ربه ، والمكان كالثوب .

النجاسات المعفو عنها[1]

يعفى من النجاسات عن قليل الدم وكثيره إذا كان من الإنسان نفسه ، أو كان من البراغيث أو القمل أو البعوض أو القسافس .

ويعفى عن قليله فقط إذا كان من غير الإنسان أو من الحيوانات الأخرى .

وكذلك يعفى عن الميتة التى لادم لها سائل ، إذا وقعت فى الماء القليل ولم تغير شيئاً من أوصافه (والميتة التى لادم لها سائل مثل الذباب ، والعقارب ، والصراصير ، وغيرها من كل ما إذا قطع منه عضو لا يسيل منه دم) .

آداب قضاء الحاجة

يعلمنا النبى صلى الله عليه وسلم الأدب فى قضاء الحاجة ، و إزالة الضرورة : أن نستتر وأن نبتعد عن الناس فى الخلا والصحراء والحقل وأن نجتنب استقبال الأماكن الطاهرة المحترمة كما سيأتى :

عند قضاء الحاجة (أى عند التبول والتبرز) يجب مراعاة الآداب الآتية :

١ — إذا أراد قاضى الحاجة الدخول إلى بيت الخلاء (المرحاض) فليدخل برجله اليسرى ، ويخرج برجله اليمنى ، بعكس ما يفعل إذا أراد دخول المسجد أو الخروج منه ، وأن يقول ما ورد فى الحديث الشريف . عن أنس قال : « كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الخَلَاءَ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الخُبُثِ وَالخَبَائِثِ وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ » . (رواه الخمسة)

وأن يقول عند خروجه : « غُفْرَانَكَ الحَمْدُ لِلهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنِّى مَا يُؤْذِينِى وَأَمْسَكَ عَلَىَّ مَا يَنْفَعُنِى » .

٢ — أن يعدّ ما يزيل به النجاسة من ماء أو حجر أو نحوه ، وأن يجلس لقضاء حاجته فلا يقضيها قائماً ، ويتأكد الجلوس عند التغوط .

---

(١) تحصيل مذكور فى كتب الفقه لمن يريد الاطلاع عليها .

٣ — أن يختار لقضاء حاجته مكاناً طاهراً رخواً ، فيجتنب الأمكنة النجسة لئلا تنجسه ، والأمكنة الصلبة لئلا يتطاير رشاش البول عليه ، وأن يجتنب ثقب الأرض لئلا يخرج منه ما يؤذيه ، وأن يختار مكاناً خالياً مما يؤذيه .

٤ — أن لايلتفت بعد جلوسه لئلا يرى مايفزعه فيقوم فيتنجس ، وأن يتباعد عن أعين الناس حتى لايراه أحد ولا يُسمع صوت ما يخرج منه ولا يشم ريحه ، وأن يرفع ثوبه تدريجاً ليستمر ستر عورته إلى أن يجلس حتى لا يكشف عورته بلا ضرورة ، لقول أنس رضى الله عنه :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِذَا أَرَادَ قَضَاءَ الْحَاجَةِ لَمْ يَرْفَعْ ثَوْبَهُ حَتَّى يَدْنُوَ مِنَ الأَرْضِ » . (رواه الترمذى وأبو داود) .

فإن كان بحضرة من يحرم عليه رؤية عورته وجب الستر ، وأن يجلس معتمداً على رجله اليسرى مع رفع عقب رجله اليمنى وتفريج فخذيه ، لأن ذلك أعون على خروج الخارج ، وأن يغطى رأسه حال قضاء حاجته ، وحال الاستنجاء والاستجمار حياء من الله والملائكة .

٥ — يحرم على قاضى الحاجة فى مرحاض ، أو فضاء ، قراءة قرآن من حين دخول المرحاض إلى أن يخرج منه ، وأما فى الفضاء فتحرم إلى أن يفارق المحل . كما أنه يحرم عليه أن يدخل بمصحف أو بعضه ، ولو آية ، إلاَّ إذا أراد أن يتخذه حرزاً أو خاف عليه من الضياع فإنه يجوز .

٦ — يحرم قضاء الحاجة فوق قبر ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « لَأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ فَتَحْرِقَ ثِيَابَهُ فَتَخْلُصَ إِلَى جِلْدِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرٍ » ، (رواه مسلم) وقرر العلماء تحريم قضاء الحاجة على القبر .

٧ — يحرم حال قضاء الحاجة والاستنجاء أو الاستجمار ، استقبال القبلة أو استدبارها فى فضاء بلا ستر يحول بينه وبينها ، فإن كان بناء أو فضاء بساتر لايحرم ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا أَتَى أَحَدُكُمُ الْغَائِطَ فَلَا يَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ وَلَا يُوَلِّهَا ظَهْرَهُ شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا » . (عن أبى أيوب الأنصارى)

أى إذا لم تكن القبلة فى الشرق أو الغرب فإن كانت فى أحدهما اتجه جنوباً أو شمالاً .

٨ — ينهى عن قضاء الحاجة فى الماء الراكد لقوله صلى الله عليه وسلم : « لاَ يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي المَاءِ الرَّاكِدِ » .

ويلحق به التغوط ؛ لأنه أقبح فى النهى .

٩ — ويحرم قضاء الحاجة فى موارد الماء ، ومحل مرور الناس ، واستظلالهم ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم :

« اتَّقُوا المَلاَعِنَ الثَّلاَثَ : البَرَازَ فِي المَوَارِدِ وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ وَالظِّلِّ » .

(عن معاذ)

وسميت الملاعن ؛ لأن قضاء الحاجة فيها يكون سبباً للعن من فعل ذلك ، ويلحق بهذه الثلاث مواضع اجتماع الناس لشمس أو قمر ، أو حديث مباح .

١٠ — ويكره لقاضى الحاجة أن يقابل مهابّ ريح لئلا تردّ عليه رشاش بوله فيتنجس .

١١ — ويكره له التكلم إلا لحاجة كطلب مايزيل به النجاسة ، وقد يجب الكلام لضرورة كإنقاذ أعمى من سقوط فى مهلكة ، وحفظ مال من التلف .

١٢ — ويكره له استقبال عين الشمس والقمر ؛ لأنهما من آيات الله الباهرة .

١٣ — ويكره له ذكر الله بلسانه بغير قرآن ، من حين دخول المرحاض إلى أن يخرج .

١٤ — ويجب إخراج مابقى فى المخرج من بول أو غائط حتى يغلب على ظنه أنه لم يبق فى المحل شىء ، ومن اعتاد الاستبراء كقيام أو مشى أو ركض برجله أو تنحنح أو غير ذلك فليفعله .

١٥ — قد بيَّن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديثه الآتى : « أَنَّ مِنَ الْكَبَائِرِ أَنْ لاَ يَسْتَتِرَ الرَّجُلُ مِنْ بَوْلِهِ » .

عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : « مَرَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بحائطٍ من حيطانِ المدينةِ أو مكةَ فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبانِ فى قبورِهما .

فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : يُعَذَّبَانِ وَما يُعَذَّبَانِ فى كبير (وفى رواية فى كثير) ثم قال : كَانَ أَحَدُهُمَا لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ ، وَكَانَ الآخَرُ يَمْشِى بِالنَّمِيمَةِ .

ثمّ دَعا بجريدةٍ فكسرَها كِسْرَتَيْنِ فوَضَعَ عَلَى كُلِّ قَبْرٍ منهما كِسْرَة . فقِيل لَهُ يارسُولَ الله لِمَ فعلتَ هَذا؟ قال : لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ تَيْبَسَا ، أَوْ إِلى أَنْ يَيْبَسَا » . (رواه البخارى)

معنى الحديث : مرّ النبى صلى الله عليه وسلم و بعض أصحابه على بستان من النخيل عليه جدار ، فأسمعه الله تعالى معجزةً له صوتَ إنسانين يعذبان، ومايعذبان فى كبير عند الناس ولكنه كبير عند الله . والكبيرة هى المعصية الموجبة للحد . وقيل : ما فيه وعد شديد .

ثم بيّن صلى الله عليه وسلم أن أحدهما كان لايستتر من بوله ، أى مهمل فى نظافة جسمه وثوبه فيتنجس فتبطل صلاته ، وهذا سبب عذابه فى القبر ، وكان الآخر يمشى بالنميمة : وهى نقل كلام الغير بسبب الضرر .

وفى هذا الحديث فوائد :

(ا) يدل على وجوب الاستنجاء عند التبول ؛ لأنه إذا عذب على استخفافه بغسل البول وعدم التحرز منه فعلى تركه فى مخرجه أولىٰ .

(ب) ندب وضع الجريدة وما فيه رطوبة على القبر ليسبح الله مادام رطباً فيحصل له التخفيف ببركة التسبيح .

(حـ) إثبات عذاب القبر .

(ء) التحذير من ملابسة النجاسات فى البدن والثوب .

(هـ) وجوب إزالة النجاسة إذا لزم على بقائها تضمخ .

١٦ — ويكره له عند بوله أن يأخذ ذكره بيمينه ، وأن يستنجى بيمينه ، لقوله صلى الله عليه وسلم :

« إِذَا بَالَ أَحَدُكُمْ فَلاَ يَأْخُذَنَّ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ وَلاَ يَسْتَنْجِى بِيَمِينِهِ وَلاَ يَتَنَفَّسُ فى الْإِنَاءِ » . (عن أبى قتادة — البخارى)

١٧ — « وَنَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْبَوْلِ قَائِمًا ، وَعَنِ الْبَوْلِ فِى الْجُحْرِ ، وَعَنِ الاُسْتِنْجَاءِ بِعَظْمٍ أَوْ رَوْثٍ » .

عن أبي هريرة قال : « أُتَّبَعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَرَجَ لِحَاجَتِهِ فَكَانَ لاَ يَلْتَفِتُ فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقَالَ : إِبْغِ لِي أَحْجَاراً أَسْتَنْفِضُ بِهَا أَوْ نَحْوَهُ وَلاَ تَأْتِنِي بِعَظْمٍ وَلاَ رَوْثٍ ، فَأَتَيْتُهُ بِأَحْجَارٍ بِطَرَفِ ثِيَابِي فَوَضَعْتُهَا إِلى جَنْبِهِ وَأَعْرَضْتُ عَنْهُ فَلَمَّا قَضَى اتَّبَعْتُهُ بِهِنَّ » (رواه البخارى)

الاستنجاء

الاستنجاء : هو غسل ما تلوّث من المخرج بالنجاسة الخارجية منه بالماء ، أو مسحه بالأحجار ونحوها مما ينقى ، ويسمى المسح بالأحجار ونحوها استجماراً ، وهو سنة مؤكدة .

فعن ابن عباس رضى الله عنه : « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ الْخَلاَءَ فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءاً . قَالَ : مَنْ وَضَعَ هٰذَا ؟ فَأُخْبِرَ . فَقَالَ : اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » .
(رواه البخارى)

وعن أنس بن مالك يقول : « كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ أَجِيءُ أَنَا وَغُلاَمٌ مَعَنَا إِدَاوَةٌ فِيهَا مَاءٌ ، يَعْنِي يَسْتَنْجِي بِهِ » . (رواه البخارى)

فيجب على قاضى الحاجة بعد قضاء حاجته بولاً أو غائطاً أن يستنجى بالماء حتى تزول النجاسة ، ويجوز له أن يمسح المحل بحجر أو نحوه كقرطاس أو خرقة من ثوب ؛ ولكن يشترط للاستنجاء بالحجر ونحوه ألا يقلّ عن ثلاث مسحات مزيلات للنجاسة ، والمعول عليه عند الحنفية إنقاء المحل ، وألا تكون النجاسة قد انتشرت إلى موضع آخر ، وألا تكون قد جفت ، فإن انتشرت أو جفت فلا تكفى الأحجار وحينئذ وجب استعمال الماء ؛ لأنه يزيل عين النجاسة وأثرها . ويندب الاستنجاء بيده اليسرى تكريماً لليمنى ، ويندب بلّ أصابع اليسرى قبل ملاقاة الأذى ، لئلا يشتد تعلق النجاسة بها ، ويندب أيضاً غسل يده اليسرى بعد الفراغ بشىء منظف ، ويندب الاسترخاء قليلاً عند الاستنجاء .

الطهارة الصغرى[1]

١ — الوضـــوء

س — ماهو الوضوء ؟

ج — الوضوء هو الوسيلة المباشرة للصلاة ، ولا تصح الصلاة بدونه ، ويراد به غسل أعضاء مخصوصة من الإنسان لتطهيرها من الحدث ، لقوله صلى الله عليه وسلم .

« لاَ تُقْبَلُ صَلاَةُ مَنْ أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ » .

وفى روايه : « لاَ يَقْبَلُ اللهُ صَلاَةَ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضأَ » .

(عن أبى هريرة)

وقال عليه الصلاة والسلام : « الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ » .

س — ما كيفية الوضوء ؟

ج — من أراد الوضوء فليسمّ الله تعالى مع النية قائلاً « بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ » لقوله صلى الله عليه وسلم : « لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لاَ وُضُوءَ لَهُ ، وَلاَ وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ » .

ثم يغسل يديه إلى الكوعين ، أو إلى الرسغين ثلاثاً بثلاث غرفات ، ثم يتمضمض ثلاثاً بثلاث غرفات مبالغاً فى المضمضة إن لم يكن صائماً ، ثم يستنشق ويستنثر ثلاثاً بثلاث غرفات مبالغاً فى الاستنشاق مالم يكن صائماً فتكره المبالغة خوفاً من فساد صومه .

ثم يغسل وجهه ثلاثاً بثلاث غرفات مستوعباً الوجه بالغسل فى كل مرة ، ثم يغسل يديه مع مرفقيه كل واحدة ثلاثاً بثلاث غرفات مستوعباً اليد بالغسل فى كل مرة .

ثم يمسح رأسه كله بماء جديد بيديه ، يقبل بهما ويدبر ، يبدأ بمقدم رأسه إلى قفاه . ثم يردها إلى المكان الذى بدأ به مستوعباً بالمسح جميع رأسه ، ثم يمسح الأذنين بماء جديد بإدخال السبابتين فى صماخ الأذنين وإدارة الإبهامين على ظاهرها فيمسح ظاهر الأذنين بباطن الإبهامين ، وباطن الأذنين بباطن السبابتين ، ثم يخلل أصابع يديه ورجليه ولحيته .

ويسن تخليل اللحية الكثيفة التى لا ترى بشرتها من تحتها ، ويفترض تخليل اللحية

الخفيفة التى ترى بشرتها من تحتها ، وحدّ الوجه طولاً من منابت شعر الرأس المعتاد إلى أسفل الذقن ، وعرضاً مابين شحمتى الأذنين ، ثم يغسل الرجلين مع الكعبين كل واحدة ثلاثاً بثلاث غرفات مستوعباً بالغسل الرِّجل مع كعبيها فى كل مرة .

والفرض هو الغَسلة الأولى إذا عمت جميع العضو المغسول ، والغسلة الثانية والثالثة سنة ، ويقدم فيه العضو الأيمن على الأيسر ، ويستاك بعود إن وجده ، وإلا فيستاك بأصابعه عرضاً فى الأسنان وطولاً فى اللسان ، وأن يوالى فيه ؛ بأن يغسل العضو الثانى قبل جفاف الأول ويرتب أعضاء الوضوء ، ويقدم بعضها على بعض ، كالترتيب المذكور فى قوله تعالى : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ) .

(المائدة)

قال أبو عبد الله : «وَبَيَّنَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عليه وسلم أَنَّ فَرْضَ الْوُضُوءِ مَرَّةً مَرَّةً وَتَوَضَّأَ أَيْضًا مَرَّتَيْنِ وَثَلَاثًا وَلَمْ يَزِدْ عَلَى ثَلَاثٍ» وكره أهل العلم الإسراف فيه ، وأن يجاوزوا فعل النبى صلى الله عليه وسلم . (رواه البخارى)

كيف كان يتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

حدثنا عبد الله بن يوسف قال : أخبرنا مالك عن عمرو بن يحيى المازنى عن أبيه ، أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ زَيْدٍ (وهو جدُّ عمرو بن يحيىٰ) أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تُرِيَنِي كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَتَوَضَّأُ ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ زَيْدٍ : نَعَمْ ، فَدَعَا بِمَاءٍ فَأَفْرَغَ عَلَى يَدَيْهِ فَغَسَلَ مَرَّتَيْنِ ، ثُمَّ مَضْمَضَ وَاسْتَنْثَرَ ثَلَاثًا ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا ، ثُمَّ غَسَلَ يَدَيْهِ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ ، ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ بِيَدَيْهِ فَأَقْبَلَ بِهِمَا وَأَدْبَرَ ، بَدَأَ بِمُقَدَّمِ رَأْسِهِ حَتَّى ذَهَبَ بِهِمَا إِلَى قَفَاهُ ثُمَّ رَدَّهُمَا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِى بَدَأَ مِنْهُ بِهِ ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ فقال : هكذا رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يتوضأ.

(رواه البخارى)

وقال عليه الصلاة والسلام ضمن حديث طويل : « مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِى هٰذَا ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » . (رواه البخارى)

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : «تَوَضَّأَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّةً مَرَّةً» . (رواه البخارى)

وعن عبد الله بن زيد : «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَضَّأَ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ». (البخارى)

وعن عطاء بن بريد : «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَضَّأَ ثَلَاثًا ثَلَاثًا» وأن عثمان ابن عفان توضأ كما فعل الرسول . (رواه البخارى)

الاقتصاد فى ماء الوضوء

عن عبد الله بن عمرو «أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم مَرَّ بِسَعْدٍ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ ، فَقَالَ لَا تُسْرِفْ ، فقال : يَا رَسُولَ اللهِ أَوَفِى المَاءِ إِسْرَافٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهَرٍ» . (رواه أحمد)

وعن عمرو بن شُعَيْبٍ عن أبيه عن جَدِّهِ قال : «جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم يَسْأَلُ عَنِ الْوُضُوءِ فَأَرَاهُ ثَلَاثًا ثَلَاثًا وَقَالَ : هٰذَا الْوُضُوءُ فَمَنْ زَادَ عَلَى هٰذَا فَقَدْ أَسَاءَ وَتَعَدَّى وَظَلَمَ» . (رواه أحمد فى مسنده)

وعن عبد الله بن عامر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُسْبِغُ الْوُضُوءَ ثُمَّ يَقُومُ فى صَلَاتِهِ فَيَعْلَمُ مَا يَقُولُ إِلَّا انْفَتَلَ (انصرف) وَهُوَ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» . (رواه مسلم وأبو داود)

وعن أبى أيوب قال : « سَمِعْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : مَنْ تَوَضَّأَ كَمَا أُمِرَ وَصَلَّى كَمَا أُمِرَ غُفِرَ لَهُ مَا قَدَّمَ مِنَ عَمَلٍ » (رواه النسائى وابن ماجه)

السواك وفوائده وما جاء فيه من الأحاديث

السواك تنظيف الأسنان بعود (الأراك) أو كل طاهر خشن ، ويسنُّ فى الوضوء عند المضمضة ، وفى كل وقت إلا بعد الزوال للصائم .

والغرض من السواك تطهير الفم مما بقى من فضلات الأغذية ، أو الرائحة الكريهة فيصح الجسم .

قال عليه الصلاة والسلام : « إِذَا اسْتَكْتُمْ فَاسْتَاكُوا عَرْضًا ، وَالسِّوَاكُ سُـــنَّةٌ

فاسْتَاكُوا أيَّ وَقْتٍ شِئْتُمْ ، وَطَهِّرُوا أفْوَاهَكُمْ بِالسِّوَاكِ فإنَّهَا طَرِيقُ الْقُرْآنِ » .
فينبغى أن ينوى الإنسان عند السواك تطهير فيه (فمه) لقراءة القرآن ، وذكر الله تعالى فى الصلاة .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لوْلاَ أنْ أشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلاَةٍ وَلأَخَّرْتُ الْعِشَاءَ إلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ ، أوْ إلَى نِصْفِ اللَّيْلِ ؛ وَلَوْلاَ أنْ أشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ وُضُوءٍ» . (رواه البخارى)

وقال صلى الله عليه وسلم : « لَوْلاَ أنْ أشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ وَالطِّيبِ عِنْدَ كُلِّ صَلاَةٍ ، وَالْوُضُوءُ شَطْرُ الإِيمَانِ ، وَالسِّوَاكُ شَطْرُ الْوُضُوءِ» .

وقال أيضاً : «صَلاَةٌ عَلَى أثَرِ سِوَاكٍ أفْضَلُ مِنْ خَمْسِينَ أوْسَبْعِينَ صَلاَةً بِغَيْرِ سِوَاكٍ»
وقال أيضًا : «السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلفَمِ وَمَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ » . (عن عائشة رواه البخارى)

والسواك هو من خشب (الأراك) أو غيره من قضبان الأشجار ، مما يخشن و يزيل القلَح : أى اصفرار الأسنان ، ويستاك عرضاً وطولاً ، و إن اقتصر فعرضًا .

و يستحب استعمال السواك عند كل صلاة ، وعند كل وضوء ، وعند تغير نكهة الفم بالنوم ، أو أكل ما تكره رائحته كالبصل والثوم .

هذا ، وفى استعمال السواك حكمة إلهية تدعو إلى نضارة الجسم بالعناية بالسواك ، فأصبح الطب الحديث الآن قبل أن يفحص الجسم يبحث عن الأسنان ونقاوتها وسقمها للوقوف على حقيقة المرض .

دعاء الوضوء

يسنُّ للشخص بعد أن يتوضأ أن يستقبل القبلة ، ويرفع يديه إلى السماء ويقول :
أشْهَدُ أنْ لاَ إلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وَأشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ؛ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ . لقوله صلى الله عليه وسلم :
« مَا مِنْكُمْ مِنْ أحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُسْبِغُ الْوُضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ أشْهَدُ أنْ لاَ إلَهَ إلا اللهُ

وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ؛ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ ، إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ » .

(عن عمر رواه الترمذى)

فرائض الوضوء (أركانه)

	عدد	
عند أبي حنيفة	٤	غسل الوجه ـ غسل اليدين مع المرفقين ـ مسح ربع الرأس ـ غسل الرجلين مع الكعبين .
عند مالك	٧	النية ـ غسل الوجه ـ غسل اليدين مع المرفقين ـ مسح جميع الرأس ـ غسل الرجلين مع الكعبين ـ الفور ـ التدليك
عند الشافعى	٦	النية ـ غسل الوجه ـ غسل اليدين مع المرفقين ـ مسح بعض الرأس ـ غسل الرجلين مع الكعبين ـ الترتيب .
عند أحمد بن حنبل	٦	غسل الوجه ـ غسل اليدين ـ مسح جميع الرأس ـ غسل الرجلين ـ الترتيب ـ الموالاة .

سنن الوضوء

	عدد	
عند أبي حنيفة	٩	التسمية ـ النية ـ السواك ولو بالأصبع ـ المضمضة ثلاثاً ولو بغرفة واحدة ـ الاستنثار بثلاث غرفات ـ استيعاب الرأس بالمسح مرة ـ ومسح الأذنين ولو بماء الرأس ـ الدلك ـ الترتيب ـ الموالاة .
عند مالك	٧	غسل اليدين إلى الكوعين ـ المضمضة ـ الاستنشاق ـ الاستنثار ـ مسح الأذنين ظاهرهما وباطنهما ـ وتجديد الماء لهما ـ ورد مسح الرأس .

	عدد	
عند الشافعى	١١	التسمية ـ السواك ـ المضمضة ـ الاستنشاق بثلاث غرفات ـ مسح جميع الرأس ـ ومسح الأذنين ظاهرهما وباطنهما بماء جديد ـ تثليث كل من الغسل والمسح ـ التتابع ـ التيامن ـ التدليك ـ الموالاة .
عند أحمد بن حنبل	٨	غسل الكفين ثلاثاً ـ البدء قبل غسل الوجه بالمضمضة والاستنشاق ـ والاستنثار ـ والتيامن ـ وأخذ ماء جديد للأذنين بعد مسح الرأس ـ التشهد المعلوم بعد الفراغ من الوضوء ـ الاحتراس من الإسراف فى الماء والتقتير .

نواقض الوضوء

عند أبى حنيفة	٨	ما خرج من السبيلين مطلقاً ـ زوال التمييز : الشعور ، بنحو إغماء أو جنون أو سكر ـ النوم إلا نوم الممكن مقعدته من الأرض ـ قهقهة مصلّ بالغ إذا سمعها من بجواره ـ المباشرة الفاحشة من غير حائل ؛ أما اللمس مهما كان فلا ـ سيلان نجاسة كدم أو قيح ـ القئ من الفم بحيث يملؤه .
عند مالك	٧	ماخرج من السبيلين ـ النوم الثقيل ـ زوال العقل بسكر أو جنون أو إغماء ـ الردة ـ الشك فى الحدث ـ مس الذكر المتصل بباطن الكفّ ـ لمس بالغ مشتهاة مع قصد اللذة أو وجودها .
عند الشافعى	٦	ما خرج من السبيلين ما عدا المنى ـ زوال التمييز : الشعور ، بنحو إغماء أو جنون أو سكر ـ النوم إلا نوم الممكن مقعدته من الأرض ـ التقاء بشرتى الرجل بالمرأة ، سواء كان بشهوة أو غيرها إذا كانت أجنبية بلا حائل ـ لمس فرج الآدمى قبلاً أو دبراً بباطن الكف بلا حائل .

	عدد	
عند أحمد بن حنبل	٨	ما خرج من السبيلين ـ النوم إلا النوم اليسير من القائم والقاعد ـ مسّ فرج الآدمى المتصل بلا حائل ـ لمس امرأة أجنبية بشهوة ـ أكل لحم الجزور : الإبل ـ الردة ـ تغسيل الميت ـ كلّ نجس خرج من باقى البدن .

مكروهات الوضوء

مكروهات الوضوء هى :

١ — الإسراف فى صب الماء بأن يزيد على الكفاية ، وهذا إذا كان الماء مباحاً أو مملوكاً للمتوضىء ، فإن كان موقوفاً على الوضوء منه كالماء المعد للوضوء فى المساجد ، فإن الإسراف فيه حرام .

٢ — الزيادة على الثلاث فى المغسول ، وهى من الإسراف ، والزيادة على المرة الواحدة فى الممسوح إذا قصد بالزيادة أنها من الوضوء ؛ أما إن كانت الزيادة للنظافة أو التبرد فلا كراهة مالم يكن الماء موقوفاً على الوضوء ، وإلاّ حرم .

٣ — المسح على الرقبة بالماء لأنه غلوّ فى الدين وتشديد فيه .

٤ — مبالغة الصائم فى المضمضة والاستنثار ، مخافة أن يفسد صومه .

٥ — التوضؤ فى موضع متنجس ، خوفاً من أن يصيبه شىء من رشاش الماء المتنجس لسقوطه عَلَى الموضع المتنجس .

٦ — الكلام حال الوضوء بغير ذكر الله تعالى إلا لحاجة .

الحكمة فى أن الريح الخارج من الدبر ينقض الوضوء

الأرياح التى تخرج من جسم الإنسان أربعة : الريح الخارج من الدبر ـ والريح الخارج من القبل ـ والريح الخارج من الفم الذى كان محتبساً فوق المعدة ، ويقال له (الجشاء) والريح الخارج من الأنف ، وكان محتبساً فى الدماغ وطلب الخروج من الخياشيم ، ويقال له (العطاس) ، وقد اقتضت حكمة الشارع الحكيم أن الريح الخارج من الدبر هو الناقض

وضوء دون سائر الأرياح لأنه يمرّ فى طريقه على أوساخ تكسبه هذه الرائحة الكريهه .

وأما الجشاء فهو يخرج من ممرّ لا أوساخ فيه ، وهو الحلق ، وكذلك العطاس فإنه يمر من الخياشيم ولا أوساخ فيها ، وكذلك الريح الخارج من القبل ، فإنه و إن كان يمر فى ممر البول إلا أن الرائحة الكريهة تكاد تكون مفقودة منه ؛ بل ربما يخرج والإنسان لا يشعر به ، وهو الكثير فى الغالب فمن أجل ذلك لا يكون ناقضاً للوضوء .

(عن كتاب حكمة التشريع)

الحكمة فى أن النوم الثقيل ينقض الوضوء

إن الشارع الحكيم جعل من ضمن نواقض الوضوء النوم الثقيل ، و إن كان ليس من النظافة أو ضدها ؛ لأن النوم الثقيل فيه يفقد الإنسان شعوره ، ويحصل الفتور فى الجسم بسببه ، فلا يأمن الإنسان والحالة هذه من خروج الريح وهو لا يشعر به ؛ لأن الريح إذا خرج منه وهو فى غيبوبة النوم لا يدرى به ولا يشعر .

الوضوء من النوم

عن عائشة رضى الله عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يُصَلِّي فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ لَا يَدْرِي لَعَلَّهُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبُّ نَفْسَهُ» (أى يدعو عليها) . (رواه البخارى)

وعن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلْيَنَمْ حَتَّى يَعْلَمَ مَا يَقْرَأُ » (رواه البخارى)

الغرض من الوضوء وفوائده

الغرض من الوضوء نظافة الأعضاء وتطهيرها من الأدران والأوساخ ، وتقويتها على أداء العبادة ، فإذا تأمل الإنسان فيما يفعله فى الوضوء ، وجد أنه يبدأ بغسل اليدين ، وهما العضوان اللذان يستعملهما أكثر من سائر الأعضاء فى ملامسة الأشياء ؛ كالمصافحة والبطش وما أشبه ذلك .

ثم الفم بالمضمضة ؛ لأنه قرار الأبخرة المتصاعدة من الجوف ومنه تخرج بعض الروائح وآثار الطعام الذى قد يكون متخلفا بين الأسنان ، وليعلم أيضاً طعم الماء فيما إذا كان انتقل من حالته الأصلية أم لا ، ولتنظيف الأسنان أيضاً .

ثم الأنف بالاستنشاق لإزالة ما به من الآثار الكريهة ، وما يُدخله فيه الهواء من الأتربة ، وما شابه كل ذلك ، وليشم أيضاً رائحة الماء .

ثم الوجه لإزالة ما عليه من آثار العرق والأتربة كى يكون نظيفاً ، إذ هو أول ما يقع عليه النظر عند الملاقاة بالمقابلة .

فإذا انتهى من الوجه عطف على غسل اليدين إلى المرفقين ، وهما العضوان المتوسطان بين أعضاء الرأس والرجلين . والحكمة فى غسلهما أنهما معرّضان فى غالب الأوقات لأن يكونا مكشوفين ومعرّضين للأوساخ التى تلصق بالأعضاء المكشوفة كالأذنين مثلاً .

ثم مسح الرأس لأنها منبع العرق الخارج من المسامّ . ولم يفرض الشارع غسلها بالماء لما فى هذا من المشقة والحرج ، واكتفى فيها بالمسح الذى اتفقتْ عليه الأئمة الأربعة ، واختلفوا فى مقدار الممسوح .

ثم مسح الأذنين لإزالة ما علق بهما من الأتربة التى تدخل فى القَدَر المرئىّ منهما بواسطة الهواء .

ثم مسح القفا بالماء حتى تكون أعضاء الرأس قد أخذت قسطها من النظافة :

ثم يعطف على الرجلين إلى الكعبين ، لأن هذين العضوين معرّضان للأوساخ والروائح الكريهة ، خصوصاً ما يوجد بين الأصابع من العرق المتجمد الذى لا تطاق رائحته خصوصاً عند الذين يلبسون الأحذية (الجزم) وهذا يشاهد كثيرا عند الفرنج والمتفرنجين من المسلمين غير المصلين .

فالوضوء بهذه الكيفية ، وبهذه الطريقة الحسية ، يكسب الإنسان نظافةً ونشاطاً فى أداء العبادة ، أضف إلى هذا أن الإنسان يقف أمام مولاه نظيفاً طاهراً .

وهذه النظافة تحفظ الإنسان من الأمراض ، وتشرح صدره ، وتجعله محبوباً عند الله والناس .

حكمة مشروعية الوضوء

س — ما حكمة مشروعية الوضوء ؟

ج — إن فى الوضوء لحكماً بالغةً وسراً عجيباً ، فحكمته التوبة من ذنوب تلك الأعضاء ، لأنه ليس فى البدن مايتحرك للمخالفة أسرع من هذه الأعضاء ، ففى غسلها التنبيه للمتعبد على الاعتناء بطهارتها الباطنية أيضاً ، وهى التوبة من ذنوبها الكثيرة الوقوع ، وأما ترتيبها فى التطهير فعلى ترتيب سرعة الحركة فى المخالفة ، فما كان منها أسرع فى التحرك للمعصية من غيره ، أمر المكلف بغسله قبل مابعده ، فأمر بغسل الوجه أولاً وفيـــه الفم والأنف والعينان

فيبدأ بغسل فمه أوّلاً ؛ لأن اللسان أكثر الأعضاء وأشدها حركةً فى المخالفة ، ولأن التلفظ بالكفر والغيبة والنميمة والفحش وغير ذلك من آفات اللسان ؛ فبغسل الفم يتذكر أن طهارة الظاهر إنما هى إشارة إلى تطهير الباطن فيتوب إلى الله تعالى ، ويقلع عما تكلم به لسانه .

ثم بالاستنشاق يتذكر أنه شم رائحة من الروائح المنهى عنها فيتوب مما شم بالاستنثار ، وكذلك يتوب مما نظرت إليه عيناه مما حرم عليه نظره .

ثم يؤمر بغسل اليدين ، لأنه إذا تكلم اللسان ، ونظرت العينان ، بطشت اليدان أو لمستا ، فإذا جاء إلى طهارتهما ابتدأ طهارتهما باطناً فيتوب مما تحركتا إليه .

ثم يؤمر بمسح رأسه ، وكأنه أمر بمسح رأسه ولم يؤمر بغسله ، لأنه لم يقع من نفس الرأس مخالفة ، وإنما هو مجاور لما وقعت منه ، وهو اللسان والعينان .

ولما كان السمع قد يطرأ على الإنسان فى غالب الأحيان وهو لا يتعمد ، خفف أمر الأذنين فأمر بمسحهما ولم يؤمر بغسلهما ؛ وبهذين المسحين يتذكر فيتوب ، ويطهر الباطن مما سمعت الأذنان ؛ ومما وقع من الرأس من مجاورة تلك الأعضاء المخطئة .

ويقال ذلك أيضاً فى مسح الرقبة .

ثم يؤمر بغسل الرجلين ، لأن العينين إذا نظرتا ، وتكلم اللسان ، وتحركت اليد .

وسمت الأذن حينئذ تسمى الرجلان ، فالرجلان آخر الجميع فى المخالفة فجعلتا آخر الجميع فى الغسل ، و بغسلهما يتذكر الإنسان ويقدم طهارتهما الباطنية فيتوب مما سعتا فيه من المخالفة ، كالذهاب إلى محالّ الفجور ، وحانات الخمور .

ثم إن لتثليث غسل الأعضاء المغسولة المباشرة للمخالفة عمداً فى الغالب سرًّا دقيقاً ، وحكمةً فائقةً ، وهى المقابلة لأركان التوبة الثلاثة وهى : الندم على ماوقع من الذنب ، والإقلاع عنه ، والعزم على عدم العود إليه ، فكأنّ فى كل غسلة تنبيهاً على ركن من هذه الأركان .

ثم بعد فراغ المتوضىء من الوضوء وتحصيل ما أمر به من تطهير الباطن بالتوبة شُرِع له أن يقول : «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلا اللهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ؛ اللهُمَّ اجْعَلْنِى مِنَ التَّوَّابِينَ ، وَاجْعَلْنِى مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ ، وَاجْعَلْنِى مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ » ؛ فكأن فيه إشارة له أن يسأل الله تعالى قَبول ماقد أتى به من التوبة والتطهير والتفضل به عليه .

فضل الوضوء

قال عليه الصلاة والسلام :

« مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّى رَكْعَتَيْنِ فَيُقْبِلُ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ إِلاَّ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ » .

وقال عليه الصلاة والسلام .

« مَنْ تَوَضَّأَ لِلصَّلَاةِ فَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ ، ثُمَّ مَشَى إِلَى الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ فَصَلَّاهَا مَعَ النَّاسِ أَوْ مَعَ الْجَمَاعَةِ أَوْ فِى الْمَسْجِدِ ، غَفَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ ذُنُوبَهُ » .

وقال صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فُتِّحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ » .

وعن أبى هريرة قال : إِنِّى سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ :

« إن أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا[١] مُحَجَّلِينَ[٢] مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ » . (رواه البخارى)

المعنى : من استطاع منكم أن يواظب على الوضوء لكل صلاة فليفعل، فإنما يطيل غرته أى يقوى نوره ، ويتضاعف بهاؤه ، فكنى بالغرة عن نور الوجه .

فضل من بات على الوضوء

قال النبى صلى الله عليه وسلم :

« إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ ، ثُمَّ قُلِ : اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ ، لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَى مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ . اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِى أَنْزَلْتَ ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِى أَرْسَلْتَ ، فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ » . (رواه البخارى)

وسيأتى شرح هذا الحديث :

قال ابن بطال : إن الوضوء عند النوم مندوب إليه مرغوب فيه ، وكذلك الدعاء لأنه قد تقبض روحه فى نومه ، فيكون قد ختم عمله بالوضوء والدعاء الذى هو من أفضل الأعمال .

وقال النووى : فى الحديث ثلاث سنن مهمة مستحبة : إحداها الوضوء عند النوم ، وإن كان متوضئاً كفاه ذلك الوضوء ، لأن المقصود النوم على طهارة مخافة أن يموت فى ليلته وليكون أصدق لرؤياه ، وأبعد عن تلاعب الشيطان به فى منامه .

الثانية : النوم على الشق الأيمن ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يحب التيامن ، ولأنه أسرع إلى الانتباه ، وإلى انحدار الطعام كما هو مذكور فى الكتب الطبية .

الثالثة : ذكر الله تعالى ليكون خاتمة عمله ذلك .

---

(١) الغرة : بياض فى الجبهة ، والمراد به النور يكون فى وجوههم .

(٢) التحجيل: بياض فى اليدين والرجلين ، والمراد به النور أيضاً .

الطهارة الكبرى

الغسل من الجنابة وغيرها

س ـ ماهو الغسل ؟

ج ـ الغسل هو أيضاً وسيلة مهمة للصلاة ؛ لأن الصلاة لا تصح بدون طهارة ، ويراد بها غسل الجسم كله من أعلا رأسه إلى منتهى قدمه ، وذلك بالماء الطهور على البالغ الرشيد مطلقاً .

قال الله تعالى : (وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا) . (المائدة)

وقال عزّ وجل : (وَلاَ جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا) . (النساء)

س ـ ما كيفية الغسل ؟

ج ـ من أراد أن يغتسل غسل فرجه أوّلاً ، ثم توضأ وضوءه للصلاة ، ثم أفاض على رأسه الماء ثلاثاً ، ثم على سائر جلده وبدنه مع الدلك والنية ، ولا يجب إيصال الماء إلى داخل العينين .

س ـ كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل ؟ وماذا قال فى وجوب الغسل ؟

ج ـ عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم : « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا اغْتَسَلَ مِنَ الْجَنَابَةِ بَدَأَ فَغَسَلَ يَدَيْهِ ثُمَّ يَتَوَضَّأُ كَمَا يَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ يُدْخِلُ أَصَابِعَهُ فِي الْمَاءِ فَيُخَلِّلُ بِهَا أُصُولَ شَعْرِهِ ثُمَّ يَصُبُّ عَلَى رَأْسِهِ ثَلَاثَ غُرَفٍ بِيَدَيْهِ ثُمَّ يُفِيضُ الْمَاءَ عَلَى جِلْدِهِ كُلِّهِ » .

وعن ميمونة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم قَالَتْ : « تَوَضَّأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وُضُوءَهُ لِلصَّلَاةِ غَيْرَ رِجْلَيْهِ وَغَسَلَ فَرْجَهُ وَمَا أَصَابَهُ مِنَ الْأَذَى ثُمَّ أَفَاضَ عَلَيْهِ الْمَاءَ ثُمَّ نَحَّى رِجْلَيْهِ فَغَسَلَهُمَا » هذه غسله من الجنابة . (رواه البخارى)

وقال صلى الله عليه وسلم :

« إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ » .

(رواه أبو داود والنسائى)

وقال صلى الله عليه وسلم :

« مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَمَسَّ مِنْ طِيبِ امْرَأَتِهِ - إِنْ كَانَ لَهَا طِيبٌ - وَلَبِسَ مِنْ صَالِحِ ثِيَابِهِ ، ثُمَّ لَمْ يَتَخَطَّ رِقَابَ النَّاسِ ، وَلَمْ يَلْغُ عِنْدَ الْمَوْعِظَةِ كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا بَيْنَهُمَا ، وَمَنْ لَغَا وَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ كَانَتْ لَهُ ظُهْرًا » .

وقال أيضاً : « مَنْ تَوَضَّأَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَبِهَا وَنِعْمَتْ ، وَمَنِ اغْتَسَلَ فَالْغُسْلُ أَفْضَلُ »

وقال أيضاً : « إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ ، وَحَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ فِى كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَوْمًا يَغْسِلُ فِيهِ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ » .

وقال أيضاً : « مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ كَانَ فِي طَهَارَةٍ إِلَى الْجُمُعَةِ الْأُخْرَىٰ » .

(عن أبى قتادة)

وقال أيضاً : «اغْتَسِلُوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَإِنْ لَمْ تَكُونُوا جُنُبًا» فصار غسل الجمعة سنة .

س - ماهى موجبات الغسل أو أسبابه ؟

ج - موجبات الغسل أو أسبابه ستة :

١ - التقاء عضوى التناسل (الختانين) وسيأتى الكلام عليه .

٢ - نزول المنىّ من عضو التناسل عند الشافعى والحنفى والمالكى ، وعند أحمد إذا فكر أو نظر فأحسّ بانتقال المنى فى الظهر وجب الغسل ولولم يخرج .

٣ - الموت ٤ - الحيض عند النساء ٥ - النفاس ٦ - الولادة ولو بلا دم .

قالت أم سلمة : « قُلْتُ يَارَسُولَ اللهِ إِنِّى امْرَأَةٌ أَشُدُّ ضَفْرَ رَأْسِى ، أَفَأَنْقُضُهُ لِغُسْلِ الْجَنَابَةِ ؟ قَالَ : لَا ؛ إِنَّمَا يَكْفِيكِ أَنْ تَحْثِى عَلَى رَأْسِكِ ثَلَاثَ حَثَيَاتٍ ثُمَّ تُفِيضِينَ عَلَيْكِ الْمَاءَ فَتَطْهُرِينَ »

(رواه الخمسة إلا البخارى)

نوم الجنب

عن ابْنِ عُمَرَ «أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيَرْقُدُ أَحَدُنَا وَهُوَ جُنُبٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَلْيَرْقُدْ وَهُوَ جُنُبٌ » .

الجنب يتوضأ قبل النوم

عن عائشة قالت . « كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنَامَ وَهُوَ جُنُبٌ غَسَلَ فَرْجَهُ وَتَوَضَّأَ لِلصَّلَاةِ » .

التقاء الختانين

عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم : « إِذَا جَلَسَ (الرَّجُلُ) بَيْنَ شُعَبِهَا الْأَرْبَعِ ثُمَّ جَهَدَهَا فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ » .

(رواه البخارى)

معنى الحديث : إن إيجاب الغسل لا يتوقف على إنزال المنى ؛ بل متى غابت الحشفة فى الفرج وجب الغسل على المرأة والرجل

ومعنى مس الختان : دخول رأس ذكره فى فرجها .

وليس المراد حقيقة المس ، وذلك أن ختان المرأة فى أعلى الفرج ولا يمسه الذكر فى الجماع .

وقد أجمعوا على أنه لو وضع ذكره على ختانها ولم يولجه لا يجب الغسل لا عليه ولا عليها ، والمراد بالمماسة المحاذاة . وكذا إذا التقى الختانان : أى تحاذيا ، والله أعلم .

(جواهر البخارى)

خروج الجنب إلى السوق

الجنب يخرج ويمشى فى السوق وغيره . وَقَالَ عَطَاءٌ : يحتجم الجنب ويقلم أظفاره ويحلق رأسه وإن لم يتوضأ .

عن أبى هريرة قال : « لَقِيَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا جُنُبٌ فَأَخَذَ بِيَدِي فَمَشَيْتُ مَعَهُ حَتَّى قَعَدَ فَانْسَلَلْتُ فَأَتَيْتُ الرَّحْلَ فَاغْتَسَلْتُ ثُمَّ جِئْتُ وَهُوَ قَاعِدٌ فَقَالَ : أَيْنَ كُنْتَ يَا أَبَا هِرٍّ ؟ فَقُلْتُ لَهُ . فَقَالَ : سُبْحَانَ اللهِ يَا أَبَا هِرٍّ ! إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَنْجُسُ » .

فرائض الغسل (وأركانه)

عند الحنفية	٣	المضمضة ـ الاستنشاق ـ تعميم البدن بالماء .
عند المالكية	٥	النية ـ تعميم الجسد بالماء ـ دلك جميع الجسد مع صب الماء ـ موالاة غسل الأعضاء ـ تخليل جميع شعر الجسد بالماء .
عند الشافعية	٢	النية ـ تعميم ظاهر الجسد بالماء .
عند الحنابلة	١	تعميم الجسد بالماء ، وأدخلوا فى الجسد الفم والأنف فيجب غسلهما .

سنن الغسل ومندوباته

عند الحنفية	١١	النية بالقلب وأن يقول بلسانه : نويت الغسل من الجنابة ـ التسمية فى أوله ـ غسل اليدين إلى الكوعين ثلاثاً ـ غسل الفرج وإن لم يكن به نجاسة ـ إزالة ما يوجد على البدن من النجاسة ـ التوضؤ قبل الغسل كوضوء الصلاة مع تأخير غسل الرجلين إذا كان فى مستنقع ؛ أما إذا كان على حجر فلا يؤخر غسلهما ـ البدء بغسل الرأس قبل البدن ثلاثاً ـ الدلك ـ تقديم غسل شقه الأيمن على شقه الأيسر ـ تثليث غسل كلٍّ منهما ـ الترتيب .
عند المالكيه	٤	غسل اليدين إلى الكوعين كما فى الوضوء ـ المضمضة ـ الاستنشاق ـ الاستنثار ، وهو إخراج الماء من الأنف ـ ومسح صماخ الأذنين .

عند الشافعية	١٧	التسمية مقرونة بنية الغسل - غسل اليدين إلى الكوعين كما فى الوضوء - الوضوء كاملاً قبله - الموالاة - غسل الرأس أولاً - التيامن - إزاله ماعلى البدن من القذر الذى لايمنع وصول الماء إلى البشرة وإلا وجبت إزالته - ستر العورة ولوكان بخلوة - تثليث الغسل - تخليل الشعر والأصابع - ترك حلق الشعر - تقليم الظفر قبل غسله - استقبال القبلة - الاغتسال بمكان لا يصيبه فيه رشاش الماء - ترك نفض ماء الغسل عن أعضائه - ترك الكلام إلا لحاجة - غسل الأعالى قبل الأسافل .
عند الحنابلة	٧	الوضوء قبل الغسل - إزالة ماعلى البدن من القذر - تثليث غسل الأعضاء - تقديم غسل الشق الأيمن على الأيسر - الموالاة - الدلك - إعادة غسل الرجلين فى مكان غير الذى اغتسل منه - وأما التسمية فقالوا إنها واجبة على العالم ، وتسقط عن الجاهل والناسى .

أنواع الغسل

يقسم الغسل إلى مفروض ، ومسنون

الغسل المفروض أربعة وهى :

الغسل من الجنابة - الغسل من الحيض عند انقطاعه للمرأة - الغسل من النفاس كذلك ومن الولادة بلا دم - غسل الميت .

وزاد المالكية الغسل لمن كان بالغاً غير مسلم ثم أسلم .

وما عدا هذه الأربعة فهو مسنون .

الغسل المسنون والمندوب

	المسنون	المندوب	
عند الحنفية	٤	١٧	الغسل المسنون أربعة : الغسل يوم الجمعة ـ الغسل للعيدين ـ الغسل للاحرام ـ الغسل للوقوف بعرفة . والغسل المندوب سبعة عشر : الغسل لمن أفاق من جنونه أو إغمائه أوسكره ـ الغسل بعد الحجامة ـ الغسل ليلة النصف من شعبان ـ الغسل ليلة عرفة ـ الغسل ليلة القدر ـ الغسل عند الوقوف بمزدلفة صبيحة يوم النحر ـ الغسل لدخول مِنى يوم النحر لرمى الجمار ـ الغسل عند دخول مكة لطواف الزيارة ـ الغسل لصلاة الكسوف والخسوف والاستسقاء ـ الغسل لفزع أوظلمة شديدة أو ريح شديد ـ الغسل لدخول المدينة لحضور مجامع الناس ـ الغسل لمن لبس ثوباً جديداً ـ الغسل لمن غسل ميتاً ـ الغسل لمن تاب من ذنب ـ الغسل لمن قدم من سفر ـ الغسل لمن أسلم غير جنب .
عند المالكية	٣	٤	الغسل المسنون ثلاثة: غسل الجمعة لمصليها ـ الغسل للعيدين ـ الغسل للإحرام . والغسل المندوب أربعة : الغسل لمن غسل ميتاً ـ الغسل عند دخول مكة وهو للطواف ـ الغسل عند الوقوف بعرفة ـ الغسل لدخول المدينة المنوّرة .
عند الشافعية	١٥	المندوب والمسنون لافرق بينهما	الغسل المسنون خمسة عشر : غسل الجمعة ـ الغسل لمن غسل ميتاً ـ غسل العيدين ـ الغسل لصلاة الاستسقاء أوالكسوف أوالخسوف ـ الغسل للافاقة من الجنون والإغماء ـ الغسل عند الإحرام ـ الغسل عند دخول مكة ـ الغسل للوقوف بعرفة ـ الغسل للوقوف بمزدلفة ـ الغسل للوقوف بالمشعر الحرام ـ الغسل لرمى الجمار الثلاث فى غير يوم النحر ـ الغسل عند تغيير البدن لنحو عرق و بعد حجامة ـ الغسل لحضور مجامع الخير ـ الغسل للاعتكاف ـ الغسل لدخول المدينة ـ وفى كل ليلة من رمضان .

عند الحنابلة	١٦	المسنون	المندوب والمسنون واحد لا فرق بينهما	الاغتسالات المسنونة ستة عشر وهى : الغسل لصلاة الجمعة ـ الغسل لصلاة العيدين ـ الغسل لصلاة الكسوف أو الخسوف ـ الغسل لصلاة الاستسقاء ـ الغسل لمن غسل ميتاً ـ الغسل لمن أفاق من جنونه أو من إغمائه ـ الغسل للمستحاضة لكلّ صلاة ـ الغسل للإحرام بحج أو عمرة ـ الغسل لدخول الحرم ـ الغسل لدخول مكة ـ الغسل للوقوف بعرفة ـ الغسل للوقوف بمزدلفة ـ الغسل لرمى الجمار ـ الغسل لطواف الزيارة وهو طواف الركن ـ الغسل لطواف الوداع .

س ـ ما هى شروط الغسل ؟

ج ـ شروط الغسل هى شروط الوضوء السابقة .

س ـ ما هى فوائد الغسل ؟

ج ـ للغسل فوائد كثيرة : منها أنه يعيد القوة والنشاط للجسم ؛ لأن الماء إذا غمر الجسم كله ، وتخلل جميع أجزائه وأعضائه وشعره ، تتسرب الحرارة الكامنة فيه من جهة إلى أخرى ، ويتصاعد منها الزائد عن درجة الطبيعة ليخرج من مسامّ الجسم ، وهناك الراحة التامة والنشاط الكامل ، ولا يشعر بذلك إلا المغتسل ، فالواجب المحافظة على الغسل ؛ لأن الدين الحنيف لم يفرض شيئاً عبثاً بل لحكمة وفضيلة .

حكمة الغسل

إن الشارع الحكيم فرض الاغتسال من الجنابة بالماء لأمور :

أولا : ليعيد إلى البدن القوّة التى فقدت منه ، ومن المعلوم أن فقدان هذه القوة من الجسم يسبب الكسل ، وعدم أداء العبادة على الوجه المطلوب ، فبالغسل يزول الكسل عن الجسم ويقوى على القيام بالعبادة .

ثانياً : إن الإنسان إذا كان طاهراً من الجنابة ، وكان نائماً مثلاً صعدت روحه إلى العالم العلوى واطمأنت نفسه الملكية وزال عنها ماتكرهه .

وكذا المرأة ، فاغتسالها بعد الحيض يعيد لها القوة التى فقدت منها .

وهناك حكمة أخرى تتعلق بصحتها ، وهى إزالة الرائحة الكريهة التى تضر بجسمها وجسم بعلها ، أما الاغتسال من النفاس فينتج منه فائدتان : فائدة حسية ، وفائدة معنوية .

أما الفائدة الحسية فهى إزالة الرائحة الكريهة التى تتولد من دم الولادة .

أما الفائدة المعنوية فهى شكر الله تعالى الذى أنقذها من خطر الولادة .

وسن الشارع الغسل فى يوم الجمعة والعيدين ، لأن المسلمين يجتمعون فى هذه الأوقات للصلاة مزدحمين متكاتفين جنباً لجنب ، فإذا لم يكن الإنسان نظيفاً طيب الرائحة اشمأزت منه النفوس ، وتحولت عنه القلوب والعيون ، وتأذى منه المصلون ؛ وإيذاء الناس ممقوت ومذموم كما سبق ذكره .

التيمم

التيمم هو نوع من الطهارة ، ويكون باستعمال التراب الطاهر فى مسح الوجه واليدين بدلاً من الماء ، وقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع .

قال الله تعالى : (فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا) . (النساء)

أسباب نزول هذه الآية

عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت : « خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْبَيْدَاءِ أَوْ بِذَاتِ الْجَيْشِ انْقَطَعَ عِقْدٌ لِي ، فَأَقَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْتِمَاسِهِ وَأَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ ، فَأَتَى النَّاسُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ . فَقَالُوا : أَلاَ تَرَى مَاصَنَعَتْ عَائِشَةُ ؟ أَقَامَتْ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّاسِ وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ وَرَسُولُ اللهِ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاضِعٌ رَأْسَهُ عَلَى فَخِذِي قَدْ نَامَ ، فَقَالَ : حَبَسْتِ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّاسَ وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ . فَقَالَتْ عَائِشَةُ : فَعَاتَبَنِي أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ ، وَجَعَلَ يَطْعُنُنِي بِيَدِهِ فِي خَاصِرَتِي فَلَا يَمْنَعُنِي مِنَ التَّحَرُّكِ إِلَّا مَكَانُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى فَخِذِي ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَصْبَحَ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ ، فَأَنْزَلَ اللهُ آيَةَ التَّيَمُّمِ فَتَيَمَّمُوا .

فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ الْحُضَيْرِ : مَاهِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ ، قَالَتْ : فَبَعَثْنَا الْبَعِيرَ الَّذِي كُنْتُ عَلَيْهِ فَأَصَبْنَا الْعِقْدَ تَحْتَهُ » . (رواه البخارى)

وقال عليه الصلاة والسلام « جُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا ، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ » (من حديث البخارى)

وقد أجمع المسلمون على أن التيمم يكون بدلاً من الوضوء والغسل .

أسبابه

الأسباب المبيحة للتيمم هى :

أولاً : فقد الماء بأن لم يجده الإنسان أصلاً أو وجد ماء لا يكفى للطهارة .

ثانياً : العجز عن استعمال الماء أو الاحتياج إليه ، بأن يجد الماء الكافى للطهارة ولكن لا يقدر على استعماله ، أوكان يقدر على استعماله ولكن يحتاجه لشرب ونحوه .

أما من فقد الماء فإنه يتيمم لكل مايتوقف على الطهارة بالماء من صلاة مكتوبة ، وصلاة جنازة وجمعة ، وعيد ، وطواف ، ونافلة .

وأما من وجد الماء وعجز عن استعماله لسبب من الأسباب الشرعية فإنه كفاقد الماء يتيمم لكل مايتوقف على الطهارة .

ومن أسباب العجز أن يغلب على ظنه حدوث مرض باستعماله أو زيادة مرض ، أو تأخر شفاء ، إذا استند فى ذلك إلى تجربة أو إخبار طبيب حاذق مسلم .

ومنها خوفه من عدو يحول بينه وبين الماء إذا خشى على نفسه أو ماله أو عرضه . سواء أكان العدو آدميا أو حيوانا مفترساً .

ومنها احتياجه للماء فى الحال أو المآل ، ولو خاف (ظناً لا شكاً) عطش نفسه أو عطش آدمى غيره ، أو حيوان لا يحل قتله ، ولو كلباً غير عقور ، عطشاً يؤدى إلى هلاك أو شدة أذًى ، فإنه يتيمم ويحفظ ما معه من الماء ، وكذلك إن احتاج للماء لعجن أو طبخ ، وكذلك إن احتاج إليه لإزالة نجاسة غير معفوّ عنها .

ومنها فقد آلة الماء كحبل ودَلو ، لأنه يجعل الماء الموجود فى البئر ونحوها كالمفقود .

ومنها خوفه من شدة برودة الماء بأن يغلب على ظنه حصول ضرر باستعماله بشرط أن يعجز عن تسخينه ، فإنه فى كل هذه الأحوال يتيمم .

والتيمم ضربتان على الصعيد ، يمسح بإحداهما وجهه ، وبالأخرى يديه إلى المرفقين عند أبى حنيفة والشافعى ، وعند أحمد تكفى ضربة واحدة ، يمسح بها وجهه ويديه إلى الكوعين ، وعند مالك الواجب هو الضربة الأولى فقط دون الثانية .

ويجوز التيمم بكل ما كان من جنس الأرض عند أبى حنيفة ومالك ، وعند أحمد والشافعى لا يجوز التيمم إلا بالتراب الطهور ، وكان عليه الصلاة والسلام يتيمم فلم يمسح به يديه ووجهه إلاّ مرةً واحدةً .

س ـ ماهى كيفية التيمم ؟

ج ـ كيفية التيمم أن يضرب يديه على التراب الطاهر ويقول بقلبه حال ضربه : « نويت استباحة فرض الصلاة » ثم يمسح بهما وجهه ، ثم يضرب بهما على التراب ثانياً ، ويمسح اليد اليمنى باليسرى واليسرى باليمنى ، مستوعباً بالمسح جميع يديه من أطراف أصابعهما إلى المرفقين ، ويتيمم على التراب الطاهر ، وكل ما كان من جنس الأرض طيباً طاهراً ، وهو ما لا ينطبع بالنار ويصير رماداً ، فيجوز التيمم عليه ولو حجراً أملس لا غبار عليه ، ولا بدّ من نزع الخاتم والسِّوار ، والنية ، وتخليل الأصابع مالم يدخل بينها غبار .

شروط التيمم

يشترط لصحة التيمم أمور : منها دخول الوقت عند الشافعى ومالك وأحمد ؛ أما عند الحنفى فقال : يصح قبل دخول الوقت ، ومنها النية ـ والمالكية والشافعية قالوا : النية ركن لا شرط ، ومنها الإسلام ، ومنها طلب الماء عند فقده ، ومنها عدم وجود الحائل

على عضو من أعضاء التيمم كدهن وشمع يحول بين المسح و بين البشرة ، ومنها الخلوّ من الحيض والنفاس (عند النساء) ومنها وجود سبب من الأسباب المتقدمة .

فروض التيمم (أركانه)

فروض التيمم أو أركانه هى :

عند الحنفية	٢	المسح ، والضربتان : أما المسح فهو داخل فى حكم آلاته ؛ وأما الضربتان فهما بنصّ الحديث المتقدم .
عند المالكية	٤	النية — الضربة الأولى — تعميم الوجه واليدين إلى الكوعين بالمسح ـ الموالاة .
عند الشافعية	٧	النية ـ مسح الوجه ـ مسح اليدين مع المرفقين ـ الترتيب ـ نقل التراب إلى أعضاء التيمم ـ والتراب الطهور الذى له غبار ، وقصد نقل التراب إلى الأعضاء .
عند الحنابلة	٤	مسح جميع الوجه سوى داخل الفم والأنف وسوى ماتحت شعر خفيف ـ مسح اليدين إلى الكوعين ـ الترتيب ـ الموالاة .

سنن التيمم

عند الحنفية	٧	الضرب بباطن الكفين ـ التسمية ـ الترتيب ـ الموالاة تخليل اللحية والأصابع ـ تحريك الخاتم ـ التيامن .
عند المالكية	٤	الترتيب ، بأن يبدأ بالوجه قبل اليدين ـ مسح الذراعين من الكوعين إلى المرفقين ـ تجديد ضربة ثانية لليدين ـ نقل ماتعلق بيدنه من الغبار إلى العضو الذى يريد مسحه .
عند الشافعية	٩	التسمية ـ السواك ـ نفض اليدين أو نفخهما من الغبار إن كثر ـ التيامن ـ استقبال القبلة ـ الموالاة ـ نزع الخاتم فى الضربة الأولى ـ تخليل أصابعه بعد مسح اليدين ، الغُرة ـ والتحجيل .

الحنابلة لم يعدوا من سنن التيمم سوى أنه يسن أن يؤخره إلى آخر الوقت المختار إن علم ، أو ظن وجود الماء فى الوقت ، أو استوى الأمران عنده ؛ فإن تيمم أول الوقت وصلى صحت صلاته بدون إعادة ولو وجد الماء فى الوقت .

مبطلاته

مبطلات التيمم هى مبطلات الوضوء . وينقضه ما ينقض الوضوء ، والقدرة على الماء ، والردة عند الشافعى ومالك وأحمد ، أما عند الحنفى فالردة لا تنقض التيمم .

مكروهاته

الحنفية قالوا : يكره تكرار المسح وترك سنة من السنن المتقدمة .

المالكية قالوا : يكره فى التيمم الزيادة فى المسح عن مرة ، كثرة الكلام فى غير ذكر الله ـ إطالة المسح إلى ما فوق المرفقين ، وهو المسمى بالغُرة والتحجيل .

الشافعية قالوا : يكره فى التيمم تكثير التراب ، وتكرار المسح لكل عضو ، وتجديد التيمم ولو بعد نفل أىّ صلاة ، ونفض اليدين بعد تمام التيمم .

الحنابلة قالوا : يكره فى التيمم تكرار المسح ، وإدخال التراب فى الفم والأنف ، والضرب أكثر من مرتين ، ونفخ التراب إذا لم يكن قليلاً يذهب النفخ به ، فإن ذهب به النفخ بحيث لم يبق غبار ومسح به وجبت إعادة الضربة .

س ـ هل التيمم بعد دخول الوقت ، وهل هو لكل فرض ؟

ج ـ يتيمم لكل فرض بعد دخول الوقت عند الشافعى ومالك وأحمد بن حنبل . أما أبو حنيفة فقال : يصح التيمم قبل دخول الوقت .

ولا يصلى بتيمم واحد غير فرض واحد عند الشافعى ومالك ، وعند أبى حنيفة يجوز أن يصلى به أكثر من ذلك كالوضوء .

وقال أحمد : يصلى به ماشاء من الفرائض والنوافل مادام الوقت باقياً .

س ـ ما هى حكمة التيمم ؟

ج ـ حكمته السهولة للمتعبد ، وإذلال النفس بوضع التراب الذى هو أخسّ شىء على الوجه الذى هو أشرف الأعضاء ، فكأن الإشارة فيه إلى العبد أنه إذا تعسرت عليه أركان التوبة ، ولم يوفق لها فلا أقلّ من اُلتجائه إلى الذلة والانكسار من رداءة معاصيه ، فقد يكون ذلك سبباً لعفو مولاه .

وقد قيل : ربَّ معصية أورثت ذلاً وانكساراً ، خير من طاعة أورثت عزًّا واستكباراً.

والحكمة فى التيمم ظاهرة وهى : عدم التخلف عن الصلاة حتى تصير العبادة له عادة ، أو ملكة لا يتركها الإنسان ولو فقد وسائلها ، ومن الحكمة أن يستشعر العبد بطهارة الماء أوليته ، وبالتراب نهايته .

وهناك حكمة أخرىٰ فى جعل التراب نائباً عن الماء دون غيره من سائر الجمادات الأخرىٰ ؛ لأن التراب لا يخلو منه مكان ، وأيضاً هو العنصر الذى خلق منه الإنسان .

المسح على الخفين

الخف هو الحذاء (الجزمة) فمن لبس الخفين ولم يرد نزعهما جاز له أن يمسح عليهما بالماء بدل غسل الرجلين فى الوضوء .

وقد ثبت المسح على الخفين بالسنة الكريمة ، فقد روى البخارى عن سعد ابن أبى وقاص رضى الله عنه « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَسَحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ » .

وروى البخارى عن المغيرة بن شعبة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَنَّهُ خَرَجَ لِحَاجَةٍ فَأَتْبَعَهُ الْمُغِيرَةُ بِإِدَاوَةٍ فِيهَا مَاءٌ فَصَبَّ عَلَيْهِ حِينَ فَرَغَ مِنْ حَاجَتِهِ فَتَوَضَّأَ وَمَسَحَ الْخُفَّيْنِ » .

وروى البخارى عن المغيرة أيضاً قال : « كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِى سَفَرٍ فَأَهْوَيْتُ لِأَنْزِعَ خُفَّيْهِ . فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : دَعْهُمَا فَإِنِّى أَدْخَلْتُهُمَا طَاهِرَتَيْنِ فَمَسَحَ عَلَيْهِمَا » . (والأحاديث كثيرة فى هذا الموضوع)

شروطه

يشترط فى صحة المسح على الخفين شروط : منها أن يمكن تتابع المشى فيهما ، ولا فرق بين أن يكون الخف مصنوعاً من جلد ، أو متخذاً من لبد أو جوخ ، أو شعر ، أو وبر ، أو قطن ، أو غير ذلك .

ولا فرق أيضاً فى المتخذ من اللبد وما بعده بين أن يكون منعلاً : أى موضوعاً له جلد فى أسفله ، أو مجلداً : أى موضوعاً له جلد فى أعلاه وفى أسفله ، أو لم يكن كذلك ، ويسمى المتخذ منها (جوربا) .

والجورب ما يلبس فى الرجل كالمعروف فى زماننا (بالشراب) ، أو كالأحذية المصنوعة من الصوف أو القطن فإنه يصح المسح عليها إذا استكملت الشروط .

وقد ثبت المسح على الجورب بما رواه المغيرة بن شعبة من « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَسَحَ عَلَى الجَوْرَبَيْنِ وَالنَّعْلَيْنِ » . (رواه أحمد وأبو داود والترمذى)

ويشترط فى صحة المسح على الجورب أن يكون ثخيناً ، فلا يصح المسح على الرقيق الذى لا يثبت على الرجل بنفسه من غير رباط ، ولا على الرقيق الذى لا يمنع وصول الماء إلى ماتحته ، وكذلك لا يصح المسح على الجورب الشفاف الذى يصف ماتحته رقيقاً أو ثخيناً .

ومنها أن يكون الخف ساتراً للقدم مع الكعبين ، ولو كان الستر بنحو أزرار .

ومنها أن يكون الخف مباحًا ، فلا يصح المسح على الخف المغصوب أو المسروق .

ومنها أن يكونا طاهرين ، ومنها أن يلبسهما على طهارة مائية تامة فلا يجوز المسح عليهما إذا لبسهما بعد تيمم أو قبل تمام طهارتهما بالماء .

ومنها ألا يكون على محل المسح المفروض حائل يمنع وصول الماء إليه كعجين ونحوه .

كيفية المسح المسنونة

كيفية المسح المسنونة هى : أن يضع أصابع يده اليمنى على مقدم خف رجله اليمنى ، ويضع أصابع يده اليسرى على مقدم خف رجله اليسرى ، ويمر بهما إلى الساق فوق الكعبين ، ويفرج بين أصابع يده قليلاً بحيث يكون المسح عليه خطوطًا .

مدة المسح

يمسح المقيم يومًا وليلةً ، ويمسح المسافر ثلاثة أيام بلياليها ، سواء أكان السفر سفر قصر مباحًا أولا ، وسواء أكان الماسح صاحب عذر أولا ، وذلك لما رواه شريح ابن هانئ قال : « سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَنِ الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ ، فَقَالَتْ : سَلْ عَلِيًّا فَإِنَّهُ كَانَ يُسَافِرُ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَسَأَلْتُهُ ، فَقَالَ : جَعَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيَهُنَّ لِلْمُسَافِرِ ، وَيَوْمًا وَلَيْلَةً لِلْمُقِيمِ » .

(رواه مسلم)

ويعتبر مبدأ تلك المدة من أول وقت الحدث بعد اللبس ؛ فلو توضأ ولبس الخف فى الظهر مثلاً واستمر متوضئًا إلى وقت العشاء ، ثم أحدث اعتبرت المدة من وقت الحدث لا من وقت اللبس .

نواقضه أو مبطلاته

والذى يبطل المسح على الخف وينقضه ثلاثة : ما يوجب الغسل كالجنابة والحيض — خلع الخفين أو أحدهما ونزعه من الرجل ولو بخروج بعض القدم إلى ساق الخف أو حدوث خرق فى الخف — انقضاء مدة المسح ولو شكاً .

مكروهاته

ويكره تنزيهاً فى المسح على الخفين أمور : منها الزيادة على المرة الواحدة ، ومنها غسل الخفين بدل مسحهما إذا نوى بالغسل رفع الحدث ؛ أما إذا نوى به النظافة فقط ، أو إزالة ما عليهما من نجاسة من غير أن ينوى رفع الحدث فإنه لايجزئ عن المسح ، وعليه أن يمسح الخفين بعد ذلك الغسل .

حكمة المسح على الخفين

الحكمة فى أن الشارع الحكيم جعل المسح على ظاهر الخفين دون باطنهما ، أن الظاهر هو المرئى أمام العين ، والباطن مباشر للأرض ، فكان المسح على ظاهرهما معقولاً موافقاً .

والحكمة فى تحديد مدة المسح بيوم وليلة للمقيم وللمسافر بثلاثة أيام بلياليها ، هى : أن الرجلين إذا تركا بدون غسل مدة أكثر من ذلك حصل لهما تعفن ، وهذا التعفن مضر بالجسم والصحة كما لا يخفى .

المسح على الجبيرة ونحوها

الجبيرة مايضعه المجبر أو الطبيب من عيدان الجريد أو غيره على العضو المكسور ونحوه .

ومثل الجبيرة الدّواء الذى يوضع على العضو المريض ، والعصابة التى يربط بها المحل المريض ، واللصقة أو اللزقة التى توضع على العضو المريض ، ويصح المسح على الجبيرة بشرط أن يكون غسل العضو المريض أو مسحه ضارًّا به ؛ بأن كان يخاف أن يترتب على غسله أو مسحه حدوث مرض أو زيادة ألم ، أو تأخر شفاء أو نحو ذلك ، فإن ضرّه الغسل دون المسح فرض مسحه ، وإن ضرّه المسح عليه أيضاً فرض المسح على الجبيرة ونحوها مرةً واحدةً يعم بها جميع المحل المريض ، وإن جاوزت الجبيرة المحل المريض لضرورة ربطها وجب تعميمها بالمسح مرةً واحدةً ، ويبطل المسح على الجبيرة لسقوطها أو نزعها من مكانها كما ورد فى المذاهب الأربعة ، فالحنفية قالوا : إن سقطت الجبيرة عن غير برء لم يبطل المسح عليها ، وإن كان سقوطها فى الصلاة عن برء بطلت الصلاة ، ويطهر موضع الجبيرة فقط ، وتعاد الصلاة .

والمالكية قالوا : إن سقطت عن برء بطل المسح عليها ووجب الرجوع إلى الأصل فى تطهير ما تحتها بالغسل أو بالمسح إن كان متطهراً ، وإن سقطت عن غير برء وجب ردها إلى موضعها ، والمبادرة بالمسح عليها .

والشافعية قالوا : إن كان سقوطها عن برء فى الصلاة بطلت الصلاة والطهارة ، وإن كان عن غير برء بطلت الصلاة دون الطهارة فترد الجبيرة إلى موضعها ويمسح عليها فقط .

والحنابلة قالوا : إذا سقطت الجبيرة انتقض وضوؤه كله ، سواء أكان سقوطها عن برء أو غير برء ، إلا أنه إن كان سقوطها عن برء توضأ فقط ، وإن كان سقوطها عن غير برء أعاد الوضوء والتيمم .

الركن الثانى — الصلاة

س — ما معنى الصلاة ؟

ج — الصلاة عماد الدين ، ونور اليقين ، كما أخبر بذلك سيدنا عمر رضى الله عنه حيث قال :

« الصَّلَاةُ عِمَادُ الدِّينِ ، فَمَنْ أَقَامَهَا فَقَدْ أَقَامَ الدِّينَ ، وَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ هَدَمَ الدِّينَ »

وشرعًا هى : الأقوال والأفعال المخصوصة ، المفتتحة بالتكبير ، المختتمة بالتسليم ؛

وهى فرض عين على كل مسلم بالغ عاقل ذكراً أو أنثى حراً أو عبداً .

س — كيف فرضت الصلاة ؟

ج — فرضت بمكة ليلة الإسراء ، وهى ليلة السابع والعشرين من شهر رجب قبل الهجرة النبوية بسنة ، وهى ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع .

أما من جهة الكتاب فقد وردت آيات كثيرة فى وجوب إقامة الصلاة نذكر منها ما يأتى :

قال تعالى : (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِى) . (طه)

وقال تعالى : (فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا) (النساء)

وقال تعالى : (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) (البقرة)

وقال تعالى : (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ » (البقرة)

أما من جهة السنة فقد ورد شرحها فى حديث الإسراء والمعراج المطول حيث جاء فيه :

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الأَقْلَامِ » ، (أي صريرها على اللوح) .

قال ابن حزم وأنس بن مالك : قال النبي صلى الله عليه وسلم « فَفَرَضَ اللهُ عَلَيَّ وَعَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً ، فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى فَقَالَ : مَا فَرَضَ اللهُ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّتِكَ ؟ قُلْتُ : فَرَضَ خَمْسِينَ صَلَاةً . قَالَ : فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ، فَرَاجَعَنِي فَوَضَعَ شَطْرَهَا فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى قُلْتُ : وَضَعَ شَطْرَهَا ، فَقَالَ : رَاجِعْ رَبَّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ، فَرَاجَعْتُهُ فَقَالَ : هِيَ خَمْسٌ ، وَهِيَ خَمْسُونَ ، هِيَ فِي العَمَلِ خَمْسٌ وَفِي الأَجْرِ خَمْسُونَ ، لَا يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى . فَقَالَ : رَاجِعْ رَبَّكَ ، فَقُلْتُ : اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِي حَتَّى انْتَهَى بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرِي مَا هِيَ ، ثُمَّ دَخَلْتُ الجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا حَبَائِلُ اللُّؤْلُؤِ وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ » .

وعن عائشة أم المؤمنين قالت : « فَرَضَ اللهُ الصَّلَاةَ حِينَ فَرَضَهَا رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ فِي الحَضَرِ وَالسَّفَرِ فَأُقِرَّتْ صَلَاةُ السَّفَرِ وَزِيدَ فِي صَلَاةِ الحَضَرِ » (رواه البخاري)

وروى عن سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ عَلِمَ أَنَّ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ حَقٌّ وَاجِبٌ دَخَلَ الجَنَّةَ » .

⁂

أما الإجماع فقد أجمع عموم المسلمين على وجوب إقامتها ، لينالوا رضوان الله وعفوه وغفرانه .

س – متى يؤمر الإنسان بالصلاة ؟

ج – يؤمر الإنسان بالصلاة متى بلغ سبع سنين ، و إذا بلغ عشر سنين ولم يصلّ يضرب على تركها ليفعلها ، فيعتادها فيسهل عليه أداؤها متى كبر ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : « مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعٍ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ » .

س – ما حكمة الصلاة والغرض منها ؟

ج – حكمة الصلاة والغرض منها شكر الله على نعمه التى لا تعدّ ولا تحصى التى أنعم بها

على عباده ، بدليل أنه إذا صنع معك إنسان معروفاً وجب عليك أن تكافئه عليه بمثله ، أو بأحسن منه ، فإن عجزت عن ذلك لم تعجز عن أداء الشكر له بلسانك والثناء عليه .

وأنت تعلم أن المولى عز وجل قد غمرك بإحسانه ونعمه الجزيلة ، ولا تستطيع أن تجازيه عليها ، لهذا وجب عليك أن تصلى له فى اليوم خمس مرات قياماً بواجب الشكر له على ما أنعم به عليك

و إذا خاف الخادم من سيده لايعمل مايكرهه ، و إذا خاف الولد من والده لا يقدم على مايغضبه و يسخطه ، و إذا خاف التلميذ من معلمه لايفعل مانهاه عنه .

فكذلك الإنسان فى الصلاة واقف بين يدى مولاه الذى فى قدرته أن يميته ، وأن يبقيه حيًّا ، وأن يوسع له فى رزقه ، أو أن يضيقه عليه ، أو يسلط عليه الأمراض فتهلكه أو يبعدها عنه ، وهذا يملأ قلبه خوفاً من الله سبحانه وتعالى ، فإذا أدام هذه الصلاة ترَبَّى عنده الخوف من الله تعالى .

و إذا خاف من الله تعالى لايعمل أىَّ عمل يكرهه مطلقاً ، فلا يأتى بفاحشة ، وهى الذنوب الكبيرة ، ولا يعمل المنكرات ، وهى الأمور التى يكرهها الله والناس ، ولذا قال الله تعالى :

(إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ، وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ) (العنكبوت)

وقال صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللهِ إِلَّا بُعْدًا » .

وهذا هو السّر فى حكمة الصلاة .

الأذان وصيغته ومعناها

قبل كل صلاة يؤذن المؤذن على مكان عال أو على مئذنة بصوت جَهْورِىّ يدعو المكلفين إليها عند حضور أوقاتها بألفاظ مشتملة على أشرف معانٍ بحيث يكون مستقبلا القبلة ، فيبدأ بتكبير الله تعالى أربع مرات قائلاً :

١ — اللهُ أَكْبَرُ ، اللهُ أَكْبَرُ ، اللهُ أَكْبَرُ ، اللهُ أَكْبَرُ .

(وذلك عند الحنفى والشافعى وابن حنبل ، أما عند مالك فمرتان) كأنه يقول : أيها الناس كل ما أنتم فيه من رغائبكم الدنيوية والأخروية ، الحسية والمعنوية (فالله تعالى أكبر وأحق برغبتكم فى جنابه من كل مرغوب فيه) .

ثم يشهد له سبحانه بانفراده بالألوهية مرتين ويقول :

٢ — أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ .

(وذلك عند الحنفى وابن حنبل ، وأربع مرات عند مالك والشافعى) كأنه يقول : لا يقضى حوائجكم الدنيوية والأخروية حقيقة إلا الله الإله الحقيقى الذى من أخص أوصافه التى ينفرد بها استغناؤه عن كل ماسواه وافتقار كل ماعداه إليه .

والله تعالى قد انفرد بمقام الألوهية الحقـة ، فعليكم أن تقصدوا جنابه فى طلب حوائجكم الدنيوية والأخروية ، وتلتجئوا إلى حضرته .

ثم يشهد لمحمد عليه الصلاة والسلام بالرسالة مرتين ويقول :

٣ — أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ .

(وذلك عند الحنفى وابن حنبل ، وأربع مرات عند مالك والشافعى) كأنه يقول : وهـــذا محمد الرسول الأكرم الذى هو الواسطة بينكم وبين ذلك الإله العظيم فى هدايتكم لمصالحكم الدنيوية والأخروية ، فعليكم أن تسعوا لأداء ماشرعه لـكم ، وهداكم إليه من هذه العبادة الجليلة المتكفلة لـكم بالخيرات فى العاجل والآجل .

ثم يطلب منهم الإقبال على تلك الصلاة مرتين ويقول :

٤ — حَيَّ عَلَى الصَّلَاة ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةَ (محوّلاً وجهه يميناً)

أى عليكم أن تقبلوا عليها ، وتدخلوا حضرة الإله الجليل ، وتتوسلوا إليه ، وتطلبوا قضاء حوائجكم منه عند أداء تلك الصلاة .

ثم يشير إلى ثمراتها وما احتوت عليه على وجه الإجمال فيقول :

٥ — حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ (محوّلاً وجهه شمالا)

كأنه يقول : إن فلاح المرء هو أعظم رغائبه ، وإن الفلاح الدنيوى والأخروى منوط

بهذه العبادة لما تفيده من تهذيب الأخلاق ، واستحضار عظمة الله ، ونيل الثواب يوم المآب ، فأقبلوا عليها واغتنموا فلاحها .

ثم بعد ذلك كله يستدرك ذلك المنادى ، ويريد صرف همم المكلفين لأ كل الرغائب بأنهم إذا أقبلوا على هذه فلا يجعلوا مطمح أنظارهم إلا جناب الحق سبحانه وتعالى والقرب إلى حضرته .

فليكن هو المقصد الأعلى ، والمرام الأسنى ، فى هذه الدار ، وفى دار القرار ، ولذلك يعيد التكبير مرتين فيقول :

٦ — أَللهُ أَكْبَرُ ، اللهُ أَكْبَرُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ .

ثم إن السامعين لذلك المنادِى يقولون مثل قوله ، كأنهم يصرحون بموافقته على ما يسمعون منه ، ويؤمّنون عليه ، ويقولون صدقت فيما تقول ، ولكن عند طلبه منهم الإقبال على الصلاة ، والإقبال على الفلاح ، لايقولون مثل قوله ، بل يقولون : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ كأنهم يقولون : إن تحصيل هذا الخير العظيم من الدخول فى تلك العبادة ، ونيل فلاحها ، لاطمع لنا فيه إلا بحول الله تعالى وقوته ، فنحن نستعين به تعالى .

ويزاد فى أذان الصبح بعد حىّ على الفلاح (الصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنَ النَّوْمِ) مرتين . قال عليه الصلاة والسلام :

« إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ، ثمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِى الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِى إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ عَلَيْهِ الشَّفَاعَةُ »

ولكن ليس مع الجهر ؛ بل بأن يسمع نفسه أو من كان قريباً منه .

وقال عليه الصلاة والسلام :

« مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ : اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ ، وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ

آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الذى وَعَدْتَهُ ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . (رواه البخارى)

ومن قال حين يسمع المؤذن : « أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً ، وَبِالْإِسْلاَمِ دِيناً غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ » .

وقال عليه الصلاة والسلام :

« الْمُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (رواه مسلم وأحمد عن معاوية)

وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« الْمُؤَذِّنُ يُغْفَرُ لَهُ مَدَى صَوْتِهِ . وَيَشْهَدُ لَهُ كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ .

(رواه أبو داود)

أسباب مشروعية الأذان

شرع الأذان فى السنة الأولى من الهجرة النبوية بالمدينة المنورة . وسبب مشروعيته أن النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة عسر على الناس معرفة أوقات صلاته ، فتشاوروا فى أن ينصبوا علامة يعرفون بها وقت صلاة النبى صلى الله عليه وسلم لئلا تفوتهم الجماعة ، فأشار بعضهم بالناقوس ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : هو للنصارى ، وأشار بعضهم بالبوق ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم هو لليهود ، وأشار بعضهم بالدفّ ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : هو للروم ، وأشار بعضهم بإيقاد النار ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ذلك للمجوس ، وأشار بعضهم بنصب راية ، فإذا رآها الناس أعلم بعضهم بعضاً فلم يعجبه صلى الله عليه وسلم ذلك ، فلم تتفق آراؤهم على شىء ، فقام صلى الله عليه وسلم مهتماً ، فبات عبد الله بن زيد مهتماً باهتمام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأى فى نومه ملَكاً علمه الأذان والإقامة ، فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك .

وقد وافقت الرؤيا الوحى فأمر بهما النبى صلى الله عليه وسلم ، أى الأذان ، والإقامة.

وقال صلى الله عليه وسلم :

« إِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ » . (رواه البخارى ومسلم)

وأول من أذّن للنبى صلى الله عليه وسلم (بلال بن رباح الحبشى) أذّن بالمدينة المنورة، وبالأسفار التى كان يسافرها النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان الأذان عند فتح مصر بالجامع العتيق (جامع عمرو بن العاص) .

حديث بدء الأذان كما جاء فى صحيح البخارى

قال تعالى :

(وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ) .

وقال تعالى : (إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ) .

وعن ابن عمر كان يقول : « كَانَ الْمُسْلِمُونَ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ يَجْتَمِعُونَ فَيَسْتَحِينُونَ الصَّلَاةَ لَيْسَ يُنَادَى لَهَا فَتَكَلَّمُوا يَوْمًا فِى ذَلِكَ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : اتَّخِذُوا نَاقُوسًا مِثْلَ نَاقُوسِ النَّصَارَى ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلْ بُوقًا مِثْلَ بُوقِ الْيَهُودِ ، فَقَالَ عُمَرُ : أَوَ لَا تَبْعَثُونَ رَجُلًا يُنَادِى بِالصَّلَاةِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم . يَا بِلَالُ قُمْ فَنَادِ بِالصَّلَاةِ » .

فضل التأذين

عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ (صوت) حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ ، فَإِذَا قُضِيَ النِّدَاءُ أَقْبَلَ حَتَّى إِذَا ثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ حَتَّى إِذَا قُضِيَ التَّثْوِيبُ أَقْبَلَ حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ ، وَيَقُولُ : اذْكُرْ كَذَا اذْكُرْ كَذَا لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ لَا يَدْرِى كَمْ صَلَّى ؟ » . (رواه الخمسة إلا الترمذى)

رفع الصوت بالنداء

عن المازنى عن أبيه أنه أخبره : « أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ قَالَ لَهُ : إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الْغَنَمَ وَالْبَادِيَةَ ، فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ أَوْ بَادِيَتِكَ فَأَذَّنْتَ بِالصَّلَاةِ فَارْفَعْ

صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ ، فَإِنَّهُ لاَ يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جِنٌّ وَلاَ إِنْسٌ وَلاَ شَيْءٌ إِلاَّ شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : سَمِعْتُهُ مِنْ رسول الله صلى الله عليه وسلم (رواه البخارى والنسائى)

حكمة الأذان

هذه الحكمة مجموعة فى ثلاثة أمور :

الأول : أن الإنسان إذا كان من دأبه مزاولة الأشغال ، وتعاطى أسباب الكسب ، وهى تشغله فى الغالب وتنسيه دخول وقت الصلاة فتفوته ثمرة صلاة الجماعة ، وأيضاً خشيته خروج الوقت فتفوته صلاة الأداء ، زد على ذلك أنه فيه تنبيه الغافلين ، وتذكير الناسين لأداء الفرض :

الأمر الثانى : لما كانت الصلاة من أجلّ النعم ؛ إذ تقرب العبد من ربه ، وهذا هو الفلاح بعينه ، كان الأذان بصفة دعوة خير حتى لايفوت المسلم هذه النعمة الكبرىٰ ، فهو يدعوه لاغتنام الفرصة واكتساب النعمة .

الأمر الثالث : هو إظهار عظمة الدين الحنيف لغير المسلمين ، ويعلم ذلك من أن المسلمين قبل إسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه كانوا يصلون خفية ، فلما أسلم أعلنت الصلاة على رؤوس الأشهاد ليكون ذلك باعثاً على ترغيب المشركين فى الدين الحنيف .

(عن كتاب حكمة التشريع)

البدع المكروهة فى الأذان

من البدع المكروهة فى الأذان التلحين ، وهو التطريب : أى التغنى به بحيث يؤدى إلى تغيير كلمات الأذان وكيفياتها بالحركات والسكنات ، ونقص بعض حروفها أو زيادة فيها محافظةً على توقيع الألحان ، فهذا لا يحل إجماعا فى الأذان ، كما لا يحل فى قراءة القرآن ، ولا يحل أيضاً سماعه لأن فيه تشبها بفعل الفسقة فى حال فسقهم ، فإنهم يترنمون ، وخروجاً عن المعروف شرعاً فى الأذان والقرآن .

ومن البدع المذمومة أذان الجماعة المعروف (بالأذان السلطانى) أوأذان الجوق ، فإنه

لاخلاف فى أنه مذموم مكروه لما فيه من التلحين والتغنى ، وإخراج كلمات الأذان عن أوضاعها العربية ، وكيفياتها الشرعية ، بصور قبيحة تقشعر منها الجلود ، وتتألم لها الأرواح الطاهرة ؛ وأول من أحدث هذا الأذان (هشام بن عبد الملك) . (عن كتاب الابداع)

قبـــلة الصلاة

القبلة : هى (الكعبة المشرفة) ، وسميت قبلة لكون المصلى يقابلها ، و بلدها (مكة المكرمة) واستقبالها واجب ، وفريضة الاستقبال ثبتت بالكتاب والسنة والإجماع .

قال الله تعالى :

(فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ) (البقرة)

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم:

« لَا تُقْبَلُ صَلَاةُ امْرِئٍ حَتَّى يَضَعَ الطَّهُورَ مَوَاضِعَهُ ، وَيَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ ، وَيَقُولَ : اللهُ أَكْبَرُ » .

وقد كانت القبلة فى صدر الإسلام إلى الكعبة المشرفة ، فلما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم إلى (المدينة المنورة) أمره الله تعالى أن يستقبل (بيت المقدس) ، فاستقبله سبعة عشر شهراً، إلا أنه كان يحب أن يعود إلى استقبال الكعبة كما كان ؛ لأنها قبلة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، فكان يدعو وينظر إلى السماء ، لأنها قبلة الداعى ، فنزل قوله تعالى :

(قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ) (البقرة)

والمسجد الحرام هنا الكعبة لقوله تعالى :

(جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ) . (المائدة)

أى مقاماً لصلاتهم ، فأصبحت الكعبة المشرفة قبلة المسلمين بحيث يجب على كل مسلم فى أى بقعة من بقاع الأرض أن يؤدى فريضة الصلاة ، وهو مستقبل تلك الجهة المباركة .

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال :

« بَيْنَمَا النَّاسُ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ بِقُبَاء إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ ، فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ ، وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ فَاسْتَقْبِلُوهَا ، وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَى الشَّامِ فَاسْتَدَارُوا إِلَى الْكَعْبَةِ » (رواه الخمسة إلا الترمذى)

حكمة استقبال القبلة

الحكمة فى استقبال القبلة تشمل فوائد وحكماً سبعة ، وإليك البيان :

١ — إحياء لسنة سيدنا إبراهيم الخليل وولده إسماعيل عليهما الصلاة والسلام؛ لأنهما السبب فى بناء الكعبة الشريفة ، حتى لاتغيب ذكراهما عن أفئدة المسلمين .

٢ — إن المسلم بتوجيه وجهه إليها ، وصرفه جميع الجوارح إلى جهة واحدة غير مضطرب ذات اليمين وذات الشمال ، يغرس ذلك فى قلبه بذور الطمأنينة والخشوع ، والتثبت من الإيمان ، فلا ينصرف عن باب رحمة الله ، ولا يهيم فى بوادى الهواجس والوساوس والأهواء ، و يبصر بعين القلب النور الساطع من معنى قوله تعالى :

(إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ).

ولقد ورد فى هذا المعنى حديث شريف فى ضمن ماورد ، وهو :

« إِذَا قَامَ الْعَبْدُ إِلَى صَلَاتِهِ فَكَانَ هَوَاهُ وَوَجْهُهُ وَقَلْبُهُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ انْصَرَفَ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » .

٣ — إن الإنسان طبع على تعيين الزمان والمكان اللذين يؤدى فيهما عمله المعتاد على أدائه بحيث لو فقد هذا التعيين لاختلّ نظام عمله ، وفسدت عليه معيشته ، بسبب عدم إجرائه عادته المألوفة باضطرابه وعدم ثباته ، وكذلك إذا لم يكن له جهة فى أداء وظيفة العبادة ، وصار ينتقل بقلبه من جهة إلى أخرى ، فقدت مزية الإخلاص فى أداء الوظيفة ، وكان غير مستحق للأجر ؛ لأنه لم يؤدها على الوجه المطلوب ، فالله سبحانه وتعالى جعل لنا القبلة لنعرف الجهة التى يكون العمل مقبولاً باتباعها ، وحتى

لانكون مخيرين فى اختيارها خشية الاضطراب والحيرة ، شأن من يحار عند اختيار الأشياء .

٤ — إن توجيه المسلمين كلهم فى مشارق الأرض ومغاربها إلى القبلة فيه معنى سعادة الدارين ؛ لأنهم بهذا يعلنون أنهم إخوان قد تآلفت قلوبهم ، واتحدت نياتهم ، وتوجهوا جميعاً نحو أمر واحد (ألا وهو الكعبة المشرفة) وإنهم ، وإن كانت أما كنهم بعيدة ومتفرقة فى الشرق والغرب وسائر الجهات ، إلا أن الكعبة هى نقطة دائرة اتحادهم التى تجتمع حولها قلوبهم فى أطراف البلاد ، وهذا التآلف والمحبة نعمة كبرى من نعم الله تعالى على عباده ، ومن أجل ذلك قال ممتناً على عباده المؤمنين :

(وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً) .

٥ — إن الإنسان إذا أراد أن يظهر الإخلاص فى عبوديته بعلامة مخصوصة محسوسة يراه الناس عموماً ، عيَّن مكاناً يؤدى فيه هذا الولاء وهذا الإخلاص ، وكذلك إذا وجه وجهه نحو القبلة ، وكانت الجوارح كذلك ساكنةً والقلب حاضراً ، يكون المرء قد أدى الوظيفة التى أمر بها ، وأظهر الإخلاص فى مكان معين ، حتى لا يكون هناك ريب ، ولاشك فى تأديته إياها باضطرابه وعدم تعيين المكان .

٦ — إن المرء باستقبال القبلة حين ينادى المنادى بقوله : (حَيَّ عَلَى الصَّلاَةِ ، حَيَّ عَلَى الْفَلاَحِ) مسرعًا ، يكون قد برهن على طاعة رسول الله ، التى هى طاعة الله سبحانه وتعالى .

وأيضاً إن (الكعبة المشرفة) هى منشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتعظيماً لها يوجه المسلمون وجوههم نحوها ، لأنها أشرف الأمكنة فى الأرض .

٧ — إن باستقبال القبلة تذكير المسلمين بمحبة الله تعالى لرسوله الكريم ، لأنه صلى الله عليه وسلم لما رأى أن استقبال القبلة والتوجه إلى الكعبة خير من استقبال بيت

المقدس أخذ يقلب طرفه صوب السماء منتظراً الإذن من مولاه ، فمنحه الله ما تمنى محبةً منه له صلى الله عليه وسلم ، وهذا مصداق قوله تعالى :

(قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ) .

هذه هى الحكمة والفوائد فى استقبال القبلة ، جعلنا الله وإياك من أهل جنته وقبلته . (حكمة التشريع)

إقامة الصـــلاة

عند اجتماع المصلين فى المسجد ، أى المكان الذى يخصص لأداء الصلاة يعيد عليهم ذلك المؤذن تلك الألفاظ المتقدمة التى دعاهم بها أوَّلاً ، لتأكيد المعانى فى نفوسهم ، وليسمع من لم يكن سمع أوَّلاً ؛ بل حضر بسبب غير سماعه النداء ، وليكونوا على أتمّ الاستحضار لدخول تلك الحضرة الجليلة حيث قرب وقت دخولها ، ولهذا يزيد على ذلك النداء قوله :

(قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ ، قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ) أى قرب وقت قيامها .

وعندئذ يسنُّ للحضور أن يقولوا : أَقَامَهَا اللهُ وَأَدَامَهَا وَجَعَلَنَا مِنْ صَالِحِي أَهْلِهَا ، ثم يقومون ويقولون : اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ ، وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ ، وَالدَّرَجَةَ الرَّفِيعَةَ ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ .

شروط صحة الصلاة

الإنسان فى الصلاة واقف بين يدى أحكم الحاكمين ، القادر على كل شىء ، وهو الله سبحانه وتعالى ، فيلزمه قبل الدخول فيها أن يكون طاهر الجسم ، طاهر الثوب ، وأن يكون مكانه طاهراً أيضاً ، وأن يكون مستقبل القبلة ، متوجهاً بقلبه إلى الله سبحانه وتعالى

وشروط صحتها هى :

١ — عند الحنفية — الإسلام — طهارة البدن من الحدث والخبث — طهارة الثوب من الخبث — طهارة المكان من الخبث — ستر العورة — النية — استقبال القبلة .

٢ — عند المالكية — الإسلام — الطهارة من الحدث — الطهارة من الخبث — ستر العورة — استقبال القبلة .

٣ — عند الشافعية — الإسلام — طهارة البدن من الحدثين — طهارة البدن والثوب والمكان من الخبث — ستر العورة — استقبال القبلة — العلم بدخول الوقت .

٤ — عند الحنابلة — الإسلام — العقل — التمييز — الطهارة من الحدث مع القدرة — ستر العورة — اجتناب النجاسة ببدنه وثوبه وبقعته — النية — استقبال القبلة — دخول الوقت

أركان الصلاة

فى المذاهب الأربعة

عند أبى حنيفة : التحريمة ، والقيام فى فرض للقادر عليه ، والقراءة ، والركوع ، بحيث لو مدَّ يديه نالت ركبتيه ، والسجود بجبهته وقدميه ، ووضع أصبع واحدة منها شرط ، والقعود الأخير قدر التشهد والخروج بالصنع — والتشهد المروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبه أخذ أبو حنيفة وأحمد ، وهذا نصه :

« التحيَّاتُ للهِ والصَّلواتُ والطيِّباتُ ، السَّلامُ عَليكَ أيُّها النَّبىُّ ورحمةُ اللهِ وبركاتُه ، السَّلامُ علينا وعَلى عِبادِ اللهِ الصَّالحينَ ، أشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه » .

وواجباتها : قراءة الفاتحة ، وضم سورة فى الأوليين فى الفرض ، وفى جميع ركعات النفل والوتر ، وتقديم الفاتحة على السورة ، والطمأنينة ، والقعود الأول ، والتشهدان الأول والأخير ، ولفظ السلام ، وقنوت الوتر ، والجهر والإسرار فيما يجهر فيه ويسر .

وعند مالك : النية ، وتكبيرة الإحرام ، والقيام لها فى الفرض، وقراءة الفاتحة، والقيام لها ، والركوع من القيام فى الفرض ، والنفل الذى صلاه من قيام والرفع منه — والسجود على أيسر جزء من جبهته — والجلوس بين السجدتين — والسلام والجلوس له ، والطمأنينة فى جميع الأركان — والاعتدال بعد الركوع والسجود وحال سلامه ، وترتيب هذه الأركان بأن يقدم النية على تكبيرة الإحرام .

أما تكبيره للقيام والتشهد الأول والثانى فسنة — والتشهد المروى عن عبد الله بن عمر ابن الخطاب رضى الله عنـه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى أخذ به مالك ، وهذا نصه :

« التحياتُ للهِ الزَّاكياتُ للهِ الطَّيباتُ الصلواتُ للهِ ، السَّلامُ عليكَ أيُّها النَّبيُّ ورحمةُ اللهِ وبركاتُه ، السَّلامُ علينا وعلى عِبادِ اللهِ الصالحينَ ، أشهدُ أن لاإله إلا اللهُ وحدَه لاشريكَ له ، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه . اللَّهم صلِّ على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ ، وارحمْ محمداً وآلَ محمدٍ وباركْ على محمدٍ وآلِ محمدٍ كما صليتَ ورحمتَ وباركتَ عَلَى إبْراهيمَ وعلى آل إبراهيمَ فى العالمينَ إنكَ حميدٌ مجيدٌ » .

وعند الشافعى :

١ — النية ومحلها القلب ، ويشترط أن يعيّنها من ظهر أو عصر ، وإذا كانت مقصورة وجبت نية قصرها .

٢ — القيام مع القدرة ، فان عجز صلى قاعداً ، فان عجز صلى مستلقياً ، ولا تسقط الصلاة عنه بحال مادام عقله ثابتاً .

٣ — تكبيرة الإحرام ، ويجب أن تكون بلفظ (الله أكبر) مقترنة بالنية .

٤ — قراءة الفاتحة فى كلِّ ركعة سريَّة أوجهرية إماماً كان أو مأموماً .

وبسم الله الرحمن الرحيم آية منها ، ويسنّ دعاء الافتتاح قبلها ، وقراءة سورة أوآية بعدها فى الركعتين الأوليين من الرباعية والثلاثية وفى الثنائية .

ويسنُّ دعاء التوجه عقب التكبير وهو : (وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ . إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ

وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) .

٥، ٦ — الركوع مع الطمأنينة فيه ، والاعتدال مع الطمأنينة فيه ، ويسنّ أن يقول في اعتداله إماماً كان أو مأموماً : سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد .

٧ — السجود مع الطمأنينة فيه ، ويجب وضع اليدين والركبتين وأطراف القدمين على الأرض ، ويسنّ أن يقول في حال سجوده : سبحان ربي الأعلى ثلاثاً ، كما يسنّ أن يقول في ركوعه : سبحان ربي العظيم ثلاثاً .

٨ — الجلوس بين السجدتين مع الطمأنينة فيه ، ويسنّ أن يكبر حال الرفع من السجود وأن يدعو وهو جالس بما يشاء من الدعاء ، والأفضل أن يقول : اللّهم اغفر لي وارحمني .

٩، ١٠ — الجلوس الأخير ، والتشهد فيه ، وهو المروى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبه أخذ الشافعي ، وهذا نصه :

« التحياتُ المباركاتُ الصلواتُ الطيباتُ لله ، السلامُ عليكَ أيُّها النبيُّ ورحمةُ اللهِ وبركاتُه ، السلامُ علينا وعلى عبادِ اللهِ الصالحينَ ، أشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسوله » .

١١ — والصلاة على النبيّ صلى الله عليه وسلم عقب التشهد ، وأكملها :

« اللّهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد » .

١٢ — والتسليمة الأولى ، ويسنّ أن تكون على اليمين ، ويسنّ تسليمة ثانية على اليسار ، وأقله السلام عليكم ، وأكمله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

١٣ — الترتيب .

أما التشهد الأول في الرباعية والثلاثية فهو سنة يجبر تركه بسجود السهو .

وعند أحمد بن حنبل : القيام في الفرض للقادر عليه ، وتكبيرة الإحرام ، ويسنّ أن يأتي بدعاء الافتتاح فيقول : « سبحانك اللّهم وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جدّك ،

ولا إله غيرك » وقراءة الفاتحة ، والركوع ، والرفع منه ، والاعتدال قائماً ، والسجود وأقله وضع جزء من كلّ عضو ، وأكمله تمكين جبهته وأنفه وركبتيه وأطراف قدميه من محل سجوده ، والرفع من السجود ، والجلوس بين السجدتين وكيف جلس كفى ، والطمأنينة فى كلّ ركن فعلىّ كالركوع والسجود ، والتشهد الأخير الذى يعقبه السلام ؛ والتشهد عند أحمد كالتشهد عند أبى حنيفة ، وهو المروىّ عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والجلوس للتشهد الأخير وللتسليمتين ، والمراد بهما السلام الذى يخرج به من الصلاة ، وهو أن يقول مرتين : السلام عليكم ورحمة الله ، ويكفى فى صلاة الجنازة والنفل وسجود التلاوة والشكر تسليمة واحدة ، وترتيب الأركان .

وواجباتها تكبير الانتقال من ركن إلى ركن ، وقول الإمام والمنفرد : سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ، وسبحان ربى العظيم مرّة فى الركوع ، أما المأموم فيقول : ربنا ولك الحمد فقط ، وما زاد على مرّة فى تسبيح الركوع فهو سنة ، وكذا سبحان ربى الأعلى فى السجود ، ورب اغفر لى بين السجدتين كلّ ذلك مرةً ، وما زاد فهو سنة ، ثم التشهد الأول ، والجلوس له .

سنن الصلاة

سننها قبل الدخول فيها شيئان : الأذان ، والإقامة .

وسننها بعد الدخول فيها ثلاثة أشياء : التشهد الأول ، والقنوت فى الصبح ، وفى وتر نصف رمضان الأخير ، وتسمى هذه الثلاث أبعاضاً للصلاة .

مبطلات الصلاة ونواقضها

عند أبى حنيفة : الكلام عمداً أو سهواً — والتنحنح بلا عذر — والدعاء بما يشبه كلامنا — والأنين والتأوّه والتأفف — والبكاء — وتشميت عاطس — وكل ماقصد به الجواب والخطاب ، والأكل والشرب مطلقاً ، وانتقاله من صلاة إلى مغايرتها — وقراءته من مصحف — والعمل الكثير ، وهو مالا يشك الناظر فى فاعله أنه ليس فيها — وسجوده

على مجس ، وأداء ركن أو تمكنه من أدائه مع كشف العورة ، وطروّ النجاسة — وتحويل صدره عن القبلة بغير عذر .

وعند مالك : الكلام قليله وكثيره لغير إصلاح صلاة — ونية إلغاء مافعل منها — وترك ركن عمداً ، وزيادة ركن فعليّ كركوع وسجود عمداً — والأكل والشرب ، والتصويت والنفخ بالفم ، والقىء إلا إذا غلب عليه فابتلع منه — والسلام عمداً عند شكه فى الإتمام وإن ظهر له بعد ذلك كمال الصلاة — وطروء النجاسة وناقض الوضوء — وكشف العورة وإرشاد غير إمامه إذا أخطأ فى القراءة — والقهقهة — والعمل الكثير عمداً أو سهواً — والزيادة على أربع ركعات فى الرباعية ، أوعلى ثلاث ركعات فى الثلاثية ، أو على ركعتين فى الثنائية سهواً ، وتبطل صلاة المأموم متى بطلت صلاة الإمام إلاّ عند سبق الحدث ، أو نسيانه .

وعند الشافعى : الكلام العمد — والعمل الكثير — والحدث (الأكبر أو الأصغر) عمداً أوسهواً ، وطروء النجاسة على ثوبه أو بدنه أومكانه — وانكشاف العورة — وتغيير النية — واستدبار القبلة والانحراف عنها بصدره — والأكل والشرب ولو يسيراً — والقهقهة — والردة .

وعند أحمد بن حنبل : ما أبطل الطهارة — وكشف العورة — واستدبار القبلة — والعمل الكثير عمداً أوسهواً — وتعمد زيادة ركن فعليّ — وتقديم بعض الأركان على بعض — والسلام قبل إتمامها وفسخ النية — والشك فيها — والقهقهة — والكلام ولو سهواً — وتقدم المأموم على إمامه — والسلام قبله — والأكل والشرب ، واتصال نجاسة غير معفوّ عنها بالمصلى إن لم يزلها فى الحال — والتنحنح بلا عذر — وتعمد لحن يغير معنى القراءة ؛ وتبطل صلاة المأموم ببطلان صلاة إمامه .

شرح وتفسير أركان الصلاة على العموم

أركان الصلاة اثنا عشر ركناً :

(١) النية (٢) تكبيرة الإحرام (٣) القيام للقادر فى الفرض (٤) قراءة الفاتحة (٥) الركوع (٦) الاعتدال (٧) السجود مرتين (٨) القعود بينهما (٩) الطمأنينة فى الكل (١٠) الجلوس للتشهد الأخير ، والتشهد فيه ، والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم (١١) التسليمة الأولى (١٢) الترتيب مع الموالاة .

١ — النيـــة

هى أن ينوى الإنسان الصلاة فى سرّه قائلاً : نويت أصلى الصبح (مثلاً) ثم يقول : اللهُ أكْبَرُ .

٢ — تكبيرة الإحرام وحكمتها

تفتتح الصلاة بالتكبير ، وهو قول العبد : اللهُ أكْبَرُ .

ويرفع عنده يديه حذاء أُذنيه (والمرأة قبال كتفيها) وفى ذلك مع تعظيم الله تعالى والإقبال عليه ماهو بمنزلة التحية والسلام على حضرة الملك ، والاستئذان فى الدخول عليه ، إشارة للعبد أن يستحضر أن مولاه (الذى هو عازم على التمثل بين يديه) أكبر من كل شىء ، ولايدانيه شىء فى العظمة والكبرياء ، فعلى العبد أن يطهر قلبه من كل ماسواه من علائق الدنيا ، ورغائب الآخرة ، وأكد هذا المعنى بإشارة رفع اليدين كالذى يكف يديه عن تناول ماهو حاضر أمامه كأنه يتخيل أن كل ماسوى مولاه حاضر نصب عينيه ، ويكفّ يديه عنه قائلاً : الله أكبر من كل شىء ، فلا أختار عليه سواه ، وها أنا فارقت رغائبى ، وعزمت على الدخول فى حضرته .

٣ ــ دعاء التوجه ومعناه

ثم يتلو دعاء التوجه ، وهو :

(وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِين . إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) .

(معناه)

وجهت وجهى	قصدت وأقبلت بوجهى على الله بعد أن كنت غافلاً عنه لاهياً ذاهلاً فأذكرنى وشغلنى بالقيام بين يديه .
للذى فطر السموات والأرض	أى قصدى مصروف إلى الذى من شأنه أنه فطر السموات ، أى شقها بالمياه نازلة ، والأرض ، أى بالنبات متواصلة ، أوخلقهما بأن أوجدهما بعد أن كانتا عدماً .
حنيفاً	أى قصدت الميل عن الدين الباطل إلى الدين الحق بمفارقة الأديان المباينة للإيمان .
وما أنا من المشركين	أى لست من الشرك المعهود الواقع من المعاند لله فى شىء ، بل أنا موحد لله حقاً .
إن صلاتى ونسكى	(أى عبادتى) فى ذلك إشعار و إعلام بأن الملك لله حقيقةً ، فلا مالك يتصرف على الحقيقة غيره ، فهو تأكيد لنفى الشرك فى الملك .
ومحياى ومماتى لله رب العالمين	يعنى الحياة والممات ، وهما أمران لازمان لوجود الإنسان ، لست أملكهما من نفسى ، فكيف أملكهما من غيرى ؟ فهما جميعاً لله رب العالمين .
لاشريك له	أى لامعين ، ولا مساعد له فى تنفيذ أحكام الربوبية ؛ بل هو المستحق للعبادة ، المستقل بإبداع السموات والأرض من غير مشارك له .

وبذلك أمرت } أى أمرت بالتوجه إلى الربّ .

وأنا من المسلمين } أى المنقادين لأمر الله فى التوجه إليه

٤ — دعاء الافتتاح

ثم يشرع فى دعاء الافتتاح ، وهو تسبيح ربّه ، وتنزيهه ، والثناء عليه ، وتعظيم اسمه ، والتنويه بعظمة سلطانه ، وانفراده بالألوهية قائلاً :

«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ ، وَتَعَالَى جَدُّكَ ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ ، وَلاَ إِلٰهَ غَيْرُكَ » .

وهذا يقال له : دعاء الافتتاح ، وهو بمنزلة افتتاح الخطاب للملوك بذكر الألقاب التى تذكر قبل مخاطبتهم ، فتشتمل على التعظيم والتبجيل ، ولله المثل الأعلى .

فالتكبير افتتاح دخول الحضرة الإلٰهية ، وهذا افتتاح خطاب الحق سبحانه وتعالى .

٥ — التعوذ من الشيطان والسرّ فيه

ولما كان الشيطان مسلَّطاً على العبد ، وحريصاً على تفريق قلبه بوساوسه ، وتشويش مناجاته مع ربه ، وجب على العبد أن يتحصن من ذلك العدوّ الألدّ ويقول : أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ . بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ .

البسملة وبيان نزولها

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « كَانَ رسول الله صلى الله عليه وسلم لاَ يَعْرِفُ خَتْمَ السُّورَةِ حَتَّى يَنزِلَ عَلَيْهِ (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ) » .

وعن ابن مسعود قال : « كُنَّا لاَ نَعْلَمُ فَصْلَ مَا بَيْنَ السُّورَتَيْنِ حَتَّى نَزَلَ (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ) » .

وعن ابن عمر قال : « نَزَلَتْ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ فِى كُلِّ سُورَةٍ » .

(عن كتاب أسباب النزول للواحدى)

٦ — قراءة الفاتحة

ثم بعد أن يطمئن قلبه بإعاذة مولاه من ذلك العدوّ المبين يشرع فى قراءة الفاتحة جهراً فى الجهرية وهى :

(الحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ العَالَمِينَ . الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ . إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ . اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ . غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ) آمين .

ومعناها باختصار : إنى أشكر الله خالق الكائنات ، أو العالَمَ أجمع ، المتصف بالرحمة الواسعة ، المالك المتصرف فى ملكه ، ومالك يوم القيامة ، ويوم الجزاء ، وإنى أخصه وحده بالعبادة ، كما أنى أخصه بطلب الإعانة ، وأسأله الهداية إلى الطريق المعتدل المستقيم الذى لا اعوجاج فيه ، وهو طريق الذين أنعم الله عليهم ، ولم يكونوا من الضالين عن الصواب ، المغضوب عليهم منه ، المستحقين العذاب .

فكأنّ المصلى يقول : يا ربنا ندعوك أنا وإخوانى الموحّدون أن يكون ذلك الصراط المستقيم الذى طلبنا الهداية إليه ، صراط الذين أنعمت عليهم بصحة العقائد ، وحسن الأعمال ، لنكون فى زمرتهم ، ونفوز ببركة صحبتهم ، لا صراط المغضوب عليهم ، بما جنوه من الأعمال السيئة ، ولا الضالين عن الصواب ، بما اعتقدوه من العقائد الباطلة ، فهؤلاء باعدنا عنهم لئلا تسرى إلينا بلواهم ، ونصاب بما اعتراهم ، ثم يختم ذلك الدعاء بطلب الإجابة لما دعا به مولاه ، إذ هو أكرم مسئول ، وأقرب مجيب ، فيقول : آمين ، أى استجب لنا ربنا كما وعدتنا على لسان رسولك فى كتابك المنزل عليه .

فضل سورة الفاتحة

قال الله تعالى : (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ المَثَانِي وَالقُرْآنَ العَظِيمَ) .
(سورة الحجر)

(المعـــنى) : السبع المثانى هى الفاتحة ، وسميت بالمثانى لأنها تثنى فى كل ركعة ، وسميت بالقرآن العظيم . قال القرطبى : لتضمنها جميع علوم القرآن ، وذلك أنها تشتمل على

الثناء على الله عز وجل بأوصاف كماله وجلاله ، وعلى الأمر بالعبادات والإخلاص فيها ، والاعتراف بالعجز عن القيام بشيء منها إلا باعانته تعالى ، وعلى الابتهال إليه فى الهداية إلى الصراط المستقيم ، وكفايته بأحوال الناكثين ، وعلى بيانه عاقبة الجاحدين .

⁂

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : قَالَ اللهُ تَعَالَى : قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ . فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : حَمِدَنِي عَبْدِي . وَإِذَا قَالَ : الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . قَالَ اللهُ تَعَالَى : أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي . وَإِذَا قَالَ : مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ . قَالَ اللهُ تَعَالَى : مَجَّدَنِي عَبْدِي . وَإِذَا قَالَ : إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ : قَالَ : هٰذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ . وَإِذَا قَالَ : اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ . قَالَ : هٰذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ »

(رواه مسلم)

وعن أبى سعيد بن المعلى رضى الله عنه قال : « كُنْتُ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ فَدَعَانِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ أُجِبْهُ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي فَقَالَ : أَلَمْ يَقُلِ اللهُ : اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ ، ثُمَّ قَالَ لِي : لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِى الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ قُلْتُ لَهُ : أَلَمْ تَقُلْ لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِى الْقُرْآنِ ؟ قَالَ : (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ » .

(رواه البخارى)

٧ — قراءة شىء من القرآن

ثم يأخذ المصلى بتلاوة شىء من القرآن غير الفاتحة ، وهو تلاوة شىء من كلام الله تعالى ، كقراءة سورة الإخلاص وهى :

(قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ . اللهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ)

ومعناها باختصار : قل الله واحد لاشريك له ، وهو مقصود كل حي لإمداده بما به وجوده و بقاؤه ، ولم يكن له ولد ، ولا والد ، وليس له مثل فى العالم فى كفايته وقدرته .

فضل سورة الإخلاص

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « احْشُدُوا (أى اجتمعوا واستحضروا الناس) فَإِنِّى سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فَحَشَدَ مَنْ حَشَدَ ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فَقَرَأَ :

(قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) ثُمَّ دَخَلَ فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ : إِنِّى أُرَى هٰذَا خَبَرًا جَاءَهُ مِنَ السَّماءِ ، فَذَاكَ الذِى أَدْخَلَهُ » .

ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : إِنِّى قُلْتُ لَكُمْ سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثلثَ القُرْآنِ أَلاَ إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ » (رواه مسلم)

(المعـــنى) : ألا إنها تعدل ثلث القرآن ، أى سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن

قال المازرى : معناه أن القرآن على ثلاثة أنحاء : قصص ، وأحكام ، وصفات لله تعالى ، وقل هو الله أحد ، متضمنة للصفات ، فهى ثلث وخير من ثلاثة أجزاء ، وقيل : إن ثواب قراءتها يضاعف بقدر ثواب قراءة ثلث القرآن بغير تضعيف .

وعن عائشة رضى الله عنها : « أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بَعَثَ رَجُلاً عَلَى سَرِيَّةٍ (قطعة من الجيش) وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلاَتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِـ (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ ؟ فَسَأَلُوهُ فَقَالَ : لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمٰنِ وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا . فَقَالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ » (رواه البخارى ومسلم)

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه : « أَنَّ رَجُلاً سَمِعَ رَجُلاً يَقْرَأُ (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) يُرَدِّدُهَا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ

وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا (أى يعتقد أنها قليلة) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ» (رواه البخارى)

٨، ٩ — الركوع وحكمته — والاعتدال

ثم ينظر المصلى إلى عجزه وضعفه واحتياجه إلى مولاه فى هديه ، و يتصور أنه لا قادر على ذلك سواه فيطأطئ رأسه إظهاراً للخضوع والاحترام لمولاه الذى هو أولى بذلك ، و يخر راكعاً ، أى منحنياً نحو الأرض ، جاعلاً يديه على ركبتيه ، ممثلاً صورة عجزه ، مكبراً مولاه تعالى ، ثم يسبح مولاه العظيم قائلاً :

سُبْحَانَ رَبِّىَ الْعَظِيمِ . سُبْحَانَ رَبِّىَ الْعَظِيمِ . سُبْحَانَ رَبِّىَ الْعَظِيمِ .

ثم يرفع رأسه من الركوع و يعتدل و يقول : سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ ، أى أن الله سبحانه وتعالى سميع مجيب ، يسمع حمد من حمده .

ثم يقول : اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ .

١٠، ١١ — السجود — والقعود

ثم يرى أن نعم مولاه عليه لا تعد ولا تحصى ، وهو عاجز عن أداء شكرها ، ولو قطع العمر طاعة وخضوعاً ، فيخر ساجداً معظماً مولاه قائلاً :

أَللهُ أَكْبَرُ ، وَيَضَعُ جَبْهَتَهُ عَلَى الْأَرْضِ .

أى أنت يا إلهى الكبير المتعال ، وما علىَّ إلا أن أضع أشرف أعضائى وأعزها علىَّ ، وأكرمها لدىَّ ، وهو وجهى على الأرض تعظيماً لجلالك ، وتنويهاً برفيع كمالك .

وفى هذا السجود يرى الإنسان نفسه بلغ غاية الخضوع ، وأنه ما فعل ذلك إلا لتعظيم مولاه الأعلى ، فينطلق لسانه قائلاً :

سُبْحَانَ رَبِّىَ الْأَعْلَى ، سُبْحَانَ رَبِّىَ الْأَعْلَى ، سُبْحَانَ رَبِّىَ الْأَعْلَى .

ثم يرفع رأسه من سجوده و يقعد قائلاً : أَللهُ أَكْبَرُ .

كأنه يشير إلى أنه لايدرك شأو عظمته وكبريائه تعظيم المعظمين، وتكبير المكبرين ، ثم يعود فيسجد ثانياً مكبراً ، ويقول وهو ساجد :

سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى ، سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى ، سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى .

ثم يرفع رأسه من السجود الثانى ويقول مكبراً : أَللهُ أَكْبَرُ .

وهذه الأفعال تسمى بالركعة الأولى .

ثم يصلى الركعة الثانية بقراءة الفاتحة وبعض آيات من القرآن الكريم ، ثم يفعل كما فعل فى الركعة الأولى .

حكمة السجود وفضله

إن فى السجود لحكمة بالغة وهى : أن الإنسان إذا داوم على السجود فى الخمس صلوات كان دائماً قريباً من ربه الذى يقول : (وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) .

وإذا كان المرء باقترابه من العظماء ، وأصحاب الجاه يكتسب رفعة شأن ، وعظم جاه ، فكيف يكون جاهه ورفعة قدره لو اقترب من خالقه ورازقه ؟ وبهذا تكون النفس عاليةً نزيهةً عن أن تأتى الصغائر من الذنوب فضلاً عن الكبائر ، ولا تدنس بدنس الذنوب ، لأن تدنيسها يسبب بُعدها من الله .

ومما ورد فى فضل السجود وحكمته قوله صلى الله عليه وسلم :

« مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَسْجُدُ لِلّٰهِ سَجْدَةً إِلاَّ رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً » .

وَيُرْوَى « أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: اُدْعُ اللهَ لِي أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْ أَهْلِ شَفَاعَتِكَ ، وَأَنْ يَرْزُقَنِي مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ ؛ فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : أَعِنِّي بِكَثْرَةِ السُّجُودِ » .

ولما كان السجود بهذه المنزلة من الفضل ، وكان فضل الساجدين هذا خصهم الله بالثناء عليهم فى قوله : (سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) .

٩ و ١٠ — التشهد ومعناه وحكمته ، والتسليم

وبعد السجدة الثانية يجلس ويقرأ التشهد ، وهو :

« التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ ورَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا (رَسُولَ اللَّهِ) عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ » .

والغرض من قراءة هذا التشهد هو تقديم التحيات ، وعرض الصلوات والطيبات لدى مولاه رب الأرض والسموات ، مسلماً تسليم المفارق لحضرة سلطانه عند خروجه من ديوانه ، ثم إنه يتذكر فضل من كان سبب هدايته لدخول تلك الحضرة ، وتشرفه بتلك الخدمة ، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم ويترحم ويبارك عليه قائلاً :

السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

ثم يرغب إلى الله تعالى بالأمان له ولإخوانه المتعبدين على ما أنعم به عليه وعليهم من أنوار هذه العبادة فيقول : السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ .

ثم يتذكر أن المنعم الحقيقي هو الله تعالى ، وأن الواسطة العظمى لبلوغ هذا الخير هو (محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) فيشهد من صميم قلبه بتفرد الله بالألوهية ، ويشير برفعه إحدى أصابع يده اليمنى إلى ذلك التفرد ، حتى يكون موحداً اعتقاداً قولاً وعملاً .

ثم يشهد بأشرف المناصب ، وهي الرسالة لمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول :
أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

ثم يتلطف للدعاء لهذا الرسول الكريم الذى كان الواسطة لذلك الخير العظيم فيطلب له الصلاة والمباركة عليه ، وعلى آله جزاء هدايته للمؤمنين ، كما صلى وبارك على إبراهيم وعلى آله جزاء هدايته للأمم السابقة بقوله :

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ،

وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ .

ثم يثنى على الله تعالى شاكراً حامداً قائلاً : إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ .

ثم يتلو الدعاء الآتى :

(رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) .

وكذا الدعاء الآتى الوارد عن النبى صلى الله عليه وسلم عن أبى بكر الصديق وهو :

« اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » .

ثم لم يبق إلا الخروج من تلك الحضرة لأداء ما كلف به من الطاعات ، والسعى فى حاجاته المعاشية التى كلفه الله تعالى بها فيتوجه إلى إخوانه من مؤمنى الإنس والملائكة ويقول : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ .

ثم يقول بعد خروجه من الصلاة :

« اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ يَاذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ » .

سجود السهو

إذا شك المصلى فى عدد ركعات الصلاة بنى على اليقين وهو الأقل ، ثم سجد للسهو ؛ وسجود السهو سنة عند الشافعى ومالك ، وواجب عند أبى حنيفة ، وعند أحمد يكون واجباً إذا فعل أو ترك ما يبطل الصلاة عمداً ، ومسنوناً إذا أتى بقول مشروع فى غير محله ، ومباحاً إذا ترك مسنوناً .

ومحله بعد السلام عند أبى حنيفة ، وعند الشافعى وأحمد قبله ، وعند مالك إن كان السهو بزيادة فبعده ، وإن كان بنقص فقبله .

عن أبى هريرة وابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« سَجْدَتَا السَّهْوِ بَعْدَ التَّسْلِيمِ ، وَفِيهِمَا تَشَهُّدٌ وَسَلَامٌ » .

وهو بنية القلب ، ولا يتلفظ بها ، وإلا بطلت صلاته إجماعاً .

سجود التلاوة

سجود التلاوة ، ويكون عند تلاوة آية السَّجْدة ، أو عند سماع آيتها نحو قوله تعالى : (وَاُسْجُدْ وَاُقْتَرِبْ) .

وقوله تعالى : (إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) .

وهى سنة عند الثلاثة ، وواجبة عند أبى حنيفة .

وهى سجدة واحدة بين تكبيرتين مسنونتين جهراً بلا رفع ولا تشهد ولا سلام عند أبى حنيفة ومالك ، وأركانها تكبيرة الإحرام ، والسجود والسلام . وعند أحمد التكبيرتان واجبتان .

حكمة سجدة التلاوة : لاشك أن سجدة التلاوة التى أمرنا الله بها فيها من الخضوع والتذلل لملك الملوك ، ورب الأرباب ما لايخفى على إنسان .

وهناك حكمة أخرى ، وهى مخالفة الشيطان الرجيم الذى أمر فى جانب الحق جل وعلا بالسجود فأبى واستكبر ، وكان من المبعدين المطرودين من رحمة الله تعالى .

ومن أجل ذلك ورد أنه كلما سجد الإنسان لربه ازداد غيظ الشيطان وأخذ فى البكاء والعويل والنواح ، لأنه يرى الرحمات تنزل تترى من السماء على الراكعين الساجدين الذين امتثلوا أمر ربهم، وهو محروم من تلك الرحمات العظيمة بسبب عصيانه .

روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« إِذَا تَلَا ابْنُ آدَمَ آيَةَ السَّجْدَةِ فَسَجَدَ اُعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِى وَيَقُولُ : أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الجَنَّةُ ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَلَمْ أَسْجُدْ فَلِىَ النَّارُ » .

القراءة « جهراً أو سراً »

الأصل فيها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يجهر فى كل الصلوات ، وكان المشركون يؤذونه ويسبون ما أنزل عليه ، فأنزل الله تعالى :

(وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً) (الإسراء)

فيجهر المصلى « لو كان إماماً » فى ركعتى الفجر (الصبح) وركعتى المغرب والعشاء ، ويسرّ فى الظهر والعصر ، والثالثة من المغرب ، والثالثة والرابعة من العشاء أداء أو قضاء .

وإن كان المصلى منفرداً فهو مخير إن شاء خافت ، وإن شاء جهر ، وهذا أفضل ، لتكون صلاته على هيئة الجماعة ، هذا فيما فيه جهر وكان أداء ، وأما قضاء بغير عذر فيتعين عليه الإسرار عند غير الشافعى ، لأن الجهر مختص بالجماعة أو الوقت ، ولأن تأخير الصلاة حتى يخرج وقتها معصية فيسرّها ؛ وأما فى الصلاة السرّية فيتحتم عليه الإسرار ، لأنه يتحتم على الإمام ، فالمنفرد أولى ، والجهر أن يسمع غيره ، والمخافتة أن يسمع نفسه مع تصحيح الحروف بلسانه ، ويجهر الإمام فى الجمعة والعيدين ، وصلاة التراويح ، والوتر للتواتر ؛ وعلى المصلى المأموم الاستماع حالة الجهر والإنصات لقوله تعالى :

(وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) . (الأعراف)

ولقوله صلى الله عليه وسلم :

« الْإِمَامُ ضَامِنٌ لَكُمْ ، يَرْفَعُ عَنْكُمْ سَهْوَكُمْ وَقِرَاءَتَكُمْ » .

حكمة القراءة جهراً وسراً فى الصلاة

لما كان النهار مظنة الضوضاء ، والأصوات التى تؤلم الآذان ، جعلت القراءة فى صلاة النهار سرية ، حتى لا يمتزج صوت تلاوة القرآن اللذيذ المعنى واللفظ بتلك الأصوات والألفاظ البشرية فيمتنع التأثير القلبى المطلوب .

ولما كان الليل مظنة الهدوء والسكون ، أوجب الشارع الجهر فى صلاته لعدم امتزاج أى صوت ، وأى كلام بكلام الله جلّ وعلا ، فيكون الصوت فى هذه الحالة حلواً لذيذاً مؤثراً التأثير المطلوب للقلب .

ويجهر الإمام ليتأمل القوم ، ويتفكروا فى ذلك ، فتحصل ثمرة القراءة وفائدتها للقوم ، فتصير قراءته قراءة لهم تقديراً كأنهم قرءوا .

وثمرة الجهر تفوت فى صلاة النهار ؛ لأن الناس فى الأغلب يحضرون الجماعات فى خلال

الـكسب والتصرف والانتشار فى الأرض ، فـكانت قلوبهم متعلقة بذلك ، فيشغلهم ذلك عن حقيقة التأمل ، فلا يكون الجهر مفيداً ؛ بل يقع سبباً فى الإثم بترك التأمل ، وهـذا لايجوز ، بخلاف صلاة الليل لأن الحضور إليها لا يكون فى خلال الشغل .

وبخلاف الجمعة والعيدين لأنهما يؤدَّيان فى الأحايين مرةً على هيئة مخصوصة من الجمع العظيم ، فيكون ذلك مبعثةً على إحضار القلب والتأمل .

الإمامـــة

الإمامة رياسة عامة لحفظ مصالح الناس ديناً ودنيا ، وهذه تسمى الإمامة الـكبرى . أما الإمامة الصغرى فهى عبارة عن ربط صلاة المقتدى بصلاة الإمام .

وشروط صحتها : البلوغ، والإسلام ، والعقل ، والذكورة ، وحفظ مايجزئ من القرآن. وشروط الاقتداء عدم تقدم المأموم على إمامه ، وعلم المؤتم بانتقالات الإمام برؤية أوسماع، واتحاد موقف الإمام والمأموم ، ونية المأموم الاقتداء مقارنةً لتكبيرة الافتتاح ، وأن يكون حال الإمام أعلى من حال المأموم أومساوياً له ، ومشاركة المأموم للإمام فى الأركان .

وأولى الناس بالإمامة الأعلم بالسنة، ثم الأقرأ ، ثم الأورع ، ثم الأسن لقوله صلى الله عليه وسلم : « يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ ، فَإِذَا كَانُوا فِى السُّنَّةِ سَوَاءً فَأَقْرَؤُهُمْ لِـكِتَابِ اللهِ » .

ويكره للإمام إطالة الصلاة بالقوم لقوله عليه الصلاة والسلام :

« إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ وَالْـكَبِيرَ وَذَا الْحَاجَةِ »

وفى رواية : « مَنْ أَمَّ بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ »

ويكره انفراد الإمام حالة الإمامة بمكان مرتفع والقوم أسفل منه ، وكذا العكس ، لقوله صلى الله عليه وسلم :

« إِذَا أَمَّ الرَّجُلُ الْقَوْمَ فَلَا يَؤُمَّنَّ فِى مَـكَانٍ أَرْفَعَ مِنْ مَقَامِهِمْ » .

ويكره تقديم العبد ، والفاسق ، والأعرابى ، والأعمى ، وولد الزنا ، وإن تقدموا جاز

عند الأئمة الثلاثة : الحنفى ، والشافعى ، ومالك ، وقال أحمد : لاتصح إمامة الفاسق مطلقاً ، ولا تكره إمامة غيره مما ذكر .

ولا يجوز صلاة المتوضئ خلف المحدث ، ولا القارئ خلف الأمىّ ، ولا المفترض خلف المتنفل ؛ ويجهر الإمام لحاجة الناس إليه ، وليُعلِم الأعمى .

والتبليغ عند عدم الحاجة إليه بدعة منكرة .

السترة وحرمة المرور بين يدى المصلى

قال عليه الصلاة والسلام :

« إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيُصَلِّ إِلَى سُتْرَةٍ وَلاَ يَدَعْ أَحَدًا يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ » .

وقال : « إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ إِلَى سُتْرَةٍ فَلْيَدْنُ مِنْهَا لاَ يَقْطَعُ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ صَلاَتَهُ »

وقال : « لِيَسْتَتِرْ أَحَدُكُمْ وَلَوْ بِسَهْمٍ ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْمَارُّ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ » .

وفى رواية : « لأَنْ يَقِفَ أَحَدُكُمْ مِائَةَ عَامٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْ أَخِيهِ وَهُوَ يُصَلِّي » .

وقال : « لَوْ يَعْلَمُ الْمَارُّ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ لأَحَبَّ أَنْ يَنْكَسِرَ فَخِذُهُ وَلاَ يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ » .

وقال : « لِيَضَعْ أَحَدُكُمْ مِثْلَ مُؤَخَّرَةِ الرَّحْلِ ، وَلاَ يَضُرُّهُ مَامَرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ » .

وفى رواية : « إِذَا وَضَعَ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلَ مُؤَخَّرَةِ الرَّحْلِ فَلْيُصَلِّ وَلاَ يُبَالِي مَنْ مَرَّ وَرَاءَ ذَلِكَ » .

وقال : « إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ إِلَى شَيْءٍ يَسْتُرُهُ مِنَ النَّاسِ ، فَأَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَجْتَازَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلْيَدْفَعْ فى نَحْرِهِ ، فَإِنْ أَبَى فَلْيُقَاتِلْهُ ، فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ » .

وقال : « اسْتَتِرُوا فِي صَلاَتِكُمْ وَلَوْ بِسَهْمٍ » .

وقال : « سُتْرَةُ الإِمَامِ سُتْرَةُ مَنْ خَلْفَهُ » .

وقال : « إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَجْعَلْ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ شَيْئًا ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيَنْصِبْ عَصًا ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ عَصًا فَلْيَخُطَّ خَطًّا ثُمَّ لَا يَضُرُّهُ مَنْ مَرَّ أَمَامَهُ » .

الصلوات الخمس المفروضة وحكمة تأديتها فى أوقاتها

١ — صلاة الفجر (الصبح) :

لما كان الإنسان عند قيامه من منامه يصبح كالمبعوث بعد الموت ، لأن النوم موت الإدراك والإحساس ، فيجد أن الله تعالى قد أحياه من بعد تلك الحالة النومية الشبيهة بالموت ، وقد عوض عليه بهذا النوم ما كان فقده من جسده وقوته بسبب حركات أعضائه فى أعماله ، وجولان أفكاره فى همومه ، فأصبح مرتاحًا نشطًا بعد أن كان تعبًا كسلان ، وقد حماه مولاه فى تلك الحالة النومية من أذى المؤذيات ، وشرور العاديات ، وأتم هضم طعامه الذى يرزقه إياه ، إلى غير ذلك من النعم التى يعجز عن حصرها اللسان والقلم ، فكان عليه حقًّا لأداء الشكر أن يبادر عند يقظته إلى الصلاة فيصلى صلاة تدعى صلاة الفجر (الصبح) وهو الذى أقسم به البارى بقوله : (وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ)

٢ — صلاة الظهر :

ثم بعد ما يمضى عليه نصف النهار ، وقد وجد نعم الله عليه عظيمة المقدار من إنارة الكون لهدايته لسبيل معاشه ، وإمداده بحواسه التى يميز بها النافع من الضار ، وبالقدرة والاستطاعة على مقاصده ، وقد فتح له باب الكسب ، ورزقه حاجته من الغذاء ، إلى غير ذلك من النعم المستحيلة الإحصاء ، فكان واجبًا عليه أن يعود إلى أداء شكر الله فيصلى صلاة تسمى (صلاة الظهر)[1] .

٣ — صلاة العصر :

ثم عند ما يجد النهار قد قارب الزوال ، وقد تواردت عليه فى أثنائه نعم عظيمة المنال ، وقد عزم على عوده لمسكنه تحتم عليه العود إلى الصلاة فيصلى صلاة تسمى (صلاة العصر) .

---

(١) ويلاحظ أن المدة لما كانت طويلة الصبح والظهر ، وقد يجوز أن تنسيه رازقه وخالقه سن الشارع صلاة الضحى لعظمه ، وقد أقسم الله به بقوله : (وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ)

٤ — صلاة المغرب :

ثم عند مايولى النهار ، ويقبل الليل الصالح لسكونه وراحته ، ولم يكن النهار سرمداً بل انقضى مملوءا بالنعم ، ولطائف الكرم ، كان عليه الرجوع إلى تلك العبادة ، بل السعادة ، فيصلى (صلاة المغرب) شاكراً حامداً مولاه على أن وفقه إلى الخير كل النهار من كل ما جنى .

٥ — صلاة العشاء :

ثم حينما يحوم الظلام ، ولم يبق إلا المنام ، ووجد أن النعم التى تواردت عليه من الصباح إلى المساء يعجز عن شكرها ، وجميع ما أداه من العبادة لايقوم بعشر معشارها ، ورأى أن هذا الوقت الصالح لراحته مع أمنه من المخاوف من جملة النعم التى لا تحصى بادر إلى أداء صلاة تسمى (صلاة العشاء) قياماً ببعض الشكر الذى يعجز عن إيفائه مدة العمر لأن الإنسان لو دام آناء الليل وأطراف النهار فى خدمة مولاه لم يكن إلا مقصراً ، ولا يدعى إلا عاجزاً عن القيام بواجب شكره ، سائلاً مولاه أن يحفظه فى منامه من العلل والآفات ، ويصونه من الوقوع فى المحرمات .

أوقات الصلوات المفروضة وعدد ركعاتها

لكل صلاة وقت يجب أداؤها فيه :

١ — صلاة الفجر (الصبح) :

وقتها من طلوع الفجر الصادق ، ويمتد إلى طلوع الشمس ، وعدد ركعاتها المفروضة بالإجماع ثنتان بتسليمة واحدة ، والمسنونة ركعتان قبل الصبح سنة مؤكدة .

وأول من صلى صلاة الفجر سيدنا آدم عليه السلام حيث تاب الله عليه وقت طلوع الفجر فصلى ركعتين يشكر الله لزوال ظلمة الليل ، وظهور نور النهار .

٢ — صلاة الظهر :

وقتها من زوال الشمس عن وسط السماء ، إلى أن يصير ظل كل شىء مثله بعد ظل الزوال ، وعدد ركعاتها المفروضة بالإجماع أربع بتسليمة واحدة ؛ ويتبعها عند الإمام الشافعى

أربع ركعات رواتب مؤكدات : ركعتان قبلها وركعتان بعدها ؛ وعند الإمام أحمد أربع ركعات راتبة : ركعتان قبلها ، وركعتان بعدها ؛ وعند الإمام أبى حنيفة أربع ركعات بتسليمة واحدة ، وركعتان بعدها ، وعند الإمام مالك يستحب أربع قبلها ، وأربع بعدها .

وأول من صلى صلاة الظهر سيدنا داود عليه السلام حيث تاب الله عليه وقت زوال الشمس ، فصلى أربع ركعات شكراً لله تعالى لقبول توبته .

٣ — صلاة العصر :

وقتها من بعد أن يصير ظل كل شىء مثله إلى قبيل غروب الشمس ، وعدد ركعاتها المفروضة بالإجماع أربع بتسليمة واحدة ، ويتبعها أربع ركعات مندوبة قبلها عند الأئمة الثلاثة ، أما عند الإمام أحمد فلا راتب لها .

وأول من صلى صلاة العصر سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام حيث أمره الله بذبح ولده إسماعيل ، ثم فداه بذبح عظيم ، فصلى أربع ركعات شكراً لله تعالى لنجاة ولده .

٤ — صلاة المغرب :

وقتها من غروب الشمس : أى نزولها عن الأفق إلى غياب الشفق الأحمر ، وعدد ركعاتها المفروضة بالإجماع ثلاث بتسليمة واحدة ، ويتبعها عند الشافعى ثنتان قبلها غير مؤكدتين ، وثنتان بعدها مؤكدتان ، وعند أحمد ركعتان بعدها راتبة ، وعند أبى حنيفة بعدها ركعتان مؤكدتان ، وعند مالك ركعتان بعدها مستحبة ، وعند الثلاثة ماعدا أحمد ست ركعات مستحبة تسمى (صلاة الأوابين ، أوصلاة الغفلة) .

وأول من صلى صلاة المغرب سيدنا عيسى عليه السلام حين رفعه الله وأنجاه من شر اليهود بعد غروب الشمس ، فصلى ثلاث ركعات شكراً لله بنجاته من الأعداء وارتفاعه إلى السماء .

٥ — صلاة العشاء :

وقتها من غياب الشفق الأحمر إلى طلوع الفجر الصادق ؛ ويتبعها عند الشافعى ركعتان قبلها مندوبتان ، وركعتان بعدها مؤكدتان ، وعند أحمد ركعتان بعدها راتبة ، وعند

أبى حنيفة ركعتان مؤكدتان بعدها ؛ ويستحب أربع قبلها وأربع بعدها بتسليمة واحدة ، وعند مالك يستحب بعدها الشفع وأقله ركعتان .

وأول من صلى صلاة العشاء سيدنا يونس عليه السلام حين أخرجه الله من بطن الحوت وقت غياب الشفق وظهور النجوم ، فصلى أربع ركعات شكراً لله لنجاته .

وأوقات الصلاة واردة فى القرآن الكريم فى الآيات الآتية :

قال الله تعالى

١ — (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا) . (بنى إسرائيل)

(المعـنى)

لدلوك الشمس : أى لزوالها ، أى فى توسطها السماء ، وهو وقت صلاة الظهر .

إلى غسق الليل : أى إلى ظلمته ، وهو وقت صلاة العشاء .

وقرآن الفجر : أى صلاة الفجر ، وسميت قرآناً ، لأنه ركنها كما سميت ركوعاً وسجوداً .

كان مشهوداً : أى تشهده وتحضره الملائكة .

وقال تعالى :

٢ — (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ) (هود)

طرفى النهار : أى الغدوة والعشية ، ويقصد بها صلاة المغرب .

وزلفاً من الليل : أى ساعات الليل قريبة من النهار .

وقال تعالى :

٣ — (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ) . (البقرة)

الصلاة الوسطى : هى صلاة العصر .

وقال تعالى :

٤ — (فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ . وَلَهُ الْحَمْدُ فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ) . (الروم)

أى سبحوا الله فى المساء بصلاة العصر ، وفى الصباح بصلاة الصبح ، وفى العشى بصلاة المغرب والعشاء ، وفى الظهر بصلاة الظهر ، فهذه الآية الكريمة جمعت أوقات الصلوات الخمس .

وأوقات الصلوات واردة فى الأحاديث الآتية :

١ — عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« نَزَلَ جِبْرِيلُ فَأَمَّنِى (أى صلى إماماً بى ليعلمنى كما أمره الله) فَصَلَّيْتُ مَعَهُ (أى الظهر) ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ (أى العصر) ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ (أى المغرب) ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ (أى العشاء) يَحْسِبُ بِأَصَابِعِهِ (أى يعقد بأصابعه ، فيعد الصلوات الخمس) خَمْسَ صَلَوَاتٍ . وفى رواية زاد : ثُمَّ قَالَ بِهٰذَا أُمِرْتُ (أى بهذه الصلوات ، فى هذه الأوقات ، أمرنى الله بها » (رواه الخمسة إلا الترمذى)

٢ — وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« أَمَّنِى جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ الْبَيْتِ مَرَّتَيْنِ (أى عند باب الكعبة فى يومين) فَصَلَّى الظُّهْرَ فِى الْأُولَى مِنْهُمَا (أى فى اليوم الأول) حِينَ كَانَ الْفَىْءُ (الظل) مِثْلَ الشِّرَاكِ (هو أحد سيور النعل التى تكون على وجهها ، أى ابتداء صلاة الظهر حين زالت الشمس عن وسط السماء ، وعلامة ذلك ابتداء الظل فى الزيادة بعد نهاية نقصه التى هى وقت الاستواء) ثُمَّ صَلَّى الْعَصْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّ كُلِّ شَىْءٍ مِثْلَهُ (أى ابتداء العصر حين كان ظل كل شىء طوله غير ظل الزوال) ثُمَّ صَلَّى الْمَغْرِبَ حِينَ وَجَبَتِ الشَّمْسُ وَأَفْطَرَ الصَّائِمُ (أى دخل وقت إفطاره ، تأكيد لوجبت الشمس ، أى غاب قرصها كله) ثُمَّ صَلَّى الْعِشَاءَ حِينَ غَابَ الشَّفَقُ (أى الأحمر ، وهو الحمرة التى تظهر فى الأفق الغربى بعد مغيب الشمس) ثُمَّ صَلَّى الْفَجْرَ حِينَ بَرَقَ الْفَجْرُ ، وَحَرُمَ الطَّعَامُ عَلَى الصَّائِمِ (أى ظهر ضوء الفجر) وَصَلَّى الْمَرَّةَ الثَّانِيَةَ (أى فى اليوم الثانى) الظُّهْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّ كُلِّ شَىْءٍ مِثْلَهُ لِوَقْتِ الْعَصْرِ بِالْأَمْسِ ، ثُمَّ صَلَّى الْعَصْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّ كُلِّ شَىْءٍ مِثْلَيْهِ (أى قدره مرتين) ثُمَّ صَلَّى الْمَغْرِبَ لِوَقْتِهِ الْأَوَّلِ (أى حين غابت الشمس) ثُمَّ صَلَّى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ

حِينَ ذَهَبَ ثُلثُ اللَّيلِ ثُمَّ صَلَّى الصُّبحَ حِينَ أَسْفَرَتِ الأَرضُ (أى استنارت بضوء النهار) ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيَّ جِبْرِيلُ فقَالَ : يَا مُحَمَّدُ هٰذَا وَقتُ الأَنبِيَاءِ مِن قَبلِكَ (أى وقت صلاتهم ، ولك فيهم أسوة حسنة) » .

وهذا نص صريح فى أن الصلاة كانت مفروضة على السابقين « وَالْوَقْتُ فِيمَا بَيْنَ هٰذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ » .   (رواه الترمذى وصاحباه)

٣ — وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : سُئِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الصلوات فقال : « وَقْتُ صَلَاةِ الْفَجْرِ مَالَمْ يَطْلُعْ قَرْنُ الشَّمْسِ الْأَوَّلُ (أى وقت يبتدئ من ظهور النور فى الأفق الشرقى ، ويمتد إلى طلوع الشمس ، فإن ظهر الجزء الأول منها الشبيه بالقرن خرج وقت الصبح) .

وَوَقْتُ صَلَاةِ الظُّهْرِ إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ عَنْ بَطْنِ السَّمَاءِ مَالَمْ يَحْضُرِ الْعَصْرُ ، وَوَقْتُ صَلَاةِ الْعَصْرِ مَالَمْ تَصْفَرَّ الشَّمْسُ ، وَيَسْقُطْ قَرْنُهَا الْأَوَّلُ (أى يبتدئ من زيادة الظل على مثله مع ظل الاستواء ، ويمتد إلى مغيب قرن الشمس الأول) .

وَوَقْتُ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ إِنْ غَابَتِ الشَّمْسُ مَالَمْ يَسْقُطِ الشَّفَقُ .

وَوَقْتُ صَلَاةِ الْعِشَاءِ إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ (أى يبتدئ من مغيب الشفق ويمتد إلى نصف الليل بل إلى الفجر) »   (رواه الخمسة إلا البخارى)

كيفية صلاة الصبح

س — كيف تصلى صلاة الصبح ؟

ج — أصلى صلاة الصبح بالكيفية الآتية :

١ — أقف وأرفع يدىَّ بجانب أذنىَّ وأقول فى النفس من غير تلفظ :

نويت أصلى الصبح ركعتين فرضاً علىَّ لله العظيم ، ثم أقول : الله أكبر .

٢ — ثم أقرأ الفاتحة ، وبعض آيات من القرآن الكريم .

٣ — ثم أقول : الله أكبر ، وأركع وأقول وأنا راكع : سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ ثَلَاثاً .

٤ — أرفع رأسى من الركوع وأقول : سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ .

٥ — أكبر الله وأسجد ، وأقول وأنا ساجد : سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى ثَلَاثَ مَرَّاتٍ .

٦ — أرفع رأسى من السجود قائلاً : أَللّٰهُ أَكْبَرُ

٧ — أجلس قليلاً وأكبر للسجود مرةً ثانيةً ، وأقول وأنا ساجد : سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى ثَلَاثَ مَرَّاتٍ .

٨ — أرفع رأسى من السجدة الثانية وأقوم مكبرًا ، هذه هى أعمال الركعة الأولى .

٩ — أقوم للركعة الثانية ، وأقرأ الفاتحة و بعض آيات من القرآن الكريم ، وأفعل كما فعلت فى الركعة الأولى .

١٠ — و بعد السجدة الثانية أجلس ، وأقرأ التشهد ، ثم أسلم يمينًا و يسارًا .

و بذلك تنتهى صلاة الصبح ، وأقرأ عقب صلاة الصبح : اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا ، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا ، وَرِزْقًا طَيِّبًا .

كيفية صلاة الظهر

س ـ كيف تُصلى صلاة الظهر ؟

ج ـ أصلى صلاة الظهر بالكيفية الآتية :

١ — أقف وأرفع يدىّ بجانب أذنىّ وأقول فى نفسى :

نَوَيْتُ أَنْ أُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ فَرْضَ صَلَاةِ الظُّهْرِ لِلّٰهِ الْعَظِيمِ : أَللّٰهُ أَكْبَرُ .

٢ — أقرأ الفاتحة سرًّا و بعض آيات من القرآن الكريم ، ثم أكمل الركعة الأولى مثل ما حصل فى صلاة الصبح .

٣ — أقوم للركعة الثانية فأصليها كالركعة الأولى .

٤ — و بعد السجدة الثانية أجلس ، وأقرأ التشهد إلى (وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ)

٥ — أقوم للركعة الثالثة مكبرًا ، ثم أقرأ الفاتحة فقط سرًّا ، ثم أكمل الركعة الثالثة كالأولى .

٦ — أقوم للركعة الرابعة وأكملها كالثالثة ، و بعد السجدة الثانية أجلس وأقرأ التشهد بتمامه ، ثم أسلم يمينًا ويسارًا .

و بذلك تنتهى الصلاة .

كيفية صلاة العصر

صلاة العصر كصلاة الظهر ؛ إنما ينوى الإنسان قائلاً فى سره : نَوَيْتُ أَنْ أُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ فَرْضَ الْعَصْرِ لِلَّهِ الْعَظِيمِ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَللَّهُ أَكْبَرُ ، والقراءة فيها سرًا لا جهرًا .

كيفية صلاة المغرب

١ — أقف وأنوى قائلاً فى سرّى : نَوَيْتُ أَنْ أُصَلِّيَ ثَلَاثَ رَكَعَاتٍ فَرْضَ الْمَغْرِبِ لِلَّهِ الْعَظِيمِ ، ثم أقول : أَللَّهُ أَكْبَرُ .

٢ — ثم أتمم الركعة الأولى والثانية كما صليتهما فى الظهر ، إلا أن قراءة الفاتحة تكون جهرًا فى الركعتين .

٣ — ثم أجلس فأقرأ التشهد إلى (عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ) .

٤ — ثم أقوم للركعة الثالثة وأصليها كما صليت الرابعة من الظهر ، وأجلس وأتشهد وأسلم ، وبذلك تنتهى صلاة المغرب .

كيفية صلاة العشاء

١ — أنوى الصلاة قائلاً فى سرّى : نَوَيْتُ أَنْ أُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ فَرْضَ الْعِشَاءِ لِلَّهِ الْعَظِيمِ ، ثم أقول : أَللَّهُ أَكْبَرُ ، ثم أقرأ جهرًا الفاتحة وبعض آيات من القرآن الكريم ، أوسورة صغيرة فى الركعة الأولى والثانية ، أما فى الركعتين الثالثة والرابعة فأقرأ الفاتحة فقط ، وأتمم الصلاة كصلاة الظهر .

صلاة المريض العاجز عن القيام

المريض العاجز عن القيام فى الفرض يصلى جالساً ، فإذا عجز عن الجلوس صلى مضطجعاً أما النفل فيجوز أن يصليه القادر على القيام قاعدًا أومضطجعاً .

صلاة الجماعة وكيفيتها

صلاة الجماعة فرض كفاية على الرجال فى الفرائض ، أما فى صلاة الجمعة فإنها فرض عين ، وأجمعوا على أن صلاة الجماعة مشروعة ، وأنه يجب إظهارها فى الناس ، فإن امتنعوا كلهم منها قوتلوا عليها ، وأجمعوا على أن أقل الجمع الذى تنعقد به صلاة الجماعة فى الفرض (غير الجمعة) اثنان : إمام ومأموم ، والأفضل أن يكون قائماً عن يمينه .

وشروط صلاة الجماعة هى :

١ — أن ينوى المأموم الاقتداء بالإمام .

٢ — أن يكون عالماً بصلاة الإمام ولو بواسطة.

٣ — أن لا يتقدم على الإمام .

٤ — أن يقرب منه فى غير المسجد ، وألا يحول بينهما حائل .

وكيفيتها : أن يتقدم الإمام ، ويصطفّ المصلون وراءه صفوفاً منتظمة ، وتقام الصلاة ، فينوى الإمام الصلاة جماعة ، ويكبر تكبيرة الإحرام ، وعند ذلك ينوى الذين وراءه الصلاة والاقتداء به ، ويكبرون تكبيرة الإحرام ، ثم يتم الإمام الصلاة ، وهم تابعون له فى أقواله وأفعاله ، إلا فى القراءة فلا يقرءون ، والذى يصلى وراء الإمام يقال له : المأموم ، ولا يؤخر الإنسان الدخول فى الصلاة مع الإمام إذا أمكنه أن يدرك أى جزء منها ، ويكره تكرار الجماعة فى المسجد الواحد ، بأن يصلى فيه جماعة بعد أخرى ، وفيه تفصيل فى المذاهب مذكور فى كتاب الفقه على المذاهب الأربعة للمرحوم الجزيرى

الأحاديث الواردة فى تسوية الصفوف عند صلاة الجماعة

قال صلى الله عليه وسلم :

« أَلاَ تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا ؟ فَقُلْنَا يَارَسُولَ اللهِ : وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا ؟ قَالَ : يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُولَى وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ » .

وقال صلى الله عليه وسلم :

« أَقِيمُوا الصُّفُوفَ ، وَحَاذُوا الْمَنَاكِبَ ، وَسُدُّوا الْخَلَلَ ، وَلِينُوا بِأَيْدِي إِخْوَانِكُمْ ،

وَلاَ تَذَرُوا فُرُجَاتِ الشَّيْطَانِ ، وَمَنْ وَصَلَ صَفًّا وَصَلَهُ اللهُ ، وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ اللهُ »

وقال صلى الله عليه وسلم :

« سَوُّوا صفُوفَكُمْ فَإِنَّ تَسْوِيةَ الصُّفُوفِ مِنْ تَمَامِ الصَّلاَةِ » .

وعن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« أقِيمُوا صُفُوفَكُمْ فَإنِّى أرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِى ، وَكَانَ أحَدُنَا يَلْزَقُ مَنْكِبَهُ بِمَنْكِبِ صَاحِبِهِ ، وَقَدَمَهُ بِقَدَمِهِ » . (رواه البخارى)

فضل وحكمة مشروعية صلاة الجماعة

صلاة الجماعة أفضل من صلاة الإنسان وحده ، وثوابها عظيم لقوله صلى الله عليه وسلم : « صَلاَةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلاَةَ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً » وقوله أيضاً : « صَلاَةُ الرَّجُلِ فِي الْجَمَاعَةِ تَضْعُفُ عَلَى صَلاَتِهِ فى بَيْتِهِ وَفى سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا » .

وحكمتها هى :

١ — إن فى صلاة الجماعة ، واتباع المصلين لإمامهم فى جميع أعمال الصلاة تمرين النفوس على الطاعة ، والانقياد إلى الرئيس ، كما ترى رؤساء الجنود يمرنونهم على أعمال يعلمون أنهم لا يمكنهم مراعاتها وقت الحرب ، وإنما القصد منها ألفة نفوس الجند للطاعة ، والانقياد لأمر الرئيس .

٢ — تعويدهم على النظام ؛ لأنه لا يجوز للمأموم أن يسبق إمامه ، ولا يجوز أن يتأخر عنه كثيراً ، بل لابد أن يكون تابعاً له فى أفعاله ؛ لما فيها من تسوية الصفوف ، واتجاه الجميع إلى جهة واحدة وغرض واحد .

٣ — الإرشاد إلى المساواة ؛ لأن الغنى يقف بجانب الفقير لافرق بينهما .

٤ — تعليم التواضع ؛ لأن المأموم أيا كان غناء يتبع الإمام كيف كان حاله .

٥ — معرفة أحوال الناس ؛ لأنهم عند ما يجتمعون للصلاة يتحادثون فى أحوالهم ، فيساعد بعضهم بعضاً ، فبذلك تتألف القلوب وتتعارف ، وتتحابب وتتعاون .

ولما فى صلاة الجماعة من المزايا التى تعود على الفرد والأمة كانت عند الله أفضل من صلاة المنفرد بسبع وعسرين درجة .

٦ – ومن حكمة صلاة الجماعة أنه إذا كان الإمام رجلاً صالحاً تقيًا غفر الله له وللمؤتمين به ببركة صلاحه وتقواه ، وإن كان ضعيف الإيمان فقد يوجد من بين المصلين رجل طيب فيغفر الله له ولهم ببركته .

صـــلاة المسبوق

س – ماهى صلاة المسبوق ؟

ج – إذا جاء المصلى ، ووجد الإمام يصلى ، وفاتته ركعة أو أكثر من الصلاة مع الإمام سمى مسبوقاً ، ووجب على المصلى أن يتم صلاته بعد أن يسلم الإمام .

س – ما كيفية تتميم صلاة المسبوق ؟

ج – إذا أدرك المصلى الإمام فى الركعة الثانية من صلاة ثنائية ، فإنه يتابع إمامه حتى يسلم ثم يقوم هو بلا تسليم ، ويصلى الركعة الثانية ، ويتمم صلاته كما لو كان وحده ؛ وإن أدركه فى الثانية من صلاة رباعية يتابع الإمام حتى يسلم ، ثم يقوم هو بلا تسليم ويصلى الرابعة بفاتحة وسورة ، ثم يتشهد ويسلم ؛ وإن أدركه فى الثالثة يقوم بعد سلام الإمام فيأتى بالركعتين الباقيتين يقرأ فى كل منهما الفاتحة والسورة، ثم يتشهد ويسلم ؛ وإن أدركه فى الرابعة يقوم بعد سلام الإمام فيأتى بركعة يقرأ فيها الفاتحة والسورة ، ثم يقرأ التشهد إلى (مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُه) ، ثم يقوم فيأتى بالثالثة ويقرأ فيها الفاتحة وسورة أيضاً ، ثم يقوم إلى الرابعة فيصليها بفاتحة فقط ثم يتشهد ويسلم ، وإن أدركه فى الركعة الثانية من صلاة ثلاثية قام بعد سلام الإمام ، وصلى الركعة الثالثة بفاتحة وسورة وتشهد وسلم ، وإن أدركه فى الثالثة قام بعد سلام الإمام وصلى الثانية بفاتحة وسورة أيضا، ثم تشهد إلى (مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ) ، وقام إلى الثالثة وصلاها بفاتحة وسورة ، ثم تشهد وسلم .

وإدراك الركعة يكون بإدراك ركوعها مع الإمام ، فلو اقتدى به بعد الركوع لا يكون مدركاً للركعة ، ووجب عليه متابعته فيها ، ولا يعتد بما فعل منها ، وكأنه لم يكن .

الأوقات التى تكره فيها الصلاة

وتكره الصلاة التى لاسبب لها كراهة تحريم فى أربعة أوقات :

١ — بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس .

٢ — من طلوعها إلى أن ترتفع قدر رمح فى رأى العين :

٣ — وقت استوائها حتى تزول عن وسط السماء .

٤ — بعد صلاة العصر حتى تغرب الشمس .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « شَهِدَ عِنْدِى رِجَالٌ مَرْضِيُّونَ وَأَرْضَاهُمْ عِنْدِى عُمَرُ أَنَّ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم نَهَى عَنِ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصُّبْحِ حَتَّى تَشْرُقَ الشَّمْسُ وَبَعْدَ الْعَصْرِ حَتَّى تَغْرُبَ » . (رواه الخمسة)

وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لَا تَحَرَّوْا بِصَلَاتِكُمْ طُلُوعَ الشَّمْسِ وَلَا غُرُوبَهَا فَإِنَّهَا تَطْلُعُ بِقَرْنَىِ الشَّيْطَانِ » . (رواه الشيخان)

الحكمة فى أن الصلاة تكره فى بعض الاوقات

ورد أن المشركين كانوا يؤدّون لمعبوداتهم الصلاة فى هده الاوقات التى تكره فيها الصلاة ، فالشارع الحكيم أراد أن يؤدب نفوسنا ، ويزيد فى كمالها بعدم تشبهها بأهل الشرك فى عباداتهم حتى يكره للإنسان أن يصلى وأمامه صورة مجسمة فراراً من الفتنة ، والتشبه بالوثنيين .

ولربَّ قائل يقول : لماذا كرهت الصلاة فى هذه الاوقات المخصوصة ، ولم تكره فى البيت الحرام إذا صلاها فى هذه الأوقات المكروهة نفسها ؟

فنقول له : إن هذه مزية امتاز بها البيت الحرام ؛ لأن المسلم عند وجوده فيه يكون أبعد عن التشبه بالمشركين والمجوس ، ولأنه موجود فى أول بيت وضع للناس ، وهذه حكمة عظيمة .

روى ان النبى صلى الله عليه وسلم : « نَهَى عَنِ الصَّلَاةِ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَالَ إِنَّهَا تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَىِ الشَّيْطَانِ يُزَيِّنُهَا فِى عَيْنِ مَنْ يَعْبُدُهَا حَتَّى يَسْجُدَ لَهَا ، فَإِذَا

ارْتَفَعَتْ فَارَقَهَا ، فَإِذَا كَانَتْ عِنْدَ قَائِمِ الظَّهِيرَةِ فَارَقَهَا ، فَإِذَا غَرَبَتْ فَارَقَهَا فَلاَ تُصَلُّوا فِى هٰذِهِ الْأَوْقَاتِ » .

فالنبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة فى هذه الأوقات من غير تفصيل ، فهو على العموم والإطلاق ، ونبه على معنى النهى ، وهو طلوع الشمس بين قرنى الشيطان ، وذلك لأن عبدة الشمس يعبدونها ويسجدون لها عند الطلوع تحيةً لها ، وعند الزوال لاستتمام علوها ، وعند الغروب وداعاً لها ، فيجىء الشيطان فيجعل الشمس بين قرنيه ليقع سجودهم نحو الشمس له ، فنهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فى هذه الأوقات لئلا يقع التشبه بعبدة الشمس .

صلاة الجمعة

صلاة الجمعة فرض عين ثبت بالكتاب ، والسنة ، والإجماع . قال الله تعالى :

(يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِى الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) .

(الجمعة)

فهى واجبة على كل حرّ مكلف مقيم بالمصر أو توابعه ، قادرٍ على تاديتها بلا حرج ؛ ويجب السعى لصلاتها متى نودى إليها بالأذان فى وقت الظهر ، ويجب ترك البيع والشراء ، وهى ركعتان ، وفرض مستقل ، وليست ظهراً مقصورة ، وسننها القبلية والبعدية كالظهر ، ويشترط فى صحتها عند الشافعى إقامتها فى أبنية مجتمعةٍ ، وبأربعين مسلماً حرًّا ذكرًا مستوطناً بمحل إقامتها ، ووقوعها جماعةً فى وقت ظهر فى الركعة الأولى ، وتقديم خطبتين قبل صلاتها ، بأن يخطب الناس خطيب يذكرهم بما ينفعهم فى دينهم ودنياهم .

وتجزئ المرأةَ والعبد والمسافر عن الظهر من غير أن تكون واجبة عليهم لقوله صلى الله عليه وسلم :

« الْجُمُعَةُ حَقٌّ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ إِلاَّ أَرْبَعَةً : عَبْدًا مَمْلُوكاً ، أَوِ امْرَأَةً ، أَوْ صَبِيًّا أَوْ مَرِيضاً » .

ومن دخل والإمام يخطب يوم الجمعة صلى ركعتين خفيفتين قبل أن يجلس ، ومتى جلس لايجوز له أن يبتدئ صلاةً مطلقاً ، فإذا ابتدأها بطلت ؛ ويسن الإنصات وقت سماع الخطبة للانتفاع بما فيها من العبر والعظات ، والغسل فى يومها ، وإزالة الروائح الكريهة والتطيب ، ولبس النظيف من الثياب والبياض أفضل ، كما يسنّ للخطيب أن يجلس على المنبر قبل الخطبة ، وأن يؤذن المؤذن بعد جلوسه على المنبر ، ويسنّ أن يخفف الخطيب الخطبة ، ويجعلها ملائمةً لحال من يخطبهم ومناسبة لمقتضى الحال والوقت ، ويجب على المصلين أن يصغوا لها ، ويتركوا الكلام والصلاة والقراءة ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ فَلَا صَلَاةَ وَلَا كَلَامَ » .

وعند مالك : تنعقد بحضور اثنى عشر رجلاً لصلاتها ، وسماع الخطبتين فى المستوطنين بمحلها ، وأن يبقوا مع الإمام من أول الخطبة إلى السلام ، ويكره تخطى الرقاب قبل جلوس الخطيب على المنبر ؛ أما بعد الجلوس فحرام ، ويكره ترك العمل يوم الجمعة ، والتنفل عند الأذان الأول لجالس ، ويحرم السفر عند الزوال ، ويكره قبله ، والكلام حال الخطبتين ولو لم يسمع ، والسلام من داخل أوجالس على أحد ، ورده ولو بالإشارة ، وتشميت عاطس .

وعند أحمد : من شروط صحتها الوقت ، وهو من أول وقت العيد إلى آخر وقت الظهر ، وتجب بالزوال وبعده أفضل ، وحضور أربعين ، فإن انفضوا قبل إتمامها استأنفوا ظهراً إن خرج وقتها ، ويحرم الكلام والإمام يخطب .

وأقل السنة الراتبة بعدها ركعتان ، وأكثرها ست ، وهو مروى عن علىّ كرم الله وجهه ، وقد رخص الله سبحانه وتعالى لمن لم يمكنه إدراكها بسبب البعد ، أو ماشا كل ذلك ، أن يصليها ظهراً ؛ ومن هنا تعلم أن الدين الإسلامى الحنيف دين يسر لاعسر .

منع تخطى الرقاب يوم الجمعة والكلام وقت الخطبة

جَاءَ رَجُلٌ يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : «اُجْلِسْ فَقَدْ آذَيْتَ وَآنَيْتَ» أى آذيت الناس بالتخطى ، وآنيت : أخرت المجيء .

وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال :

« بَيْنَمَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَخْطُبُ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ حَتَّى جَلَسَ قَرِيباً مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، فَلَمَّا قَضَىٰ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صَلَاتَهُ قَالَ : مَا مَنَعَكَ يَا فُلَانُ أَنْ تَجْمَعَ مَعَنَا ؟ قَالَ يَارسولَ الله : قَدْ حَرَصْتُ أَنْ أَضَعَ نَفْسِي بِالْمَكَانِ الَّذِي تَرَىٰ . قَالَ : قَدْ رَأَيْتُكَ تَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ وَتُؤْذِيهِمْ ، مَنْ آذَىٰ مُسْلِماً فَقَدْ آذَانِي ، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَىٰ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ » .

أى فعل ما يكرهه (رواه الطبرانى)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنَّ النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَنْصِتْ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ ، فَقَدْ لَغَوْتَ » أى أحدثت لغواً وتهويشاً .

(رواه البخارى ومسلم)

حكمة مشروعية صلاة الجمعة

من المعلوم أنه يجتمع فى صلاة الجمعة من الناس عدد أكثر من العدد الذى يجتمع فى باقى الصلوات اليومية ، ويجتمع فيها أيضاً بعض الذين لا تمكّنهم أعمالهم من معرفة أخبار الأمة ، أو أحكام الدين ، فيذكر الخطيب للحاضرين من الحوادث التى يهم المسلمين الأطلاع عليها فى دينهم ودنياهم ، وهذه مزية أخرىٰ ، وفائدة لا توجد فى غيرها .

فحكمتها اجتماع المسلمين فى وقت واحد ، ليتعارفوا ويتآلفوا ، فيعملوا على ما يرفع شأنهم ، ويصلح حالهم ، وفيها تهذيب النفوس لما فيها من المزايا الخلقية ، كطاعة الرؤساء والتواضع والنظام ؛ وكان يوم الجمعة عند المسلمين فى العهد السابق يوم عيد يفرحون فيه بلقاء بعضهم بعضاً ، فيقفون على أحوالهم ، فمن كان منهم مريضاً يعودونه ، ومن كان محزوناً يواسونه ، ومن كان مكروباً فرّجوا عنه كربه ، وكانوا يتجملون فيه بأحسن ما عندهم من الملابس ، واستعمال الطيب .

الترغيب فى صلاة الجمعة

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خَيْرُ يَوْمٍ طلعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ (يوم الجمعة) فِيهِ خُلِقَ آدَمُ ، وَفِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنهَا ، وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ إِلاَّ فِى يَوْمِ جُمُعَةٍ » .

وعنه رضى الله عنه : « أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ذَكَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ : فِيهَا سَاعَةٌ لاَ يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّى يَسْأَلُ اللهَ شَيْئاً إلا أَعْطَاهُ ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا » . (رواه البخارى ومسلم)

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ تَرَكَ ثَلاَثَ جُمَعٍ تَهَاوُناً بِهَا طَبَعَ اللهُ عَلَى قَلْبِهِ » .
(عن ابن عمر)

التبكير إلى الجمعة

والغسل والتطيب ، ولبس الصالح من الثياب

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ هٰذَا يَوْمُ عِيدٍ جَعَلَهُ اللهُ لِلْمُسْلِمِينَ ، فَمَنْ جَاءَ الْجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ ، وَإِنْ كَانَ طِيبٌ فَلْيَمَسَّ مِنْهُ وَعَلَيْكُمْ بِالسِّوَاكِ » . (رواه ابن ماجه)

عن أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَمَسَّ مِنْ طِيبٍ إِنْ كَانَ عِنْدَهُ ، وَلَبِسَ مِنْ أَحْسَنِ الثِّيَابِ ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى يَأْتِىَ الْمَسْجِدَ فَرَكَعَ مَا بَدَا لَهُ وَلَمْ يُؤْذِ أَحَداً ، ثُمَّ أَنْصَتَ حَتَّى يُصَلِّىَ كَانَ كَفَّارَةً لِمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الأُخْرَى » . (رواه أحمد)

خطبة منبرية فى الصلاة لفضيلة الأستاذ السيد محمد الببلاوى

نقيب السادة الأشراف بالديار المصرية

وخطيب المسجد الحسينى

الحمد لله الذى جعل الصلاة عماد الدين ، ورفع درجات من تأدب بآداب الإسلام ، ووقفه عند حدوده ، وأعدّ له جميل نعمه فى دنياه وآخرته ، وأشهد أن لا إله إلا الله أجزل أجر من عبده حق عبادته ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله خير قائم بواجب حقه .

اللّهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون . فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرّة أعين جزاء بما كانوا يعملون .

قال تعالى : (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ) .

عباد الله — الصلاة عماد الدين ، من أقامها فقد أقام الدين ، ومن أضاعها فقد أضاع دينه ، فاتقوا الله وأدّوها كما أمركم ربكم ، وإياكم والتفريط فيها ، فان الله مجاز من أضاعها أو فرّط فيها شرّ الجزاء ، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، إن الله تعالى لم يأمرنا بها عبثاً ، ولم يطالبنا بها لغير حكمة ، تعالى الله عن ذلك علوّا كبيراً ؛ بل أمرنا بالصـــلاة لما فيها من الأسرار .

فن أسرارها أنها تحول بين المرء وبين معاصى ربه .

قال تعالى : (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)

فإن الإنسان إذا لاحظ أنه يقف بين يدى خالقه ورازقه خمس مرات فى اليوم والليلة ، يقرّ بربوبيته ، ويعترف بوحدانيته ، ويطلب منه الهداية والإعانة على الخير ، فلا شك تمنعه هذه المراقبة من الحوم حول المعاصى ، فضلاً عن الوقوع فيها .

ومن أسرار الصلاة ، أنها تكسب الإنسان التواضع وعدم التكبر ، فإن الله تعالى سوّى فى موقف الصلاة بين الغنى والفقير ، فترى الغنى الواسع الثروة ، الكثير الخدم والحشم ، واقفاً وبجانبه البائس الفقير الذى لا يملك قوت يومه ، كل يناجى ربه ،

ويطلب منه الهداية والإعانة ، فإذا رأى ذلك الغنى صغرت نفسه فى عينه ، وعلم أنه وذلك الفقير عبيدٌ لله تعالى ، إن شاء رحمهم ، وإن شاء عذبهم ، وفى ذلك كمال للنفس ، وتهذيب للخلق ، وتوثيق لعرا الإخاء بين الناس ، وذلك من أكبر أسباب العمران ، واستتباب الأمن بين الناس .

ومن أسرار الصلاة : أنها تعوّد الإنسان الحياء والوقار ، وهما كذلك من أركان السعادة فى الدنيا والآخرة ، فإن المصلى يلزمه أن يحفظ نفسه فى صلاته من كل ما يشينها ويعيبها ، فتراه طاهر الثوب ، طاهر البدن ، طاهر المكان ، حسن الشكل ، لا ترى منه عضواً بارزاً ، ولا عورةً باديةً ، وبذلك تعتاد النفس التحلى بالكمال ، ولزوم الحشمة والوقار ، فيبلغ الإنسان بذلك الشرف الأعلى ، وينال درجات المقربين .

وللصلاة أسرار كثيرة ، وحكم صحيحة ، ولو لم يكن لها من الأسرار سوى ما سمعتم ، لكان ذلك كافياً للمحافظة عليها ، وعدم التفريط فيها ، فحافظوا عليها تحظوا بالسعادة الأبدية ، ورضوان الله فى دار النعيم .

نسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعاً للإتيان بالصلاة كما أمرنا ربنا ، وكما يحبه الله ورسوله ، ولا يجعلنا ممن قال فيهم :

(فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ . الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ . الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ) .

الحديث

قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللهِ إِلَّا بُعْدًا » .

خطبة فى حكمة الصلاة لفضيلة الأستاذ الشيخ حمزة حسن الصالحى

خطيب وإمام مسجد فؤاد الأول

بمصر الجديدة

الحمد لله الذى خلق الإنسان وكلفه بالطاعة ، ووفاه على ذلك أجره ، وأشهد أن لا إله إلا الله القائل : (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله سيد العابدين الذى قال : « اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ » اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الذين عبدوا الله حق العبادة ، فأسبغ عليهم نعمه وأعدّ لهم جنته .

أما بعد ، فياعباد الله : بعض النفوس بأصل خلقتها تميل إلى الشر والعصيان ، فإذا ترك لها الحبل على غاربه أهلكت الحرث والنسل ، وقوّضت عماد العدل ؛ ولكن الله جلت قدرته جعل لها حدًّا معلوماً ، وكلف الإنسان بالصلاة لأنها محور السعادة فى الدارين ، وأساس الدين ، كما ورد فى الأثر الصحيح : « الصَّلَاةُ عِمَادُ الدِّينِ ، فَمَنْ أَقَامَهَا أَقَامَ الدِّينَ وَمَنْ هَدَمَهَا هَدَمَ الدِّينَ » فمن لاصلاة له لاذمة له ولا دين ، وصلاة الإنسان تنهاه عن ارتكاب المعاصى كما قال تعالى : (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) الآية ، فإذا وقف العبد بين يدى ربه ، ورفع يديه بالتكبير ، إشارة إلى أنه ترك الدنيا وما فيها وراء ظهره ، وأقبل بقلبه على ربه ، وقال الحمد لله رب العالمين يقول الله تعالى حمدنى عبدى ، وإذا قال الرحمن الرحيم ، قال الله تعالى أثنى علىّ عبدى ، و إذا قال مالك يوم الدين ، قال مجدنى عبدى ، و إذا قال إياك نعبد و إياك نستعين ، قال هذا بينى و بين عبدى ولعبدى ماسأل ، فإذا قال اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، قال هذا لعبدى ولعبدى ما سأل ، ثم يفيض الله على قلبه نوراً يسرى منه إلى جميع الأعضاء فلا يصدر عنه إلا النور ، فلسانه لايذكر إلا خيراً ، وقلبه لا يغفل عن ذكر الله لاليلاً ولا نهاراً ، وجوارحه لايصدر عنها إلا مايحبه الله ويرضى رسوله ، فيفوز فوزاً عظيماً . وقد روى أن داود عليه السلام سأل ربه فقال : يارب من يسكن بيتك وتقبل صلاته ؟ قال : ياداود إن من يسكن بيتى وأقبل صلاته ، من تواضع لعظمتى ، وقطع

نهاره فى ذكرى ، وكفَّ عن الشهوات من أجلى ، فهذا هو الذى يطعم الجائع ، ويؤوى الغريب ، ويرحم المصاب ، هذا الذى إن دعانى أجبته ، وإن سألنى أعطيته ، وإن تاب إلىّ قبلته ؛ وكل إنسان لايخلو من ارتكاب الذنوب فى غالب الأوقات تبعاً لهوى نفسه الأمارة بالسوء ، ولكنه إذا حافظ على صلاته كفر الله سيئاته ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم شبه الصلوات الخمس بنهر يغتسل فيه الإنسان ليزيل أوساخه . فقال : « أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ ؟ قَالُوا لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ ، قَالَ فَكَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الخَطَايَا » وقال : « وَمَنْ تَوَضَّأَ فَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ فَغَسَلَ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ ، وَمَسَحَ عَلَى رَأْسِهِ أُذُنَيْهِ ، ثُمَّ قَامَ إِلَى صَلَاةٍ مَفْرُوضَةٍ غَفَرَ اللهُ لَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَا مَشَتْ إِلَيْهِ رِجْلَاهُ قَبَضَتْ عَلَيْهِ يَدَاهُ ، وَسَمِعَتْ إِلَيْهِ أُذُنَاهُ ، وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ عَيْنَاهُ ، وَحَدَّثَ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ سُوءٍ » لأن الله تعالى يقول : (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ . وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)

وورد أن عثمان رضى الله عنه توضأ ثم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ وضوئى هذا ثم قال : « مَنْ تَوَضَّأَ وُضُوئِى هَـــذَا ثُمَّ قَامَ يُصَلِّى صَلَاةَ الظُّهْرِ غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الصُّبْحِ ، ثُمَّ صَلَّى الْعَصْرَ غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الظُّهْرِ ، ثُمَّ صَلَّى الْمَغْرِبَ غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْعَصْرِ ، ثُمَّ صَلَّى الْعِشَاءَ غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَغْرِبِ ، ثُمَّ لَعَلَّهُ يَبِيتُ يَتَمَرَّغُ لَيْلَتَهُ ، ثُمَّ إِنْ قَامَ فَتَوَضَّأَ فَصَلَّى الصُّبْحَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ، وَهُنَّ الْحَسَنَاتُ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ : قَالُوا هَذِهِ الْحَسَنَاتُ فَمَا الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ يَا عُثْمَانُ قَالَ : هِيَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَسُبْحَانَ اللهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَاللهُ أَكْبَرُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ » .

وإن أول ما افترضه الله على الناس من دينهم الصلاة ، وآخر مايبقى الصلاة ، وآخر ما يحاسب به الصلاة ، لذلك حثّ المسلمين على المحافظة عليها كثيراً فقال : (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ) وأمر رسوله بذلك فقال :

(وَأْمُرْ أَهلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا) الآية، ومدح اسماعيل لهذا فقال (وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نبياً. وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا) وقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم المسلمين بأن يعوّدوا أبناءهم على الصلاة من الصغر فلا يتركوها فى الكبر فقال: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ» كما قال صلى الله عليه وسلم: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِى صَلَاةِ الصُّبْحِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِى؟ فيقولون تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَآتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ».

الحديث

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن أفضل الأعمال، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصَّلَاةُ، قَالَ ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ ثُمَّ الصَّلَاةُ، قَالَ ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ ثُمَّ الصَّلَاةُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ الْجِهَادُ فِى سَبِيلِ اللهِ».

صلاة القصر

صلاة القصر، أو صلاة المسافر. قصر الصلاة الرباعية وهى: الظهر، والعصر، والعشاء ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، قال الله تعالى:

(وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا). (النساء)

وقصر الصلاة واجب عند أبى حنيفة، وسنة مؤكدة عند مالك، ومباح عند أحمد، وجائز عند الشافعى، والإتمام أفضل من القصر إلا إذا بلغ السفر ثلاث مراحل، فإن القصر أفضل، وعند مالك الأفضل القصر متى كان مأذوناً فيه.

فمن نوى سفراً مباحاً مسافة ثلاثة أيام عند أبى حنيفة، ويومين أو يوم وليلة عند

الثلاثة له أن يقصر صلاته الرباعية ركعتين فقط ، إلا أن السفر المباح ليس بشرط عند أبى حنيفة ، كما أن القصر ليس بواجب عند غيره .

فيقصر إذا فارق بيوت قريته العامرة سواء كانت داخل السور أوخارجه ، ولا يعيد من قصر ، ثم رجع قبل استكمال المسافة ، ومن سافر أقلّ من ذلك أتم الصلاة

ولا يقصر إذا كانت المسافة ليست مسافة قصر إلا أهل مكة والمحصب ومنى والمزدلفة إن خرجوا من أوطانهم إلى عرفة بقصد الحج فإنهم يقصرون ذهاباً وإياباً عند مالك للسنة ، وعند أبى حنيفة والشافعى مسافة القصر شرط للقصر على الإطلاق .

وعند أحمد لايقصر الصلاة إلا من نوى قطع مسافة القصر مطلقاً .

وقيد الفقهاء مسافة القصر (بأربعة برد) وهى عبارة عن سير يوم وليلة ، أو يومين معتدلين بسير الإبل المثقلة بالأحمال ودبيب الأقدام .

وليس على المسافر أن يسير كل اليوم من الفجر إلى الليل ، بل إلى الزوال سيراً وسطاً بسير الأقدام والإبل فى البر ، وباعتدال الريح فى البحر مع مراعاة الاستراحات المعتادة ، كالأكل والشرب والوضوء والصلاة ونحوها .

ولو قطع المسافر تلك المسافة فى بضع ساعات بواسطة مركب بخارى ، أو طيارة أو قطار قصر صلاته أيضاً ، ومسافة القصر تعادل ١٠٢ كيلومتراً ، كالمسافة بين مصر ومحلة روح مثلاً ، و بين محلة روح ودمياط ، و بين كفر الزيات والاسكندرية ، و بين انشاص والمنصورة ، و بين المنيا ومنفلوط ، و بين منفلوط والمراغة .

حكمة صلاة القصر : إن الشارع الحكيم شرع لنا صلاة القصر فى السفر لحكمة منه أرادها لمصلحة المسلمين ، وذلك أن الإنسان إذا كان مسافراً ، فهو معرّض للأخطار ، ووعثاء الأسفار ، إذ يكون دائمًا مشغول البال كما هو معلوم لدى من كابد عناء الأسفار ومشقتها ، حتى قالوا : إن السفر قطعة من العذاب . وقال بعضهم: العذاب قطعة من السفر.

صلاة الجمع للمسافر

يجوز للمسافر أن يجمع بين صلاة الظهر والعصر ، و بين المغرب والعشاء تقديماً وتأخيراً .

وجمع الصلاتين المفروضتين المشتركتين فى الوقت رخصة للمسافر فى البر دون البحر

عند مالك ، وعند الثلاثة لافرق بين البر والبحر ، ولا اشتراك عندهم .

كما أن جواز الجمع عندهم مشروط بمسافة القصر ، وجوّز مالك الجمع ، ولو لم تكن المسافة مسافة قصر ، وتجب نية الجمع عند الأولى من الصلاتين المشتركتين ويستمر للثانية .

والجمع نوعان : جمع تقديم ، وجمع تأخير ، وليس لمن يريد الجمع أن يتنفل بين الفرضين ولابعدهما عند أبى حنيفة ومالك ، وعند الشافعى يجوز التنفل بعدهما ، كما أنه يجوز فى جمع التأخير فقط التنفل بينهما ، وعند أحمد له أن يفعل سنة الظهر بعد العصر المجموعة ، وأن يصلى بعد العشاء المجموعة مع المغرب ماشاء ، وله أن يتنفل بين الفرضين فى جمع التأخير ، وحكم الجمع الإباحة مطلقاً إلا فى جمعى عَرفة ومزدلفة فإنه فيهما سنة ، ويؤذن ويقيم لكل منهما ، ويصليهما بلا فصل بينهما عند مالك ، وعند أحمد يؤذن للأولى فقط مطلقاً ، وعند أبى حنيفة يؤذن للأولى ، ويقام لكل منهما فى جمع التقديم ، ويؤذن ويقام للأولى فى جمع التأخير ، وعند الشافعى يؤذن للأولى فقط ، ويقام لكل منهما ، ويسنّ للحاج أن يجمع الظهر مع العصر جمع تقديم بعرفة ، وأن يجمع المغرب والعشاء جمع تأخير بمزدلفة بعد الإفاضة من عرفات .

والجماعة شرط فى جمع التقديم بعَرَفة فقط عند أبى حنيفة ، وليست شرطاً عند مالك وأحمد مطلقاً ، وعند الشافعى ليست شرطاً بل المدار عنده على مسافة القصر ، وكل صلاة كانت الجماعة شرطاً لصحتها كانت نية الإمامة شرطاً فيها كالجمعة ، وليس بشرط عند مالك ، ويبطل الجمع بصلاة راتبة بين الصلاتين المجموعتين .

وشرط جمع التقديم الترتيب بأن يبدأ بالظهر قبل العصر ، والولاء والسفر ، وبقاء وقت الأولى يقيناً إلى تمام الثانية .

وشرط جمع التأخير نية الجمع فى الأولى منهما ، ودوام السفر إلى تمامهما .

ويجوز للمقيم جمع التقديم بسبب المطر فيجوز الجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء فى وقت الأولى منهما .

ولا يجوز أن يجمع بالمطر جمع تأخير عند الشافعى ومالك ، وعند أحمد لايباح الجمع للمطر إلا بين العشاءين تقديماً وتأخيراً ، وعند أبى حنيفة لاجمع للمطر مطلقاً .

ويستحب لمن أراد الخروج للسفر أن يذهب إلى إخوانه يسلم عليهم ويودعهم ويسألهم الدعاء، وأن يودعوه ويدعو له بما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو :
« زَوَّدَكَ ٱللهُ التَّقْوَىٰ ، وَوَقَاكَ ٱلرَّدَىٰ ، وَيَسَّرَكَ لِلْخَيْرِ حَيْثُمَا كُنْتَ » .

صـــلاة التطوع

صلاة التطوع : هى مايطلب فعلها من المكلف زيادةً على المكتوبة طلباً غير جازم، وهى إما أن تكون غير تابعة للصلاة المكتوبة : كصلاة العيدين، والاستسقاء، والكسوف، والخسوف، والتراويح، وسيأتى الكلام عليها ؛ وإما أن تكون تابعة للصلاة المكتوبة : كالنوافل القبلية والبعدية ؛ فأما التابعة للصلاة المكتوبة فمنها ماهو مسنون، وما هو مندوب، وماهو رغيبة ؛ وأما صلاة التطوع التى ليست تابعة للمكتوبة، فمنها صـــلاة الضحى، وتحية المسجد، وهى مفصلة ومشروحة جميعها فى كتاب الفقه على المذاهب الأربعة. ولنقتصر هنا على ذكر النوافل .

النـــوافل

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتقرب إلى ربه بصلوات زائدة على الصلوات المفروضة والواجبة، وهذه الصلوات الزائدة تسمى (النوافل) وكان يواظب على بعضها، ويترك بعضها الآخر أحياناً، فمن النوافل التى واظب عليها : ركعتان قبل الصبح، وركعتان بعد الظهر، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء، وأربع ركعات قبل الظهر، وأربع ركعات قبل الجمعة . ومن النوافل التى كان يتركها أحياناً : أربع ركعات قبل العصر، وأربع ركعات قبل العشاء، وأربع ركعات بعدها، وست ركعات بعد المغرب ؛ وتحية المسجد، وهى ركعتان بعد دخوله المسجد، فمن صلى هذه النوافل تقرباً إلى ربه، واقتداء برسوله كان له عظيم الثواب، ومن تركها فلا عقاب عليه .

الحكمة فى صلاة النافلة

سنّ الشارع الحكيم صلاة النافلة قبل الفرض، وبعده للانتقال من فرض محتم عليه

أداؤه إلى سنة غير مفروضة ليكون ذلك داعياً إلى أداء الفرض بارتياح نفس ، وانشراح صدر ، بغير ضجر ولا ملل .

وهناك حكمة أخرى وهى : أن صلاة الفرض المحتم على الإنسان أداؤه يجب أن يكون القلب فيه كالمرآة التى تطبع فيها صورة المرئيات بصورتها الطبيعية ؛ فصلاة النافلة قبل أداء صلاة الفرض هى بمثابة صقل للقلب حتى يؤدى الفرض والقلب قد زالت عنه بصلاة النافلة أدران وأوساخ الوساوس ، وكل مايشغله من أمور الدنيا ، ويكون منصرفاً بكليته إلى مناجاة مولاه خالى القلب عن كل ماسواه .

وأما صلاة النفل البَعدية فهى : أن الإنسان إذا صقل قلبه بصلاة النافلة القَبلية للدخول فى صلاة الفرض حتى يؤديها على الوجه المطلوب وصلى الفرض حصلت هناك لذة للقلب ، وانشراح للنفس ؛ ولأجل أن يتمتع بهذه اللذة وهذا الانشراح سنت صلاة النافلة البَعدية حتى لاتنقطع عنه تلك الرحمات الإلٰهية وذلك الانشراح القلبى .

وهناك حكمة أخرىٰ وهى : أنه ربما يكون حصل نقص فى أركان الصلاة الفرضية ، ولم يدر به المصلى فصلاة النافلة البَعدية تكون متممة لما نقص من صلاة الفرض .

هذه هى الحكم الجليلة فى صلاة النافلة القَبلية والبَعدية ، فمتى داوم عليها يكون دائماً قريباً من ربه ، متلذذاً بمناجاته .

النوافل المندوبة

والنوافل المندوبة هى : صلاة الوتر — صلاة التراويح بعد عشاء رمضان — صلاة الضحىٰ — صلاة التهجد أوصلاة الليل — صلاة العيدين — صلاة الجنازة — صلاة الخسوف والكسوف — صلاة الاستسقاء — صلاة الخوف ، وسيأتى الكلام عليها .

١ — صلاة الوتر

صلاة الوتر واجبة عند أبى حنيفة ، وسنة مؤكدة عند غيره ؛ ويدخل وقتها بفعل العشاء ، وأكثره إحدى عشرة ركعة ، وأقله ركعة عند الشافعى وأحمد ، ولمن زاد على

ركعة فصلها عن غيرها ووصلها ، والفصل أفضل عند الشافعى ، وعنـد أبى حنيفة ثلاث ركعات متصلة ، وعند مالك ركعة واحدة .

وأول من صلىٰ صلاة الوتر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج عند وصوله إلى حضرة العرش الرحمانى .

وكيفية صلاتها عند الحنفى كصلاة المغرب بتسليمة واحدة إلا أنه قبل الركوع فى الركعة الثالثة بعد القراءة يكبر رافعاً يديه حذاء أذنيه ، ثم يرسلهما ويقرأ سراً القنوت الآتى ، ثم يركع ويتم الصلاة .

القنـــوت

القنوت عند أبى حنيفة فى الركعة الأخيرة من الوتر قبل الركوع كما تقدم ، وعنـد الشافعى فى الصبح بعد الرفع من ركوع الركعة الثانية ، وبعد الرفع من ركوع الركعة الأخيرة من الوتر فى النصف الثانى من شهر رمضان ، وفى كل صلاة مفروضة عند النازلة ، وعند أحمد يقنت المصلى فى الوتر فى الركعة الأخيرة فى جميع السنة بعد الركوع استحباباً ، وعند مالك لايقنت إلا فى الصبح فقط قبل الركوع ، وبعده يجوز .

صيغة القنوت

صيغته المشهورة عند الشافعى هى :

اللَّهُمَّ اهْدِنِى فِيمَنْ هَدَيْتَ ، وَعَافِنِى فِيمَنْ عَافَيْتَ ، وَتَوَلَّنِى فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ ، وَبَارِكْ لِى فِيمَا أَعْطَيْتَ ، وَقِنِى وَاصْرِفْ عَنِّى شَرَّ مَا قَضَيْتَ فَإِنَّكَ سُبْحَانَكَ تَقْضِى وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ ، وَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ ، وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ ، فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا قَضَيْتَ ، نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

وصيغته عند الحنفى ومالك هى :

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُكَ ، وَنَسْتَهْدِيكَ ، وَنَسْتَغْفِرُكَ ، وَنَتُوبُ إِلَيْكَ ، وَنُؤْمِنُ بِكَ ، وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْكَ ، وَنُثْنِى عَلَيْكَ الْخَيْرَ كُلَّهُ ، نَشْكُرُكَ وَلَا نَكْفُرُكَ ، وَنَخْلَعُ وَنَتْرُكُ

مَنْ يَفجُرُكَ ، اللَّهُمَّ إيَّاكَ نَعبُدُ ، وَلَكَ نُصَلِّى وَنَسْجُدُ ، وَإلَيْكَ نَسْعَى وَنَحْفِدُ ، نَرْجُو رَحْمَتَكَ ، وَنَخْشَى عَذَابَكَ إنَّ عَذَابَكَ الْجِدَّ بِالْكُفَّارِ مُلْحَقٌ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

ومعناه : نطلب منك يا ألله الإعانة على طاعتك والهداية لما يرضيك ، وأن تغفر لنا ذنوبنا، وتستر لنا عيوبنا ، ونرجع عن ذنوبنا ، ونندم على مافعلنا ، ونعزم على عدم العودة إلى فعل الذنوب ؛ ونصدّق بأنك الله تعالى المستحق للتعظيم والاحترام ، نعتمد عليك فى كل أمورنا ، ونمدحك بكل خير ولا نجحد نعمتك علينا ، ونطرح ونبتعد عمن يجحد نعمتك ، ونعبدك ونصلى ونسجد إليك ، نرجو رحمتك ، ونخشى عذابك الشديد الذى ألحقت به الكفار .

وصيغته عند أحمد بن حنبل كالشافعى إلا أنه عند قوله :

(تبارَكْتَ ربَّنا وتعالَيْتَ) ، يزاد :

اللّهُمَّ إنَّا نعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِعفْوِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَبِكَ مِنْكَ لاَ نُحْصِى ثنَاء عَلَيْكَ ، أنْتَ كَمَا أثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

٢ — صلاة التراويح

صلاة التراويح سنة مؤكدة عند الأئمة فى ليالى رمضان ، ووقتها بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر ، ويسنّ أن يوتر بعدها ؛ وهى عشرون ركعة كل ركعتين بتسليمة ، ويسنّ الاستراحة بعد كل أربع منها بقدر أربع ركعات ، وتسنّ الجماعة فيها ، وهى سنة للرجال والنساء .

وكيفية صلاتها كصلاة الصبح كل ركعتين بتسليمة ، ولا تصح بدون قراءة الفاتحة وآية ، أو سورة فى كل ركعة .

وحكمتها : تقوية النفس وترويحها ونشاطها على الطاعة ، وتسهيل هضم الأكل بعد العشاء ، لأن الإنسان إذا أفطر ونام حصلت له تخمة تضر بصحته ، وحصل له فتور واضمحلال فى جسمه . هذا ، والذى جمع المسلمين على هذا العدد فى صلاة التراويح

سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ووافقه الصحابة على ذلك فى عهده ، واستمر العمل على ذلك فى أيام عثمان وعلى رضى الله عنهما ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ » .

وقد زاد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه عدد ركعاتها فجعلها ستًا وثلاثين ركعة ، وكان يقصد رضى الله عنه بهذه الزيادة مساواة أهل مكة فى الفضل والثواب ؛ لأنهم كانوا يطوفون بالبيت الحرام مرةً بعد كل صلاة أربع ركعات، فكان يصلى بدل كل طواف أربع ركعات لينال الأجر والثواب .

٣ — صلاة الضحى (أو صلاة الأوابين)

صلاة الضحى : سنة مؤكدة عند الأئمة الثلاثة ، مندوبة عند أبى حنيفة . ووقتها من ارتفاع الشمس قد رمح إلى زوالها . وأقلها ركعتان ، وأكثرها ثمان ركعات .

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أَوْصَانِي خَلِيلِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَلَاثٍ : صِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ، وَرَكْعَتِي الضُّحٰى ، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ » .

٤ — صلاة التهجد

صلاة التهجد : سنة عند الأئمة ، وأقلها ركعتان ، ولا حدَّ لأكثرها ، والأفضل ثمان ركعات . قال الله تعالى :

(وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا) . (الإسراء)

وقال عليه الصلاة والسلام :

« أَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ الصَّلَاةُ فى جَوْفِ اللَّيْلِ » .

فمن شاء صلاة نفل بالنهار فلا يزيد على أربع بتسليمة واحدة ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم لم يزد عليها ، ومن شاءها ليلاً فلا يزيد على ثمان ركعات بتسليمة واحدة ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم لم يزد عليها .

٥ — صلاة العيدين

العيدان هما : عيد الفطر ، وهو أوّل يوم من شوال، وينتهى باليوم الثالث منه. وعيد الأضحى ، وهو اليوم العاشر من ذى الحجة ، وينتهى باليوم الثالث عشر منه ، ويسمى أيضاً عيد النحر لقوله تعالى : إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر .

وصلاة العيدين ركعتان بلا أذان ولا إقامة ، وهى واجبة عند أبى حنيفة ، فرض كفاية عند أحمد ، وسنة مؤكدة عند الشافعى ومالك ، يُحْرِم بها فى عيد الفطر بنية عيد الفطر ، وفى عيد الأضحى بنية عيد الأضحى بأن يقول :

نَوَيْتُ أَنْ أُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ سُنَّةَ عِيدِ الْفِطْرِ أَوْ عِيدِ الْأَضْحَى ، اللهُ أَكْبَرُ ، ويأتى بدعاء الافتتاح فيقول :

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ ، وَتَعَالَى جَدُّكَ ، وَلَا إِلٰهَ غَيْرُكَ .

ويكبر فى الركعة الأولى سبعاً سوى تكبيرة الإحرام ، وفى الثانية خمساً سوى تكبيرة القيام عند الشافعى .

وقال مالك وأحمد : يكبر فى الأولى ستًا سوى تكبيرة الإحرام ، وعند أبى حنيفة ثلاث تكبيرات فى كل منهما سوى تكبيرة الإحرام .

والتكبير مرسَل ومقيد ، فالمرسل هو مالا يكون عقب صلاة ، وهو التكبير ليلتى الفطر والأضحى ، حتى يحرم لصلاة العيد عند الشافعى. وعند أحمد يبتدئ من ليلتى العيدين إلى فراغ الإمام من الخطبة ؛ ويسنّ أيضاً فى عشر ذى الحجة ، وعند مالك يبتدئ فى العيدين من طلوع الفجر لمن بعدت داره عن المصلَّى ، ومن بعد طلوع الشمس لمن قربت داره إلى الشروع فى الصلاة ، وعند أبى حنيفة يكبر فى عيد الأضحى جهراً ، وفى الفطر على أحد القولين من الغدوّ إلى الشروع فى الصلاة .

والتكبير المقيد هو ما يكون عقب الصلوات مرةً واحدةً ، وهو مختص بعيد الأضحى بالاتفاق . فيكبر عقب كل صلاة فقط عند أبى حنيفة ومالك ، أو حاضرةً أو فائتةً إذا فعلتا فى جماعة عند أحمد ، أو حاضرةً أو فائتةً أو نافلةً عند الشافعى .

وأول وقته من صبح يوم عرفة إلى العصر من آخر أيام التشريق عند الثلاثة ، وعند مالك من ظهر يوم النحر إلى صبح اليوم الرابع .

وصيغته المحبوبة التى تداولت عليها الأعصار ، فى القرى والأمصار ، المعروفة وهى :
أَللهُ أَكْبَرُ أَللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَر ، لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ . أَللهُ أَكْبَرُ أَللهُ أَكْبَرُ وَلِلهِ الْحَمْدُ . أَللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا ، وَالْحَمْدُ لِلهِ كَثِيرًا ، وَسُبْحَانَ اللهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ، لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ ، صَدَقَ وَعْدَهُ ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ ، وَأَعَزَّ جُنْدَهُ ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ ، لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ ، وَلاَ نَعْبُدُ إِلاَّ إِيَّاهُ ، مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ .

ويسنّ الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، وصيغتها :
اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى أَصْحَابِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى أَنْصَارِ سَيِّدِنَا مُحَمدٍ ، وَعَلَى أَزْوَاجِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى ذُرِّيَّةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، وَسَلِّمْ تَسْلِيماً كَثِيرًا .

ويسنّ أن يأكل قبلها فى عيد الفطر ، وأن يمسك فى عيد الأضحى حتى يصلى .

ووقت صلاة العيدين عند ارتفاع الشمس قدر رمح من رماح العرب ، وهو اثنا عشر شبراً بالأشبار المتوسطة . وآخر وقتها زوال الشمس عن وسط السماء ، فلا تصح بعده لفوات وقتها عند أبى حنيفة ومالك .

وعند الشافعى يسنّ قضاؤها ، وعند أحمد يسنّ لمن فاتته مع الإمام قضاؤها فى يومها .

ويشترط فى صحة صلاة العيد الجماعة عند أبى حنيفة ، ولا تشترط عند الشافعى ومالك ، بل هى سنة ؛ وعند أحمد يشترط لها عدد الجمعة .

ويسنّ أن يرفع يديه إلى مَنكبيه فى كل تكبيرة عند غير مالك ، وأن يخطب بعدها خطبتين كخطبتى الجمعة ، يعلم الناس فيهما أحكام صدقة الفطر فى عيد الفطر ، وأحكام الأضاحى فى عيد الأضحى عند الجميع ، (وسيأتى ذكرها) .

وأول عيد صلاه النبى صلى الله عليه وسلم عيد الفطر فى السنة الثانية من الهجرة ،

وشُرِع عيد الأضحى فيها ، وجعل الله للمؤمنين عيدين فى السنة ، وكل منهما بعد إكمال العبادات .

فعيد الفطر بعد إكمال صوم رمضان ، وعيد الأضحى بعد إكمال الحج ، وأما يوم الجمعة فعيد فى كل أسبوع .

والتهنئة يوم العيد بقوله : تقبلِ الله منا ومنكم ، وهى سنة لورود الأثر بها .

الحكمة فى صلاة العيدين

إن حكمة صلاة عيد الفطر بعد أن يؤدى المسلم فرض الصيام ، هى : أنها من أعظم الأسباب لتآلف المسلمين ، إذ يعطى الغنىُّ الفقيرَ من فضل ما أعطاه الله ، فيزول عنه جوعه واحتياجه ، وبذلك يزول همُّ قلبه ، ويمدّ يده مصافحاً أخاه المسلم كأنهما من بيت واحد وأبٍ واحد ، فيصير المرء فى هذا اليوم المبارك مكتسباً أجر الصيام ، وأجر الكرم ، وإنقاذ الفقير من مخالب الفقر والعسر ، وضيق ذات اليد .

وهناك حكمة أخرى فى مشروعية صلاة العيدين ، وهى : إظهار قوة المسلمين لأعدائهم ، وما فى حكم ذلك من قوّة السلطان والجاه ، ومن أجل ذلك يستحب دخول المصلين فى المسجد من باب ، وخروجهم من باب آخر عند أداء الصلاة (إن كان للمسجد بابان) ليكون أدعى لعظم قدرهم فى نظر أعدائهم ، ويروهم متّحدين هذا الاتحاد المتين مصداقاً لقوله تعالى :

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) . فيتناولون المودة ، وروابط الإخاء .

وحكمة صلاة عيد الفطر : الفرح بتوفيق الله لأداء ركن من أركان الإسلام ، وهو (الصيام) وأما عيد الأضحى فحكمته تذكير المسلمين بقصة سيدنا إبراهيم الخليل ، وأمره بذبح ولده ، وفلذة كبده عليهما السلام ، وبإنعام الله عليهما بالفدية فى ذلك اليوم ، وفرح الحجاج لأداء ركن من أركان الإسلام ، وهو (الحج) وقرب رجوعهم لأهلهم وأوطانهم .

وآدابهما وسننهما هى : إحياء لياليهما بالطاعة ، وتلاوة القرآن ، والاغتسال قبل الذهاب إلى الصلاة ، والتطيب والتزين بأحسن الثياب الجديدة ، وأكل شىء حلو قبل

الخروج إلى الصلاة فى عيد الفطر ، وتأخير الأكل فى عيد الأضحى ، والتوجه إلى المصلى مكبراً سراً فى عيد الفطر ، وجهراً فى عيد الأضحى ، ومقابلة الناس بالبشاشة والبشر ، والتبكير إلى صلاة العيدين .

وقد شرعت صلاتهما ليكون الأجتماع بأفضل الطاعات ، وأكمل العبادات

الأضحيـــة

الأضحية : سنة مؤكدة فى يوم عيد الأضحى ، أو عيد النحر ، يثاب عليها فاعلها ، ولا يعاقب تاركها ، لقوله تعالى :

(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ . فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) .

وهى مشروعة بأصل الشرع بالإجماع ، وعند الشافعية هى سنة عين للمنفرد ، وسنة كفاية لأهل بيت واحد ، أو بيوت متعددة تلزم نفقتهم شخصاً واحداً ، بمعنى أنه إذا فعلها من تلزمه نفقتهم سقط الطلب عنهم فلا ينافى أنها تُسَنُّ لكل منهم .

وعند الحنفية قالوا : القادر عليها ، هو الذى يملك مائتى درهم ، أو يملك عرضاً يساوى مائة درهم يزيد عن مسكنه وثياب اللبس والمتاع الذى يحتاجه ، وإذا كان له عقار يستغله تلزمه الأضحية إذا دخل له منه قوت عامه وزاد معه النصاب المذكور .

وقيل : يلزمه إذا دخل منه قوت شهر ، وإن كان العقار وقفاً تلزمه الأضحية إن دخل له منه قيمة النصاب .

وعند المالكية قالوا : القادر عليها ، هو الذى لا يحتاج إلى ثمنها لأمر ضرورى فى عامه ، فإذا احتاج إلى ثمنها فى عامه فلا تسن ، وإذا استطاع أن يستدين استدان ، وقيل : لا يستدين .

وعند الحنابلة قالوا : القادر عليها ، هو الذى يمكنه الحصول على ثمنها ولو بالدَّين إذا كان يقدر على وفاء دَينه ، وتصح الضحية بالضأن إذا بلغ سنة كاملة ، إذا سقط مقدم أسنانه بشرط أن يكون ذلك بعد ستة أشهر ، وتصح بالمعز إذا بلغ سنتين كاملتين ،

وتصح بالبقر والجاموس إذا بلغ سنتين كاملتين ، وبالإبل إذا بلغ خمس سنين كوامل ، ولا يجزئ المتولد بين إنسيّ ووحشى .

أما الوقت المخصوص لذبح الأضحية ، فعند الحنفية قالوا : يدخل وقت الأضحية عند طلوع فجر يوم النحر ، وهو يوم العيد الأكبر ، ويستمر إلى قبيل غروب اليوم الثالث ، ويشترط أن يكون الذبح بعد صلاة العيد ، ولو قبل الخطبة ؛ إلا أن الأفضل تأخيره إلى ما بعد الخطبة .

والمالكية قالوا : يبتدئ وقت ذبح الأضحية فى اليوم الأول بعد الفراغ من صلاة العيد والخطبة ، وبعد ذبح الإمام إن ضحَّى ، أو بمقدار ذبحه لو لم يضحّ .

والحنابلة قالوا : يبتدئ وقت ذبح الأضحية من يوم العيد بعد صلاة العيد ، فيصح الذبح بعد الصلاة وقبل الخطبة ؛ ولكن الأفضل أن يكون بعد الصلاة والخطبة .

والشافعية قالوا : يدخل وقت ذبح الأضحية بعد مضىّ قدر ركعتين وخطبتين بعد طلوع الشمس يوم عيد النحر صلى الإمام أو لم يصلّ .

ولا تصح الأضحية بغير النعم من الإبل والبقر والجاموس والغنم .

والحنفية قالوا : الشاة أفضل من البقر ، أو الجمل ، ونحوهما إذا استويا فى اللحم والقيمة ، والكبش أفضل من النعجة إذا استويا فى الثمن والقيمة ، والأنثى من المعز أفضل من التيس إذا استويا قيمة ، والأنثى من الإبل والبقر أفضل .

وتجب التسمية عند الذبح ؛ لأن التسمية شرط فى حل أكل كل ذبيحة سواء أكانت أضحية أم غيرها ، فمن ترك التسمية عمداً لا تؤكل ذبيحته ، ويستحب أن يقول عند ذبحها : اللَّهم إن هذا منك وإليك فتقبل منى ، ويكره أن يقال ذلك عند المالكية .

وأما شروط صحتها : فمنها السلامة من العيوب ، فلا تصح إذا كان فيها عيب من العيوب المفصلة فى كتاب الأضحية فى كتب الفقه .

وإذا كانت الأضحية تطوعاً يستحب أن يأكل منها عند المذاهب الثلاثة ؛ وعند الشافعى له أن يأكل الثلث ، ويُهدى الثلث ، ويتصدق بالثلث .

والأضحية تكون عند مالك من الغنم بشرط أن يكمل سنة ، ويدخل فى الثانية

ولو بيوم ، ومن المعز بشرط أن يدخل فى الثانية بشهر ، ومن البقر والجواميس بشرط أن يدخل فى الرابعة .

وعند الشافعى : يجزئ من الضأن الجذع وهو ماله سنة ، وطعن فى الثانية ، ومن المعز والبقر الثنىّ وهو ماله سنتان ، وطعن فى الثالثة .

وعند أبى حنيفة : يجزئ من الضأن والمعز الثنىّ وهو ماله سنة ، والثنىّ من البقر وهو ماله سنتان ، ويجزئ الجذع من الضأن وهو ماله ستة أشهر ، ومن الإبل الثنىّ ، وهو ما يدخل فى السادسة عند الثلاثة .

وعند أحمد يجزئ من الضأن ماله نصف سنة ، ومن المعز ماله سنة ، ومن البقر ما تمّ له سنتان ، ومن الإبل ماله خمس .

ولا يجوز بيع شىء من الأضحية والهدى نذراً كان أو تطوعًا ، ولا يبيع الجلد بالاتفاق .

السبب فى مشروعية الأضحية

السبب فى مشروعية الأضحية : أن سيدنا إبراهيم عليه السلام رأى فى منامه أن يقدم على ذبح ولده إسماعيل عليه السلام ليقدمه قرباناً لله ، فصدع بالأمر الصادر له من الله فى المنام (ومنام الأنبياء وحىٌ من الله فهو صدق وحق) فلما عرض الأمر على ولده إسماعيل رضى بالقضاء والقدر ، وقال لوالده :

يا أبتِ افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله مطيعًا لأمر ربى ، وستجدنى من الصابرين . قال تعالى :

(قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) (الصافات)

فلما استسلما لأمر الله ، وشرع إبراهيم فى صرع ولده إسماعيل على وجهه ليذبحه نودى : يا إبراهيم لقد صدّقت الرؤيا بالحق ، فكف عن ذبح ولدك ، فالتفت فإذا بكبش كبير فأخذه وذبحه ، وخلى سبيل ولده ، وأكبّ عليه يقبله ، وهو يقول : اليوم يابنى قد وهبت لى ، ويقول له الله ما معناه :

إنا كما جزيناك خيراً وإحساناً منا لطاعتك لنا يا إبراهيم؛ كذلك نجزى الذين أحسنوا وأطاعوا أمرنا، وعملوا على مرضاتنا، وفى ذلك يقول الله تعالى :

(فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ . وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ) . (الصافات)

العقيقة

العقيقة ما يذبح عن مولود فى يوم سابعه أو بعده، وهى سنة لمن تلزمه نفقة المولود من أب أو جدّ أو غيرهما، ولا تجزئ فى العقيقة إلا الشاة المجزئة فى الأضحية، وتكفى شاة واحدة عن ذكر أو أنثى، ولكن الأولى للذكر شاتان، ويسنّ عند ذبحها أن يقول :

« بِسْمِ اللهِ وَاللهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُمَّ مِنْكَ وَإِلَيْكَ عَقِيقَةَ فُلَانٍ » .

وينبغى ألا تكسر عظام العقيقة، وأن يطبخ لحمها بشىء من الحلو، ويتصدق به مطبوخًا على الفقراء والمساكين، وإرساله إليهم أولى من دعوتهم إليه .

٦ - صلاة الجنازة أو الصلاة على الميت

س - ما هى صلاة الجنازة ؟

ج - هى فرض كفاية إذا قام بها بعض المسلمين سقطت عن الباقين، وليست ذات ركوع وسجود، ويشترط لها من الطهارة ما يشترط لغيرها من الصلوات، والمقصود منها الدعاء للميت، وهى أربع تكبيرات بتكبيرة الإحرام .

س - ما هى كيفيتها ؟

ج - هى أن يستقبل المصلى القبلة و (جثة الميت) موضوعة أمامه فى النعش (الخشبة) ثم ينوى الصلاة على الميت قائلاً : نويت الصلاة على من حضر من أموات المسلمين؛ ثم يكبر رافعاً يديه، ويقرأ الثناء، ويكبر مرة ثانية، ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم قائلاً :

(اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ) كالصلاة التى تقرأ عند التشهد ثم يكبر التكبيرة الثالثة، ويقرأ الدعاء للميت؛ وأقله :

اللَّهُمَّ اغفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ ، وأكمله : اللَّهُمَّ إنَّ هٰذَا عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدَيْكَ خَرَجَ مِنْ رَوْحِ الدُّنْيَا وَسَعَتِهَا إِلَى ظُلْمَةِ القَبْرِ وَمَا هُوَ لاَقِيهِ، كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ أَنْتَ وَحْدَكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنَّا . اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ مُحْسِناً فَزِدْ فِى إِحْسَانِهِ ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئاً فَتَجَاوَزْ عَنْهُ ، وَخُصَّهُ بِالرَّوْحِ وَالرَّاحَةِ وَالْمَغْفِرَةِ ، وَالرِّضْوَانِ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

ومن الأدعية المأثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم :

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا ، وَشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا ، وَصَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا ، وَذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الْإِيمَانِ ، اللَّهُمَّ لاَ تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ ، وَلاَ تَفْتِنَّا بَعْدَهُ .

ويقال فى المرأة : اللَّهُمَّ إِنَّهَا أَمَتُكَ ، وَبِنْتُ عَبْدِكَ ، وَبِنْتُ أَمَتِكَ . ويستمر فى الدعاء المتقدم بصيغة التأنيث ، ويقال فى الطفل الذكر :

اللَّهُمَّ إِنَّهُ عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ أَنْتَ خَلَقْتَهُ وَرَزَقْتَهُ ، وَأَنْتَ أَمَتَّهُ ، وَأَنْتَ تُحْيِيهِ . اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ لِوَالِدَيْهِ سَلَفاً وَذُخْرًا وَفَرَطاً وَأَجْرًا ، وَثَقِّلْ بِهِ مَوَازِينَهُمَا ، وَأَعْظِمْ بِهِ أُجُورَهُمَا وَلاَ تَفْتِنَّا وَإِيَّاهُمَا بَعْدَهُ . اللَّهُمَّ أَلْحِقْهُ بِصَالِحِ سَلَفِ الْمُؤْمِنِينَ فِى كَفَالَةِ إِبْرَاهِيمَ ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ ، وَأَهْلاً خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ ، وَعَافِهِ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ ، وَعَذَابِ جَهَنَّمَ . وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّى عَلَى الطِّفْلِ وَيَقُولُ : « صَلُّوا عَلَى أَطْفَالِكُمْ فَإِنَّهُمْ مِنْ أَفْرَاطِكُمْ » .

وتفصيل الأدعية فى المذاهب الأربعة ورد فى كتاب الفقه على المذاهب الأربعة ، للمرحوم الجزيرى ثم يكبر التكبيرة الرابعة ، ويسلم كسلام الخروج من الصلاة .

شروط صلاة الجنازة

وأما شروطها فمنها أن يكون الميت مسلماً ، فتحرم الصلاة على الكافر لقوله تعالى :

(وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ) . (التوبة)

ومنها أن يكون الميت حاضراً ، فلا تجوز الصلاة عَلَى الغائب ، أما صلاة النبى صلى الله عليه وسلم على النجاشى فهى خصوصية له .

والحنابلة قالوا : تجوز الصلاة عَلَى الغائب إن كان بعد موته بشهر فأقلّ .

والشافعية قالوا : تصح الصلاة على الغائب عن البلد من غير كراهة .

ومنها تطهير الميت ، فلا تجوز الصلاة عليه قبل الغسل أو التيمم ، ومنها أن يكون الميت مقدمًا أمام القوم فلا تصح الصلاة عليه إذا كان موضوعًا خلفهم . ومنها أن لا يكون الميت محمولاً على دابة ، أو على أيدى الناس أو أعناقهم وقت الصلاة . ومنها أن لا يكون شهيداً فتحرم الصلاة عليه لحرمة غسله . والحنفية قالوا : إن الشهيد لا يغسل ؛ ولكن تجب الصلاة عليه .

حكمة صلاة الجنازة

هذه الصلاة لها حكم عظيمة : منها أن الميت إذا مات وأسلم روحه إلى الله ، وصارت تحت المحاسبة على ما فعله فى حياته من خير وشر ، وكانت عليه ذنوب ، وليس له من شفيع إلا صالح الأعمال ، وقد فات الأوان وصار الأمر فى غير الإمكان ، اللّهم إلا إذا شمله الله برحمة من عنده ، يقف المسلمون ويدعون الله أن يرحمه ويمنّ عليه بالغفران ، ويعامله بالإحسان .

ومنها أن عملهم هذا يدل على أنهم إخوان متضامنون متحدون لا يرضون لأحد منهم أن يصيبه أىّ ألم ، وأى ألم بعد عذاب جهنم وغضب الرحمٰن ، فهم يسألون الله تعالى أن يسرهم بالعفو عن أخيهم المؤمن .

ومنها أن للإنسان حق إكرامه الذى أكرمه به الله سبحانه وتعالى فى قوله تعالى : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) ، فإذا لم يؤدّ التكريم الواجب لإخوانه المؤمنين ، فقد ظلم وغبن ، ومنها تذكير الناس بالموت وأنهم صائرون إلى ما صار إليه الميت ، وكفى بالموت واعظاً .

حكمة تشييع الجنازة

أصبح الكثير من الناس يقتصر على تشييع الجنازة و يمنع العزاء للسيدات وهذه سنة حسنة.

وتشييع الجنازة سنة واجبة ، وأمرنا النبى صلى الله عليه وسلم باتباع الجنائز فى حديث عن البراء .

و يندب أن يكون المشيع ماشياً ؛ و يكره الركوب إلا لعذر ، فيجوز ذلك ؛ و يندب للمشيع أن يتقدم أمام الجنازة إن كان ماشياً ، وأن يتأخر عنها إن كان راكباً ، و يندب أن يكون المشيع قريباً منها عرفاً ، و يندب الإسراع بالسير فى الجنازة إسراعاً وسطاً بحيث يكون فوق المشى المعتاد ، وأقل من الهرولة .

و يكره للنساء أن يشيعن الجنائز إلا إذا خيف منهن الفتنة ، فيكون تشييعهن للجنائز حراماً ، و يسنّ أن يكون المشيعون سكوتاً فيكره لهم رفع الصوت ولو بالذكر ، وقراءة القرآن ، وقراءة البردة ، والدلائل ونحوها .

ومن أراد منهم أن يذكر الله تعالى فليذكره فى سرّه ، وكذلك يكره أن تتبع الجنازة بالمباخر والشموع لما روى « لَا تُتْبِعُوا الْجَنَازَةَ بِصَوْتٍ وَلَا نَارٍ » و إذا صاحب الجنازة منكر (كالموسيقى والنائحة) فعلى المشيعين أن يجتهدوا فى منعه ، فإن لم يستطيعوا فلا يرجعوا عن تشييع الجنازة .

والحنابلة قالوا : إذا كان مع الجنازة منكر وعجز المشيع عن إزالته حرم عليه أن يتبعها لما فيه من إقرار المعصية .

و يحرم البكاء على الميت برفع الصوت والصياح ، أما هطل الدموع بدون صياح فإنه مباح ، وكذلك لايجوز الندب ، وهو عدّ محاسن الميت كما تفعل النائحة (المعددة) .

ولايجوز صبغ الوجوه ، ولطم الخدود ، وشق الجيوب لقوله صلى الله عليه وسلم : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ » .

(رواه البخارى ومسلم)

هذا ولايعذب الميت ببكاء أهله المحرّم عليهم إلا إذا أوصى به .

و إذا علم أن أهله سيبكون عليه بعد الموت ، وظن أنه لو أوصاهم بتركه امتثلوا ونفذوا وصيته ، وجب عليه أن يوصيهم بتركه ، فإذا لم يوصِ عذب ببكائهم عليه بعد الموت .

كلام الميت على الجنازة

عن سعيد بن أبى سعيد عن أبيه أنه سمع أبا سعيد الخدرىَّ رضى الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا وُضِعَتِ الجَنَازَةُ (الخشبة) فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ ، فَإِذَا كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ : قَدِّمُونِى قَدِّمُونِى ، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ : يَاوَيْلَهَا أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا ، يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَىْءٍ إِلاَّ الإِنْسَانَ ، وَلَوْ سَمِعَهَا الإِنْسَانُ لَصَعِقَ » . (رواه البخارى)

القيام عند مرور الجنازة تحية للميت

عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ جَنَازَةً فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَاشِيًا مَعَهَا فَلْيَقُمْ حَتَّى يُخَلِّفَهَا أَوْ تُخَلِّفَهُ أَوْ تُوضَعَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُخَلِّفَهُ » . (رواه البخارى)

وقد شوهد الجنود يقفون عند مرور الجنازة و يعطون التحية العسكرية ، كما أنه شوهد الإفرنج يقفون و يرفعون قبعاتهم تحية للميت .

النهى عن بدع الجنائز

طلب إلىَّ من لا أستطيع مخالفته أن أذكر كلمة صغيرة عن بدع الجنائز والنهى عنها . فأقول وبالله التوفيق : الغرض من تشييع الجنائز هو الاتعاظ والاعتبار بالموت : « وَكَفَى بِالمَوْتِ وَاعِظًا » فينتفع المشيِّعون ، و ينتفع الميت بطلب الرحمة والغفران له من الواحد الديان .

ولكن الجنائز الآن فى مصر أصبحت للشهرة والافتخار ، لا للعظة والاعتبار ، فترى أهل الميت يتنافسون فى أن يكون المشهد محل الإعجاب ، وحديث الناس ، فيتفننون فيه ، ومن هنا زين لهم الشيطان كثيراً من البدع لاتباعها فى جنائزهم : فبعضهم يسير بها على نظام عسكرى محكم ، فيجىء بطائفة من الجند ، أو بقوم لهم زىّ خاص ، أو بجماعة التكايا من الأكراد والجراكسة يلبسون اللبد الطويلة الثقيلة ، و بعضهم يأتى بآلات الطرب (الموسيقى) تضرب لهم أمام الجنازة بألحان الحزن ليسيروا على نغماتها وألحانها .

كل هذا بطبيعة الحال من مال الميت أو مال ورثته القصّر الأيتام مع أنهم أحق به . و بعضهم يستدين لهذا الغرض لكى لا يقال إنه قصر فى حق ميته ، ولا تسأل عن

القضايا التى تنشأ بسبب ذلك ، واسأل المجالس الحسبية عما تقدره من المصروفات فى تشييع الجنازات ، وعما تصادفه من الطعون والمعارضات .

و بعضهم يزين النعش بأفخر الثياب بحسب حال الميت إن كان ذكراً أو أنثى ، كبيراً أو صغيراً ، فيضعون عليه أنواع الحرير ، والكشمير ، وساعات الذهب ، وأصناف الورد ، والرياحين ، والوسامات والنياشين (إن كان من حامليها) وحلىّ المرأة ، وطربوش الرجل ، أوعمامته ، أوكوفيته .

ومن البدع السيئة الأناشيد ، والجهر بالذكر ، وقراءة القرآن ، أو البُردة ، أو دلائل الخيرات ، ونحو ذلك فكل هذا مكروه ، بل محرم بالإجماع .

ومن الأسف أن بعض الأجانب يعتقد أنه من الدين ، مع أنه مخالف له على خط مستقيم ؛ على أن السنة فى تشييع الجنازة السكوت ، وجمع الفكر للتأمل فى الموت وأحواله ، كما كان يفعل ساداتنا من السلف الصالح رضوان الله عليهم .

و بعضهم يجيز هذه البدعة ، ويقول : إنها بدعة مستحسنة ، ولكنها مع الأسف بدعة سيئة ، لأنها لم تكن صادرة من السلف الصالح ولا مطابقة لأفعاله .

فالصواب كل الصواب هو اتباع ما كان عليه السلف الصالح من السكوت فى حال السير مع الجنازة ، فلا يرتفع صوت بقراءة ، ولا ذكر ، ولا غيرهما ؛ لأنه أسكن للخاطر ، وأجمع للفكر .

فالواجب على كل مسلم أن يتبع سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وطريق أصحابه الرجال العظام ، إذ الخير كل الخير فى اتباع السنة ، والشر كل الشر فى اتباع البدعة ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ شَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ ، وَكُلُّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ » .

نسأل الله لنا ولهم الهداية والرحمة والغفران من الواحد الديان .

النهى عن بدع المآتم التى تقام للتعزية

من البدع المكروهة مايفعل الآن من ذبح الذبائح عند خروج الميت من البيت ، أوعند القبر ، و إعداد الطعام لمن يجتمع للتعزية ، وتقديمه لهم كما يفعل ذلك فى الأفراح ، ومحافل السرور .

وإذا كان فى الورثة قاصر عن درجة البلوغ ، فيحرم إعداد الطعام وتقديمه للناس روى الإمام أحمد وابن ماجه عن جرير بن عبد الله قال :

« كُنَّا نَعُدُّ الِاجْتِمَاعَ إِلَى أَهْلِ الْمَيِّتِ وَصُنْعَهُمُ الطَّعَامَ مِنَ النِّيَاحَةِ » .

أما إعداد الجيران والأصدقاء طعاماً لأهل الميت ، وبعثه لهم ، فذلك مندوب ، لقوله صلى الله عليه وسلم :

« اصْنَعُوا لِآلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا فَقَدْ جَاءَهُمْ مَا يُشْغِلُهُمْ » .

ويُلحّ عليهم فى الأكل ؛ لأن الحزن قد يمنعهم منه .

والتعزية لصاحب المصيبة مندوبة ، ووقتها من حين الموت إلى ثلاثة أيام ، وتكره بعد ذلك ، إلا إذا كان المعزِّى أو المعزَّى غائباً ، فإنها لا تكره حينئذ بعد ثلاثة أيام ، والأولى أن تكون التعزية بعد الدفن ، وإذا اشتد بهم الجزع ، فتكون قبل الدفن أولى .

ويستحبُّ أن تعمّ التعزية جميع أقارب الميت نساء ورجالاً ، كباراً وصغاراً ، إلا المرأة الشابة ، فإنها لا يعزيها إلا محارمها دفعاً للفتنة ، وكذا الصغير الذى لا يميز ، فإنه لا يعزى .

ومباح لأهل المصيبة أن يجلسوا فى المنزل لقبول العزاء ثلاثة أيام ، أما الجلوس على قارعة الطريق وإقامة السرادقات وفرش البسط والمقاعد ، ونحوها مما اعتاد الناس فعله فى المآتم ، فهو بدعة منهىّ عنها لما فيها من الظهور والافتخار وصرف الأموال .

تذكير بفتوى شرعية فى بدعة مأتم الأربعين

لفضيلة الأستاذ السيد رجب

واعظ القاهرة ، ورئيس تحرير مجلة نور الإسلام

فى العام الماضى نشرت « الأهرام » الغراء بتاريخ يوم الأحد التاسع من شهر رمضان سنة ١٣٦٦ — ٢٧ من يوليه سنة ١٩٤٧ لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير مفتى الديار المصرية ما يأتى :

« لقد ابتلانى الله بفقد الولد فصبرت ، واقتطع منى فلذة الكبد فما تبرمت ، فله الحمد على نعمة الرضى بالقضاء ، ومنه وحده المثوبة وعظيم الجزاء .

وقد تساءل أصدقائى عن ليلة الأربعين ، فأخبرتهم أن إحياءها – على النحو المتبع بدعة مذمومة لا أصل لها فى الدين . وإنى مكتف فيها ، وفى غيرها من الأيام ، بما بينى وبين ربى من عمل يرجى ثوابه بمشيئته لمن افتقدته ، ولهم منى مع عظيم الشكر أطيب التمنيات » .

ثم إن فضيلته سُئل فى الموضوع بعد هذا ، فأجاب عليه بفتوى مطولة نشرت « الأهرام » خلاصتها .

وقد نشرت « نور الإسلام » – وهى مجلة الوعظ والإرشاد فى الأزهر – هذه الفتوى فى حينها مع تعليقاتها المستوفاة النافعة فى أعداد متوالية ، مقدمةً لها ومعلقةً عليها بما هى جديرة به من التأييد والاستحسان .

وكان الظن بالناس – وقد استقامت لهم السبيل ووضحت أعلامها – أن يعودوا إلى الحق فيما يعتقدون ، وإلى الصواب فيما يفعلون . ولكن للعادة على النفوس سلطاناً ، وكثيراً ما يتغلب بتقاليده ومبتدعاته على كلمة الحق وهدى الشريعة ووازع الدين . ومن ذلك ما اتخذه الناس فى هذه المآتم من المفاخرة والمكاثرة ، والإعلان عن الحسب والنسب ، والمناصب والمراتب ؛ وقد كان الموت بجلاله وعبره أحق المناسبات ببعد عن الزهو والرياء ، وأدعاها إلى التواضع والزهد وخلع رداء الكبرياء . ومتى يتعظ الناس إن لم يعظهم الموت ؟ ومتى يضرعوا إلى الله إن لم تضرعهم البأساء والضراء ؟ !

لشد ما فتنت الدنيا الناس ، حتى لقد استطاعت بسحرها أن تحوّل ذكرى الموت الزاجرة إلى سرادقات تقام ، وأعلام تنصب ، ومجامع تحتشد ، وأموال تبذر للسمعة وحب الظهور ، فلا هى فى مصلحة الأحياء ، ولا هى لرحمة أصحاب القبور !. وقد يكون وراء الميت يتامى أو ذرية ضعفاء ، فيتجشمون أو يتجشم الولى على حسابهم فى هذه السبيل ما يحل وما يحرم ، وما يطيقون وما لا يطيقون .

فليترك الناس هذه العادات والتقاليد التى يكبلون بها أنفسهم ، ويحملون آصارها وأثقالها فى غير مصلحة ولا خير ، وليعودوا إلى هدى الدين وشريعته السمحة ، فإن ذلك أرفق بهم ، وأصلح لحالهم ، وأحق أن يتبعوه فى مآتمهم وأفراحهم وسائر شعائرهم ،

وليمتثلوا مهتدين موقنين قول الله جلّ شأنه : (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) . « الحشر »

أكتب هذا الآن ، لأن بعض الناس أخذوا يسألوننى عما أنا صانع فى مناسبة « الأربعين » للسيدة البارة المغفور لها زوجتى عليها رحمة الله . وجوابى على هذا هو ما أجاب به سائليه من قبل فضيلة مفتى الديار المصرية ، من الابتعاد عن البدع المذمومة والتقاليد الباطلة « والاكتفاء بما بينى وبين ربى من عمل يرجى ثوابه بمشيئته لمن افتقدته » فذلك هو هدى الله ورسوله ، وفى هذا الهدى وحده سعة ورحمة للأحياء والأموات إن شاء الله ؟ . الأهرام فى ١٩٤٨/٩/١٢

ملحوظة — يظهر أن عادة مأتم الأربعين مأخوذة عن الأقباط والمسيحيين لأنهم يعلنون فى الجرائد عن إقامة جنائز الأربعين بالكنائس ، ويدعون الأهل والأصدقاء لحضورها كما هو منشور فى الجرائد اليومية .

إحياء ذكرى الموتى سنوياً

اعتاد بعض الناس فى هذه الأيام ، ومن عدة سنوات ، عمل حفلة سنوية ، إما بالمقابر (القرافة) وإما بالمنازل لإحياء ذكرى موتاهم ، وأعدوا لها ما استطاعوا من سرادقات ومأكولات ، وتلاوة آى الذكر الحكيم للسماع فقط . وهذه أيضاً بدعة منكرة (بل هى أمّ البدع) لم يأمرنا بها الدين الحنيف ، ولم تكن من أعمال السلف الصالح وما سمعنا بها ، فى أخبار السابقين .

ولو جمعت الأموال التى تنفق فى هذا السبيل لكفت لتشييد مساجد ، وإنشاء مدارس وتقوية جيوش ، وإنشاء مستشفيات أيضاً . والأغرب من هذا كله نعى الميت على صفحات الجرائد بالثناء عليه ومدحه بما يستحق ، وبما لا يستحق من الخصال والأعمال ، مما يثير الأحزان كأنهم ينتهزون هذه الفرصة لرثائه وتأبينه إن فاتهم ذلك يوم وفاته .

والإنسان كما قلت سابقاً فى كتابى آداب الفتى :

« الإنسان فى حياته ذكرى بعد مماته » .

يعيش المرء تارةً فى عز وهناء، وطورًا فى ذل وشقاء، ثم ينتقل من دار الفناء إلى دار البقاء وتكون ذكراه من بعده أعماله وخصاله، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

⁂

أما ذكرى الأمجاد والأبطال (من الضباط والجنود) والعلماء والأدباء فلا بأس بها تخليداً لذكراهم، واعترافا بفضلهم، وهى لاتعمل سنويًا بل تعمل فى أوقات مناسبة تشجيعاً لغيرهم على القيام بالأعمال الصالحة النافعة لخدمة العلم والدين والوطن.

زيارة القبور

زيارة القبور: مندوب بها للاتعاظ وتذكر الآخرة، وتتأكد يوم الجمعة ويومًا قبلها ويومًا بعدها، وينبغى للزائر الاشتغال بالدعاء، والتضرع، والاعتبار بالموتى، وقراءة القرآن للميت، فإن ذلك ينفع الميت على الأصح.

ومما ورد أن يقول الزائر عند رؤية القبور:

« اللَّهُمَّ رَبَّ الْأَرْوَاحِ الْبَاقِيَةِ، وَالْأَجْسَامِ الْبَالِيَةِ، وَالشُّعُورِ الْمُتَقَطِّعَةِ، وَالْجُلُودِ الْمُتَمَزِّقَةِ، وَالْعِظَامِ النَّخِرَةِ الَّتِي خَرَجَتْ مِنَ الدُّنْيَا وَهِيَ بِكَ مُؤْمِنَةٌ أَنْزِلْ عَلَيْهَا رَوْحًا مِنْكَ وَسَلَامًا مِنِّي ».

ومما ورد أيضا أن يقول:

« السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ ».

ولا فرق فى الزيارة بين كون المقابر قريبة أو بعيدة؛ بل يندب السفر لزيارة الموتى، خصوصاً مقابر الصالحين، أما زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم فهى من أعظم القرب.

وكما تندب زيارة القبور للرجال تندب أيضاً للنساء العجائز اللاتى لايخشى منهن الفتنة إن لم تؤد زيارتهن إلى النّدب، أو النياحة، وإلا كانت محرّمة.

أما النساء اللاتى يخشى منهن الفتنة، ويترتب على خروجهن لزيارة القبور مفاسد كما هو الغالب على نساء هذا الزمان، فخروجهن للزيارة حرام فى حرام.

وينبغى أن تكون الزيارة مطابقة لأحكام الشريعة ، فلا يطوف حول القبر ، ولا يقبّل حجراً ولا عتبةً ولا خشباً ، ولا يطلب من المزور شيئاً إلى غير ذلك ، فإنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، والأمر كله بيد الله الفعّال لما يريد ، القادر على كل شئ .

بدع المقابر ، والأضرحة ، وزيارة القبور ، والنذور

إن بدع المقابر والأضرحة كثيرة فلنذكر أهمها :

فمن هذه البدع : اتخاذ الناس المقابر والأضرحة موسماً من مواسمهم ، وعيداً من أعيادهم يشدّون إليها الرحال كما تشد لزيارة بيت الله الحرام ، ويبيتون عندها الليالى ذوات العدد ، وهناك تصنع ألوان الأطعمة ، وتذبح الذبائح ، وتنصب ملاعب الصبية ، وأسواق الباعة .

وأعياد المقابر أسبوعية ، ولهم فوق ذلك عادات فى المواسم الشرعية من عيد الفطر ، والأضحى ، وأول رجب .

ولغالب الأضرحة مواسم وأعياد أسبوعية خلاف الموالد تسمى (بالحَضرة) كليلة الثلاثاء ويومه للإمام الحسين رضى الله عنه . وليلة السبت ويومه للامام الشافعى رحمه الله . وليلة الأثنين ويومه للسيدة نفيسة رضى الله عنها . وليلة الأحد ويومه للسيدة زينب رضى الله عنها ، وهكذا لكل ولىّ عندهم وقت معلوم تجتمع فيه العامة والخاصة من الرجال والنساء ، ومعهم الأطفال لزيارته على الوجه المعروف .

وهذه البدعة ورد النهى عنها صريحاً مع ماينشأ عنها من الشرور والمفاسد . فمن ذلك ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه : أنه صلى الله عليه وسلم قال : « لَاتَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ ، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِى عِيداً فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِى حَيْثُ كُنْتُمْ » .

وإذا ثبت هذا بالنسبة إلى قبر الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهو سيد القبور وأفضلها ، فقبر غيره أولى بالنهى كائناً من كان .

والمراد بقوله : « لا تتخذوا بيوتكم مقابر » أمر بتحرّى النافلة فى البيوت حتى لا تكون بمنزلة القبور ، وكما أن النهى عن اتخاذها يتضمن النهى عن تحرّى العبادة عند القبور ، ولذا قال :

« فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ وَتَسْلِيمَكُمْ مَعَ بُعْدِكُمْ وَقُرْبِكُمْ سَوَاءٌ ، وَلَا حَاجَةَ بِكُمْ إِلَى اتِّخَاذِهَا عِيدًا كَمَا اتَّخَذَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ عِيداً » .

فإن اتخاذ القبور عيداً هو من أعمالهم التى كانوا عليها قبل ظهور الإسلام . وقد كانت لهم أعياد زمانية ، وأعياد مكانية أبطلها الله تعالى بالإسلام ، وعوّض عن أعيادهم الزمانية عيدى الفطر والنحر ، وأيام مِنًى ، كما عوض عن أعيادهم المكانية الكعبة (البيت الحرام) وعرفات ومِنًى والمشاعر .

وأما المفاسد التى تنشأ عن ذلك فكثيرة : منها أن النساء قد اتخذن ذلك ميداناً لشهواتهن ، فيتبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، ويتزيَّنّ للخروج إلى الأضرحة بأجمل زينة، ويتهتكن بأقبح صورة ، لادين يمنعهن ، ولا أدب يردعهنّ .

وأما فى حال زيارتهن للقبور فالأمر أشنع وأفظع ، فإنهن يخالطن الرجال مع كثرة الخلوات هناك ، وتيسر الدور ، وكشفهن لوجوههن ، وهناك يختلط بهن الأشرار من الشبان فى مزاح ومداعبة ، وكثرة ضحك مع الغناء فى موضع الخشية والاعتبار والذل . وخروجهن على هذه الأحوال نهاراً محل ريبة ، فكيف به ليلاً ؟ .

وعلى الجملة فما يترتب على خروجهن إلى المقابر من الفسوق والخروج عن حدود الآداب كثير ومشاهد يستغيث منه الدين ، وتتألم منه الإنسانية ، ويذهب معه الحياء والمروءة ، وتتأذى به الأموات فى قبورهم .

وفى هذه المفاسد مايقع عند الموتى مما يكرهونه ، ويتأذّون منه : من الجلوس على المقابر ، والاستناد إليها ، والبول والتغوط عندها ، وكثرة اللغط الذى يكون من الازدحام ، والبيع والشراء ، وأصوات الأراجيح وغيرها ؛ مما يخالف الدين ، ويحول بين القلوب والخشية ، وبين الموتى والرحمة ، مع أن قصد الزيارة ، إنما هو إيصال الإحسان إلى نفس الزائر وإلى الميت . أما إحسانه إلى نفسه فبتذكر الموت والآخرة والزهد فى الدنيا ، والاتعاظ بحال الميت كما فى الحديث : « زُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ » .

وعن على رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال :

« إِنِّى كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا ، فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الْآخِرَةَ »
(رواه الامام أحمد)

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال :

« كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا ، فَإِنَّهَا تُزَهِّدُ فِي الدُّنْيَا وَتُذَكِّرُ الآخِرَةَ » . (رواه ابن ماجه)

وذلك أن الإنسان إذا شاهد القبور ، وتذكر الموت ، وانقطاع هذه الحياة ، وانقضاء ما ألِفَه من اللذات والشهوات ، وتفكر فيما يصير إليه من ضيق اللحود ، وصولة الدود ، وهو لايدرى مايئول إليه من شدة الحساب ، وصعوبة الجواب ، دخل قلبه الرَّوع ، وحضرته الخشية ، وكان له ذلك عظةً واعتباراً .

وأما إحسانه إلى الميت فبالسلام عليه ، والدعاء له بالرحمة والمغفرة ، وسؤال العافية .

وحينئذ فتسنّ الزيارة لكل مسلم ، وأن يقول الدعاء السابق ذكره فى زيارة القبور ، فينبغى لمن يزور قبر ميت وليًّا كان أوغيره من المؤمنين أن يسلم عليهم ، ويسأل لهم العافية ويستغفر ويترحم ، ثم يعتبر بحال من زاره ، وما صار إليه حاله ، وماذا سُئل عنه ، وبماذا أجاب ؟

ومن هذه المفاسد المبيت فيها وإيقاد السرج والشمع ونحوه على القبور ؛ ففى الحديث عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه عليه الصلاة والسلام : « لَعَنَ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ ، وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ » . (رواه أبو داود والترمذى)

واللعن لما فيه من تضييع المال من غير فائدة ، والإفراط فى تعظيم القبور تشبيهاً بتعظيم الأصنام .

« ولقد أحسنت الحكومة المصرية بمنع المبيت فى المقابر ، فاستراحت الأحياء والأموات ، وصينت الأعراض من الانتهاك ، وحفظت الأموال من الضياع » .

ومن هذه المفاسد النذور ، فإنه لايجوز النذر للقبور ، لاشمع ولا زيت ولا غير ذلك ، فإنه نذر معصية لايجوز الوفاء به بالاتفاق .

واعلم أن النذر الذى يقع للأموات من أكثر العوام ، ومايؤخذ من الدراهم ، والشمع والزيت ونحوها إلى ضرائح الأولياء الكرام تقرباً إليهم كأن يقول : ياسيدى فلان إن رد غائبى ، أوعوفى مريضى ، أوقضيت حاجتى ، فلك من النقد أوالطعام أو الشمع

أوالزيت كذا ، فهو بالإجماع باطل وحرام لوجوه : منها أنه نذر لمخلوق ، والنذر للمخلوق لايجوز ؛ لأنه عبادة والعبادة لاتكون لمخلوق ؛ ومنها أن المنذور له ميت ، والميت لا يملك ؛ ومنها أنه إن ظن أن الميت يتصرف فى الأمور دون الله تعالى فاعتقاده ذلك كفر .

اللهم إلا إن قال : يا الله إنى نذرت لك إن شفيت مريضى ، أو رددت غائبى ، أوقضيت حاجتى أن أطعم الفقراء الذين بباب الولى الفلانى ، أوأشترى حصراً لمسجده ، أوزيتاً لوقود سرجه ، أودراهم لمن يقوم بشعائره ، إلى غير ذلك مما يكون فيه نفع الفقراء .

والنذر لله عزّ وجلّ وذكر الولى ، إنما هو محل لصرف النذر لمستحقيه ، القاطنين برباطه أومسجده ، فيجوز بهذا الاعتبار ، ولا يجوز أن يصرف ذلك لغنىّ ، ولا لشريف منصب ، أو ذى نسب أوعلم ، مالم يكن فقيرًا ، ولم يثبت فى الشرع جواز الصرف للأغنياء

وجملة الكلام أن الإجماع على حرمة النذر للمخلوق ، وأنه لاينعقد ، ولا تشغل الذمة به ، فله أن يتصرف فيه فى حوائج نفسه ، ولا يجوز لخادم الشيخ أخذه إلا أن يكون فقيراً ، أوله عيال فقراء ، فيأخذونه على سبيل الصدقة المبتدأة ، وأخذه أيضاً مكروه مالم يقصد الناذر التقرب إلى الله تعالى ، وصرفه إلى الفقراء ، ويقطع النظر عن نذر الشيخ .

فمما تقدم يتضح أيضاً أن النذور التى توضع فى صناديق الأولياء فتأخذها الحكومة لتوزعها على خدمة المساجد ، وكذلك النذور بإحياء بعض الليالى وإعداد الموائد فيها ، فتأكل منها الأغنياء حرام .

ومن البدع السيئة بناء المساجد على القبور ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم لعن زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج .

ومن المفاسد الفاشية تقبيل واستلام قبور الأولياء والأنبياء والعلماء ، صرح به الإمام النووى رحمه الله ، وترخيص بعضهم فى هذا الاستلام ، وكذا فى تقبيل قبور من ذكروا بقصد التبرك لاسند له .

ومن البدع الفاشية وقوف بعض الزائرين قليلاً بغاية الخشوع عند الباب كأنهم يستأذنون ثم يدخلون ، وبعضهم يقف أمام القبر واضعاً يديه كالمصلى ، ثم يجلس ، فهذا كله من البدع التى لم يشهد لها أصل ، ولا حال ولا أدب يقتضيه .

ومن البدع السيئة الطواف حول الأضرحة ، فإنه لم يعهد عبادة إلا بالبيت الحرام : أى (لاطواف إلا حول الكعبة المكرمة) ، وكذا لم يشرع التقبيل إلا للحجر الأسود ، فالذى يطوف بالقبر الشريف كما يطوف بالكعبة (البيت الحرام) و يتمسح به ويقبله ، ويلقى عليه مناديله وثيابه ، يقصد به التبرك ، وذلك كله من البدع المنهى عنها ، لأن التبرك إنما هو بالاتباع له عليه الصلاة والسلام .

ومن البدع اتخاذ المقابر مساجد بالصلاة إليها لقوله صلى اللهُ عليه وسلم : « لاَ تُصَلُّوا إِلَى الْقُبُورِ وَلاَ تَجْلِسُوا عَلَيْهَا » (رواه مسلم)

ومن البدع الفاشية بين الناس الكتابة على القبور ، سواء فيها كتابة اسم الميت ونسبه أوغيرها ، وسواء كانت فى لوح أوحجر يوضع على رأس الميت ، أوغير ذلك كالستور التى توضع على أضرحة الأولياء والعلماء ، وخصوصاً كتابة القرآن فإنه لاشك فى حرمته ، لتعريضه للامتهان والتنجيس من آثار الموتى ، فقد روى أبو داود عن جابر رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام : « نَهَى عَنْ تَجْصِيصِ الْقَبْرِ أَوْ يُكْتَبَ عَلَيْهِ أَوْ يُزَادَ عَلَيْهِ » واستثنى بعضهم فى ذلك كتابة أسماء الأولياء والعلماء لأجل أن يزاروا و يحترموا

ومن هذه البدع تجصيص القبور ، والبناء عليها فى حريم القبر أوخارجه ، فيتناول البناء على نفس القبر ، أو بناء نحو بطة وقبة عالية ، ومن البناء (التركيبة المعروفة) ، ومثل البناء مايسمى (بالتابوت والمقصورة) وقد تغالت الأغنياء فى وضع التراكيب ، و إبداع المقاصير ، حتى صار الغرض منها الزينة والتفاخر ، وهان عليهم صرف الأموال فى سبيل الشيطان ، وما هو من شعار الجاهلية .

روى مسلم فى صحيحه عن جابر رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام : « نَهَى عَنْ تَجْصِيصِ الْقَبْرِ وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ » سواء كان البناء فى مقبرة مسبلة ، وهى ما اعتيد الدفن فيها عرف مسبلها أولاً ، أم فى مقبرة موقوفة إلا إذا دعت ضرورة للبناء ، كأن يخشى نبش القبر من نحو آدمى أوسبع .

هذا و إن غرس الأشجار ، و إحداث البساتين داخل الحيشان ، من البدع المحرم فيجب الإقلاع عنها .

وعلى الجملة يكره أن يبنى على القبر بيت ، أوقبة ، أومسجد ، أومدرسة ، أوحيطان تحدق به كالحيشان ، ويكره اتخاذ البساتين ، و إجراء المياه فى المقابر ، فكل ذلك بدع سيئة منهى عنها . (من كتاب الإبداع باختصار ، للمرحوم الشيخ على محفوظ)

ماجاء فى عذاب القبر

الآيات :

قال الله تعالى : (وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ) هو الهوان ، والهون الرفق .

وقوله جل ذكره : (سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ) .

وقوله تعالى : (وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ . النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) .

عن عائشة رضى الله عنها أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر فقالت لها : أعاذكِ الله من عذاب القبر ، فسألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر فقال : « نَعَمْ عَذَابُ الْقَبْرِ » قالت عائشة رضى الله عنها ، فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلّى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر .

الأحاديث :

عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما أنها قالت : « قامَ رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً فذَكَرَ فتنةَ القبرِ التى يفتتنُ فيها المرء ، فلما ذكر ذلك ضجَّ المسلمونَ ضجةً » زاد غُنْدَرٌ « عذاب القبرِ » .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي الْقَبْرِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ (لمحمد صلى الله عليه وسلم) ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ : أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ ، فَيُقَالُ لَهُ : انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا » قال قتادة : وذُكر لنا أنه يُفسح فى قبره .

ثم رجع إلى حديث أنس قال . « وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ ؟ فيقولُ : لاَ أَدْرِي ، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فيقَالُ : لاَ دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ ، وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ » . (رواه البخاري)

التعوذ من عذاب القبر

عن أبي أيوب رضي الله عنه قال : « خرج النبيُّ صلى الله عليه وسلم وَقَدْ وَجَبَتِ الشَّمْسُ فَسَمِعَ صَوْتاً فقَالَ : يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا »

وعن ابنة خالد بن سعيد بن العاص : « أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يَتَعَوَّذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ »

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ » .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : « مَرَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَلَى قَبْرَيْنِ فقَالَ : إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ مِنْ كَبِيرٍ ، ثمَّ قَالَ : بَلَى ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَسْعَى بِالنَّمِيمَةِ ، وَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لاَ يَسْتَبْرِئُ مِنْ بَوْلِهِ .

قَالَ : ثمَّ أَخَذَ عُودًا رَطْبًا فَكَسَرَهُ اثْنَتَيْنِ ثمَّ غَرَزَ كلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى قبرٍ ثمَّ قَالَ : لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَالَمْ يَيْبَسَا » . (رواه البخاري)

الميت يعرض عليه مقعده

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيُقَالُ : هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . (رواه البخاري)

٧ – صلاة الخوف

صلاة الخوف يقصد بها عدم ترك الواجب حتى فى أحرج المواقف مع الحذر واليقظة وتجاه العدو، وإظهار الانتقام وعدم التضعضع فى الحرب ، وهى ثلاثة أنواع :

١ – إذا كان العدوّ فى غير القبلة فتحرس فرقة ؛ ثم يصلى الإمام بالأخرى ركعة ، ثم تتم لنفسها وتذهب لتحرس ، ثم تأتى الحارسة ، فيصلى بها ركعة ، وتفارقه فى التشهد وتتم لنفسها وينتظرها الإمام ليسلم بها .

٢ – إذا كان العدو فى القبلة صفهم صفين وأحرم بهم وسجد معه صف وحرس صف آخر ، فإذا رفعوا سجدوا ولحقوه ويسلم بهم جميعاً .

٣ – إذا التحمت الحرب صلّوا كيفما أمكن ، ولو إيماء وركباناً وعلى غير قبلة .

حكمة صلاة الخوف

لما كان الإنسان فى حالة خوفه من عدوه ، ومن كل ما يحذره ويخشى منه على حياته فى أشد الاحتياج إلى من يشد أزره ، ويتخذه درعاً يتقى به ما عساه يصيبه من الأضرار ، فليس هناك أعظم وأنفع للمرء من الصلاة فى أوقاتها ، ولا يتركها لهذا الخوف ليكون الإنسان قريباً من ربه الذى فى قدرته أن يحميه ويقيه شر هذا العدو المفاجئ مهما كان شديد البطش، قوى الساعد ويحفه بجيش من جنده ينصره به حتى يصل إلى مقر الأمان ، وهو فى هذه الحالة كأنه يقول بلسان حركة ركوعه وسجوده : يارب ، لا عون لى إلا عونك ولطفك بى ، فأعنّى بحق قوتك وضعفى على هذا العدو ، وقنى شره ، وارحمنى برحمتك يا ألله من هذا الخطر الداهم .

٨ – صلاة الاستسقاء

الاستسقاء : هو طلب العباد السقيا من الله تعالى عند الحاجة إلى الماء فى موضع لا يكون لأهله أودية وأنهار وآبار يشربون منها ويسقون مواشيهم وزروعهم ، أو كان لهم

ذلك لكن لا يكفيهم ، فيسنُّ سنة مؤكدة عند وقوع الحاجة إلى الماء أن تقام صلاة الاستسقاء .

وهذه الصلاة ثابتة بالكتاب والسنة لقوله تعالى :

(فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا) .
(سورة نوح)

وهى ركعتان تؤديان كما تؤدى صلاة العيدين فى التكبير والجماعة والقراءة والجهر والمكان والخطبتين بعدهما ؛ غير أنه يبدل التكبير الذى فى خطبة العيدين بالاستغفار ، ويندب أن يستقبل الإمام القبلة ويقلب رداءه ويدعو الله بدعاء الاستسقاء .

وتصح صلاة الاستسقاء إذا وجد سببها فى أى وقت تباح فيه صلاة النافلة ، وإن تأخر السقى سنّ تكرار صلاة الاستسقاء على الصفة السابقة حتى يأتى الغيث .

ويستحب للإمام أن يأمر الناس قبل الخروج إليها بالتوبة ، والصدقة ، والخروج من المظالم ، ومصالحة الأعداء ، وصيام ثلاثة أيام ، ثم يخرج بهم فى اليوم الرابع ، صياماً مشاةً فى ثياب خَلِقة ، متذللين ، متواضعين ، خاشعين لله ، ومعهم الصبيان والشيوخ والعجائز والدواب ، ويبعدون الرضَّع عن أمهاتهم ليكثر الصياح فيكون ذلك أدعى إلى رحمة الله تعالى ، ثم يصلى بهم صلاة الاستسقاء .

حكمة صلاة الاستسقاء

حكمتها : إظهار الذلّ والانكسار للملك القهار ، وردّ المظالم إلى أهلها حين تمنع الأمطار ، وطلب الرحمة والإغاثة بإنزال الغيث الذى هو حياة النفوس ، فيخرج الناس إلى مكان متسع خارج البلد عادةً ، ويصلون منفردين ضارعين إليه ليغيثهم بالماء ، ويستحب أن تخرج الأطفال والشيوخ والدواب ليكون ذلك أظهر فى الخضوع ، وهى تعجل الرحمة .

رُوِىَ أَنَّ رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم صَلَّى الْجُمُعَةَ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ : يَارَسُولَ اللهِ أَجْدَبَتِ الْأَرْضُ ، وَهَلَكَتِ الْمَوَاشِى فَاسْتَسْقِ لَنَا الْغَيْثَ ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ

عليه وسلم يديه إلى السماء ودعا ، فما ضم يديه حتى مطرت السماء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لله درّ أبي طالب لو كان في الأحياء لقرّت عيناه » ، فقال عليّ كرّم الله وجهه : تعني يا رسول الله قوله :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

فقال صلى الله عليه وسلم : أجل .

وفي بعض الروايات : قام ذلك الأعرابي وأنشد فقال :

أتيناك والعذراء يدمى لبانها وقد شغلت أمّ الصبي عن الطفل

إلى أن قال :

وليس لنا إلا إليك فرارنا وليس فرار الناس إلا إلى الرسل

فبكى النبيّ صلى الله عليه وسلم حتى أخضلت لحيته الشريفة ، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ورفع يديه إلى السماء وقال : اللهمّ اسقنا غيثاً مغيثاً عذباً طيباً نافعاً غير ضار عاجلاً غير آجل ، فما ردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يده الشريفة إلى صدره حتى مطرت السماء ، وجاء أهل البلد يصيحون : الغرق الغرق يا رسول الله ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال : « اللهمّ حوالينا ولا علينا » فانجابت السحابة حتى أحدقت بالمدينة كالإكليل ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « لله درّ أبي طالب لو كان حيًّا لقرّت عيناه من ينشدني قوله » فقام عليّ كرّم الله وجهه ، وأنشد البيت الأول المتقدم » .

٩ — صلاة كسوف الشمس

اعلم أن السبب في كسوف الشمس هو توسط القمر بينها وبين الأرض فيحجب ضوءها وشعاعها الواصلين إلى الجهة المقابلة لها من سطح الأرض . وقد يكون الكسوف كليًّا أو جزئيًّا .

فإذا حصل كسوف الشمس يسنّ إقامة صلاة الكسوف ، وهي سنة مؤكدة ، وهي

ركعتان بلا زيادة ولو لم تنجل الشمس ، فإن فرغ منها قبل انجلائها دعا الله تعالى حتى تنجلى ، ويزيد فى كل ركعة منها قياماً وركوعاً فتكون كل ركعة بركوعين وقيامين ، ويسنّ إطالة القراءة ، ويسن إطالة الركوع والسجود فى كل من الركعتين بمقادير مختلفة فى المذاهب ، وهى مفصلة ومشروحة فى كتاب الفقه على المذاهب الأربعة .

ويجوز أداء صلاة الكسوف بغير هذه الكيفية ، فلو صلاها ركعتين كهيئة النفل أجزأه بلا كراهة .

وهذه الصلاة تكون بلا أذان ولا إقامة ، وَإِنَّمَا يندب أن ينادى لها بقول : الصلاة جامعة .

ويندب إسرار القراءة فيها ، ويندب أن تصلى جماعة ، ولا يشترط فى إمامها أن يكون إمام الجمعة كما يندب فعلها فى الجامع .

ووقتها من ابتداء كسوف الشمس إلى أن تنجلى الشمس ، مالم يكن الوقت وقت نهى عن النافلة ، فإذا وقع الكسوف فى الأوقات التى ينهى عن النافلة فيها اقتصر على الدعاء ولا يصلى ، فإذا انجلت الشمس أثناء الصلاة أتمها على صفتها ، وإذا غربت الشمس منكسفة لايصلى لها .

خطبة لكسوف الشمس والقمر

الحمد لله مظهر الآيات عبرةً لمن اعتبر ، جاعل الجنة لمن أطاع ، والنار لمن عصى وكفر ، تبارك وتعالى إنه كان بالمؤمنين لطيفاً .

أحمده على كمال قدرته الباهرة ، وأشكره على نعمته المتتابعة الوافرة ، وأتوب إليه وأسأله العفو ، إنه لا يزال بالعفو موصوفاً .

وأشهد أن لا إله إلا الله أجرى الشمس والقمر بحسبان ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله خير داع لتوحيد الرحمن .

اللّهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً ، قال الله تعالى (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ

ٱللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ؟ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) .

أما بعد — فياعباد الله ، إن آياتِ ربنا مترادفة ، فهل أحدثت فى القلوب وجلاً ؟ وأهوال الساعة متقاربة ، فهل أصلح عامل عملاً ؟

والدهر أبو العجب يرينا من الغريب صنوفاً ، وإن القادر على إعدام ضوء الشمس نهاراً ، قادر على أن يرسل العذاب على من عصى جهاراً ، فما لاهتمامنا بما يرضى الإله صار ضعيفاً ؟ فلا تحسبوا عباد الله إظهاره لكم الآيات لعباً ، بل لتجعلوا التوبة إلى رضاه سبباً ، قبل أن يأخذكم بغتةً إليه أخذًا عنيفاً .

وإن الشمس والقمر خلق لله ، وآيتان من آياته لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته ، فرحم الله امرأ اعتبر بالآيات ، وكان للخير الوفاء ، ألا وإن ظلمات ذنوبنا لتوجب إظلام النهار ، وتعجيل انتقام الملك الجبار ، فأصلحوا القلوب تنالوا فى القيامة معروفاً ، وتوبوا إلى الله وباب التوبة مفتوح قبل أن تطلع الشمس من مغربها ، ولا يفيد نصح نصوح ، واعتبروا بالآيات فما يرسل بالآيات إلا تخويفاً .

الحـــديث

« إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ ، وَلَكِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِمَا عِبَادَهُ ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَصَلُّوا ، وَادْعُوا حَتَّى يَنْكَشِفَ مَا بِكُمْ » . لفضيلة الأستاذ السيد محمد البيلاوى

١٠ — صلاة خسوف القمر ، والصلاة عند الفزع

أما خسوف القمر ، فسببه توسط الأرض تماماً بينه وبين الشمس ، وبذلك تحجب ظل الشمس عنه ، وترسل ظلها عليه فيعتم قرصه .

وقد يكون الخسوف كلياً أو جزئياً بقدر ما يكون قرصه محتجباً كله أو جزء منه ، فإذا وقع خسوف القمر يسنُّ إقامة صلاة الخسوف . وحكمها وصفتها كصلاة كسوف

الشمس المتقدمة إلا أنها مندوبة ولا تشرع فيها الجماعة ولا يسنُّ إيقاعها فى الجامع ؛ بل تؤدى فى المنازل وحداناً كما جاء فى مذهب الحنفية ، ولها أمور أخرى مفصلة فى المذاهب فى كُتب الفقه .

هذا ، ويندب صلاة ركعتين عند الفزع من الزلازل ، أو الصواعق ، أو الظلمة والريح الشديدين أو الوباء ، أو نحو ذلك من الأهوال ؛ لأنها آيات من الله تعالى يخوّف بها عباده ليتركوا المعاصى ، ويرجعوا إلى طاعته ، فعند وقوعها ينبغى الرجوع إليه تعالى بالعبادة التى يدور عليها أمر سعادتهم فى الدنيا والآخرة ، وهى كالنوافل المطلقة ، فلا جماعة لها ولا خطبة ، ولا يسنُّ فعلها فى المسجد ؛ بل الأفضل فيها أن تؤدى بالمنازل .

حكمة صلاة الكسوف والخسوف

إن كسوف الشمس ، وخسوف القمر ، آيتان من آيات الله يخوّف بهما عباده ، فى هذه الحالة يسنُّ للإنسان أن يصلى هذه الصلاة المتقدمة ليظهر خضوعه وتذلله لواجب الوجود ، الرب المعبود ، الذى بيده الأمر ، والذى لو وقف حركة الشمس والقمر كل منهما فى برجه ، وتعطلت حركة دورته ، أو غير ذلك مما هو مخالف لما تعوّدناه فى انتظام دوران الفلك ؛ لنتج من ذلك الضرر والخطر ، أو قل لهلك البشر ، أو أقل ما فيها اختلال نظام المعيشة ، وفقد كل من النبات والحيوان قوته المتولدة من تأثيرات هذين الكوكبين ، كما قرره علماء النبات والباحثين فى خواص الأجسام .

والله قادر أن يقلب نظام هذا الكون ، وأنه إذا شاء أن يذهبنا ويأتى بخلق جديد غيرنا لفعل فى أقل من لمح البصر .

فالإنسان إذا صلى عند الكسوف والخسوف ، فهو يتوسل إلى الله تعالى أن يقيه المكروه ، ويدفع عنه كل ضرر ، ويظهر له خضوعه وتذلله ، ويعلن يقينه بأن الله هو الفعال لما يريد .

روى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال :

« كُسِفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : أَلاَ إِنَّ الشَّمْسَ

وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ تَعَالَى لاَ يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ هَذَا شَيْئاً فَاحْمَدُوا اللهَ وَكَبِّرُوهُ وَسَبِّحُوهُ وَصَلُّوا حَتَّى يَنْجَلِيَ » .

وفى رواية أبى مسعود الأنصارى : « فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَقُومُوا وَصَلُّوا » .

وقد صلى النبى صلى الله عليه وسلم لكسوف الشمس كما رواه الشيخان ، ولخسوف القمر كما رواه ابن حبان .

أما مايشاع بين السذج من خنق القمر ، فهذا أمر لايقبله العقل ، ولا يقره الشرع ، و إليك بعض ماجاء من عادة قرع الأوانى النحاس والصفيح وقت خسوف القمر .

خسوف القمر

وعادة قرع أوانى النحاس والصفيح

اعتاد بعض الناس عند خسوف القمر قرع أوانى النحاس والصفيح وما شابه ذلك ، وتلك العادة شائعة فى جميع أنحاء المعمورة ، وهى خاصة بالأقطار الشرقية ، وأصل هذه العادة كما جاء فى خلاصة الأثر ، ما اشتهر فى بلاد العجم من أن القمر إذا خسف يضربون على الطاسات ، و باقى النحاس ، حتى يرتفع الصوت ، زاعمين أن ذلك يكون سبباً لجلاء الخسوف، وظهور الضوء ، هكذا قاله بعض الأدباء .

والذى يعوّل عليه فى أصل هذه العادة أن « هلا كو » ملك التتار لما قبض على « النصير الطوسى » وأمر بقتله لإخباره ببعض المغيبات ، فقال له النصير : فى الليلة الفلانية فى الوقت الفلانى يخسف القمر .

فقال هلا كو : احبسوه ، إن صدق أطلقناه وأحسنّا إليه ، و إن كذب قتلناه ، فحبس إلى الليلة المذكورة ، فخسف القمر خسوفاً بالغاً ، واتفق أن « هلا كو » غلب عليه السكر فى تلك الليلة فنام ، ولم يجسر أحد على إيقاظه ، فقيل للنصير الفلكى المشهور ذلك فقال : إن لم ير القمر بعينه و إلاّ فأصبح مقتولاً ، ففكر ساعةً ، ثم قال للمغل : دقوا على الطاسات و إلا ذهب قمركم إلى يوم القيامة، فشرع كل واحد يدق على طاسته فعظمت الضوضاء فانتبه « هلا كو » بهذه الحيلة ، ورأى القمر قد خسف فصدقه ، و بقى ذلك إلى يومنا هذا [1] .

(عن مجلة هدى الإسلام العدد ٨٥ السنة الثانية)

---

(١) نصير الدين الطوسى صاحب تلك الحيلة التى شاعت وصارت عادةً متبعةً ، كان فيلسوفاً ورياضيًّا كبيراً ، وكان ذا حظوة تامة عند هلا كو، وتوفى سنة ٦٧٢ هـ .

(١٠)

أحكام عامة

المحافظة على الصلوات الخمس فى أوقاتها

يجب المحافظة على الصلوات الخمس وأدائها فى أوقاتها لقوله تعالى :

(حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى[١] وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ) . (البقرة)

(أى مطيعين خاشعين) .

وقوله تعالى :

(وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) (الأنعام)

أى يؤمنون بالكتاب الذى أنزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

وقوله تعالى :

(قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) إلى أن قال :

(وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) . (المؤمنون)

وعن أبى قتادة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : قال الله عز وجلّ : « إِنِّي افْتَرَضْتُ عَلَى أُمَّتِكَ خَمْسَ صَلَوَاتٍ وَعَهِدْتُ عِنْدِي عَهْدًا أَنَّهُ مَنْ جَاءَ يُحَافِظُ عَلَيْهِنَّ لِوَقْتِهِنَّ أَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهِنَّ فَلَا عَهْدَ لَهُ عِنْدِي » .

(رواه أبو داود)

---

(١) أى حافظوا على جميع الصلوات الخمس، والصلاة الوسطى التى هى صلاة العصر ؛ وسميت بالوسطى ، لأنها وسط بين صلاة الصبح والظهر ، و بين صلاة المغرب والعشاء .

فيجب المحافظة عليها ، لأن من فاتته صلاة العصر فقد فاته أجر عظيم جداً لو علمه لحزن عليه كما يحزن على فقد أهله وماله ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ فَاتَتْهُ الْعَصْرُ فَكَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ » رواه الأربعة عن ابن عمر .

ومن ترك صلاة العصر عمداً ، فقد بطل عمله لقوله صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ » رواه البخارى والنسائى (عن ابن المليح)

ومعنى هذا الحديث أن الصلاة عهد بين الله و بين عبده ، فمتى حافظ عليها فقـد وفى بعهده ، وله عند الله المنزلة العليا ، واستحق دخول الجنة ، ومن لم يحافظ عليها فقد نقض العهد ، وأمره إلى الله ، إن شاء عذبه ، و إن شاء عفا عنه .

وعن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَـلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَىْءٌ ؟ قَالُوا لاَ يَبْـقَى مِنْ دَرَنِهِ شَىْءٌ . قَالَ فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الخَطَايَا » . (رواه الخمسة إلا أبا داود)

فالمحافظة على الصلوات الخمس مطهرة للذنوب دائماً كمن يغتسل كل يوم خمس مرات فانه يصير نظيفاً دائمـاً .

وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« الصَّـلَوَاتُ الْخَمْسُ ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ كَفارَاتٌ لِمَـا بَيْنَهُنَّ مَالَمْ تُغْشَ الْـكَبَائِرُ » . (أى مالم تفعل كبائر الذنوب) . (رواه مسلم والترمذى)

وقد أوعد الله المصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون بالويل والخسران المبين .

فقال تعالى :

(فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ . اَلَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ . اَلَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَـاعُونَ) (المـاعون)

أى الذين هم غير مبالين بصلاتهم ، لاشتغالهم بأمورهم الدنيوية ، والذين هم يصلون رياء ونفاقاً و يؤخرون الصلاة عن وقتها ، و يمنعون الإعانة والمساعدة ، أى الزكاة وغيرها .

الخشوع فى الصلاة

الخشوع فى الصلاة هو التذلل ، والخضوع ، وخشية الله تعالى ، والتفرغ للصـلاة ، بحيث لايشتغل المصلى بأمر خارج عنها ، فلا يعبث بشىء من جسده أوثيابه ، ولا يلتفت إلى يمينه أوشماله، وهكذا من الأعمال التى تشغل عن الصلاة ، أى يكون قلبه مطمئناً صافياً

من كدورات الأغيار ، متوجهاً بكليته إلى الله جل وعلا ، ناظراً بعين قلبه إلى عظمة الخالق ، حتى كأنه يراه بعيني رأسه ، و إذا وقف الإنسان ساكناً خاضعاً مقبلاً على مولاه كل الإقبال ، مفرغاً فكره لمناجاته ، ينتفع بصلاته فى الدنيا والآخرة ؛ وبالعكس إذا سها واشتغل فكره بأحواله الدنيوية فلا فائدة من صلاته، والويل له كما مرّ ذكره .

ولذا قال الله تعالى منذراً الذين يسهون عن صلاتهم بالويل :

(فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ . الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) . (الماعون) وسبق ذكرها

كما أنه وعد المصلين الخاشعين الخاضعين بالفلاح حيث قال :

(قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) . (المؤمنون) وسبق ذكرها

وقال عليه الصلاة والسلام :

« إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا صَلَّى فَلَمْ يُتِمَّ صَلَاتَهُ خُشُوعَهَا وَلَا رُكُوعَهَا وَأَكْثَرَ الِالْتِفَاتَ لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ » .

« ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رَجُلاً يَعْبَثُ بِلِحْيَتِهِ فِي الصَّلَاةِ فَقَالَ : لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هٰذَا لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ » .

الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر

الفحشاء : الذنوب العظيمة كالسرقة وغيرها .

والمنكر ما لايقبله العقل والشرع مثل الإضرار بالناس كما قال الشاعر :

أثنان لا تقربهما أبداً   الشرك بالله والإضرار بالناس

لجعل الإضرار بالناس فى منزلة الشرك بالله .

فالإنسان فى الصلاة واقف بين يدى مولاه أحكم الحاكمين ، متصوراً فى ذهنه قدرته وعظمته ، وأنه (مالك الملك ، يؤتى الملك من يشاء، و ينزع الملك ممن يشاء ، و يعز من يشاء ، و يذل من يشاء ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير) .

فإن داوم على الصلاة تربى عنده الخوف من الله تعالى ، و إذا خاف منه لايعمل أى عمل يكرهه مطلقاً ، فلايأتى بالفاحشة ولا المنكر ، ولا يظلم أحداً ، ولذلك قال الله تعالى :

(إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَاتَصْنَعُونَ)
(العنكبوت)

وقال صلّى الله عليه وسلم :
« مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ بُعْدًا » .

فوائد الصلاة ، وأسرارها ، وحكمها

إن الصلاة بشروطها وأركانها ، وفروضها وسننها ، من أحكم العظات ، وأبلغ مظاهر العبودية ، فرضها الله سبحانه وتعالى على الأمم لدوام ذكر اسمه ، والقيام بواجب شكره على ماوهبهم من جزيل النعم .

وإذا كان الإنسان يجتهد فى احترام والديه ، ويبالغ فى شكر من أحسن إليه ، فبالحرىّ أن يعظم ويشكر خالقه الدائم الإحسان ، إذ كيف لانحمده ، وله علينا فى كل لحظة من النعم ما لايحصى ، ومن الخيرات ما لايستقصى ؟ بل من ذا الذى يذكر اسمه جل شأنه فى فجره وظهره وعصره ، وفى مسائه وبعد عشائه ، ولايخشاه ، فينتهى عما نهاه ، ويأتمر بأوامره ؟ ويسعى فى عمل يرضيه يتقرب به إليه ؟

وما أعظم فائدة الصلاة فى الدين والدنيا ! لأنها تصل العبد بربه ، وتربط قلوب الموحدين ، وتساوى بين الصغير والكبير ، والأمير والحقير ، فتخضع النفوس ، وتعلم أن العزة والكبرياء لله وحده الكبير المتعال ، الذى عليه وحده الاتكال فى كل حال .

وفى الصلاة رياضة بدنية للجسم ؛ لأن أعمال الصلاة نفسها من قيام وركوع وسجود وسائر مافيها من الهيئات ، ثم تكرار هذه الأعمال فى كل ركعة هى أشبه بحركات رياضية تحرك الدم الجامد ، وتقوّى العضلات الضعيفة ، وتشدّ الشرايين المتصلبة .

ومن يطالع كتب الرياضة البدنية يجد معظم حركاتها مشابهة لحركات الصلاة كل المشابهة ، فهى تنشط الجسم ، وتبعد من البطالة والكسل ، وتعلم الإنسان الصبر والمثابرة والحلم والأدب وحب العمل .

والصلاة رياضة دينية إجبارية لكل مسلم يؤديها خمس مرات يوميًا ، أولها فى الصباح المبكر حيث تنشط الجسم ، وتزيل ماتراكم عليه من التصلب والكسل ، وآخرها قبيل

النوم حتى تساعد على هضم عشائه ، فإذا نام نام فى هـدوء ، دون خوف من تخمة أو ارتباكات فى المعدة .

ولقد راعى الدين القويم الناحية الرياضية تمـام المراعاة فى صلاة التراويح حيث تبدأ صلاة العشاء بعد الإفطار بساعة ونصف أو أكثر قليلاً ، وهو الوقت الطبيعى المحدد لمزاولة التمرينات الدينية عقب الأكل .

وفى التزام المصلى طهارة بدنه وثوبه ، وفى تحرزه عن الأنجاس والأقذار ، تعويد على النظافة ، ووسيلة إلى سلامة الحواس .

وتعلم الإنسان التواضع حيث يضع وجهه على الأرض إعظاماً وخضوعاً لرب العالمين ، وتعلمه عدم التكبر ، فإن الله تعالى سوّى فى موقف الصلاة بين الغنى والفقير ، فترى الغنى الواسع الثروة ، الكثير الخدم والحشم واقفاً وبجانبه البائس الفقير الذى لا يملك قوت يومه ، كلّ يناجى ربه ، ويطلب منه الهداية والإعانة ؛ فإذا رأى ذلك الغنى صغرت نفسه فى عينه ، وعلم أنه وذلك الفقير عبيد لله تعالى ، إن شاء رحمهم ، وإن شاء عذبهم .

وفى ذلك كمال للنفس ، وتهذيب للخلق ، وتوثيق لعرا الإخاء بين الناس ، وذلك من أكبر أسباب العمران ، واستتباب الأمن بين الناس .

أما أسرار الصلاة فهى : أنها تعوّد الإنسان الحياء والوقار ، وهما كذلك من أركان السعادة فى الدنيا والآخرة ، فإن المصلى يلزمه أن يحفظ نفسه فى صلاته عن كل ما يشينها ويعيبها ، فتراه طاهر الثوب ، طاهر البدن ، طاهر المكان ، حسن الشكل ، لا ترى منه عضوا بارزاً ، ولا عورة بادية ، وبذلك تعتاد نفسه التحلى بالكمال ، ولزوم الحشمة والوقار ، فيبلغ الإنسان بذلك الشرف الأعلى ، وينال درجة المقربين .

وفى اجتماع المصلين على أدائها ، متجهين إلى قبلة واحدة ، متساوين فى صفوف واحدة توثيق للألفة ، وباعث على التعارف والتعاون ، واتحاد القلوب كما اتحدت الوجوه فى توليتها إلى قبلة واحدة ، وفى تكرار ذلك خمس مرات فى اليوم تذكير للعبد بربه ، وتعويد للقلب على مراقبته ، ومن راقب الله وقف عند حدوده ، وانتهى عن محارمه .

وقد وعد الله بالخير لمن يقيم الصلاة فقال :

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) . (البقرة)

وقال تعالى :

(إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ . لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ) . (فاطر)

وقال تعالى :

(فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ . رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ . لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) . (النور)

أما حكم الصلاة فهي : وجود الاطمئنان فى القلب ، فلا يجزع عند نزول المصائب ، ولا يمنع الخير إذا وفق إليه ، لأن الجزع ينافى الصبر الذى هو من أفضل أسباب السعادة ، ولأن منع الخير عن الناس مضرة كبرى ، وعدم ثقة بالخالق الرزاق المخاف ماينفقه الإنسان فى سبيل البر والإحسان .

وقد قال الله تعالى :

(إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا . وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا إِلَّا الْمُصَلِّينَ) . (المعارج)

ومن حكم الصلاة : أنها جعلت مكفرة للذنوب والخطايا ، والزلات والتقصير ، إذ العبد فى أوقات ليله ونهاره لايخلو عن ذنب أوخطإ ، أو زلة أو تقصير فى العبادة ، والقيام بشكر النعمة وإن جل قدره وخطره عند الله تعالى هو قليل ، إذ قد سبق إليه من الله تعالى من النعم والإحسان مالو أخذ بشكر ذلك لم يقدر على أداء شكر واحدة منها ، فضلاً عن أن يؤدى شكر الكل ، فيحتاج إلى تكفير ذلك إذ هو فرض ، ففرضت الصلوات الخمس تكفيراً لذلك .

تأثير الصلاة فى الأخلاق

المصلى الذى يؤدى الصلاة مستوفية كلّ شروطها ، يكون كريم الأخلاق ، وذلك لأنها تربى فيه الأمور الآتية والعمل بها :

١ — النظافة فى جسمه وفى ثيابه وفى مكانه ، بل فى كل حالة لها به علاقة .

٢ — الترتيب والنظام ، لأن أعمال الصلاة كلها مرتبة منتظمة لايصح تقديم بعضها على البعض الآخر .

٣ — المحافظة على المواعيد ، وتأدية الأعمال ، والحقوق فى أوقاتها ، لأن للصلاة أوقاتاً خاصة يجب أن تؤدى فيها .

٤ — الصبر والثبات على الأعمال ، لأن الصـــلاة متكررة فى كل يوم خمس مرات ، ولا تنقطع أبداً .

٥ — حسن القول ، واحترام الرؤساء ، لأن المصلى تعود الوقوف أمام مولاه بغاية الخشوع والخضوع ، يؤدى له مايجب عليه من أنواع الاحترام والتعظيم .

والخلاصة أن من أدى الصلاة فى أوقاتها ، وواظب عليها ، حسنت أخلاقه ، وكملت صفاته ، ونال رضا ربه ، ومحبة إخوانه ، وكان من المنعمين يوم القيامة بجنات النعيم .

تأثير الصلاة فى صحة الجسم

من مزايا الصلاة أيضاً صحــة الجسم ، فقد قيل : إن من يحافظ عليها يأمن من مرض الظهر ، وتصلب الشرايين ، لأن فى الصلاة حركة لأجزاء الجسم كلها حتى إن الشرايين الصغيرة لاتتحرك بأى شىء إلا بوضع الأعضاء السبعة على الأرض فى السجود ، والواقع أن فى الصــلاة أماناً من كل الأمراض التى تنشأ من قلة الحركة أوعدمها ، كالسمنة التى كثرت فى ربات البيوت ، وقد ورد : « أَذِيبُوا طَعَامَكُمْ بِذِكْرِ اللهِ وَالصَّلَاةِ ، وَلَا تَنَامُوا عَلَيْهِ فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ » .

والحديث (وإن قيل فيه : إنه ضعيف) فالوجدان يصدقه ، والعقل يقبله .

جزاء تارك الصلاة ومؤخرها عن وقتها

المصلى الذى يؤدى الصلاة فى أوقاتها يحبه الله تعالى ، ويرضى عنه ، ويكون محترماً بين الناس ، ويتعود أن يؤدى أى عمل يكلف به فى وقتــه ، فيكتسب رضا الله والناس عنه ، وتروج تجارته وصناعته .

أما الذى يؤخرها عن وقتها فإن الله يكرهه ، ويتعود عدم تأدية الأعمال فى أوقاتها ، فيكرهه الناس ، ولا يقبلون على تجارته ، ولا يطلبون منه صنع شىء إذا كان صانعاً .

وأما الذى يترك الصلاة رأساً ، فإنه يكون مبغضاً عند الله والناس ، فيُضرب إن كان صغيراً ، ويُحبس أو يقتل إن كان كبيراً ، لأن الذى لا يصلى يكون كثير الشرور والأذى للعالَم ، ولأنه يكون عاصياً لله تعالى ، مخالفاً لأوامره ، وسيعاقبه على ذلك فى الآخرة بأن يدخله نار جهنم .

قال الله تعالى :

(مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ؟ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ . وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ . وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ . وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ) . (المدثر)

وقال تعالى :

(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (المنافقون)

وقال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه عز وجل :

« مَنْ تَرَكَ الصَّلاَةَ مُتَعَمِّدًا فَقَدْ كَفَرَ جِهَارًا » .

وقال عليه الصلاة والسلام :

« تَارِكُ الصَّلاَةِ مَلْعُونٌ ، وَجَارُهُ إِنْ رَضِيَ بِهِ مَلْعُونٌ ، وَلَوْلاَ أَنِّى حَكَمْتُ عَدْلٌ لَقَتَلْتُ ، وَمَنْ يَخْرُجُ مِنْ ظَهْرِهِ مَلْعُونٌ » .

وقال أيضاً :

« تَارِكُ الصَّلاَةِ لاَدِينَ لَهُ ، وَمَنْ لاَدِينَ لَهُ لاَ نَبِيَّ لَهُ ، وَمَنْ لاَ نَبِيَّ لَهُ لاَرَبَّ لَهُ ، وَمَنْ لاَرَبَّ لَهُ فَهُوَ كَافِرٌ » .

واتفقت الأئمة الأربعة على أن تارك الصلاة جحوداً وإنكاراً يقتل بكفره ، والفرق بين المسلم والكافر ترك الصلاة .

عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ » (رواه الخمسة إلا البخارى)

فعليكم بالمحافظة عليها ، وتأديتها فى أوقاتها ، لتفوزوا برضاء الله وجنته .

إن بعض الجهلة يعتذر عن ترك الصلاة بخرافات واهية لا يقبلها العقل ويقول : إن ربنا غنى عن المداهنة ، ولا حاجة له بهذه الصلاة .

فقل لهؤلاء الجهلة الأغرار : نعم إن ربنا غنى عن كل شىء ، ولكن أنتم ياضعفاء العقول لستم بأغنياء عن الفوائد التى تنجم من الصلاة ، وقد أوجبها الله عليكم لإتحافكم بها ، لالنيله شيئاً منكم .

أأنتم أغنياء عن التهذيب والتذكير بربكم ، وتجديد التوبة ، والتمرين على الطاعة لرؤسائكم ، وثمرات الاجتماع مع أقرانكم ، الداعى ذلك إلى الألفة والتعاون ، إلى غير ذلك من فوائد الصلاة ؟ لا إخالكم تدّعون الاستغناء عن ذلك ، وإن أفضى بكم الجهل والعناد إلى أدعاء هذه الدعوى ، فلا أراكم إلا حمقى تستحقون السقوط والإهمال من عداد الرجال

ثم قل لهؤلاء الظالمين لأنفسهم بحرمانها من فوائد الصلاة : لأى داع تتركون الصلاة ؟ إن كنتم تتركونها جحوداً واستنكاراً لها بعقولكم الفاسدة ، فاعلموا أن الشريعة المحمدية قد حكمت عليكم بالكفر ، وخلع ربقة الإيمان ، فلا كلام لنا معكم حينئذ فى شأن الصلاة ، إذ ليس بعد الكفر ذنب ، ولكن علينا أن ننصحكم بتجديد إيمانكم ، وتوبتكم من الكفر .

وإن كنتم تتركونها كسلاً ، فما أبرد هذا الكسل ! وما أسمجه فى النفوس !

تأملوا ياجهلاء ، إن اليوم أربع وعشرون ساعة تمرحون فيها بشهواتكم وملذاتكم ، والسعى على مآربكم الدنيوية ، والأوقات التى تلزم لأداء هذه الصلوات الخمس إذا جمعت تبلغ الساعة أوالساعتين على الأكثر ، أيكون من الإنصاف ، وسداد الرأى ، وحسن التدبير ، أن تنشطوا لنيل تلك الشهوات الزائلة ، والمآرب الفانية ، اثنتين وعشرين ساعة ،

وتكسلوا عن نيل تلك الفوائد الناضة الدائمة قدر ساعة أوساعتين ؟ ماعذركم عند ربكم في ترك هذه الصلوات ، وقد أمركم باقامتها المرات العديدة فى كتابه العزيز ؟ أتحسبون أنفسكم فى عداد المسلمين ، وقد هدمتم ركناً من أعظم أركان الدين ؟.

أما تخجلون من رسولكم الذى كانت قرة عينه عليه الصلاة والسلام فى الصلاة ؟ فوالله لاعذر لتارك الصلاة حتى فى حالة المرض ، فهو يمكنه أن يصلى وهو قاعد ، أومضطجع على جنبه . كما جاء فى كتب الفقه .

نسأل الله أن يوفق عباده المؤمنين المخلصين لأدائها فى أوقاتها .

المساجد ونشأتها وتكوينها

كل موضع يمكن أن يعبد الله فيه ، ويسجد له يسمى مسجداً .

قال صلى الله عليه وسلم :

« جُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدً وَطَهُورًا ، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ » . (رواه البخارى)

وفى الحديث القدسى عن رب العزة :

« إِنَّ بُيُوتِي فِي الْأَرْضِ الْمَسَاجِدُ ، وَإِنَّ زُوَّارِي فِيهَا عُمَّارُهَا ، فَطُوبَى لِمَنْ تَطَهَّرَ فى بيْتِهِ ، وَزَارَنِي فِي بَيْتِي ، وَحَقٌّ عَلَى الْمَزُورِ أَنْ يُكْرِمَ زَائِرَهُ . »

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى فى مرابض الغنم قبل أن يبنى المسجد ، كما جاء فى الحديث الشريف عن أنس رضى الله عنه قال :

« كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي فِي مَرَابِضِ الْغَنَمِ » . (رواه البخارى)

وأول مسجد وضع للناس هو الكعبة (بيت الله الحرام) بمكة المكرمة بدليل قوله تعالى :

(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ . فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) . (آل عمران)

أى إن أول بيت للعبادة وضع للناس : هو البيت الحرام الذى بمكة المكرمة ، وقد أحاطه الله بالبركات ، وجعله هدًى للناس ، وأودعه آيات بينات ، منها الصخرة التى قام عليها سيدنا إبراهيم عليه السلام ، وأثرت فيها قدماه ، وفيها الأمن الذى يفيضه الله على المعتكف فيه ، وقد فرض الله على الناس أن يحجوا هذا البيت المكرم من استطاع إليه سبيلاً فى العمر مرةً واحدةً .

وقد امتنّ الله على عباده بأن جعل لهم الكعبة مرجعاً يرجعون إليه ، و يجتمعون فيه من مشارق الأرض ومغاربها فى أيام الحج بأن أمرهم بأن يتخذوا مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام (وهو موضع الحجر الذى قام عليه ودعا الناس للحج) مصلًّى لأداء الصلاة ، و بأن أمر إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام بأن يطهرا البيت من الأصنام والأنصاب ، وأن يهيئاه للطائفين والمعتكفين فيه لقوله تعالى :

(وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى، وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) .
(البقرة)

والمسجد الثانى : هو (المسجد الأقصى) ببيت المقدس الذى بناه عمر رضى الله عنه ، وسمى بالأقصى : أى الأبعد ، لأنه لم يكن وراءه مسجد .

« سأل أبو ذر النبى صلى الله عليه وسلم قال : يارسول الله ، أى مسجد وضع أولاً ؟ قَالَ : الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ . قَالَ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى . قَالَ : كَمْ بَيْنَهُمَا . قَالَ : أَرْبَعُونَ سَنَةً » .

فتبين من هذا الحديث أن المسجد الحرام هو أول مسجد وضعه الله فى الأرض ، وأن المسجد الأقصى هو الثانى ، وقال الله تعالى :

(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الإسراء)

يذكر الله تعالى لعباده ما منّ به على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم من نعمة

الإسراء به من المسجد الحرام إلى بيت المقدس ، واجتماعه هنالك بالأنبياء ، وهى نعمة لم ينلها نبىٌّ قبله فى حياته وسيأتى الكلام عليها .

وفى تلك الليلة فرضت الصلوات الخمس كما مرَّ ذكره .

المساجد التى تشد إليها الرحال

المساجد التى تشد إليها الرحال ثلاثة ، وهى الواردة فى الحديث الشريف : قال النبى عليه الصلاة والسلام : « لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا لِثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ : المَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَالْمَسْجِدِ الأَقْصَىٰ ، وَمَسْجِدِى هٰذَا » أى المَسْجِدِ النَّبَوِى ، ويقع فى الجهة الجنوبية الشرقية من المدينة المنورة خارجاً عن مبانيها ، وسيأتى الكلام عليها فى باب الحج والزيارة النبوية .

جامع عمرو

وأول مسجد بنى فى مصر هو (جامع عمرو) بناه سيدنا عمرو بن العاص فى مدينة الفسطاط وذلك سنة ٢١ من الهجرة ، وجعل عمرو للمسجد محراباً ، ويقال : هو أول من أحدث المحراب ، ثم زاد فيه ابن أبى جعفر المنصور ، وأول من أحدث المحراب المجوف عمر بن عبد العزيز ، وهو يومئذ عامل للوليد بن عبد الملك على المدينة ، وقيل : إن قرة بن شريك هو الذى أحدث المحراب المجوف .

الجامع الأزهر

الجامع الأزهر: هو ذلك المسجد الكبير القائم فى مدينة القاهرة لأكثر من تسعة قرون ونصف ، وفيه تلك الجامعة الدينية الإسلامية الكبرى التى يتخرج منها العلماء والوعاظ .

وهو أول مسجد أسس بالقاهرة (بعد جامع عمرو) أنشأه القائد جوهر الكاتب الصقلى مولىٰ المعز لدين الله الفاطمى لما اختط القاهرة ، إذ شرع فى بنائه لست بقين من جمادىٰ الأولىٰ سنة ٣٥٩ هـ ، وتمَّ بناؤه لتسع من رمضان سنة ٣٦١ هـ .

وأول من جدد فى الأزهر وأجرىٰ الأرزاق على مدرسيه ، هو العزيز بالله بن المعز لدين الله ، وآخر بناء أقيم بجانبه وضمَّ إليه الرواق العباسى الذى أنشأ فى عهد الخديوى عباس الثانى .

لم يكن للجامع الأزهر مثيـل فى جميع الأقطار الإسلامية ، ولشهرة علمائه ، وعظم مكانة التعليم الدينى فيـه عرف فى المغربين وفى المشرقين بأنه الكلية الإسلامية الأولى ، والجامعة الدينية التى يستضىء كل مسلم بنورها ، ويهتدى بهديها .

المساجد الكبيرة الشهيرة بمصر

مصر غنية بالمساجد ، ولنذكر أهم وأشهر مساجدها وهى : مسجد سيدنا الحسين رضى الله عنه . مسجد الإمام الشافعى رضى الله عنه . مسجد الإمام الليث رضى الله عنـه . مسجد السيدة نفيسة . مسجد السيدة سكينة . مسجد ابن طولون . مسجد السلطان حسن مسجد الرفاعى . مسجد شيخون . مسجد السيدة زينب رضى الله عنها . مسجد الحنفى . مسجد الشيخ صالح . مسجد قيسون . مسجد المؤيد . مسجد الغورى . مسجد قايتباى . مسجد قلاوون . مسجد الشعرانى . مسجد أبى العلاء . مسجد فؤاد الأول بمصر الجديدة . مسجد محمد على الـكبير بالقلعة . المسجد الأحمدى بطنطا . مسجد سيدى إبراهيم الدسوقى بدسوق. مسجد سيدى أبى العباس المرسى بالاسكندرية. مسجد الأباصيرى بالاسكندرية .

بنيان المساجد فى العصر الأول

« المَسْجِدُ كَانَ عَلَى عَهْدِ رسول الله صلى اللهُ عليه وسـلم مَبْنِيًّا بِاللَّبِنِ (الطوب النىء) وَسَقْفُهُ بِالْجَرِيدِ ، وَعُمُدُهُ خَشَبُ النَّخْلِ ، فَلَمْ يَزِدْ فِيهِ أَبُو بَـكْرٍ شَيْئاً ، وَزَادَ فِيهِ عُمَرُ ، وَبَنَاهُ عَلَى بُنْيَانِهِ فِي عَهْدِ رسول الله صلى الله عليه وسلم بِاللَّبِنِ وَالْجَرِيدِ ، وَأَعَادَ عُمُدَهُ خَشَباً ، ثُمَّ غَيَّرَهُ عُثْمَانُ فَزَادَ فِيهِ زِيَادَةً كَثِيرَةً ، وَبَنَى جِـدَارَهُ بِالْحِجَارَةِ الْمَنْقُوشَةِ (القصّة) وَجَعَلَ عُمُدَهُ مِنْ حِجَارَةٍ مَنْقُوشَةٍ ، وَسَقْفَهُ بِالسَّاجِ » .
(البخارى)

ثم أخذت المساجد تتطور فى بنيانها ، وصنعها وشكلها مع تطور الزمن ، حتى وصلت إلى ما هى عليه الآن .

وضع الحجر الأساسى لمسجد « فاروق »

فى بور فؤاد

وافتتاح مسجد « فاروق » ببور سعيد

تفضل جلالة الملك المحبوب بوضع الحجر الأساسى لمسجد « فاروق » فى بور فؤاد ، وتفضل بافتتاح مسجد « فاروق » ببور سعيد .

وقد ألقى معالى وزير الأوقاف أمام جلالة الملك هذه الخطبة :

كلمة وزير الأوقاف فى بور سعيد

مولاى صاحب الجلالة :

إن من آيات رضا الله عنكم ، ونعمته على هذه الأمة بكم ، أن عمر باليمن والبركة أيامكم ، وقرن بالخير والبر مسيركم ومقامكم ، فأنى سرتم سايرت خطاكم مظاهر حدبكم على شعبكم ، ومآثر رعايتكم لرعيتكم ، ومفاخر اعتزازكم بدينكم ، وحرصكم على إرضاء ربكم .

لقد صاحبت نهضة المساجد نهضة الإسلام فناً ، وقوة وسلطاناً ، وكان لأسرتكم العلوية المجيدة أثر محمود فى النهضتين ، فقد شيدوا من المساجد ، ووقفوا عليها من أموالهم ما سيبقى أبداً فخراً لمصر خاصةً ، وللمسلمين عامةً ، ولعائلتكم الكريمة مأثرة باقية على تعاقب الأيام ، وكر العصور .

ما أعظم اطمئنان المسلم حينما يقبل على بلد ولو كان غريباً عنه ، فيرى مآذنه ذاهبات فى السماء ، مشرقات على ما حولها من البناء ، فيخفق قلبه خفقان المقبل على وطنه ، العائد إلى أهله ، لأن الإسلام دين ووطن ، والمسلمون مهما تناءت ديارهم ، وتباينت أوطانهم ، إخوان فى الله ، تتجاوب مآذنهم بأبلغ كلمة نطق بها الإنسان لتقديس الحرية الإنسانية ، وتمكين المساواة بين الناس .

تلك هى كلمة « الله أكبر ولا إله إلا الله » .

ما أشد اعتزاز المسلم بإيمانه ، ثم بشجاعته ، ثم بكرامته ، ثم بإنسانيته ، حينما يقرع سمعه هـذا النداء ، فيتذكر أن كل ما خلا الله سواه ، وأن كل الناس لآدم ، وآدم من تراب ، ولدتهم أمهاتهـم أحراراً لا يستعبدون لجنسهم ، ولا لفقرهم ، ولا لأحسابهم ، ولا لألوانهم ، و إنمـا يتفاضلون بالفضيلة والتقوى والعمل الحق فى سبيل الله والوطن .

وهأنتم يامولاى تواصلون سيرة أسلافكم الأماجد فى عمارة المساجد فى مصر وخارج مصر ، وفى الإقبال عليها ، والتردد إليها ، إظهاراً لشـعائر الإسلام ، وتمكيناً للديمقراطية الإنسانية فى أجمـل صورها ، وأقدس معانيها ، تتابعكم فى كل ذلك حكومتكم المخلصة لعرشكم ، بوحى من نبيل قصدكم ، و باعث قوى من حب الخير لشعبكم وأمتكم .

إن هذا المسجد الذى تتفضلون اليوم بوضع حجره الأساسى ، سيكون نموذجاً عالياً لارتقاء فن عمارة المساجد فى عهدكم السعيد ، وستبلغ تكاليفه خمسين ألفاً من الجنيهات ، وقد تبرع للمساهمـــة فى إقامته حضرة (محمد بك على سودان) بخمسة آلاف جنيه ، ووقف المرحوم الحاج (محمد أبوسلامة) بألفين ، فإلى الله نكل جزاءهما على حسن ماصنعا .

و إنه لمن حق مصر ـ ولهـا هذا المَلِك الذى امتاز بالصلاح فى شبابه ـ أن تغتبط وتستبشر بأن تتيه وتفخر بأن الله تعالى أراد أن يكتب لهـا بيد مالـكها ، شرف الغيرة على الدين ، وفضل السعى إلى استعادة مجد الإسلام والمسلمين .

مولاى صاحب الجلالة :

أسأل الله أن يلاحظ بعين العناية ركابكم ، و يساير بحسن الرعاية ذهابكم و إيابكم ، و يضاعف عن الأمة والوطن والدين ثوابكم ، آمين .

(مجلة الإسلام العدد ١٣ السنة ١٣)

فى هذه الكلمة شهادة حق ، ودليل قاطع ، على مالمولانا الملك من الصلاح والتقوى ، والغيرة على الدين ، والمأثرة فى تعمير المساجد خدمةً للاسلام والمسلمين .

حفظه الله وأبقاه ، وأيده بنصره ، وزاده عزًّا و كرماً و إيماناً وصلاحًا وعلماً .

تعمير المساجد

من الأدلة الواضحة والبراهين الساطعة على شدة إيمان جلالته هو أنه يقيم شعائر الدين الحنيف ، ويهتم كل الاهتمام بتعمير مساجد الله .

وموكبه فى كل أسبوع المتوجه إلى المساجد لإقامة صلاة الجمعة ينقل إلى أفراد شعبه صورة محببة من تقوى الله وخشيته .

وإن فى اختيار جلالته لشتى المساجد للصلاة فيها لحكمة بالغة .

فقد جرت العادة أن يعنى القائمون بالأمر بترميم المسجد الذى تتجه رغبة جلالته للصلاة فيه وإصلاحه قبل تشريفه .

ولكى يكثر جلالته من تعمير بيوت الله يطلب أن يعرض عليه مسجدان فى كل أسبوع ليصلى فى أحدهما .

والغرض من هذا كله أن يعمر مسجدان ، ولولم يتمكن جلالته من الصلاة إلا فى واحد منهما .

وبهذه الوسيلة أمكن لوزارة الأوقاف ترميم كثير من المساجد ، وإصلاحها ، وأصبح يؤمها كثير من المصلين بعد أن كانت خالية منهم ، ويرجع الفضل فى ذلك لجلالة مولانا الملك الصالح المحبوب حفظه الله وأيد ملكه .

تكوين المساجد

كل مسجد مكوّن من (صحن) وهو الفراغ الذى يجتمع فيه الناس للصلاة والدراسة (والمحراب) وهو مقدم المسجد الذى يقوم فيه الإمام للصلاة ، ويعرف بالقِبْلَةِ (والمنبر) الذى يقوم عليه الإمام خطيباً فى يوم الجمعة والأعياد لإلقاء الخطب المعتادة (والمئذنة) التى يصعد إليها المؤذن لأداء الأذان للصلاة فى أوقاتها الخمس .

أما المحراب فوارد فى قوله تعالى فى شأن مريم :

(وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ، كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَالَ يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا ؟ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ . هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ. فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى) الخ . (سورة آل عمران)

أى أن زكريا عليه السلام هو الذى كفل مريم وأحلها فى غرفة أعدها لها ، وهى (المحراب) فكان كلما دخل عليها فيها وجد عندها رزقا ، فكان يقول لها : من أين لك هذا ؟ فكانت تجيبه : بأنه من عند الله ، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب .

عند مشاهدة هذه الكرامة السنية دعا زكريا ربه بأن يهبه ذرية صالحة يقيمون معه أمر الله ، فنادته الملائكة ، وهو قائم يصلى فى (المحراب) أن الله يبشرك بيحيي عليه السلام .

وأول من أحدث (المحراب العادى) هو (عمرو بن العاص) لمسجده ، وأول من أحدث (المحراب المجوف) هو (عمر بن عبد العزيز) كما مر ذكره . ولم يكن للسلف الصالح رضوان الله عليهم محراب ، وهو من البدع المستحسنة ؛ لأن أكثر الناس إذا دخلوا المسجد لايعرفون القبلة إلا بالمحراب فصارت معينة ، وعند السادة الحنابلة ينبغى اتخاذ المحراب فى المسجد ليستدل به على القبلة .

أما (المنبر) فكانت العرب فى الجاهلية تخطب على مرتفع من الأرض ، ثم حدثت المنابر فى الإسلام ، وأشهرها منبر المدينة المنورة ، ومنبر مكة المكرمة .

أما منبر المدينة : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب وهو مستند إلى جذع نخلة ، وفى سنة سبع من الهجرة (كما روى الطبرى) اتخذ منبراً من خشب الأثل ، ذا ثلاث درجات يجلس على الدرجة الثالثة منه ، وكان أبو بكر رضى الله عنه يجلس على الدرجة الثانية تأدباً فى حق الرسول صلى الله عليه وسلم .

ثم جاء عمر رضى الله عنه فخطب على الدرجة الأولى واضعاً رجليه على الأرض تأدباً فى حق الرسول وأبى بكر .

وكان المنبر والعصا هما علامتان للشرف يتميز بهما الوالى أو القاضى فى صدر الإسلام ؛ ثم تطورت العصا حتى صارت صولجاناً ؛ ثم أخذ فى زيادة درجات المنبر حتى صار تسع درجات .

وكان الخلفاء يقفون على السابعة ، وهى الأولى من المنبر النبوى ، كما أنه استبدل أخيراً بمنبر من الرخام أرسله السلطان مراد سنة ٩٩٨ هـ . ولا يزال باقياً إلى يومنا هذا .

أما منبر الحرم المكى : فكان الخطباء من الخلفاء والولاة يخطبون بالمسجد الحرام بمكة يوم الجمعة قياماً على الأرض حتى سنة ٢٤ هـ ؛ إذ قدم معاوية حاجًّا ومعه منبر من خشب ذو درجات ثلاث . ولما حج هارون الرشيد حمل معه منبراً من خشب ذا تسع درجات ، ثم جعل للمسجد بعد ذلك عدة منابر : منها منبر الملك المؤيد ، ومنبر الملك الناصر ، ومنبر السلطان سليمان خان .

وأقدم منبر موجود الآن بالعالم الإسلامى (منبر جامع القيروان) صنع هذا المنبر فى عهد إبراهيم بن أحمد الأغلب سنة ٢٦١ هـ ، ولم يتغير إلى الآن . وأول منبر بنى بمصر (منبر جامع عمرو بن العاص) بمدينة الفسطاط .

أما فى قرى مصر ؛ فلم يكن يخطب فيها إلا على العصا بجانب المحراب إلى أن ولى عبد الملك بن موسى من قبل مروان بن محمد الأموى فأمر باتخاذ المنابر فى الأوقاف سنة ١٣٢ هـ . واستمرت المنابر فى القرى والأمصار بحجم أكبر مما كانت عليه زمن النبى صلى الله عليه وسلم حتى أمر المهدى بن أبى جعفر المنصور بتصغيرها وجعلها بقدر منبر النبى صلى الله عليه وسلم سنة ١٦١ هـ ؛ ولكنها عادت إلى الكبر بعد ذلك .

وكانت المنابر فى القرون الأولى الإسلامية تحت درجها قنطرة يصلى فيها المصلون حتى لا ينقطع الصف ، ثم عملت المنابر فى العهد الفاطمى ، وما بعده سدًّا بدون نافذتين فى الجانبين ، كما يشاهد فى منبر (الجامع العمرى بقوص) الذى أنشأه الملك الصالح طلائع سنة ٥٥٠ هـ ، وفى (منبر الجامع الطولونى) الذى أنشئ سنة ٦٩٦ هـ ، وفى (منبر جامع المردانى) الذى أنشئ سنة ٧٤٠ هـ . وغيرها من منابر مصر الكثيرة .

الآيات التى وردت فى تعمير المساجد وتخريبها

١ — (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) . (سورة الجن)

المعنى

إن المساجد هى بيوت الله ، فلا تدعو فيها غير الله ، لقوله تعالى : (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) .

٢ — (مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ . إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ . أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) . (سورة التوبة)

المعنى

كان القرشيون فى مكة يفتخرون بأنهم قوام بيت الله وحجابه وخدمته ، فنزلت هذه الآية ترد عليهم دعواهم ، وتفضل المؤمنين الذين باعوا أنفسهم فى سبيل الله ، وإعلاء كلمة الحق ، ونصرة الفضيلة ، وإقامة معالم العدل . والفضل على أولئك الذين منعوا عن ذلك كله بأن يكونوا حجاباً للحرم يسقون الحجاج ، ويعمرون المسجد ، والفرق بين الفريقين ظاهر لا يحتاج إلى بيان .

٣ — (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا) . (سورة البقرة)

قال ابن عباس وغيره : نزلت هذه الآية فى النصارى .

المعـــنى

كيف تدّعون أيها النصارى أنكم من أهل الجنة ، وقد خربتم بيت المقدس ومنعتم المصلين من الصلاة فيه ؟

وقيل : إنهم فعلوا ذلك عداوة لليهود ، إذ حملهم بغضهم اليهود على أن أعانوا (بختنصر المجوسى) على تخريب بيت المقدس ؛ وروى أن هذا التخريب بقى إلى زمن عمر رضى الله عنه .

وقيل : نزلت هذه الآية فى المشركين ، إذ منعوا المصلين والنبى صلى الله عليه وسلم ، وصدوهم عن المسجد الحرام عام (الحديبية) .

وقيل : المراد من منع من كل مسجد إلى يوم القيامة ، وهو الصحيح .

وعلى الجملة فتعطيل المساجد عن الصلاة ، وإظهار شعائر الإسلام فيها خراب لها ، كما هو جار اليوم من إقفال المساجد عقب الصلاة ، بحيث لايفتحها القوّام عليها إلا عند الأوقات الخمس .

٤ — (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ، فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ) . (سورة التوبة)

المعـــنى

روى أن بنى عمرو بن عوف لما بنوا (مسجد قباء) سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلى فيه فصلى فيه ، فحسدتهم إخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجداً على قصد أن يؤمهم فيه أبو عامر الراهب ، وهو أشد أعداء الرسول إذ قدم من الشأم فلما أتموه دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلى فيه ، فلما همّ بتلبية دعائهم نزلت هذه الآية فأمر بهدمه .

٥ — (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) . (سورة يونس)

المعـــنى

إن الله أوحى إلى موسى وأخيه هارون ، أن يتخذا لقومهما مساكن ومنازل بمصر ، وأن يجعلا بيوتهما محلات للصلاة ، وأن يقيما الصلاة فيها ، و يبشرا المؤمنين الذين يقيمون الصلاة بالجنة .

فياسعادة من بنى مسجداً يبتغى به وجه الله فيبنى الله له مثله فى الجنة ! لقوله صلى الله عليه وسلم عن عثمان بن عفان يقول : — عند قول الناس حين بنى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم — إنكم أكثرتم ، و إنى سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول :
« مَنْ بَنَى مَسْجِداً يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللهِ بَنَى اللهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ » .

آداب المسجد

١ — إذا ذهبت أيها المسلم إلى المسجد ، فكن طاهر البدن والثوب ، عملاً بقوله تعالى :
(وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ . وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) . (سورة المدثر)

وقوله تعالى : (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) . (سورة الأعراف)
أى البسوا أحسن ثيابكم عند كل صلاة أو طواف .

٢ — إذا دخلت المسجد فابدأ برجلك اليمنى ، و إذا خرجت فابدأ برجلك اليسرى ؛ لأن النبى صلى الله عليه وسلم كَانَ يُحِبُّ التَّيَامُنَ فِي دُخُولِ الْمَسْجِدِ وَغَيْرِهِ . وكان ابن عمر يبدأ برجله اليمنى، فإذا خرج بدأ برجله اليسرى عملاً بالحديث الشريف وهو:
عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ التَّيَامُنَ مَا اسْتَطَاعَ فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ فِي طُهُورِهِ وَتَرَجُّلِهِ وَتَنَعُّلِهِ » . (رواه البخارى)

٣ — و إذا دخلت المسجد فسلم على النبى وقل « اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ » .

و إذا خرجت فسلم على النبى وقل : « اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ » . عملاً بالحديث الشريف :

« إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ وَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ ، وَإِذَا خَرَجَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ وَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ » .

(عن أبي حميد)

٤ — إذا دخلت المسجد فصلِّ ركعتين (تحية المسجد) فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَجْلِسَ » .

(رواه البخارى)

وفى رواية عن أبى هريرة :

« إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلَا يَجْلِسْ حَتَّى يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ » (عن أبى قتادة)

٥ — لا تأت شيئاً فى المسجد يوجب الحدث ، لقوله صلى الله عليه وسلم :

« الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَادَامَ فِي مُصَلَّاهُ الذِى صَلَّى فِيهِ مَالَمْ يُحْدِثْ تَقُولُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ » .

(رواه البخارى)

٦ — يجب عدم رفع الصوت فى المسجد . قال ابن السائب بن يزيد :

كُنْتُ قَائِمًا فِي الْمَسْجِدِ فَحَصَبَنِي رَجُلٌ فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ : اذْهَبْ فَأْتِنِي بِهَذَيْنِ فَجِئْتُهُ بِهِمَا قَالَ : مَنْ أَنْتُمَا أَوْ مِنْ أَيْنَ أَنْتُمَا ؟ قَالَا : مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ . قَالَ : لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ لَأَوْجَعْتُكُمَا تَرْفَعَانِ أَصْوَاتَكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم .

٧ — يجب عدم المرور بين يدى المصلى ، وعدم تخطى الرقاب يوم الجمعة ، وعدم الكلام وقت الخطبة ، وسبق الكلام عليها فى صلاة الجمعة .

٨ — يجب تطييب المساجد ونظافتها ، وصونها عن الروائح الكريهة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ أَكَلَ الثُّومَ أَوِ الْكُرَّاثَ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ » .

وفى رواية « فَلَا يَقْرَبَنَّ الْمَسَاجِدَ » .

بدع المساجد المنهى عنها

١ — بعض المصلين فى المساجد يجهر بالقراءة فى غير محل الجهر ، ويرفع صوته كثيراً بها ، وتكبيرة الإحرام فيشوش بعضهم على بعض ، وقد نهانا عن ذلك الرسول عليه الصلاة والسلام ، ففى الحديث :

« خَرَجَ النَّبِىُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَصْحَابِهِ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَيَجْهَرُونَ بِالْقِرَاءَةِ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ كُلُّكُمْ يُنَاجِى رَبَّهُ فَلَا يَجْهَرْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالْقِرَاءَةِ » .

وقال عليه الصلاة والسلام للإمام علىّ رضى الله عنه :

« يَا عَلِىُّ لَا تَجْهَرْ بِقِرَاءَتِكَ ، وَلَا بِدُعَائِكَ حَيْثُ يُصَلِّى النَّاسُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُفْسِدُ عَلَيْهِمْ صَلَاتَهُمْ » .

٢ — اعتاد الناس فى المساجد عقب الصلاة أن يرفعوا أصواتهم بالاستغفار ، ثم يقرأ أحدهم بصوت مرتفع آية الكرسى ، ويسبح ثلاثاً وثلاثين ، ويحمد ، ويكبر كذلك ، ويجهر بين التسبيح والتحميد ، وكذا بين التحميد والتكبير بكلمات لم ترد فى الحديث ؛ ثم يدعو الله بصوت مرتفع ، ولم يرد هذا فى الحديث ولا عمله الصحابة ؛ والسنة الاقتصار على ما ورد فى الحديث ، إذ لا هَدْىَ خير من هدى محمد صلى الله عليه وسلم ، فيأتى المصلون بهذه الأذكار منفردين ، حتى بعد انصرافهم كما كان يفعل الصحابة رضى الله عنهم .

ولا يخفى أنه قد يكون فى المصلين مسبوق يتم صلاته ، وهذا العمل يؤذيه ويشغله عن المطلوب فى الصلاة .

فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى عن جهر بعض المصلين على بعض ، فهذا أولى بالنهى ، وأحق بالمنع .

٣ — من البدع القبيحة انتقال بعض المصلين بعد فراغهم من الصلاة فى المساجد بالحديث المباح أو المحرّم ، رافعين أصواتهم به بحضرة من يصلى فيؤذونه ، ويشغلونه عن الخشوع الواجب فى الصلاة ، والتدبر فيها ؛ على أن المساجد لها حرمة وكرامة ، وهى بيوت الله تعالى فى الأرض ، وتعظيمها تعظيم لله تعالى يثيب عليه ، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم :

« إِنَّ بُيُوتَ اللهِ تَعَالَى فى الْأَرْضِ الْمَسَاجِدُ ، إِنَّ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُكْرِمَ مَنْ زَارَهُ فِيهَا فَلَا يَلِيقُ التَّكَلُّمُ فِيهَا بِكَلَامِ الدُّنْيَا ، فَإِنَّهُ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ » .

٤ — من البدع المكروهة تسامر الناس فى المساجد بحديث الدنيا ، وربما علت أصواتهم ، وارتفع ضحكهم ، وكثر تصفيقهم الحادّ ، وتصفيرهم المزعج ، وفى هذا هتك لحرمة بيوت الله التى أعدّها لعبادته ، وإيذاء للمصلين ، ومنع للمتعبدين .

فعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«سَيَكُونُ فى آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ يَكُونُ حَدِيثُهُمْ فى مَسَاجِدِهِمْ،لَيْسَ لِلهِ فِيهِمْ حَاجَةٌ »
(رواه ابن حبان فى صحيحه)

وعن الحسن رضى الله عنه :

« يَأْتِى عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَكُونُ حَدِيثُهُمْ فى مَسَاجِدِهِمْ فى أَمْرِ دُنْيَاهُمْ فَلَا تُجَالِسُوهُمْ ، فَلَيْسَ لِلهِ فِيهِمْ حَاجَةٌ » .

٥ — ومن البدع المكروهة : رفع الصوت بالذكر فى المسجد ، كما يقع من أرباب الطرق الذين ينصبون حلق الذكر ، وكذا رفع الصوت بالقرآن فيه ؛ إذ المطلوب فى القراءة والذكر السرّ لقوله تعالى :

﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلاَ تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ .   (سورة الأعراف)

أى اذكره سراً تذللاً وخوفاً منه تعالى ، وفوق السر (دُونَ الْجَهْرِ) أى قصداً بينهما وَ(بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ) أول النهار وآخره (وَلاَ تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ) عن ذكر الله .

ومن هنا يظهر أن قراءة العشر جهراً قبل الشروع فى الصلاة خصوصاً عند وقت العصر ، وكذلك الجهر بختم الصلاة المعروف ، فإن كل ذلك على هذه الكيفية المعروفة من البدع المكروهة .

٦ — ومن البدع المكروهة فى المساجد : تعدد الجماعة فى مسجد واحد فى آن واحد ؛ فترى عند شروع الإمام الراتب فى الفريضة عدداً من الأئمة منهم من يصلى بواحد ، ومنهم من يصلى باثنين ، ومنهم من يصلى بأربعة أو أكثر ، ومنهم جملة أئمة فى صف واحد ، ومنهم المتقدم على الآخر ؛ بل قد يكون بعض الأئمة فى نفس الصف الأول الذى وراء الإمام الراتب ، فيقع الاختلاط فى الصلاة ، وتلتبس الأئمة بعضها ببعض ، ويشوش بعضهم على بعض بالقراءة ، ويشتبه الحال على المأموم ، وربما لم يميز إمامه من غيره ، بل ربما اقتدى بمن هو مقتد بالإمام الراتب أو غيره ، وذلك ممنوع لعدة وجوه :

منها أنه مخالف لما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والسلف الصالح؛ إذ الإجماع على أنه لم يقع تعدد الجماعة فى آن واحد فى مسجد واحد فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا فى زمان أحد من أصحابه ، ولا فى زمان باقى السلف .

ومنها أن فيه تشويش بعضهم على بعض بالقراءة وعلى المتعبدين غيرهم ، وهو حرام ولو على النائم .

ومنها أن فيه تخليطاً على المصلين ، واشتباه الأئمة بعضهم ببعض والمأمومين ، فيقع الخلل فى الصلاة ، فكان ممنوعاً بلا نزاع .

٧ — ومن البدع المكروهة تهاون العامة بسماع الخطبتين فى يوم العيد ، فترى أكثرهم

يسارع بالخروج من المسجد عقب فراغ الإمام من الصلاة ، و بعضهم ينتظر الخطبة الأولى فقط :

وكل ذلك ترك للسنة ، وفيه إعراض عن سماع الموعظة ، وقد دُعِىَ إليها بدعاء الله ورسول الله ، وكثيراً ما يقع بقيام الناس حينئذ التشويش على الخطيب والمستمعين ، واختراق الصفوف ، وتخطى الرقاب ، وكل ذلك ممنوع ومخالف للسنة ؛ لأن السنة بقاء الجميع فى أماكنهم حتى يفرغ الإمام من الخطبة .

٨ — ومن البدع السيئة فى المساجد : الطواف ، حول الأضرحة ، والتمسح بها ، وتقبيل الأعتاب والمقصورة وغيرها ، فإنه لم يعهد عبادةً إلا بالبيت ، وكذا لم يشرع التقبيل والاستلام إلا للحجر الأسود، ولأن المسجد تعظيمه الصلاة فيه لا التمسح بجدرانه وأعمدته

٩ — ومن البدع المنهى عنها اتخاذ المقابر مساجدَ للصلاة فيها لقوله صلى الله عليه وسلم :

« لاَ تُصَلُّوا عَلَى الْقُبُورِ وَلاَ تَجْلِسُوا عَلَيْهَا » . (رواه مسلم)

وقال أيضاً : « وَالْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدٌ إِلاَّ الْمَقْبَرَةَ وَالْحَمَّامَ » .

والسرّ فى ذلك أن تخصيص القبور بالصلاة عندها يشبه تعظيم الأصنام بالسجود لها ، والتقرّب إليها ، ولهذا نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فى المقبرة مطلقاً كما سبق ذكره .

وعلى الجملة تحرم الصلاة إلى قبور الأنبياء والأولياء تبركاً و إعظاماً ، وكذا الصلاة عليها للتبرك والإعظام .

«وَقَدْ نَهَى الرَّسُولُ أَنْ يُصَلَّى فى سَبْعَةِ مَوَاطِنَ : فى الْمَزْبَلَةِ ، وَالْمَجْزَرَةِ ، وَالْمَقْبَرَةِ ، وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ ، وَفِى الْحَمَّامِ ، وَفِى أَعْطَانِ الْإِبِلِ ، وَفَوْقَ ظَهْرِ بَيْتِ اللهِ » .

١٠ — ومن البدع المحرمة : بناء المساجد على القبور ، ففى الحديث الشريف عن ابن عباس رضى الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم :

« لَعَنَ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ » .

١١— ومن البدع السيئة الجارية فى أثناء الموالد انتهاك حرمة المساجد بتقذيرها بالأكل فيها، فتراها كأنها مزبلة، وكثرة اللغط فيها، ودخول الأطفال حفاة أو بالنعال، فلا يكاد يتيسر لأحد إقامة الشعائر فى مسجد يعمل فيه مولد، خصوصاً المساجد الكبيرة، كمسجد الحسين، والسيدة زينب، والسيد البدوى، وغيرها.

١٢— ومن البدع المخالفة للدين: البيع والشراء فى المساجد كأنها أسواق، على أنه لم تتخذ المساجد للبيع والشراء، ولا لنشد الضالة والأكل فيها؛ بل جعلت للعبادة وذكر الله، لقوله صلى الله عليه وسلم:

« إِنَّمَا بُنِيَتِ المَسَاجِدُ لِذِكْرِ اللهِ ».

والجلوس فيها مستحب إذا كان لعبادة: من اعتكاف، أو قراءة قرآن، أو علم، أو سماع موعظة، أو انتظار صلاة.

وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

« إِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَبِيعُ أَوْ يَبْتَاعُ فِي المَسْجِدِ فَقُولُوا: لَا أَرْبَحَ اللهُ تِجَارَتَكَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَنْشُدُ فِيهِ الضَّالَّةَ فَقُولُوا: لَا رَدَّ اللهُ عَلَيْكَ ضَالَّتَكَ ».

وفى رواية أحمد ومسلم وابن ماجه:

« لَا أَدَّاهَا اللهُ إِلَيْكَ فَإِنَّ المَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهَذَا ».

١٣— ومن البدع المكروهة تزويق المساجد، وزخرفة المحاريب، وهذا أشد كراهة من زخرفة بقيته، فإن شيئاً من ذلك لم يكن فى العهد الأول بدليل أن عمر رضى الله عنه أمر ببناء مسجد، وقال للبناء: أكنّ الناس من المطر، وإياك أن تحمر أو تصفر.

وأول من ابتدع زخرفة المساجد الوليد بن عبد الملك لما بعث خالد بن عبد الله القسرى.

وعلى الجملة فقد كان السلف الصالح يكرهون تزويق المساجد والقبلة بالزخرف، وتحلية المصاحف. وفى الخبر: « إِذَا مَا زَخْرَفْتُمْ مَسَاجِدَكُمْ وَحَلَّيْتُمْ مَصَاحِفَكُمْ فَالدَّمَارُ عَلَيْكُمْ ».

(عن كتاب الابداع فى مضار الابتداع)
للمرحوم الشيخ على محفوظ

خطبة لبناء مسجد

لفضيلة الأستاذ السيد محمد البيلاوى

الحمد لله الذى أفاض حلل رضوانه على كل راكع وساجد ، وأضاف إلى نفسه من بقاع الأرض المساجد ، ومجد من جدّ فى تشييدها وأسمدا ، أحمده حمد من وفق لأداء الفرائض والسنن ، وأشكره شكراً يوجب ترادف جيل المنن ، وأتوب إليه وأستغفره ، وأسأله من لطفه مَدَدًا ، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد المعبود ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله صاحب المقام المحمود . اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وكل من اتبع الهدى .

قال تعالى : (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصالِ . رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ . لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) . (سورة النور)

أما بعد ، فياعباد الله : إن السعيد من وفق لإقامة الشعائر ، والسيد الرشيد من عمل عملاً ينفعه فى اليوم الآخر ، وجدّ واجتهد واتخذ عند الإله يداً ، وخير أعمال المرء ما دعا لتوحيد من رفع السماء بغير عمد ، وجعل الأرض بساطاً وعمقاً بنعمه التى لا تعد ، وقرر الأحكام وشرع الشرائع ولم يتركنا سُدًى .

وأفضل الأنام من حلت لديه من الله نعمة فاهتم بتشييد بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، وأخلص العمل لديه متوكلاً عليه معتمداً ، فكان ممن وصفهم ربهم بأفضل المفاخرة إذ قال (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ) ونال رضا ربه ، واستحق النعيم غداً . فهنيئاً لمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان ، وبشرى لمن جمع القلوب على توحيد الرحمن ، فصار من أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى ؛ واعلموا أن خير الأنام من تتجافى جنوبهم عن المراقد ، وأن الموفق عند ربه من حسنت منه المقاصد ، وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً .

« مَنْ بَنَى مَسْجِدًا يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللهِ تَعَالَى بَنَى اللهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ » . (حديث شريف) .

الركن الثالث

الزكاة

الزكاة : هى الركن الثالث من أركان الإسلام ، وهى فرض عين كالصلاة ، وقد ثبتت فريضتها بالكتاب ، والسنة ، والإجماع ، وفرضت فى شوال فى السنة الثانية من الهجرة بعد زكاة الفطر على المشهور عند المحدّثين .

والأصل فى وجوبها قوله تعالى :

(وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) .
(سورة النور)

وقوله تعالى :

(وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً) . (سورة المزمل)

وقوله تعالى :

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) . (سورة التوبة)

وقوله تعالى :

(وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) (سورة البينة)

وقد روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما « أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم : بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ ، فَقَالَ : ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَٰلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ

فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَٰلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ ، وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه « أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فقال : دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ ؟ قَالَ : تَعْبُدُ اللهَ لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً ، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ الْمَكْتُوبَةَ ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ . قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ أَزِيدُ عَلَى هَذا ، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا » .

وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« مَامِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً ، وَيَقُولُ الآخَرُ : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً » . (رواه الشيخان والنسائى)

شروط الزكاة، وعلى من تجب؟

شروط وجوب الزكاة : الإسلام ، والبلوغ ، والعقل ، والحرية عند أبى حنيفة ، وعند الثلاثة : البلوغ والعقل ليسا شرطاً فى وجوبها عندهم ، بل تجب فى مال الصبى والمجنون . وألاّ يكون عليه دَيْن مطالب به من جهة العباد عند أبى حنيفة ، وعند الشافعى الدين لايمنع وجوبها ، وعند مالك الدَّين يسقط الزكاة فى العين فقط ، وعند أحمد الدين يمنع الزكاة مطلقاً متى نقص عن النصاب ولو لم يطالب به ، وأن يكون المال سائماً : أى للتجارة . والحول شرط فى وجوبها .

وشرط أدائها : النية بالإجماع ، ومن وجبت عليه وقدر على إخراجها لم يجز له تأخيرها، ومن وجبت عليه ومات قبل أدائها أخذت من تركته عند الثلاثة ، وعند أبى حنيفة تسقط بالموت .

ومن امتنع عن إخراجها بُخلاً أخذت منه بالاتفاق ويعزَّر ، وعند مالك تؤخذ قهراً ولو بقتال مفض إلى قتله ، ودَمُه هدر .

وتجب فى مال الصبى والمجنون عند الشافعى ومالك ، وعند أحمد تجب فى مال الصغير والمجنون ، والخاطب بإخراجها وليهما ، وعند أبى حنيفة لا زكاة فى مالهما ، ويجب العشر فى زرعهما ، وعند مالك نصف العشر فيما سقى بالآلات . والمكاتب لا تجب عليه عند الثلاثة ، وعند أبى حنيفة يجب العشر فى زرعه لا فيما سواه . والمرتد لا يسقط ما وجب عليه فى حال إسلامه عند الثلاثة ، وعند أبى حنيفة يسقط ولا شىء عليه .

وتعجيلها جائز قبل الحول إذا وجد النصاب عند الثلاثة ، وعند مالك لا يجوز .

والنصاب هو القدر المعين شرعًا .

أنواع الزكاة

الزكاة نوعان : زكاة الرأس ، وهى صدقة الفطر ، وزكاة المـال .

وزكاة المـال ستة أنواع :

١ — زكاة النقدين (الذهب والفضة). ٢ — زكاة التجارة .

٣ — زكاة الحيوان . ٤ — زكاة النبات (الزرع والثمار) .

٥ — زكاة الركاز . ٦ — زكاة الدين .

وقد أشار الله تعالى إلى وجوب الزكاة فى جميع هذه الأنواع فى قوله : (يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) (سورة البقرة)

المعـــنى

(يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا) أى أخرجوا الزكاة (مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ) سواء كان نقداً ، أو عروض تجارة ، أو ماشية (وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ) سواء كان حبًّا ، أو ثمراً ، أو ركازاً (ذهباً) من دفين الجاهلية . فيجب أداؤها من طيبات ما رزقكم الله ؛ لتكون مقبولةً عند الله ؛ ولتكون عادلاً فى إخراجها .

زكاة الفطر

زكاة الفطر ، وتسمى زكاة الأبدان ، وصدقة الرؤوس ، وزكاة الصوم ، وزكاة رمضان ، وصدقة الفطر ، لوجوبها بالفطر من رمضان .

قال الله تعالى : (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ . وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ) (سورة الأعلى)

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

« فَرَضَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زَكَاةَ الفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللغوِ وَالرَّفَث ، وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِين ، فَمَنْ أَدَّاهَا قبلَ الصَّلَاةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ ، وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ » (رواه أبو داود وابن ماجه)

المعنى : أن زكاة الفطر طهارة للصائم ، وكثرة فى ثوابه ، ومواساة للفقراء والمساكين ، فمتى أخرجها قبل صلاة العيد ، فهى الزكاة المقبولة ، وإلا فهى كباقى الصدقات .

وهذا حثٌّ على المبادرة بإخراجها قبل الصلاة ، وإلا فقد قال الجمهور: إن إخراجها قبل صلاة العيد مستحبٌّ ، ويجوز إلى آخر يوم الفطر ، وتأخيرها بعده حرام ، لأنها زكاة مؤقتة ، كالصلاة يحرم إخراجها عن وقتها ، ويدخل وقت وجوبها بغروب شمس ليلة العيد ، وقيل : بطلوع فجره ، ويمتدّ إلى غروبه ، وهى واجبة على الكبير والصغير بالاتفاق .

ويجب على الزوج فطرة زوجته ، كما تجب نفقتها عند الثلاثة ، وعند أبى حنيفة لا يجب عليه عن زوجته ، إلا إذا كانت امرأة متزوّجة بموسر فعلى زوجها زكاتها .

أما الخادم الحرّ المستأجر بالدراهم وحدها أومع المؤنة فزكاته على نفسه ، ومثله المستخدم بالنفقة والكسوة .

ولا تطلب إلا ممن كان قادراً على قوت نفسه ، وقوت عياله يوم العيد وليلته ، ثم فضل من ماله بعده مايستطيع التصدق منه عند الثلاثة ، وعند أبى حنيفة لا تجب إلا على من ملك النصاب فاضلاً عن مسكنه وعبده وفرسه وسلاحه .

ولابد من النية فى الزكاة كأن ينوى بقلبه (هذا زكاة رمضان) .

وتجب على من مات بعد الغروب بخلاف ما إذا ولد بعده .

واختلفوا فى وقت وجوبها . فقال أبوحنيفة : بطلوع فجر أول يوم من شوال ، وقال الثلاثة : تجب بغروب شمس ليلة العيد ، واتفقوا على أنها لاتسقط بالتأخير بعد الوجوب ، بل تصير ديناً حتى تؤدى ، ولا يجوز تأخيرها عن يوم العيد بالاتفاق . واتفقوا على أنه يجوز إخراجها من خمسة أصناف : البر ، والشعير ، والتمر ، والزبيب ، والأقط ، إذا كان قوتاً ، والأقط (لبن يابس غير منزوع الزبد أو مخيض يطبخ ، ثم يترك لييبس) . وقال أبوحنيفة : الأقط لايجزئ أصلاً بنفسه وتجزئ قيمته ، وقال الشافعى : كل ما يجب فيه العشر فهو صالح لإخراجها منه ، وجوّز أبوحنيفة : إخراج القيمة عن الفطرة ، وإخراج التمر فى الفطرة أفضل عند مالك وأحمد ، وعند الشافعى البرّ أفضل ، وعند أبى حنيفة أكثره ثمناً أفضل .

واتفقوا على أن الواجب صاع بصاع رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل جنس من الخمس إلا أبا حنيفة فقال : يجزئ من البر نصف صاع (وهو ثمانية أرطال) ، والصاع بالكيل المصرى قدحان وثلث عند أبى حنيفة ، وعند الشافعى قدحان ، وهما أربع حفنات بكفّى الرجل المعتدل ، وقدح وثلث عند المالكية .

بعض ماورد من الأحاديث الشريفة بشأن زكاة الفطر

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال :

« فَرَضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم زَكَاةَ الفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ أَوْ صَاعاً مِنْ شَعِيرٍ عَلَى العَبْدِ ، وَالْحُرِّ ، وَالذَّكَرِ ، وَالأُنْثَى ، وَالصَّغِيرِ ، وَالكَبِيرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ » . (رواه الخمسة)

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال :

« كُنَّا نُعْطِيهاَ فى زَمَانِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم صَاعاً مِنْ طَعَامٍ (الحِنْطَةِ) أَوْصَاعاً مِنْ تَمْرٍ ، أَوْ صَاعاً مِنْ شَعِيرٍ ، أَوْ صَاعاً مِنْ زَبِيبٍ ، أَوْ صَاعاً مِنْ أَقِطٍ ، فَلَمَّا جَاءَ مُعَاوِيَةُ ، وَجَاءَتِ السَّمْرَاءُ (القمح) قَالَ (أَرَى مُدًّا مِنْ هٰذَا يَعْدِلُ مُدَّيْنِ) (رواه الخمسة)

زكاة المال

١ — زكاة النقدين : (الذهب والفضة)

جاء فى الحديث الشريف عن أنس رضى الله عنه فى الكتابِ الَّذِى كتبهُ لهُ أبو بكرٍ حينَ وَجَّهَهُ إلى البحرينِ فى الصدقةِ التى فرضها رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم عَلَى المسلمينَ « وَفِى الرِّقَةِ رُبُعُ العُشْرِ » أى فى الدراهم المضروبة « فإنْ لمْ تَكُنْ إلاَّ تِسْعِينَ وَمِائَةً ، فَلَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ إلاَّ أنْ يَشَاءَ رَبُّهَا » .

(رواه البخارى وأبو داود والنسائى)

وأجمع الأئمة على أنه لازكاة فى غير الذهب والفضة من الجواهر كاللؤلؤ وغيره عند سائر الفقهاء ، وأجمعوا على أن أول النصاب فى الذهب والفضة مضروباً ، أو مكسوراً ، تبراً أونقرة ستون مثقالاً (ديناراً) من الذهب ومائتا درهم من الفضة ، فإذا بلغت ذلك وحال عليها الحول ففيها ربع العشر . واختلفوا فى زيادة النصاب ، فقال الثلاثة : تجب الزكاة فى الزيادة بالحساب .

وقال أبو حنيفة : لا زكاة فيما زاد على المائتى درهم والعشرين مثقالاً حتى يبلغ الزائد أربعون درهماً فيكون فيها درهم وأربعة مثاقيل فيكون فيها قيراطان وقيمة العشرين مثقالاً ذهباً تعادل ١١ جنيهاً مصريًا و١٢ مليماً ، وربع عشره يساوى ٢٧ قرشاً صاغاً وخمسة مليماتٍ ، وقيمة المائتى درهم فضة تساوى ٢٢ ريالاً مصريًا و٥٧ مليماً ، وربع عشره يساوى ١١ قرشاً صاغاً ومليماً واحداً .

والقانون العام للزكاة هو إخراج اثنين ونصف فى المائة من المال مالم يقلّ عن النصاب المقرر شرعاً .

ولا تجب الزكاة إلا على من ملك نصاباً خالياً من الديون ، وغير محتاج إليه فى لوازمه الضرورية ؛ بشرط أن يحول عليه الحول ، ويقدر على استثماره ولو تقديراً عند أبى حنيفة ، وعند الشافعى ومالك لايمنع وجوبها عندهما كما سبق ، وعند أحمد يجب على من ملك نصاباً خالياً من الدين إذا حال عليه الحول .

٢ — زكاة التجارة

قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ) (سورة البقرة)
قال مجاهد نزلت هذه الآية فى التجارة ، وعن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال :
« أَمَّا بَعْدُ ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كَانَ يَأْمُرُنَا أَنْ نُخْرِجَ الصَّدَقَةَ مِنَ الَّذِى نَعُدُّهُ لِلْبَيْعِ » (رواه أبو داود)

وأجمعوا على أن الزكاة واجبة فى عروض التجارة ، والواجب فيها ربع العشر ، وإذا اشترىٰ عبداً للتجارة وجبت عليه فطرته .

وزكاة التجارة تتعلق بالقيمة ، وتمام الحول .

وإذا كانت عروض التجارة مرجأة للنماء يتربص بها النَّفاق والأسواق ، فعند مالك لايزكيها ، وإن دامت سنين حتى يبيعها بذهب أوفضة فيزكى بسنة واحدة ، وليس فى دار السكنى وثياب البدن ، وأثاث المنازل ، ودواب الركوب ، وعبيد الخدمة ، وسلاح الاستعمال زكاةٌ إجماعاً .

٣ — زكاة الحيوان

أجمعوا على وجوب الزكاة فى النَّعَم وهى : الإبل ، والبقر ، والجواميس ، والغنم ، والمعز ؛ بشرط كمال النصاب ، واستقرار الملك ، وكمال الحول ، وكون المالك حرًّا مسلماً .

واتفقوا على وجوبها من السوائم إلا مالكاً ، فإنه قال بوجوبها فى العوامل من الإبل والبقر ، والمعلوف من الغنم كإيجابه كذلك فى السائمة (أى راعية فى حشيش مباح) .

وأجمعوا على أن النصاب الأول فى الإبل خمس ، وفيه (شاة) وفى عشر (شاتان) وفى خمسة عشر (ثلاث شياه) وفى عشرين (أربع شياه) وفى خمس وعشرين (بنت مخاض) وفى ست وثلاثين (بنت لبون) وفى ست وأربعين (حقة) وفى إحدى وستين جذعة وفى ست وسبعين بنتا لبون . وفى إحدى وتسعين (حقتان) فإذا زادت على عشرين ومائة اختلفوا فى ذلك . فقال أبو حنيفة : تستأنف الفريضة بعد العشرين ومائة ، فإذا بلغت مائة وستًّا وتسعين ففيها أربع حقاق إلى مائتين ، ثم تستأنف الفريضة أيضاً .

وقال الشافعى وأحمد : فنى مائة لإحدى وعشرين (ثلاث بنات لبون) ثم يستمر ذلك إلى مائة وثلاثين فيتغير الواجب فيها وفى كل عشر بعدها ، فنى كل أربعين حقة ، وفى كل خمسين بنت لبون .

وعند مالك إذا زادت على عشرين ومائة فالساعى بالخيار بين أن يأخذ ثلاث بنات لبون أو حقتين .

واتفقوا على أن النصاب الأول فى البقر ثلاثون ، وفيها (تبيع) فإذا بلغت أربعين ففيها (مسنة) لها سنتان ، وفى ستين تبيعان ، وفى سبعين تبيع (ابن سنة) ومسنة .

وعلى هذا أبداً ، فى كل ثلاثين تبيع ، وفى أربعين مسنة .

وأجمعوا على أن أول نصاب الغنم أربعون وفيها شاة ، ثم لاشئ فيما زاد حتى تبلغ مائة وإحدى وعشرين ففيها شاتان ، وفى مائتين وواحدة ثلاث شياه إلى أربعمائة ففيها (أربع شياه) ثم تستقر فى كل مائة شاة ؛ والضأن والمعز سواء .

واتفقوا على أن الخيل إذا كانت معدة للتجارة فنى قيمتها الزكاة إذا بلغت نصاباً ، فإن لم تكن للتجارة فلا زكاة فيها عند الثلاثة ، وعند أبى حنيفة إذا كانت سائمة ففيها الزكاة إذا كانت ذكوراً وإناثاً أو إناثا فقط ، وإن كانت ذكوراً منفردة فلا زكاة فيها .

وفى الحديث الشريف روى البخارى عن أبى هريرة قال :

« إِنَّ أَبَا بَكْرٍ كَتَبَ فَرِيضَةَ الصَّدَقَةِ الَّتِى أَمَرَ اللهُ رَسُولَهُ صلى الله عليه وسلم فِى الْإِبِلِ ، فقَالَ : مَنْ بَلَغَتْ عِنْدَهُ مِنَ الْإِبِلِ صَدَقَةُ الْجَذَعَةِ وَلَيْسَتْ عِنْدَهُ جَذَعَةٌ وَعِنْدَهُ حِقةٌ فَإِنَّهَا تُقْبَلُ مِنْهُ الْحِقةُ وَيَجْعَلُ مَعَهَا شَاتَيْنِ إِن اسْتَيْسَرَتَا لَهُ أَوْ عِشْرِينَ دِرْهَماً ، وَمَنْ بَلَغَتْ عِنْدَهُ صَدَقَةُ الْحِقَّةِ وَلَيْسَتْ عِنْدَهُ حِقَّةٌ وَعِنْدَهُ الْجَذَعَةُ فَإِنَّهَا تُقْبَلُ مِنهُ الْجَذَعَةُ ، وَيُعْطِيهِ الْمُصَدِّقُ عِشْرِينَ دِرْهَماً أَوْشَاتَيْنِ ، وَمَنْ بَلَغَتْ عِنْدَهُ صَدَقَةَ الحِقةِ وَلَيْسَتْ عِنْدَهُ إلاَّ بِنْتُ لَبُونٍ فَإِنَّهَا تُقْبَلُ مِنْهُ بِنْتُ لَبُونٍ ، وَيُعْطِى شَاتَيْنِ أَوْعِشْرِينَ دِرْهَماً ، وَمَنْ بَلَغَتْ صَدَقَتُهُ بِنْتَ لَبُونٍ وَعِنْدَهُ حِقَّةٌ فَإِنَّهَا تُقْبَلُ مِنْهُ الْحِقَّةُ وَيُعْطِيهِ الْمُصَدِّقُ عِشْرِينَ دِرْهَماً أَوْ شَاتَيْنِ ، وَمَنْ بَلَغَتْ صَدَقَتُهُ بِنْتَ

لَبُونٍ وَلَيْسَتْ عِنْدَهُ وَعِنْدَهُ بِنْتُ مَخَاضٍ فَإِنَّهَا تُقْبَلُ مِنْهُ بِنْتُ مَخَاضٍ ، وَيُعْطِي مَعَهَا عِشْرِينَ دِرْهَمًا أَوْ شَاتَيْنِ » .

وعن أنس أن أبا بكر رضى الله عنه كتب له هذا الكتاب لما وجهه إلى البحرين :

« بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ : هٰذِهِ فَرِيضَةُ الصَّدَقَةِ الَّتِي فَرَضَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَالَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا رَسُولَهُ ؛ فَمَنْ سُئِلَهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى وَجْهِهَا فَلْيُعْطِهَا ، وَمَنْ سُئِلَ فَوْقَهَا فَلَا يُعْطِ : فِي أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ مِنَ الْإِبِلِ فَمَا دُونَهَا مِنَ الْغَنَمِ فِي كُلِّ خَمْسٍ شَاةٌ - إِذَا بَلَغَتْ خَمْسًا وَعِشْرِينَ إِلَى خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ فَفِيهَا بِنْتُ مَخَاضٍ أُنْثَى ، فَإِذَا بَلَغَتْ سِتًّا وَثَلَاثِينَ إِلَى خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ فَفِيهَا بِنْتُ لَبُونٍ أُنْثَى ، فَإِذَا بَلَغَتْ سِتًّا وَأَرْبَعِينَ إِلَى سِتِّينَ فَفِيهَا حِقَّةٌ طَرُوقَةُ الْفَحْلِ ، فَإِذَا بَلَغَتْ وَاحِدَةً وَسِتِّينَ إِلَى خَمْسٍ وَسَبْعِينَ فَفِيهَا جَذَعَةٌ ، فَإِذَا بَلَغَتْ سِتًّا وَسَبْعِينَ إِلَى تِسْعِينَ فَفِيهَا بِنْتُ لَبُونٍ ، فَإِذَا بَلَغَتْ إِحْدَى وَتِسْعِينَ إِلَى عِشْرِينَ وَمِائَةٍ فَفِيهَا حِقَّتَانِ طَرُوقَتَا الْفَحْلِ ، فَإِذَا زَادَتْ عَلَى عِشْرِينَ وَمِائَةٍ فَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ بِنْتُ لَبُونٍ ، وَفِي كُلِّ خَمْسِينَ حِقَّةٌ ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ إِلَّا أَرْبَعٌ مِنَ الْإِبِلِ فَلَيْسَ فِيهَا صَدَقَةٌ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبُّهَا ، فَإِذَا بَلَغَتْ خَمْسًا مِنَ الْإِبِلِ فَفِيهَا شَاةٌ وَفِي صَدَقَةِ الْغَنَمِ فِي سَائِمَتِهَا إِذَا كَانَتْ أَرْبَعِينَ إِلَى عِشْرِينَ وَمِائَةٍ شَاةٌ ، فَإِذَا زَادَتْ عَلَى عِشْرِينَ وَمِائَةٍ إِلَى مِائَتَيْنِ فَفِيهَا شَاتَانِ ، فَإِذَا زَادَتْ عَلَى مِائَتَيْنِ إِلَى ثَلَاثِمِائَةٍ فَفِيهَا ثَلَاثٌ ، فَإِذَا زَادَتْ عَلَى ثَلَاثِمِائَةٍ فَفِي كُلِّ مِائَةٍ شَاةٌ ، فَإِذَا كَانَتْ سَائِمَةُ الرَّجُلِ نَاقِصَةً مِنْ أَرْبَعِينَ شَاةً وَاحِدَةً فَلَيْسَ فِيهَا صَدَقَةٌ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبُّهَا » . (رواه الخمسة إلا مسلماً)

الحكمة فى إسقاط الزكاة فى الخيل والبغال والحمير

أولاً - إن الشارع الحكيم لم يفرض الزكاة فى الخيل مهما كان عددها لحاجة الأمة الإسلامية

إليها فى الركوب ، وحمل الأثقال فى السفر ، وغيرها من المنافع الأخرى ، ولأنها أقوى عُدة للمسلمين فى الجهاد ، وحفظ الثغور ، وإعلاء كلمة الله تعالى ، وقد قال الله تعالى :

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) . (سورة الأنفال)

فجعل الله رباط الخيل مثل السلاح وفى منزلته فى الحرب .

هذه هى الحكمة البالغة فى رفع الزكاة عن الخيل مهما كثرت .

ثانياً — إن الشارع الحكيم لم يأمر بأخذ الزكاة فى البغال والحمير ؛ لأن الإنسان فى حاجة كثيرة إلى هذين الصنفين فى كثير من حوائجه الأصلية ؛ كحمل الأثقال والخدمة والانتقال عليهما من بلد إلى آخر ، وهلم جراً من المنافع العظيمة التى تعود على بنى الإنسان بواسطتهما ، فمن أجل ذلك لم يفرض الشارع الحكيم الزكاة فى هذين الصنفين ، سواء كانت سائمة أو غير سائمة ، رحمةً بنا وشفقةً .

٤ — زكاة النبات (الثمار والزرع)

اتفقوا على أن النصاب خمسة (أوسق) وما زاد فبحسابه ، والوسق ستون صاعاً ، والصاع أربعة أمداد ، والمد بالكيل ملء اليدين المتوسطتين ، وأن مقدار الواجب فى ذلك العشر إن شرب من مطر أو من نهر ، وإن شرب بالنضح أو الدولاب أو بماء اشتراه فنصف العشر عند الثلاثة ؛ وعند أحمد إذا كان السقى بلا كلفة ، ولو بشراء ماء فالواجب العشر .

والنصاب معتبر فى الثمار والزرع إلا عند أبى حنيفة فيجب العشر عنده فى القليل والكثير . واختلفوا فى الجنس الذى يجب فيه الحق ما هو ؟

فقال أبو حنيفة : فى كل ما أخرجته الأرض من الثمار والزرع سواء سقته السماء أو سقى بنضح إلا الحطب والحشيش والقصب الفارسى .

وقال مالك والشافعى : يجب فى كل ما ادخر واقتيت به كالحنطة والشعير ، وثمرة النخل والكرم .

وقال أحمد : يجب فى كل مايكال ويدخر من الثمار والزرع ، ولا زكاة فى القطن بالاتفاق.

واختلفوا فى العسل ، فقال أبو حنيفة وأحمد فيه العشر ، وقال مالك والشافعى لازكاة فيه ، ولا تجب الزكاة إلا فى نصاب من كل جنس فلا يضم جنس إلى جنس آخر عند الثلاثة ، وعند مالك تضم الحنطة إلى الشعير فى إكمال النصاب ، وإذا أخرج العشر من الثمار أو الحب وبقى عنده بعد ذلك سنين لم يجب فيه شىء آخر بالاتفاق .

قال الله تعالى فى زكاة الزرع .

(وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) . (سورة الأنعام)

أى أدّوا زكاة زرعكم يوم حصاده للفقراء .

وعن أبى سعيد الخدرى قال النبى صلى الله عليه وسلم :

« لَيْسَ فِيماَ دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ[1] صَدَقَةٌ ، وَلَيْسَ فِيماَ دُونَ خَمْسِ ذَوْدٍ[2] صَدَقَةٌ وَلَيْسَ فِيماَ دُونَ خَمْسِ أَوَاقٍ[3] صَدَقَةٌ » . (رواه الخمسة)

وعن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« فِيماَ سَقَتِ الأَنْهَارُ وَالْغَيْمُ[4] الْعُشُورُ ، وَفِيماَ سُقِىَ بِالسَّانِيَةِ نِصْفُ الْعُشْرِ » . (رواه الخمسة)

٥ — الركاز والحلى

الركاز : اسم لدفين الجاهلية عند الثلاثة . وعند أبى حنيفة اسم للمعدن حقيقة ، ويطلق

---

(١) أى لا زكاة فى زرع لم يبلغ خمسة أوسق (والوسق ستون صاعاً ، والصاع أربعة أمداد ، والمد رطل وثلث (وقدر الصاع أربع حفنات بكفى الرجل المعتدل) . وفيه أنها لا تجب فى الفواكه والخضروات لأنها لا تكال ، فلا تجب الزكاة فى أقل من خمسة أوسق ، وقدرها بالرطل المصرى ألف وأربعمائة وثمانية وعشرون رطلا ، وبالكيل المصرى أربعة أرادب وويبة : كيلتان بعد التصفية اللازمة .

(٢) الذود : اسم لعدد قليل من الإبل ، أى لازكاة فى أقل من خمس من الإبل .

(٣) أواق جمع أوقية : وهى أربعون درهما من الفضة (٤) الغيم : السحاب ، وهى مطر ؛ والعشور : جمع عشر ، والسانية : الحيوان الذى يرفع بواسطته الماء من بئر ونحوها .

على الكنز مجازا ، ولا يشترط فيه الحول ولا النصاب عند الثلاثة ، ويشترط فيه النصاب فقط عند الشافعى ، وفى الركاز الخمس إجماعا ، والمعدن المستخرج من الأرض ثلاثة أنواع :

الأول : معدن جامد يذوب وينطبع كالذهب والفضة والحديد والنحاس ونحوها ، فإذا وجده إنسان وجب فيه الخمس وله أربعة أخماس عند أبى حنيفة ، وعند الشافعى ومالك لايزكى منها سوى الذهب والفضة إذا بلغ الخارج نصاباً وفيه ربع العشر .

الثانى — معدن جامد لايذوب ولا ينطبع كالياقوت والبلّور والزمرد ونحوه .

الثالث — معدن مائع كالنفط والزيت ونحوه .

وهذان القسمان لاشىء فيهما عند الثلاثة . وعند أحمد يجب فى المعدن إذا كان ذهباً أو فضة وبلغ نصاباً ربع العشر ، وإذا كان غيرهما ففى قيمته ربع العشر إن بلغت نصاباً بعد سبكه وتصفيته من غير تفضيل .

الحُلى — الحلى المباح المصنوع من الذهب والفضة إذا كان مما يلبس فلا زكاة فيه عند الثلاثة ، وعند أحمد وبعض أصحاب مالك إذا كان معدّاً للإجارة فتجب فيه الزكاة ، وتمويه السقوف بالذهب والفضة واتخاذ الأوانى من الذهب والفضة واقتناؤها محرم عند الشافعى وأحمد ، وعند أبى حنيفة ومالك جائز مع الكراهة . قال صلى الله عليه وسلم :

« المَعْدِنُ جُبَارٌ ، وَفى الرِّكازِ الُخمُسُ » . (رواه البخارى)

٦ — زكاة الدين

إذا كان للشخص الذى يجب عليه الزكاة دين على آخر يبلغ نصاب الزكاة وحال عليه الحول لزمه زكاته فى الحال بشرط أن يكون الدين معجلاً وتيسر أخذه من المدين ؛ وأما إذا كان مؤجلاً ، أو لايتيسر أخذه فيتأخر إخراج الزكاة عنه إلى حين القبض .

والأنواط (المداليات) المستعملة فى البلدان حكمها حكم الدين الحال فتجب الزكاة فيها إذا بلغت قيمتها نصاباً ؛ وحال عليها الحول .

بيان من تصرف لهم الزكاة

الزكاة تصرف لثمانية أنواع من خلق الله ، وهم المذكورون فى قوله تعالى :

« إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » .   (سورة التوبة)

أى تعطى الزكاة لهؤلاء الخلق الثمانية ، وهم :

١ — الفقراء الذين لايجدون كفايتهم من ضروريات الحياة ويملكون شيئاً قليلاً .

٢ — المساكين ، وهم الذين لا يجدون كفايتهم ، ولا يعرفهم الناس ، ولا يسألونهم تعففاً ، بل يحسبهم الجاهلون أغنياء من (التعفف) أى من عفتهم .

٣ — العاملون على الزكاة ، وهم الذين يبعثهم الإمام لجبايتها وتحصيلها ، وكانت الزكاة فيما مضى تجبى بواسطة الحكام ، ولها عمال بين جاب وقاسم (موزع) ، وكاتب وحاشر (جامع الناس) وغير ذلك فلهم أجرهم منها .

٤ — المؤلفة قلوبهم ، وهم الذين يدخلون فى الإسلام ، لأن فى إعطائهم تقريرهم على الإسلام وترغيبَ نظرائهم وأشياعهم .

٥ — فى الرقاب . أى الأرقاء الذين جعلوا لأسيادهم مقداراً من المال يؤدونه إليهم حتى إذا سددوه أعتقوهم فى نظيره .

٦ — والغارمون ، وهم الذين استدانوا لأمر ليس فيه معصية ، وعجزوا عن الوفاء .

٧ — فى سبيل الله ، أى الغزاة الذين يجاهدون فى سبيل الله تطوّعاً فيصرف لهم من الزكاة ، ولو كانوا أغنياء إعانةً لهم ، وتنشيطاً على الغزو ، وتشجيعاً لغيرهم .

٨ — ابن السبيل ، وهو المسافر الذى انقطع عن ماله فيعطى منها ، ولكن بقدر الحاجة .

فمن تأمل مليّا فى حكمة تخصيص هذه الأصناف الثمانية لصرف الزكاة لهم يظهر له جليّاً فضل الزكاة ، وما لها من الفوائد الجمة ، والمنافع العامة . ألا ترى أنه بإعانة الفقراء

والمساكين منها يأمن الغنى على نفسه وماله من شر غائلة ما تلجئهم إليه الضرورة والفاقة ، ويحصل التآلف والتعاضد ، والتعاون بين الأغنياء والفقراء ، فتأمن السبل وتنتشر المصالح .

ويحصل بإعانة الجباة الذين يجمعونها قيامهم فى جمعها بما يكفل لها الحفظ والنماء ؛ وبإعانة المؤلفة قلوبهم منها عزة الإسلام وقوته وانتشاره ، وبكثرة أتباعه والداخلين فيه ، وبإعانة المكاتب فكّ رقبة مؤمنة من ذل الرق والاستعباد ، ذلك الأمر الذى طالما جعلته الشريعة الإسلامية نصب عينيها ؛ وبإعانة من عليه الدين فكّ رقبته من ذل الرق والاستعباد ؛ لأن فى سلطة الدائن على المدين ولو لم يطالبه نهاية الاستعباد ؛ وبإعانة المسافرين على بلوغ مقصدهم توصيلهم إلى الغاية التى يقصدونها فى سفرهم ، وربما يكون مبنيًا عليها حياتهم ، وحياة أسرتهم ، وبإعانة الغزاة حفظ البلد من الطوارئ عليها ، وتقوية نفوسهم لتمام استعدادهم للمدافعة التى عليها صيانة الأنفس والأموال والأعراض . فما أجلّ حِكَمَ الله تعالى ، وأوقعها فى تشريعه الأحكام !

وبما أن الزكاة فى هذه الأيام تعطى بواسطة من وجبت عليهم ، فعليهم أن يعطوها بهذا الترتيب ، فإذا فقد نوع أعطوا الذى يليه .

والحكمة فى تقديم الفقراء مع أن المساكين أكثر إملاقاً منهم ، هى أن الفقراء يكونون غالباً ذوى عيال ، والمساكين هم أفراد ، فإحياء العائلة وهى جمع مقدّم على إحياء الفرد .

ولا يجوز إعطاؤها لغير هؤلاء ، ولا منعها عن نوع منهم إن وجد . والأقارب منهم أحق من الأباعد .

بيان من لا تصرف لهم الزكاة

أما الذين لا يجوز أن تصرف لهم الزكاة فهم :

١ — الغنىّ بمال أو كسب .
٢ — العبد .
٣ — بنو هاشم والمطلب .
٤ — الكافر .
٥ — من تلزم المزكى نفقته .
٦ — من يصرفها فى معصية .

الغرض من الزكاة

الغرض منها : أن مايخرجه المزكى من ماله ، ويعطيه لمستحقيه من الفقراء والمساكين وغيرهم ، ويقصد به وجه الله تعالى جزاء ما أنعم عليه من نعمه الوافرة ، سيجزيه الله سبحانه وتعالى عليه الجزاء الأوفى ، ويضاعف له ثوابه وماله ببركة الزكاة . قال تعالى :

« مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ » . (سورة البقرة)

وذلك ، لأن من عرف حق الله تعالى فى ماله ، وأخرجه ابتغاء مرضاته وامتثالا لما أمر به ، وصرفه فى مصارفه الشرعية ، فقد شكر الله جل شأنه على مامنحه من كرامته ، وأعطاه من نعمته ، ومن شكر الله زاده ، وجعل التقوى زاده ، بمصداق قوله تعالى : « لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ » وهذه المضاعفة فى الثواب والمال ببركة الزكاة .

أما من يخرج الزكاة ولايبتغى بها وجه الله ، بل يبتغى بها أن يقال إن فلانا يخرج الزكاة ، فهو طيب ، أو محسن ، أو كريم ، أو صالح ، أو نحو ذلك ، فقد كفر بنعمة الله تعالى ، واستحق المزيد من عذابه ، والأليم من عقابه ، بمصداق قوله : « وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ » . (سورة إبراهيم)

بل ما أشد جرأته ، وأعظم وقاحته ! إذ يعتقد أن ما هو فيه من النعيم الزائد إنما هو بمحض فضل الله تعالى عليه ومعونته له ، ومع ذلك يتزلف ويتقرب لغيره حين أنه لاجدوى ولا فائدة ترجع عليه سوى غاية للشيطان قضاها .

وقد ضرب الله الأمثال فى القرآن الكريم فقال :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا ، وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ » . (سورة البقرة)

ولعمر الحق إن المرائى بإخراج زكاته لأسوأ حالاً ، وأكثر وبالاً ، من عبدة الأصنام الذين يقول الله تعالى حكايةً عنهم :

« مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ » . (سورة الزمر)

لأنهم يعبدون الأصنام ليتقربوا بها إلى الله ، وأما هؤلاء فيعبدون الله ليتقربوا بعبادته إلى الناس ، وفرق ما بينهما ، وإن كان كلٌّ على قبيح . وإلى ذلك كله يشير الله تعالى بهذه الآية الكريمة ، وهى :

« وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ » . (سورة الروم)

أى وإذا لم تريدوا بها وجه الله تعالى ، بل قصدتم بفعلها الرياء والسمعة ، كانت منقصة للمال ، جالبة للنكال محبطة للأعمال ، قاضية بسوء الحال .

وقال صلى الله عليه وسلم :

« اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ وَالْقَلِيلِ مِنَ الصَّدَقَةِ » . (رواه البخارى)

ويقول الله تعالى :

« وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ » . (سورة البقرة)

أى إن الذين ينفقون أموالهم فى الزكاة خالصة لوجه الله تعالى ، وطلباً لمرضاته ، وتثبيتاً لأنفسهم على الإيمان ، بما بذلوه من أموالهم ، فإن المال شقيق الروح ، مثل بستان بربوة (أى بموضع مرتفع) نزل عليه مطر كثير أو قليل فاخضرت أوراقه ، وأزهرت أغصانه ، وأثمرت أزهاره ، وكثرت ثماره فصار يثمر مرتين فى العام بعد أن كان يثمر مرةً واحدةً ، سابقاً فكذلك المزكى المنفق لماله لابد أن يجنى من زكاته ثمار الأجر والثواب .

فضل الزكاة

قال المرحوم حفنى بك ناصف مفتش أول اللغة العربية بوزارة المعارف العمومية سابقاً فى فضل الزكاة وحكمتها فى قصيدة مطولة نقتطف منها ما يأتى :

فبادروا بزكاة المـــال إن بها للنفس والمال تطهـــيراً وتحصينا
ألم تروا أن أهل المال فى وجل يخشون مصرعهم إلا المزكينا؟
فهـل تظنون أن الله أورثـكم مالاً لتشقوا به جمعا وتخزينا؟
أو تقصروه على مرضـاة أنفسكم وتحرموا منـــه معتزًّا ومسكينا
ما أنتم غـــير قوّام سيسألـكم إلهكم عن حساب المستحقينا
أنتم خلائقه فى الأرض ألزمكم أن تعمروها وتتقنوا الأفانينا
ولن تنالوا نصيباً من خلافته إلا أن تنفقوا مما تحبـــونا

وهذا البيت الأخير يوافق معنى قوله تعالى :

« لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ، وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ » . (سورة آل عمران)

هذا وقد وضعت وزارة الشئون الاجتماعية قانوناً للزكاة يحتم على كل فرد من أفراد الأمة المصرية دفع الزكاة المفروضة لخزانة الدولة توزعها بمعرفتها على المستحقين ، وسيقدم لمجلس النواب للتصديق عليه وإقراره .

فأنعم بهذه الفـكرة السامية التى لو نفذت لأتت بالمنفعة العـامة ، ولأغنت الفقراء عن الاستجداء من الأغنياء .

علاقة الزكاة بالمدنية الحديثة

إذا أمعنّا النظر فى الفوائد التى تعود من إخراج الزكاة على العالم الإسلامى لوجدنا أنها من أهم الأسباب للرقى الأدبى والمادى ، لأن أخذها من الأغنياء وردها على الفقراء يعود على الفقراء بالنفع العظيم ، والخير العميم . وقد تكون وافرة فتنصلح بها حالهم ، وتكون رأس مال لبعضهم قد تغنيه عن الحاجة ، ويحصـل الارتباط بين الطرفين بالتودد فيسقط التحاسد والتباغض بين الفقراء والأغنياء فتمتلئ قلوب الأغنياء عطفاً على الفقراء ، وقلوب

الفقراء محبةً للأغنياء فيدرك بذلك كل فريق منهم ما يجب عليه نحو الآخر ، ويعرفون أنهم في الإنسانية سواء . وهذا أقصى ما يصل إليه الرقى الأدبى .

فإذا بلغ القوم هذه الدرجة العظيمة ، وثق بعضهم ببعض ، وتألفت قلوبهم ، واتحدت غاياتهم .

وحينئذ يشتغلون بما يعود على مجموعهم بالفائدة ، وهو غاية ما يصل إليه الرقى المادى .

وهل غرض الجمعيات الاشتراكية وما فى معناها إلا الوصول إلى مثل هذه الغاية مع أن الزكاة وحدها مؤدية إلى هذه الغاية .

فضل إخفاء الصدقة فى الزكاة

من المعلوم أن الإنسان إذا كانَ محتاجاً يكون ذليل النفس أمام من يرفع عنه هذا الاحتياج ، لأن احتمال المن يوجب ذل النفس التى تميل إلى حب العزة ، وإن أصعب شىء على الإنسان إراقة ماء الوجه لدى الحاجة ، وإذا رأيت فقيراً وكنت فى جمع من الناس وأعطيته الحسنة جهاراً فقد أعلنت للناس فقره واحتياجه . وهذا يؤثر فى نفسه تأثيراً سيئاً فتنقلب الحسنة إلى سيئة ، ويكون المنفق قد أساء من حيث أراد الإحسان ، فإذا أنت أخفيت الصدقة تكون قد أحسنت من وجهين :

الأولى — رفع عبء الاحتياج عن الفقير المسكين .

والثانى — كونك صنت ماء وجهه من أن يراق عَلَناً أمام جماعة الناس ، الأمر الذى يؤلم نفس الفقير ، ويزيده بلاءً عظيماً أعظم من بلاء الفقر والاحتياج .

من أجل ذلك أدّبنا الله بترغيبنا فى إخفاء الصدقة بقوله :

« إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ، وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ » . (سورة البقرة)

هذه الآية الشريفة تفيد أن الصدقة حسنة سواء كانت ظاهرة أو خفية ، ولكن حيث كان الإخفاء فيه مصلحة كما بينا ، حبب الله تعالى إلينا الإخفاء . اللهم إلا إذا

كان الإظهار فيه مصلحة ، كأن يكون قدوة لغيره فى الكرم والجود .

وهناك حكمة أخرى فى إخفاء الصدقة وهى : أن المحسن إذا أعطى علناً يكون عرضة لوصمة الرياء الذى هو الشرك الأصغر ، زد على ذلك أنه محبط الأعمال كما مرّ ذكره فى قوله تعالى :

« يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى » . (سورة البقرة)

وقال صلى الله عليه وسلم :

« سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ : إِمَامٌ عَادِلٌ ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسْجِدِ إِذَا خَرَجَ مِنْهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَافْتَرَقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ » . (رواه مسلم)

وفى هذا الحديث الشريف مايشير إلى شدة الترغيب فى الإخفاء والإمعان فى إخفاء الصدقة حتى إن الشمال لاتدرى مافعلت اليمين مع أنها أختها و بجانبها .

أجر من يؤتى الزكاة

اعلم أن الله سبحانه وتعالى قد وعد الذين يؤتون الزكاة بأنه سيرحمهم يوم القيامة ، وهذا أجر عظيم ، وخير كثير ، لأن كل الخير كامِنٌ تحت الرحمة . قال الله تعالى :

« وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ » . (سورة الأعراف)

وقال تعالى :

« وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » . (سورة التوبة)

ووعد الله المزكين بأنه سيرضيهم ، ومقام الرضى مقام عظيم جداً .

قال تعالى فى الذين يؤتون الزكاة :

(وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى . الَّذِى يُؤْتِى مَالَهُ يَتَزَكَّى . وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى . إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى . وَلَسَوْفَ يَرْضَى) . (سورة الليل)

فيالها من نعم لاتعد ولا تحصى ! وهل بعد النجاة من النار ، والوصول إلى الرضى مطلع لناظر ، أومطمع لراغب ؟

وقد وعدهم الله أيضاً بالجزاء الحسن ، والثواب العظيم ، والزيادة فى الرزق .

قال الله تعالى :

(رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ القُلُوبُ وَالأَبْصَارُ . لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ، وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) . (سورة النور)

فهنيئاً لهم بهذه المنح العظيمة ، وقال تعالى :

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (سورة البقرة)

فأخبرهم الله تعالى بأن أجرهم الذى يستحقونه فى نظير امتثالهم لأمره بإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وبذلهم مالهم المحبوب فى طاعته ، محفوظ لهم عنده، يوفيه إليهم يوم القيامة عند حاجتهم إليه، لاستحقاقهم الدخول فى دار السعادة الأبدية ، وسيكون هذا الأجر عظيماً جداً ؛ لأنهم بسببه يأمنون كل خوف يخافه سواهم ، ويخرجون من كل حزن يقع فيه غيرهم من مانعى الزكاة .

فانظر إلى هذه البشرى التى تفرح القلوب ، وتفرج الكروب ، واحرص على ألاّ تحرم نفسك مما أعد الله لك من الخير والسعادة .

وقال تعالى :

(وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا ، وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا) (سورة المزمل)

فأشار الله فى هذه الآية الكريمة بأن الزكاة التى يقوم بها الإنسان للفقراء والمساكين هى قرض لله سبحانه وتعالى ، وأن مايقدمه الإنسان من فعل الخير يجد عند الله خيراً منه ، ويثيبه عليه أجراً عظيماً .

وقال تعالى :

(فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى . وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى . وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى . وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى . وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى) .

(سورة الليل)

ففى هذه الآية إشارة إلى أن الله ييسر الأمور لكل من تصدق واتقى ربه ، دون البخيل فإنه يصيبه العسر ، ويقع فى الردى ، ولايغنى عنه ماله ، ويسوء حاله ، والعياذ بالله تعالى .

وقال صلى الله عليه وسلم :

« مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا ، وَيَقُولُ الآخَرُ : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا » .

منع الزكاة ومضارها

إن فى منع الزكاة هدم ركن من أركان الدين الإسلامى ، وكما أن إخراجها يوجب المحبة بين المسلمين ، فإن منعها يوقع العداوة والبغضاء بينهم .

وذلك ، لأن الفقير يعلم أن الله تعالى جعل له فى مال الغنى حقًّا معلومًا يجب أن يأخذه منه كل عام ، فحرمانه من هذا الحق يحمله طبعًا على بغض مانعه عنه ، لأن أشد ما على النفس أن تمنع حقها .

ثم اعلم أن كل مايترتب على إعطاء الزكاة من الخير للفرد والمجموع الإسلامى ، يترتب ضده طبعًا على منعها ، فمخرجها يعد مشيدًا لأركان الدين بإتيانه مايسبب وجود روابط الاتحاد بين أفراده ، ومانعها يعد ساعيًا فى هدم ذلك البناء الفخيم بإتيانه مايفكك عقود أركانه والعياذ بالله تعالى .

وإذا فكر الإنسان فيما يجرُّهُ منع الزكاة على الإنسانية وجد أن مانعها يسبب للهيئة الاجتماعية من الأضرار ما لايعدّ ولايحصى ؛ فمن ذلك أن جراءة اللصوص بلغت فى زماننا

هذا درجةً لم تبلغها من قبل ، وفشت الخيانة بين الناس ، وقلّت الأمانة ، بل ضاعت ، وانعدمت الثقة من النفوس ، ورفع التّحابُ من القلوب ، ووقع التحاسد ، وتأخر المسلمون فى البلاد التى تهاون أغنياؤها فى إخراج زكاة أموالهم إلى الوراء بعيدًا ، وكل ذلك ناشئ من إمساك حق المال ، وحرمان أهله منه .

فرحم الله سيدنا أبا بكر رضى الله عنه ، ما أبصره بالأمور حين قاتل مانعى الزكاة من العرب ، ووضع فيهم السيف حتى ردهم إلى الحق ، وأخضعهم لإخراج الزكاة ، وما حمله على قتالهم ، وهم من أهل التوحيد ، إلا إشفاقه على الجامعة الإسلامية من التفريق ، وعلى المدنية المحمدية من الانحطاط والتأخير .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

« لمّا تُوُفِّىَ رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وكانَ أبُو بكرٍ رَضِىَ اللهُ عنهُ ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ ، فقالَ عُمَرُ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ : كيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقدْ قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إلٰهَ إلاَّ اللهُ ، فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّى مَالَهُ وَنَفْسَهُ إلاَّ بِحَقِّهِ ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ ؟ فقَالَ : وَاللهِ لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ ، فإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ ، وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِى عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونهَا إلَى رَسول الله صلى الله عليه وسلم لقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهَا . قالَ عُمَرُ رَضىَ اللهُ عنه : فَوَاللهِ مَاهُوَ إلاَّ أنْ قَدْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَ أبى بكرٍ رَضى اللهُ عنهُ فعرَفْتُ أنَّهُ الْحَقُّ » .

(رواه الخمسة)

وما ذلك إلا لارتباط الزكاة بحفظ كيان الإسلام .

والحق يقال : إن فى إخراج الزكاة أكبر وسيلة لإصلاح حال الناس ، واستتباب الأمن العام .

جزاء مانع الزكاة

إن عقاب مانع الزكاة بنفس ماله الذى وجبت عليه الزكاة فأمسكها . قال تعالى فى مانعى زكاة الذهب والفضة :

(وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ) (سورة التوبة)

تفيد هاتان الآيتان الكريمتان شدة التغليظ ، وتشديد النكير والوعيد بأليم العذاب ، وشديد العقاب للذين يجمعون الأموال ويدخرونها ، ثم يبخلون بها ، ويمنعون حق الله فيها ولا يخرجون زكاتها .

ولتمام وجه العبرة ، وإفادة شدة النكير والإنذار ، بيَّن الله جل شأنه أن هذا العذاب الأليم ، والنكال الشديد ، إنما هو بنفس أموالهم التى بخلوا بها حتى يعلموا أن هذه الأموال التى عمدوا إلى ادخارها ، وعولوا على كنزها رجاء التنعم بها فى المطعم والملبس ، واكتساب الوجاهة والرياسة هى سبب شقائهم الدائم ، وبؤسهم الخالد .

وقد بيَّن جل شأنه كيفية التعذيب بها فى قوله : (يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ) (سورة التوبة)

وخصت هذه الأعضاء بالذكر لأن غرض الكانزين من الكنز والجمع أن يكونوا عند الناس ذوى وجاهة ورياسة «سبب الغنى» ، وأن يتنعموا بالمطاعم الشهية ، والملابس البهية .

فلما قصدوه من الوجاهة بالكنز ، كان الكىّ بجباههم ؛ ولما قصدوه من امتلاء جنوبهم بالمطاعم كووا عليها ؛ ولما قصدوا من الملابس على ظهورهم كويت ظهورهم .

قال صلى الله عليه وسلم :

« مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلاَ فِضَّةٍ لاَ يُؤَدِّى مِنْهَا حَقَّهَا إِلاَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ فَيُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَىٰ بِهَا جَنْبُهُ وَظَهْرُهُ كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ » (عن أبى هريرة)

وقال صلى الله عليه وسلم :

« وَالَّذِى لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ : مَا مِنْ رَجُلٍ تَكُونُ لَهُ إِبِلٌ ، أَوْ بَقَرٌ ، أَوْ غَنَمٌ ، وَلاَ يُؤَدِّى حَقَّهَا إِلاَّ أُتِىَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْظَمَ مَا تَكُونُ دَاسِمَةً تَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا . وَتَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا كُلَّمَا جَازَتْ أُخْرَاهَا رُدَّتْ عَلَيْهِ أُولاَهَا حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ »
(رواه البخارى عن أبى هريرة)

ولبيان أن سبب هذا البلاء العظيم ، والعذاب الأليم ، إنما هى نفس الإنسان ؛ سوّلت له البخل ، وحسنت له الكنز والادخار والمنع ، أشار الله تعالى بقوله :

(هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ) (سورة التوبة)

أى هذا الذى تكوون به هو ما كنزتموه لأجل منفعة أنفسكم بتسويلها لكم المنفعة ، فكان عين مضرتها ، وسبب تعذيبها .

وورد أن الله سبحانه وتعالى يزيد فى جسم كانز المال ضخامة حتى يسع كل ماله ، فيكوىٰ به جميعه ، فما أشدها فضيحة ، أعاذنا الله منها .

فهل رأيت أشد عداوة للانسان من هذا المال يشقى فى جمعه ، ويحرم من الانتفاع به فى الدنيا ، ويكون يوم القيامة آلة لتعذيبه ؟ .

ومن العجيب أن الحق الذى فى مال الغنىّ إذا أمسك عن إخراجه فى الزكاة أفسد المال جميعه .

قال تعالى :

(وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (سورة آل عمران)

وفسر هذا التطويق بقوله عليه الصلاة والسلام :

« مَنْ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ (يعنى شدقيه) ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا مَالُكَ أَنَا كَنْزُكَ ثُمَّ تَلاَ : وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ (الآية) » . (عن أبى هريرة)

والشجاع الأقرع : أشد أنواع الحيات أذًى ، وأبشعها منظراً .

وقال تبارك اسمه ، مبيناً جزاء مانع الزكاة فيما حكاه جل شأنه عن أهل النار عند ما سئلوا عن سبب تعذيبهم .

(إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ. فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ. عَنِ الْمُجْرِمِينَ. مَاسَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ؟ قَالُوا : لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ . وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ) . (سورة المدثر)

ترشد هذه الآيات الكريمات إلى بيان جزاء تارك الصلاة ومانع الزكاة . وقد حكى الله عنهم ذلك عند ما سُئلوا : أيّ شيء أدخلكم فى سقر ، وأحلكم فى هذا العذاب الأليم ، والعقاب الشديد ؟ . فقالوا :

إن سبب ذلك أنَّا لم نَكُ من المصلين المطيعين لله تعالى ، ولم نَكُ نطعم المسكين — أى الذى أسكنته الحاجة والذلة والفقر — من فضول أموالنا التى رزقنا الله إياها ، فكان جزاؤنا على ذلك ما نحن فيه من العذاب الأليم ، والعقاب الشديد .

فإياك إياك أيها المسلم الموسر ، المالك نصاب الزكاة ، أن تكون من هؤلاء المذنبين ، الخاسرين أعمالاً ، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً .

مثال لمانع الزكاة وعقابه

وإليكم مثل صريح فى القرآن الكريم لمانع الزكاة وعقابه ، وهو : أن ثعلبة بن حاطب سأل النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يدعو له أن يرزقه مالاً ، ويؤدى منه كل ذى حق حقه ، فدعا له النبى صلى الله عليه وسلم ، فوسع عليه رزقه غنماً كثيرةً ضاق بها الوادى فانقطع ثعلبة عن الجمعة والجماعات ، ومنع الزكاة كما قال تعالى : (فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا) عن طاعة الله (وَهُمْ مُعْرِضُونَ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا) أى فصير عاقبتهم نفاقاً ثابتاً (فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ) أى يوم يلقون الله ، وهو يوم القيامة (بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) فيه . فجاء ثعلبة إلى النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك بزكاته فقال له : إن الله منعنى أن أقبل منك ، فجعل يحثو التراب على رأسه ، ثم جاء بها إلى أبى بكر رضى الله عنه فلم يقبلها ، ثم إلى عمر رضى الله عنه فلم يقبلها أيضاً ،

ثم إلى عثمان رضى الله عنه فلم يقبلها كذلك . ومات بعد ذلك متحسراً نادماً على امتناعه عن الزكاة .

حكمة الزكاة وفوائدها

قد شرع الله الزكاة ليطهر بها النفوس ، ويزيل ما بها من علة البخل والشح لقوله تعالى :

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) . (سورة التوبة)

وعن أنس بن مالك قال : « أَتَى رَجُلٌ مِنْ تَمِيمٍ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فقال : يَارَسُولَ اللَّهِ إِنِّى ذُو مَالٍ كَثِيرٍ وَذُو أَهْلٍ وَمَالٍ وَحَاضِرَةٍ فَأَخْبِرْنِى كَيْفَ أَصْنَعُ ؟ وَكَيْفَ أُنْفِقُ ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تُخْرِجُ الزَّكَاةَ مِنْ مَالِكَ ، فَإِنَّهَا طُهْرَةٌ تُطَهِّرُكَ ، وَتَصِلُ أَقْرِبَاءكَ ، وَتَعْرِفُ حَقَّ الْمِسْكِينِ وَالْجَارِ وَالسَّائِلِ » .

(رواه أحمد)

وقد وعد الله فاعل الزكاة بالنجاح والفلاح فى أعماله فقال تعالى :

(قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ) . (سورة المؤمنون)

وقال تعالى :

(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى . وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى . بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى) . (سورة الاعلى)

وللزكاة غير تطهير النفس من رذيلة البخل ، وتحليتها بصفة الجود والسخاء : من الفوائد والمنافع ما به عمارة الكون ، ونظام الهيئة الاجتماعية .

وذلك ، لأن الله جلت قدرته ، وعلت كلمته ، لم يخلق جميع الخلق متساوين لحكمة عجيبة ، وسر غريب ؛ بل خلق منهم القوىّ والضعيف ، والغنىّ والفقير ، وكلٌّ تطالبه

الحيلة بضرورياتها ولوازمها ، فيضطر الفقير القوى - إذا لم يكن صرف للزكاة - أن يأخذ حاجاته من الغنى الضعيف، أوالقوى الغنى بالسؤال إن أمكن ، أو بالقوة فيَقتُل أو يُقتَل ، ولا يتم مع ذلك بقاء العالَم ولا يحفظ نظام السكون .

ولذا اقتضت حكمته تعالى أن يخفف شدة الفقير رأفة به ، فجعل فى مال الغنى حقًّا معلومًا يدفع إليه فى كل عام يسد به عوزه ، ويخفف بلاءه ، ويكفى حاجته الضرورية ، وبذلك يعم الأمن ، ويستريح العالم .

فالغنى يتمتع بماله آمناً ، والفقير يُكفى المئونة والعوز ، فيكفى الناس شروره فإن كثيرًا من أنواع الشرور ، كالسرقة والنهب والغصب والاختلاس والغش والخديعة ، ينشأ من اضطرار الفقراء وضيق ذات يدهم .

فإذا أدّى الأغنياء زكاة أموالهم كان ذلك سبباً فى دفع الشرور ، وتثبيت دعائم الأمن، وتقليل متاعب الحكومة .

ومن فوائدها : أنها مَظهَرُ الشفقة والرحمة بالفقراء والمساكين والضعفاء المعوزين بسدِّ عوزهم ، وتنفيس كربهم ، وقضاء دَينهم ، و إدخال السرور عليهم ، الذى هو أفضل الأعمال ، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم عند ما سُئل : « أىُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قالَ : أَنْفَعُ النَّاسِ لِلنَّاسِ . قِيلَ : يارسُولَ اللهِ ، فَأَىُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قالَ : إِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَى الْمُؤْمِنِ . قيل : وَمَا سُرُورُ الْمُؤْمِنِ ؟ قالَ : إِشْبَاعُ جَوْعَتِهِ ، وَتَنْفِيسُ كُرْبَتِهِ ، وَقَضَاءُ دَيْنِهِ » .

ومن فوائدها أيضاً : أن المزكى بها يعرف نعمة الله تعالى عليه بنعمة المال ، فيشكره على أن جعله غنيًّا لا فقيراً ، وأنْ أحوج بعض الناس إليه ، ولم يحوجه إليهم .

وما أخسَّ من ينظر إلى الفقير ، وقد ضيق عليه الرزق ، وأحوج إليه ، ثم لاتسمح نفسه بأن يؤدى شكر الله تعالى على إغنائه عن السؤال ، و إحواج غيره إليه بدفع الجزء الواجب عليه من الزكاة ، وهو أقل من القليل .

ومن فوائدها : إيجاد روح الاتحاد بين المسلمين ؛ لأنه سبحانه وتعالى أراد بخالق

حكمته ، وعظيم قدرته ، أن يجمع العالم الإسلامى أجمع ، ويربط قلوب المسلمين كلهم بعضها ببعض ، ويكون الكل كعائلة واحدة ، والأغنياء منهم بمثابة رؤوس لتلك العائلة ، فيحسنون على فقيرهم ، ويوسعون على المضيَّق عليه منهم ، حتى يكفوهم تكففهم الناس ، ويمنعوهم من ذل السؤال .

وأن يرشدهم كيف يجتمعون ويتحدون ويتعاونون ، ويتآلفون ؟ حتى إنهم بذلك يجنون ثمرة الحياة الدنيا ، فشرع لهم الزكاة ليكون من نتائجها الحسنة هذا الارتباط والاتحاد والتعاون .

فالزكاة من هذه الناحية ركن عظيم من أركان المدنية ، وفضيلة من أكمل الفضائل الإنسانيـــــة .

ولو وفق الله جميع الأغنياء لدفع زكاة أموالهم ما وجدنا فقيراً يئنُّ من ألم الفقر ، ولا جائعاً يشكو ألم الجوع ، ولرأينا الوفاق سائداً بين الأغنياء والفقراء ، ولقام الفقراء بخدمة الأغنياء بصدق وإخلاص .

ومن فوائدها : أنه بإخراج المزكى القدرَ الواجبَ عليه من ماله ابتغاء مرضاة الله يعلم مقدار محبته لله تعالى ، ومراعاة أوامره ، وقدرها حق قدرها ، حيث أخرج من أحب الأشياء إليه ، وهو مالُه ، امتثالاً لأمر الله تعالى وابتغاء مرضاته .

ومنها تثبيت الإيمان ، وكمال اليقين ، وذلك ؛ لأن المال شقيق الرُّوح ، وبذله أشق شىء على النفس من سائر العبادات ، فإذا ريضَت النفس بالتحامل عليها ، وتكليفها ما يصعب عليها ، وكبحها عن كل ماتشتهيه ، وذلك بإنفاق أحب الأشياء إليها ، وهو المال ، صارت خاضعة لصاحبها ، وقلَّ طمعها فى اتباع الشّهوات ، وآثرت ما عند الله تعالى على ما عندها .

ولما كانت النفس ميالة إلى الحرص ، وكان الجود مطلوباً ، جعلت الزكاة بمثابة رياضة للنفس ، وتمرين لها على الكرم شيئاً فشيئاً ، حتى يصير الكرم لها عادة . وهذا أعظم جهاد للإنسان ؛ لأن المال أعزّ على النفس منها ـ أى أنها تحب المال أكثر من حبها لنفسها ـ فأنت إذا أعطيت الزكاة ، وجاهدت نفسك ومرنتها على الكرم تكون

قد غسلت بهذا الجود ، وهذا التمرين جاهك وعرضك ، وأزلت عنه أخبث وصمة ، وهى البخل .

خلاصة حكمة الزكاة

شرعت الزكاة لفوائد كثيرة تعود على مانحها وآخذها ، والناس عامة .

فمن فوائد الزكاة :

١ — المحافظة على حياة المحتاجين حتى لايفتك بهم الجوع أو الأمراض المختلفة .

٢ — تحبيب الأغنياء إلى الفقراء ، فلا يتعرضون لأذاهم ؛ لأن الإنسان عبد الإحسان .

٣ — تقليل الجرائم فى البلاد ، إذ الداعى إليها غالباً الفقر والاحتياج .

٤ — تحسين حالة الفقراء الصحية ، فلا تنتشر بينهم الأمراض المعدية وتسرى منهم إلى غيرهم .

٥ — تقليل المتعطلين والشحاذين ؛ لأن فى الزكاة غنًى عن السؤال ، ورأس مال للمتعطل .

٦ — المساعدة على تربية من لا كافل لهم ، فتكثر الأيدى العاملة ، وتتحسن أخلاق الأمة ، ويقلُّ فيها العبث بالأمن العام ؛ بل أداء الزكاة يوجب انتشار الأمن فى البلاد .

٧ — انتشار المحبة والشفقة والرحمة بين الناس .

٨ — انتزاع الحقد والحسد من قلوب الفقراء ، فلا يمقتون الأغنياء ، ولا يتطلعون إلى أموالهم ، وبذلك تنحلّ أعظم مشكلة اجتماعيـــة فى العالَم وهى مشكلة الاشتراكيين المنتشرين فى أوروبا .

٩ — اختبار الله للأغنياء بتكليفهم دفع شىء من المال الذى هو أحب شىء لدى الإنسان إلى الفقراء بلا مقابل .

١٠ — تطهير نفس المزكى من داء البخل ، ومرض الشح ، فيسهل عليه بذل المال فى المنافع العامة .

هذا ، ولو امتثل الناس أمر ربهم ، وآتوا الزكاة لمستحقيها فى أوقاتها المحدودة لخلصوا أنفسهم من هذه الشرور المنتشرة بينهم ، ولعاشوا مع مَن حولهم من الفقراء فى أمن وصفاء .

والخلاصة : إن الزكاة من أى ناحية نظرت إليها ؛ ومن أى جهة واجهتها فإنها كلها من أجلّ الأعمال ؛ وكلها جمال وكمال ؛ فهى مطهرة للمال ؛ مهذبة للنفس بتعويدها على البذل والسخاء ، مؤلفة للقلوب ، مسعدة للحياة ، مرضية للرب ، مقربة من الجنة ، مبعدة عن النار .

نسأله تعالى أن يوفق أغنياءنا لشكر الله عليهم بإخراج الزكاة التى أمروا بها . وأن يملأ قلوبهم بالتراحم والتعاطف ، والإقرار والاعتراف بفضله ، إنه السميع القدير وبالإجابة جدير .

خطبة منبرية لفضيلة الأستاذ السيد محمد الببلاوى

فى الزكاة

الحمد لله الذى خلق السموٰات والأرض ، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم . وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار . وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار . وآتاكم من كل ماسألتموه ، وإن تعدّوا نعمة الله لاتحصوها إن الإنسان لظلوم كفار .

وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة تنجى قائلها من عذاب النار ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله صفوة المتقين الأبرار . اللّهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه ، واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون .

قال الله تعالى : (إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ، وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) .

عباد الله — آمنوا بالله ورسوله ، وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير . ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ، ولله ميراث السموات والأرض، والله بما تعملون خبير .

وقد فضل الله بعضكم على بعض فى الرزق ، وأوجب على الأغنياء مواساة الفقراء بدفع ربع العشر من أموالهم كل عام (زكاة) افترضها الله عليهم ، وحقًّا للفقراء أوجبه فى أموالهم فاذكروا نعمة الله عليكم ، وأدوا للفقراء ما أوجبه عليكم من زكاة أموالكم ، ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ، وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه إن أنتم إلا فى ضلال مبين .

ياعباد الله — إن فى الزكاة من الخصال الطيبة ، والآثار الصالحة ، والمحمدة عند الله

وعند الناس ماهو خير لكم من هذه الأموال التى تبخلون بها عن ذوى الحاجات، والمضطرين من إخوانكم المؤمنين .

فى الزكاة مساعدة الضعفاء ، ومواساة الفقراء الذين أنهكهم غلاء الأسعار ، وأهلكهم الجوع والعرى .

ومن حسن إسلام المرء أن يكون بإخوانه المؤمنين رءوفاً رحيما .

فى الزكاة منفعة للأغنياء بما يدخرونه عند الفقراء من المعروف ، والأيادى البيضاء ، فربّ فقير تحسن إليه اليوم بالقليل من مالك يكون سبباً فى نجاتك غداً من مهلكة لا قدرة لك على دفعها عنك إلا بمساعدة هذا الفقير و إعانته .

فى دفع الزكاة للفقراء نجاة من العواقب السيئة التى يُحدثها حقدهم على الأغنياء إذا هم اختصوا برغد العيش ، ولم يجعلوا للفقراء منه نصيباً ، وفى الزكاة رضوان الله ، ورضوان الله خير للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون .

ياعباد الله — لقد توعد الله فى كتابه مانع الزكاة بأشد ماتوعد به أحداً ممن خالف أمره ، فقال عز من قائل :

(وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ) .

ياعباد الله — قد منحكم الله الصحة والعافية ، وحباكم نعمه ظاهرةً وباطنةً ، فاجعلوا أيام صحتكم ميدان مسابقة تستبقون فيه إلى رضوان الله ومغفرته بما توصلون من الخير ، وما تقدمون من الإحسان إلى إخوانكم الفقراء ، وتفقّدوا ببركم وإحسانكم أصحاب البيوت التى أناخ عليهم الفقر بكلكله ، وأكل عليهم الزمان وشرب ، لو رأيتهم تحسبهم من الأغنياء ، والله يعلم مقدار ما اشتملت عليه جوانحهم من جوع مضنٍ ، وآلام مهلكة ، ولكن الحياء يمنعهم من أن يمدوا أيديهم بسؤال ، وأن يطلبوا من غير خالقهم رزقاً .

فاتقوا الله عباد الله ، وأدوا للفقراء من زكاة أموالكم مافرض الله عليكم .

ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار . ومن يتول يعذبه عذاباً أليماً .

(هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ . فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ، وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) .

الحـــديث

« إِنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَى أَغْنِيَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ بِقَدْرِ الَّذِي يَسَعُ فُقَرَاءَهُمْ وَلَنْ يَجْهَدَ الْفُقَرَاءُ إِذَا جَاعُوا وَعَرُوا إِلَّا بِمَا يَصْنَعُ أَغْنِيَاؤُهُمْ ، أَلَا وَإِنَّ اللهَ يُحَاسِبُهُمْ حِسَابًا شَدِيدًا وَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا » .

(عن الترغيب والترهيب للمنذرى)

خطبة أخرى لفضيلة الأستاذ الشيخ حمزة حسن الصالحى

فى الزكاة

الحمد لله المحسن إلى عباده ، الذى رزقهم من الطيبات لعلهم يشكرون ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وعد المتصدقين بأن يخلف عليهم أضعاف ما أنفقوا فى الدنيا ، وفى الآخرة هم المفلحون ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله الذى كان أكرم من الريح المرسلة ، فلم يدركه أحد فى جوده وفضله من الناس أجمعين . اللّهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الذين لم تشغلهم عن مولاهم كثرة المال ، فأعطوا الحقوق كاملة فكانوا من السعداء الفائزين .

أما بعد — فقد جبلت النفوس بطبيعتها إلى حب من أحسن إليها، وقد اقتضت إرادة المولى جلت قدرته أن يجعل خلقه متفاوتين فى الفقر والغنى ، كى يدوم العمران لحاجة كل من الغنىّ والفقير إلى الآخر ، وليـدل ذلك على الغنىّ المطلق وهو الله سبحانه ، القائل فى كتابه : (وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِى الرِّزْقِ) .

ومن السنن البشرية أن إحسان الغنىّ إلى الفقير ، وقضاء الفقير لحاجة الغنى يزيد رابطة الألفة والمودة بينهما ، ويمكّن عرى المحبة والصداقة ، ولما كان الإسلام من قواعده أن يجمع الناس على شىء واحـد صحيح ، فرض الله الزكاة على الأغنياء للفقراء ، وبذا يصبح المسلمون كالحلقة المفرغة لايُدرى أين طرفاها ، ويكونون حقيقة كالبنيان المرصوص كما وصفهم سيد الحكماء بقوله : « الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا) ، والزكاة فرض ثابت بكتاب الله وسنة رسوله . قال الله سبحانه : (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) وقال عز وجـل : (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِى سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ، وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ).

وورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذ بن جبل إلى اليمن قال : «إِنَّكَ تَأْتِى قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنِّى رَسُولُ اللهِ ،

فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ » ومنكر الزكاة كافر تجب مقاتلته لأنه جحد ركناً من أركان الإسلام الخمسة .

ولما توفى الرسول صلى الله عليه وسلم ارتد بعض العرب عن الإسلام ومنعوا الزكاة ، وكان أبو بكر قد وَلِيَ الخلافة فقام لقتالهم . فقال عمر : كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلاَّ بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ تَعَالَى » فقال أبو بكر : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فان الزكاة حق المال ، والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه ، قال عمر : فوالله ماهو إلا أن شرح الله صدر أبى بكر للقتال فعرفت أنه الحق .

والزكاة سبب فى طمأنينة الغنى على نفسه وماله من اعتداء الفقير عليه إذا اشتدت به الحاجة ، وتعوده على الشفقة بالضعفاء ، وتربى فى الفقير القناعة والأمانة ، وتحفظ الأرواح أن تزهق ، والدماء أن تسيل ، ولكن الناس فى زماننا هذا يكنزون الذهب والفضة ، ولا ينفقون من أموالهم شيئاً فى سبيل الله و يقولون هل من مزيد ؛ ولهذا قامت حرب العداوة والبغضاء بين الأغنياء والفقراء .

وظهرت جماعة فى بعض البلاد تطالب بالتسوية بين الجميع ، وأن الله قد أعطى عباده المال ، وأمرهم بالصدقة منه ، ووعدهم بالجزاء الأوفى . فقال سبحانه : (ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) وقال عز وجل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ . وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلاَ أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ) .

ولا يمنع الزكاة إلا من أطفئ نور الإيمان من قلبه . قال الله تعالى : (إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا . وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا . إِلاَّ الْمُصَلِّينَ. الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دَائِمُونَ . وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ . لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ)

وقد وعد الله مانع الزكاة بالعذاب الأليم فى الآخرة . فقال تعالى : (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ) وجعل للمتصدق ثواباً كبيراً ، وأجراً عظيما فى دار الفناء وفى دار البقاء ؛ فقال وهو أصدق القائلين : (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) .

وقال جلت قدرته : (وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) .

الحديث

عن الحسن رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ ، وَدَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ ، وَاسْتَقْبِلُوا أَمْوَاجَ الْبَلاَءِ بِالدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ » . (رواه أبو داود والطبرانى والبيهقى)

الركن الرابع

الصـــوم

الصوم : هو الركن الرابع للإسلام ؛ فمن جحده ، أو أنكره ، أو تعمد عدم القيام به بغير عذر شرعى ، أو مرض ، فقد عصى الله ورسوله ، ونقص إيمانه ، ومَن تعمَّد نقص إيمانه ولم يتب ، فقد أغضب ربه عمداً ، ومن تعمد إغضاب ربه ، فقد كفر نعمته ، ومن تاب وأصلح أمره ، ورجع إلى ربه ، فإن الله توّاب رحيم ، غفور كريم .

والصوم كما عرّفه الفقهاء : الإمساك عن الأكل والشرب والوطء ، وعن كل مفطر من الفجر إلى الغروب ، بنية خالصة لله عزّ وجل ، وهو زكاة للجسد ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « لِكُلِّ شَىْءٍ زَكَاةٌ ، وَزَكَاةُ الجَسَدِ الصَّوْمُ » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إِنَّمَا الصَّوْمُ جُنَّةٌ » . أى وقاية يقى الإنسان ويحفظه من شر عدوّيه : الشيطان ، والنفس .

الغرض من الصوم

ليس الغرض من الصوم الحرمان من الطعام والشراب الذى لاينفع المولى ، ولا تضره إباحتهما ، وإنما أراد الله جلّ وعلا بمنع الأكل والشرب أن يذوق الصائم حرارة الجوع وشدة العطش ، ويدرك المسلم الذى أنعم الله عليه أنه لا يصح أن يملأ جوفه ، ويسرف فى الإنفاق على طعامه وشرابه ، وبجانبه الكثير من أهله وأقاربه ، وإخوانه المسلمين يتضورون جوعًا وعطشاً ؛ فتبعث فى نفسه عاطفة الشفقة والرحمة ، ويسارع إلى مواساتهم ، ويشركهم معه فيما أنعم الله عليه من النعم .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، الصومُ حِمية سنوية منظمة ، وقد أثبت الطب الحديث أن الحِمية ، وانتظام الغذاء ، وتحديد أوقاته ، أحسن علاج يؤدى إلى اعتدال الصحة ، ونماء الجسم .

وقد ظهر أن أخطر الأمراض لا يمكن مقاومته إلا بالصوم ، وقد اعترف الأطباء بذلك ، وحسبك أن (نابليون) الفرنسى الكبير الذى يعده الأوربيون عمومًا ، والفرنسيون خصوصاً أعظم قوّاد العالَم كان يقول : « دوائى الصوم » .

وليس الغرض من الصوم الإمساك عن الأكل والشرب فحسب ؛ بل كف اللسان عن اللغو ، والغيبة ، والنميمة ، والكذب ، والمراء ، والخصومة . قال صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ » .

(عن أبى هريرة)

وقال صلى الله عليه وسلم :

« لَيْسَ الصِّيَامُ مِنَ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ ، وَإِنَّمَا الصِّيَامُ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ ، فَإِنْ سَابَّكَ أَحَدٌ أَوْ جَهِلَ عَلَيْكَ فَقُلْ : إِنِّي صَائِمٌ ، إِنِّي صَائِمٌ ؛ فَكَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلاَّ الظَّمَأُ ، وَكَمْ مِنْ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلاَّ السَّهَرُ » وفى رواية : « كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلاَّ الجُوعُ وَالْعَطَشُ » .

وقال صلى الله عليه وسلم :

« الصَّائِمُ فِي عِبَادَةٍ مِنْ حِينِ يُصْبِحُ إِلَى أَنْ يُمْسِيَ مَالَمْ يَغْتَبْ مُسْلِماً أَوْ يُؤْذِهِ فَإِذَا اغْتَابَ خَرَقَ صَوْمَهُ » .

وفى رواية : « الصِّيَامُ جُنَّةٌ وَحِصْنٌ حَصِينٌ مِنَ النَّارِ مَالَمْ يَخْرِقْهَا بِكَذِبٍ أَوْ غِيبَةٍ » .

فرض الصوم

قد فرض الله الصوم ، وجعله ركناً من أهمّ أركان عبادته جلّ وعلا ، وعظّم أجره وثوابه ، وكتب على نفسه حسن الجزاء ، فقال تعالى :

(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ

أيام أخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين، فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون) . (سورة البقرة)

المعنى : بين لنا الله سبحانه وتعالى فى هذه الآيات الكريمة :

١ — أن الصوم فرض علينا كما فرض على الأمم التى كانت قبلنا لما فيه من تهذيب النفوس ، وإعدادها للسعادتين الدنيوية والأخروية .

٢ — وأنه يباح للمريض والمسافر أن يفطرا ، وعليهما القضاء ، كما يباح للذى لايمكنه الصوم إلا بمشقة زائدة أن يفطر ، ثم يفدى عن كل يوم يفطره بإطعام مسكين .

٣ — وأن من صام زيادة عن شهر رمضان يكون له ثواب كثواب من يصلى نفلاً ، ومن اقتصر على صوم رمضان لاشىء عليه ، وأن صوم من يباح لهم الفطر إذا تأكدوا عدم الضرر أحسن وأنفع لهم .

درجة الصوم

اعلم أن الصوم ثلاث درجات : صوم العموم — وصوم الخصوص — وصوم خصوص الخصوص .

أما صوم العموم : فهو كف البطن عن تناول الطعام والفرج ، وما فى حكمه من اللذات والشهوات .

وصوم الخصوص : هو كف البطن والفرج ، مع كف السمع عن سماع لغو القول ، وما يحرم سمعه ، وكف البصر عن النظر إلى ما يحرم النظر إليه ، وكف اليد عن كل شىء منهى عنه بحكم الشرع ، وما يدخل فى هذا المعنى .

وعلى الجملة كف جميع الجوارح عن مباشرة كل ما يحرم فعله ، وهو صوم الصالحين .

وتمامه ستة أمور :

١ — غضّ البصر عن الاسترسال فى النظر إلى مايشغل القلب عن ذكر الله تعالى ، وما ينسى الإنسان ذكر الآخرة . قال النبى صلى الله عليه وسلم :

« النَّظْرَةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللهُ ، فَمَنْ تَرَكَهَا خَوْفًا مِنَ اللهِ آتَاهُ اللهُ تَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ إِيمَانًا يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ » .

٢ — حفظ اللسان عن النطق بالفحش ، والهذيان ، والكذب ، والغيبة ، والنميمة ، وإلزامه السكوت ، وعدم النطق إلا فى الخير ، وذكر الله تعالى ، وتلاوة القرآن .

٣ — كف السمع عن الإصغاء إلى كل مكروه ، وقد قرن الله سبحانه وتعالى من يستمع المكروه بمن يأكل السحت بقوله :

(سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ) و بقوله أيضاً :

(لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الْمُغْتَابُ وَالْمُسْتَمِعُ شَرِيكَانِ فِي الْإِثْمِ » .

٤ — كف بقية الجوارح عن المحرمات والمكاره ، وحفظ البطن وقت الإفطار عن الشبهات ، فلا يفطر على لحوم الناس بالغيبة ، أو على طعام مكتسب بغير وجه حلال.

٥ — أن لا يكثر من الطعام وقت الإفطار بحيث يمتلئ جوفه ؛ لأن امتلاءه يهيج النفس البهيمية ، فتنبعث فيها الشهوة التى كانت راكدة خامدة طول النهار .

وأيضاً إن روح الصوم وسره : إضعاف القوى التى هى وسائل للشيطان ، ولا يكون هذا إلا بتقليل الأكل ؛ ومتى ضعفت تلك الوسائل قوى القلب ، وزالت الحجب ، فينظر بعين البصيرة إلى جلال الملكوت ، وبديع ماصنعته يد الخالق لهذه العوالم .

٦ — أن يكون قلبه بعد الإفطار بمنزلة بين الرجاء والخوف ، لأنه لايدرى هل قبل صيامه أم لم يقبل ؟

أما صوم خصوص الخصوص : فهو الإمساك عن شهوتى البطن والفرج ، وحبس القلب والفكر عما سوى الله تعالى ، فلا يفكر فى شئ من أمور الدنيا مطلقاً ، بحيث إذا فكر فى أمر من أمورها ، وحاد قيد أنملة عن ذكر خالقه فقد أفطر ؛ وقد بلغت الدرجة بحبس القلب إلى أنه إذا فكر فى الشئ الذى يفطر عليه وقت الغروب فقد أفطر بهذا الفكر ؛ لأن تفكره هذا يدل على عدم الثقة بالخالق الرازق الذى يرزق عبده بغير حساب ؛ وهذا الصوم خاص بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام .

حكمة مشروعية الصوم وفضائله

الصوم : عبادة خاصة بالله تعالى لم يُعبَد غيره به ، وهو حافظ لصاحبه من الضلال فى الدنيا ، ومن عذاب النار فى الآخرة ، ومطيب لرائحة الفم عند الله ، ومفرح لصاحبه فى الدنيا والآخرة ، ورافع لذكره على رءوس الأشهاد ، ومصحح للجسم من الأسقام ، ومعظم للأجر ، ومقرب من الله تعالى ؛ وفى الحديث الشريف :

« أُعْطِيتْ أُمَّتِى فِى شَهْرِ رَمَضَانَ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ نَبِىٌّ قَبْلِى . أَمَّا وَاحِدَةٌ : فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ يَنظُرُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ ، وَمَنْ نظَرَ اللهُ إِلَيْهِ لَمْ يُعَذِّبْهُ أَبَدًا . وَأَمَّا الثَّانِيَةُ : فَإِنَّ خُلُوفَ أَفْوَاهِهِمْ حِينَ يُمْسُونَ أَطْيَبُ عِندَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ . وَأَمَّا الثَّالِثَةُ : فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ فِى كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ . وَأَمَّا الرَّابِعَةُ : فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَأْمُرُ جَنَّتَهُ فَيَقُولُ لَهَا : اسْتَعِدِّى وَتَزَيَّنِى لِعِبَادِى ، أَوْشَكَ أَنْ يَسْتَرِيحُوا مِنْ تَعَبِ الدُّنْيَا إِلَى دَارِى وَكَرَامَتِى . وَأَمَّا الْخَامِسَةُ : فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ آخِرُ لَيْلَةٍ غَفَرَ اللهُ لَهُمْ جَمِيعاً ؛ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : أَهِىَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ فَقَالَ : لاَ ، أَلَمْ تَرَ إِلَى الْعُمَّالِ يَعْمَلُونَ ؛ فَإِذَا فَرَغُوا مِنْ أَعْمَالِهِمْ وُفُّوا أُجُورَهُمْ » (رواه البيهقى وأحمد والبزار)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله تعالى :

« كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلاَّ الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِى وَأَنَا أَجْزِى بِهِ ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ ؛ وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلاَ يَصْخَبْ ؛ فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ ، فَلْيَقُلْ : إِنِّى امْرُؤٌ صَائِمٌ ؛ وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ؛ لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا : إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ ، وَإِذَا لَقِىَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ » . (رواه الخمسة)

ومعناه : أن الله تعالى يقول : (كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ) أى لنفسه حظ منه يتعجله

فى دنياه كالجاه والتعظيم ، وثناء الناس عليه لاطلاعهم على أعماله (إِلاَّ الصِّيَامَ) فإنه خالص لى من الرياء ، وسرٌّ بينى و بين عبدى لخفائه (وَأَنَا أَجْزِى بِهِ) جزاء يليق بمقام الإله العظيم (وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ) أى وقاية ، وحفظ من المعاصى لكسره للشهوة ، بل وحافظ من النار ، لأنه إمساك عن الشهوات ، والنار محفوفة بها (وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ) أى لايفحش فى الكلام ، لأن الصوم عبادة ، فلا يدنسها بفحش القول ؛ (وَلاَ يَصْخَبْ) أى لايرفع صوته بخصام ولا صياح (وَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْقَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّى امْرُؤٌ صَائِمٌ) ، أى ليقل بلسانه إنى صائم ؛ ففيه ردع النفس ، وطمانينة للقلب ، وأسوة حسنة .

ثم أقسم النبى صلى الله عليه وسلم بأن (خلوف فم الصائم) أى تغير رائحة الفم من عدم الأكل محبوب عند الله ، وهو أطيب عند الله من ريح المسك .

ثم قرر بأن للصائم فرحتين . الأولى : (إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ : والثانية : إذا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ) بما أعده الله له من النعيم المقيم .

أصل الصوم

أما أصل الصوم : فكان الفطر فى أول الإسلام من الغروب إلى النوم ؛ فإذا نام الشخص ولو بعد ساعة ثم استيقظ حرم عليه الطعام والشراب والنساء ، كصيام أهل الكتاب ؛ وكذا ينتهى وقت الإفطار بصلاة العشاء . و بما حصل (لقيس) وغيره خفف الله ووسع وقت الإفطار إلى الفجر ، فلله مزيد الحمد .

الاحتفال بشهر رمضان

فى عهد السلطنة العثمانية (سابقاً[1])

كان فى العهد السابق فى عهد السلطنة العثمانية يحتفل بليلة النصف من رمضان احتفالاً رسمياً شائقاً فى السراى القديمة التى كان يسكنها (سلاطين آل عثمان) وهى واقعة على بوغاز « البوسفور » ومتصلة بجامع (أياصوفيا) من جهة ، و (بالباب العالى) من جهة أخرى .

(١) عن كتاب تاريخ الاحتفال بالمولد النبوى للأستاذ حسن السندوبى .

وكانت تحوى المخلفات النبوية الشريفة، وهى موضوعة فى صندوق من الفضة الخالصة.

وهذه المخلفات هى ـ فيما يزعمون : البردة النبوية ، وسن من أسنان المصطفى عليه الصلاة والسلام ، و بضع شعرات من شعره الشريف ، وقطعة من رايته التى كانت تسمى (العُقاب) ، ونعاله .

ومنها أيضاً إناءان من الحديد ـ يزعمون أنهما كانا للخليل إبراهيم عليه السلام ، وأنه كان يشرب بهما الماء من بئر زمزم ، وذراع يقال إنه كان ليحيىٰ بن زكريا عليهما السلام ، وجبة كانت للإمام أبى حنيفة النعمان .

وكان الرسم المقرر أنه متى استهل شهر رمضان، يجرى انتخاب عشرة من العلماء، وعلى كل عالم من هؤلاء المنتخبين اختيار عشرة من طلابه الأذكياء ؛ وبهؤلاء جميعاً تعقد مجالس العلم فى شكل أقواس ، وعلى العلماء طوال ليالى الشهر إلقاء محاضرات فى تفسير القرآن الكريم ، يتخللها أسئلة توجه إليهم من الطلاب .

وكان يقع ذلك كله بمشهد من جلالة السلطان ، و بمسمع منه .

وقد كان من الرسم أن يتناول جلالة السلطان طعام الإفطار فى هذه السراى ، أغلب ليالى الشهر المعظم ، وكان يُدعى إلى مائدته السلطانية عظماء الدولة ، وكبار رجال (المابين) وقواد الجيوش العثمانية ، و بعض أكابر الضيوف ، وغيرهم من ذوى الأخطار ، وأرباب الدرجات والمراتب العالية من ملكيين وعسكريين ، كما يُدعى إليها غيرهم من العلماء والوجوه والأعيان .

وكان الرسم أن يُعطى لكل من يتناول طعام الإفطار على المائدة السلطانية فى هذا الشهر المبارك مبلغ من المال يسمى باللغة التركية (دبش كراسى) أى أجرة الإنسان

الاحتفال بشهر رمضان المعظم

فى عهد حضرة صاحب الجلالة الملك (فاروق الأول)

اتباعاً لسنة آل عثمان فى الاحتفال بشهر رمضان المبارك كما مرّ ذلك ، قد قام حضرة صاحب الجلالة الملك (فاروق الأول) بالاحتفال به؛ فتفضل جلالته وأمر بإقامة مآدب ملكية

فى قصرى عابدين بالقاهرة ورأس التين بالاسكندرية لحضرات الأمراء والوزراء والعلماء وأئمة المساجد وخطبائها ، ومشايخ الطرق الصوفية ، ورؤساء وكبار النقابات من الصناع والعمال والتجار فى شهر رمضان المبارك .

ويشرف جلالته بنفسه هذه الحفلات ، ويحيى ضيوفه ، ويهنئهم بشهر الصيام ، ويتناول الجميع الطعام مع رجال القصر الكرام ؛ كما أنه أصدر أوامره السامية بعمل مآدب فى القاهرة والأقاليم ، تحت إشراف حضرات المحافظين والمديرين لإطعام الفقراء على حسابه الخاص .

فعمت بذلك مبراته وحسناته جميع طبقات شعبه من كبير وصغير ، وغنى وفقير ؛ وهكذا يكون عطف الراعى على رعيته ، المحب لشعبه ؛ وهذه سنة حسنة فاق فيها ملوك آل عثمان ، جزاه الله على ذلك أحسن الجزاء ، وأطيب الثناء .

وفى ذلك قال صديقنا الشاعر الأديب الدكتور عارف الودينى ضمن قصيدة بليغة ، رفعها لجلالته فى ٢٠ رمضان سنة ١٣٦٣ :

رمضان يشهد أن جودك للورى ... يجرى بحاراً أو يسير غماما
يدعو لفاروق المفدى كل من ... صلى لرب العالمين وصاما

إحياء ليالى رمضان

وفضلاً عن ذلك فإنه (حفظه الله) أمر جلالته بإقامة سرادق كبير يحضر فيه عامة الشعب لسماع آى الذكر الحكيم من مشاهير القراء ، زاده الله شرفاً وكرماً .

هذا ، وكان فى العهد الماضى قبل اختراع الراديو بإذاعة القرآن فيه كان يتلى كتاب الله الكريم فى كثير من بيوت الأغنياء من بعض مشاهير القراء ، إحياء لليالى رمضان المكرم ، وقد بطلت هذه العادة فى القاهرة اللهم إلا فى بعض القرى عند أكابر العمد والأغنياء.

* * *

أما المحاضرات والدروس الدينية فتلقى فى المساجد الشهيرة ، كمسجد سيدنا الحسين ، والسيدة زينب وغيرهما ، بمعرفة حضرات العلماء من قسم الوعظ والإرشاد بالمعاهد الدينية

بعد صلاة الظهر ، و بعد صلاة العشاء أيضاً ، تذكر الناس بأمور دينهم ، وتحثهم على اتباع سنة رسولهم صلى الله عليه وسلم .

وقد تفضل جلالة الملك بالحضور فى الدروس الدينية التى تلقى فى مسجد محمد على بالقلعة أو مسجد الفتح أو غيرهما ، بمعرفة فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، وغيره من هيئة كبار العلماء .

وفى ذلك دليل على حبه للدين ، و إقامة شعائر الدين ، وتشجيعاً لغيره من كبار رجال القصر والوزراء والعلماء والأدباء بالحضور لسماع هذه الدروس الدينية النافعة .

شهر الصوم (رمضان)

وقد فرض الله الصيام فى شهر رمضان ؛ لأنه أنزل فيه القرآن ، وقد ثبت بالكتاب ، والسنة والإجماع .

وقد فرضه الله فى شهر شعبان من السنة الثانية للهجرة .

قال الله تعالى :

(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ، وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (سورة البقرة)

المعنى : أن الأيام المعدودة التى فرض علينا صومها هى (شهر رمضان) .

١ — وقد خصه الله بهذه العبادة ، لأنه أنزل فيه القرآن الكريم الذى هدى الله به الناس إلى سبيل الفلاح ، و بيّن لهم فيه الضارّ والنافع .

٢ — وأن صوم هذا الشهر يكون فرضاً على من كان حاضراً صحيحاً ؛ أما من كان مريضاً ، أو على سفر فيباح له الفطر مع القضاء فى أيام أخر .

٣ — وأن الله سبحانه وتعالى يريد بنا كل خير ، ولا يكلفنا ما لا نقدر عليه ، فأباح لمن لا يقدر على الصوم أن يفطر .

٤ — وحدد الصوم بشهر معلوم مبدؤه ونهايته ، لنصومه كاملاً ، ولنعرف مقدار فضل الله وإحسانه ، فنشكره ليفيض علينا من رحمته .

وقال صلى الله عليه وسلم :

« إِذَا جَاء رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ ، وَصُفِّدَتْ (قيدت) بِالْأَغْلَالِ الشَّيَاطِينُ » . (رواه مسلم)

وقال صلى الله عليه وسلم :

« أَوَّلُ شَهْرِ رَمَضَانَ رَحْمَةٌ ، وَوَسَطُهُ مَغْفِرَةٌ ، وَآخِرُهُ عِتْقٌ مِنَ النَّارِ »

وقال صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » .

(عن أبي هريرة)

وقال صلى الله عليه وسلم :

« أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ ، فَرَضَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ ، وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ ، لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ » . (رواه النسائي)

خطبة منبرية لفضيلة الأستاذ الشيخ حمزة حسن الصالحى

فى فضـــــل شهر رمضان

الحمد لله الذى فتح أبواب الإجابة فى شهر رمضان لجميع السائلين من عباده المؤمنين . وأشهد أن لا إله إلا الله الذى جعل القرآن هدًى ورحمةً فقال سبحانه : (ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ) .

وأشهد أن سيدنا محمدًا رسول الله سيد الأولين والآخرين . اللّهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الذين أخلصوا لله فى العمل والنية فكانوا من السعداء الفائزين .

أما بعد ، فإن لله عزّ وجلّ أن يخص ما شاء بما شاء ، وربّ عمل قليل خير من عمل كثير . ولا شك أن العمل القليل قد يفضل الكثير باعتبار الزمان والمكان وكيفية الأداء ، كصلاة واحدة مثلا أُديت بجماعة فإنها تفضل خمسا وعشرين مرة صلاة مثلها أديت على الانفراد ، ولا حجر على الله عزّ وجلّ، ولا يعلم ما عنده إلا هو جل شأنه . فقد جعل عبادة ليلة واحدة فى شريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (كليلة القدر) مثلاً أكثر ثواباً من عبادة ألف شهر فى شرائع الأمم الماضية . وإن الله تعالى اختار الساعات فاختار أوقات الصلاة ، واختار الأيام فاختار (يوم الجمعة) ، واختار الشهور فاختار (شهر رمضان) ، واختار الليالى فاختار (ليلة القدر) ؛ فهى أفضل ليلة فى أفضل شهر ؛ وإنما فضل شهر رمضان على غيره ؛ لأنه أنزل فيه القرآن من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة فى سماء الدنيا ، وصار ظاهراً للملائكة ، ثم كان ينزل بعد ذلك على الحبيب المختار صلى الله عليه وسلم متفرقاً على حسب مقتضيات الأحوال .

وقد جرت العادة بأن الزمن الذي يقع فيه الشىء العظيم يكون عظيما ، فيتخذ الناس الأيام التى ولد فيها العظماء أعياداً يحتفلون بها لرفعة ما حصل فيها ، ولم يكن هناك شىء أعظم من كلام الله تعالى ، ولا أرفع قدراً من دينه الذى اختاره لعباده بقوله (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) وإن الزمن الذى ظهر فيه هذا الكتاب المقدس هو شهر رمضان ؛ لذلك كان جديراً بالتعظيم والاحترام ، وفرض الله صومه وحرّم فطره كما قال سبحانه :

(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ القُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) الآية ، ولمكانة هذا الشهر عند الله فرضه على الأمم الماضية من لدن آدم إلى يومنا هذا . فقال تعالى : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) ولكن النصارى والبهود غيروا و بدلوا . وكلا الطائفتين مخطئ فى التغيير والتبديل ؛ و إنما شرع الله صوم رمضان وجعله ثالث أركان الإسلام ، لفوائد جليلة ، ولأنه موجب لسكون النفس الأمارة بالسوء وكسر سورتها فى الأشياء المتعلقة بالجوارح من العين واللسان والأذن والفرج .

و بالصوم تضعف حركة النفس فى المحسوسات. ولذا قيل: إذا جاعت النفس شبعت جميع الأعضاء ، و إذا شبعت جاعت كلها؛ و ينشأ عن الصوم صفاء القلب من الكدر ، لأن الموجب لظلمته فضول اللسان والعين و باقى الجوارح ، و بصفائه توجد الرحمة والعطف على المساكين؛ لأن الإنسان إذا ذاق ألم الجوع فى بعض الأوقات فإنه يسارع لدفعه عن الفقير بالإحسان إليه فينال بذلك ما عند الله من حسن الجزاء .

الحـــديث

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فتِّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ » .

(رواه البخارى)

شرط الصوم

قد أوجب الله صوم رمضان على كل مسلم ومسلمة بالغ عاقل سليم معافى ، من المرض الذى لايستطيع معه الصوم .

ويشترط فى الأنثى أن تكون خالية من الموانع الشرعية : كالحيض، والنفاس، والولادة .

من يسقط عنه الصوم ؟

يسقط الصوم عن المريض الذى لايرجى شفاؤه ، والمجنون ؛ والصبى يؤمر به لسبع ، ويضرب عليه لعشر، بشرط الإطاقة عند الثلاثة ؛ ويكره صوم الصبى عند مالك، والشيخ الكبير لاصوم عليه ، بل تجب عليه الفدية عند الثلاثة ، وهى مدّ من طعام عن كل يوم عند الشافعى ؛ ونصف صاع من برّ ، أوصاع من شعير ، أوتمر أوزبيب عند أبى حنيفة ، ومدّ من برّ أونصف صاع من شعير ، أوتمر أوزبيب ، أوأقط عند أحمد .

وقت الصوم

وقت الصوم من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية من أهله ؛ وقد اتفق الأئمة على أن صوم رمضان يجب برؤية الهلال ، أو إكمال شعبان ثلاثين يوماً ؛ قال تعالى : (فَمَنْ شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهرَ فَلْيَصُمْهُ) .

وورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ ، وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ ، فَإِنْ حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ سَحَابٌ ، أَوْ غَمَامَةٌ فَأَتِمُّوا الْعِدَّةَ ثَلَاثِينَ يَوْماً » . وفى رواية « فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ يَوْماً » .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« لَا تَصُومُوا حَتَّى تَرَوُا الْهِلَالَ ، وَلَا تُفْطِرُوا حَتَّى تَرَوْهُ ، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَاقْدُرُوا لَهُ » . (رواه الخمسة)

الاحتفال بهلال رمضان

أذاعت محافظة القاهرة أمس ٢٩ شعبان سنة ١٣٦٧ الموافق ٦ / ٧ / ١٩٤٨ بياناً ذكرت فيه أن رؤية هلال شهر رمضان إذا ثبتت مساء اليوم فستطلق المدافع إيذاناً بحلول شهر الصيام ، كما أن وزارة الأوقاف أمرت بأن تنار مئذنتا مسجد القلعة على أثر إخطارها رسمياً بذلك ، ثم تنار المآذن فى أنحاء المدينة .

موكب الرؤية

هذا ، وقد تقرر أن يخرج الموكب — تقديراً للاحتفال بحلول الشهر المبارك — من محافظة القاهرة فى الساعة السادسة والربع من مساء اليوم يتقدمه مأمور المحافظة ممتطياً جوادا تتبعه فرقة من موسيقى الجيش وثلة من الجند المشاة ثم فرقة من الفرسان . ويبدأ الموكب من ميدان المرحوم أحمد ماهر باشا ومنه إلى شارع درب الجماميز ، فشارع راتب باشا ، فميدان الحلمية ، فشارع مصطفى بك ، فشارع رياض باشا ، فميدان عبد الله فكرى باشا فالمحكمة الشرعية .

مآدب الإفطار الملكية فى مطاعم الشعب

تقرر أن تقام تنفيذاً للرغبة الملكية السامية مآدب إفطار ملكية فى مطاعم الشعب بمدينة القاهرة على أن يدعى فى كل منها مائة شخص من فقراء المدينة كل يوم طول شهر رمضان .

الأهرام فى ٧ / ٧ / ١٩٤٨

الاحتفال برؤية الهلال للصيام

إثبات الرؤية

تثبت رؤية الهلال عند أبى حنيفة إذا كانت السماء مصحية بشهادة جمع من المسلمين يقع العلم بخبرهم ، وفى الغيم بعدل واحد رجلاً كان أو امرأة ، حراً أو عبداً .

وعند مالك لايقبل إلا عدلان ، وعند الشافعى وأحمد عدل واحد ، ويكفى فى شهادة العدل أن يقول : (أشهد أنى رأيت الهلال) وإن لم يقل وإن غدا من رمضان .

ويشترط أن تكون الشهادة عند الحاكم أو الولى أو من ينوب عنهما من رجال الشرع الشريف ليحكموا بصحة الرؤية ، ولابد من حكمه بأن يقول : حكمت بثبوت هلال رمضان أو ثبت عندى هلال رمضان .

فعندئذ وجب الصوم على من لم ير الهلال بثبوت رؤيته عند الحاكم ، وذلك عند أبى حنيفة . وعند مالك يجب الصوم على كل من بلغه رؤية العدلين ، وإن لم يشهدا عند الحاكم ، وعند الشافعى يثبت بالشهادة عند الحاكم بالنسبة لوجوب الصوم على الصوم ، وعند أحمد لايشترط أن تكون الشهادة عند الحاكم ولا الحكم بها بل متى رآه عدل وجب الصوم على جميع المسلمين .

ويستحب لمن رأى الهلال أن يقول ما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال :

« اللهُ أَكْبَرُ ، اللهُ أَكْبَرُ ، اللهُ أَكْبَرُ : اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ ، وَالْإِيمَانِ ، وَالسَّلَامَةِ ، وَالسَّلَامِ ، وَالتَّوْفِيقِ لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ » .

صوم يوم الشك

صوم يوم الشك فيه اختلاف فى المذاهب :

أما عند أبى حنيفة فيصح صومه مع الكراهة ؛ ثم إن ظهر أنه من رمضان كفى ، وإلا فهو تطوع . وعند مالك يصح صومه مع الكراهة ، وإن ظهر أنه من رمضان فلا يكفى عنه ، وعند الشافعى لايصح صومه عن رمضان ولا تطوعًا إلا أن يوافق عادةً له ، ويصح صومه عن قضاء ونذر ، وعند أحمد إن كانت السماء مصحيةً كره صومه وإن كانت مغيمة وجب صومه .

عن ابن عباس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« لَاتَصُومُوا قَبْلَ رَمَضَانَ ، صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ ، وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ ، فَإِنْ حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ سَحَابٌ ، فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ يَوْمًا ، وَلَا تَسْتَقْبِلُوا الشَّهْرَ اسْتِقْبَالًا » .

وفى رواية : « وَلاَ تَسْتَقْبِلُوا رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ مِنْ شَعْبَانَ » .

وقال صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ صَامَ الْيَوْمَ الَّذِى يُشَكُّ فِيهِ فَقَدْ عَصَى أَبَا الْقَاسِمِ »

أركان الصـــوم

أوّلاً : النية الصادقة بصوم الشهر كله ، ومن المستحب تكرارها كل ليلة .

وبما أنها عبادة لله ، فهو مطلع على ما فى السرائر ؛ فالمعقول أن الاستعداد للصوم والعزم على أدائه إقرار كافٍ على الرغبة الموطدة والنية الأكيدة .

وقد اتفق الأئمة الأعلام على وجوب النية فى صوم رمضان ، وأنه لا يصح إلا بها ولا بد من إيقاع النية ليلاً عند الثلاثة خلافاً لأبى حنيفة .

قال عليه الصلاة والسلام « مَنْ لَمْ يُبَيِّتِ النِّيَّةَ قَبْلَ الْفَجْرِ فَلاَ صِيَامَ لَهُ » .

ومحل النية القلب ، والنية اللفظية هى أن تقول :

نَوَيْتُ صَوْمَ غَدٍ عَنْ أَدَاءِ فَرْضِ رَمَضَانَ هٰذِهِ السَّنَةِ لِلّٰهِ تَعَالَى .

ويسنّ أن تقول : إِيمَاناً ، وَاحْتِسَاباً لِوَجْهِ اللهِ الْكَرِيمِ .

وأقل النية أن تقول : نَوَيْتُ صَوْمَ رَمَضَانَ .

واختلفت الأئمة فى وقتها ، فقال الثلاثة : الشافعى ومالك وأحمد : وقتها فى صوم رمضان ما بين غروب الشمس إلى طلوع الفجر الثانى .

وقال أبو حنيفة : تجوز من الليل ، فإن لم ينو ليلا أجزأته النية إلى قبيل الضحوة الكبرىٰ .

ثانياً : ترك المفطرات ، وهى : الأكل ، والشرب ، والوطء .

وقد أجمع الأئمة على أن من أصبح جنباً فصومه غير باطل ؛ ولكن يجب عليه الاغتسال حتى لا تتعطل صلاته ، وذلك قبل طلوع الفجر .

وتساهل بعضهم إلى السماح به قبل الزوال عند العذر .

ويبطل الصوم إذا غربت الشمس قبل الاغتسال ، وعند مالك لا يبطل .

الإفطار

يستحب فى الصوم تعجيل الإفطار متى تحقق الصائم من غروب الشمس ، وأن يفطر على تمر وماء ، وأن يقول .

« اللَّهُمَّ لَكَ صُمْتُ ، وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْتُ فَتَقَبَّلْ مِنِّى إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيم » .

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتصر فى إفطاره على قليل من الماء والتمر ؛ ثم يؤدى الصلاة ، ويفطر على البسيط المعتدل من الطعام .

فاقتداء به عليه الصلاة والسلام يستحب فى الإفطار الاعتدال فى الطعام والشراب حتى لاتقوى الشهوة ، وتضعف العبادة ؛ لأنه ليس القصد من الأكل والشرب التفنُّن فى أنواع الأطعمة والأشربة ، وملء البطون بما يضرها ويتخمها ، وإنما يقصد الشارع بالصوم حكم النفس وقهرها ، وفى الوقت نفسه عدم إرهاقها وتعذيبها .

السحور

ويستحب تأخير السَّحور مالم يقع فى شك ؛ إذ ورد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « عَجِّلُوا الْإِفْطَارَ ، وَأَخِّرُوا السَّحُورَ » .

وقال : « اسْتَعِينُوا بِطَعَامِ السَّحُورِ عَلَى صِيَامِ النَّهَارِ وَ بِالْقَيْلُولَةِ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ » .

وقال : « لَا تَزَالُ أُمَّتِى بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْفِطْرَ وَأَخَّروا السَّحُورَ » .

وقال : « تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِى السَّحُورِ بَرَكَةً ، وَفصلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَكْلَةُ السَّحَرِ » . (رواه الخمسة إلا البخارى)

الإمساك وموعده

ويباح للصائم الطعام والشراب من أول ميقات المغرب إلى قبيل الفجر الصادق بزمن قليل ؛ وموعد الإمساك هو الوارد فى القرآن الكريم، قال الله تعالى :

(وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ) . (البقرة)

ويصح صوم الصائم من وقت إمساكه عن الطعام والشراب إلى وقت إفطاره المحدد ، وهو غروب الشمس .

نواقض الصوم أو مبطلاته

نواقض الصوم أو مبطلاته هى :

١ — إيصال شىء عمداً إلى الجوف من الفم جرت العادة بالتغذى به كحب الحنطة ، أو التداوى به كالطين ، أو التلذذ به كشرب الدخان .

ولا يضر دخول ريقه إلى جوفه ، ولا دخول ذباب ، أو بعوض ، أو غبار طريق ، أو غربلة دقيق لعسر التحرر منه .

٢ — إيصال شىء إلى الجوف من الفم لم تجر العادة بالتغذى به ، أو التداوى ، أو التلذذ به كالعجين ، والحصى ، والشراب .

٣ — إيصال دواء إلى الدماغ أو الجوف من غير الفم .

٤ — وصول شىء بنفسه إلى الجوف يمكن الاحتراز منه كالمطر .

٥ — القىء عمداً بشرط أن يكون ملء الفم .

٦ — الوطء عمداً ؛ وقد أجمع الأئمة على أن من يتعمد الوطء وهو صائم فى شهر رمضان كان عاصياً و بطل صومه ولزمه إمساك بقية النهار ، وعليه الكفارة الكبرى وهى :

عتق رقبة مؤمنة سليمة ، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين غير اليوم الذى يقضيه عن اليوم الذى أفسده ، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً كل مسكين مدّ من غالب قوت المكان الذى فيه عند الشافعى . وعند مالك على التخيير . وعند أبى حنيفة عتق رقبة و إن لم تكن مؤمنة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ، فإن لم يستطع أطعم ستين مسكيناً أو أعطى كل فقير نصف صاع من برّ أو صاعا من شعير أو تمر أو زبيب أو قيمة ذلك . وعند أحمد لا تكفى إلاّ من البُر أو الشعير أو التمر أو الزبيب أو الأقط عند يسرها .

٧ — القُبلة فى الصوم محرمة اتفاقاً . ومن قَبَّل فأمذى لم يفطر عند أبى حنيفة والشافعى ، وعند مالك إذا خرجَ المذى بلذة معتادة أفطر ، وعند أحمد يفطر .

٨ — ولو نظر بشهوة فأنزل لم يبطل صومه عند أبى حنيفة والشافعى، وعند مالك يبطل، وعند أحمد إذا كرر النظر فأمنى بطل صومه لا إن أمذى .

٩ — الاستمناء العمد ، أى إخراج المنى بالوطء أو الملامسة ، أو غيرهما عمداً فإنه مبطل للصوم ، ومعصية كبرى ، و إثم عظيم .

١٠ — الغيبوبة والجنون والسكر ، وهو الغيبوبة عمداً ، وهو كبيرة من الكبائر لا يكفرها إلا الكفارة الكبرى ، ومن أدخل أصبعه فى دبره أفطر .

وعلى العموم يبطل الصوم عدم احترام أركانه ، وترك النفس فى شهواتها كالنظر بشهوة الاستمتاع فإنه يؤدى إلى إخراج المنى ، أو تعريض اللسان لما يلطف حاله من جفاف أو عطش ، كما أنه يحرم التقبيل لغير الطفل الرضيع الصغير ، ويحرم إدخال أى شىء من السبيلين ، ويكره شم الرياحين شماً يراد به التمتع الذى يزكى النفس وينعشها ، ويكره أيضاً مضغ أى شىء يفرز اللعاب .

وقد أجمع الأئمة على أن الصائم إذا أخطأ فشرب أو أكل ، أو عمل عملاً من المبطلات سهواً، أو بغير قصد ، أوعمد لايفطر ومالك يقول بفطره وعليه القضاء . قال صلى الله عليه وسلم: « مَنْ أَكَلَ نَاسِياً ، أَوْ شَرِبَ نَاسِياً وَهُوَ صَائِمٌ فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللهُ وَسَقَاهُ » وقال أيضاً « إِذَا أَكَلَ الصَّائِمُ نَاسِياً أَوْ شَرِبَ نَاسِياً فَإِنَّمَا هُوَ رِزْقٌ سَاقَهُ اللهُ لَهُ فَلاَ قَضَاءَ عَلَيْهِ وَلاَ كَفَّارَةَ » .

واتفقوا على أن من أكل وهو يظن أن الشمس قد غابت ، أو أن الفجر لم يطلع ، ثم بان الأمر بخلاف ذلك فإنه يجب عليه القضاء .

ولا تجب الكفارة الكبرى إلا بالجماع فى صيام رمضان والانزال بالمساحقة كالجماع عند أحمد ومن أفطر عامدا فى جميع أنواع الصيام فعليه القضاء ، ولا يكفر إلا فى رمضان عند أبى حنيفة ومالك . وعند الشافعى وأحمد لا قضاء على الصائم المتنفل إذا أفسده .

إباحة الفطر

من فرض عليه الصوم لا يباح له الفطر إلا عند تحقق عذر من الأعذار الآتية :

١ — أن يخشى حصول ضرر بدنى بسبب الصوم كالمرض أو امتداده أو تلف عضو أو نفس ويعلم ذلك بإخبار طبيب مسلم متدين حاذق أو تجربة أو غلبة ظن .

٢ — السفر الشرعى ومقداره ٨٤ كيلو متراً إذا شرع فى السفر قبل الفجر وعليه القضاء بعد ذلك لقوله تعالى :

(وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) . (البقرة)

٣ — كبر السن الذى لايمكن معه الصوم ، فالشيخ والمرأة اللذان أعجزهما الكبر يفطران وعليهما الفدية إن كانا موسرين لقوله تعالى :

(وَعَلَى الذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ : طَعَامُ مِسْكِينٍ) والفدية طعام مسكين

٤ — الحامل والمرضع إذا خافتا على أنفسهما أوعلى الولد ، ويجب عليهما مع القضاء الفدية عن كل يوم مد طعام .

قال صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ أَفْطَرَ يَوْماً مِنْ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ رُخْصَةٍ ، وَلاَ مَرَضٍ لَمْ يَقْضِهِ صَوْمُ الدَّهْرِ كُلِّهِ » (رواه الترمذى)

نوافل الصوم أو صوم التطوع

الأيام التى لها فضيلة الاختصاص بصيامها هى :

(١) يوم عرفة . (٢) يوم عاشوراء . (٣) ستة أيام من شوال بعد العيد ؛ لوداع رمضان . (٤) يوم النصف من شعبان . (٥) الأيام البيض وهى :

الثالث عشر ، والرابع عشر ، والخامس عشر من كل شهر ، ويوما الاثنين والخميس من كل أسبوع .

حكمة صوم التطوع

١ — حكمة صوم يوم عرفة هى : أن يكون الصائم مفكراً فى هؤلاء الذين يقفون فى صعيد واحد يلبون و يطلبون من الله المغفرة والرحمة ، فيتشوق إلى تلك الأماكن الطاهرة المقدسة ، و بذلك يكون مشاركاً للحجاج فى ثوابهم ، والرحمات التى تنزل عليهم ، و ينال من هذا — الثوابَ العظيم ، والأجر الجزيل .

قال صلى الله عليه وسلم :

« صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهَا وَالَّتِى بَعْدَهَا » .

٢ — أما صوم يوم عاشوراء ، وهو اليوم الذى نصر الله فيه موسى الكليم عليه السلام ، فشكر مولاه على هذا النصر ، فمن صامه فقد شاركه فى الشكر ، واغتنام الأجر ، قال عليه الصلاة والسلام :

« وَصَوْمُ يَوْمِ عَاشُورَاء أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِى قَبْلَهُ » .

وقال : « صُومُوا يَوْمَ عَاشُورَاء ، وَخَالِفُوا الْيَهُودَ ، صُومُوا قَبْلَهُ يَوْمًا وَبَعْدَهُ يَوْمًا » .

٣ — أما صوم ستة أيام من شوال فلفضلها كما ورد فى الحديث الشريف الذى يقول :

« مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ بِسِتٍّ مِنْ شَوَّالٍ فَكَأَنَّمَا صَامَ الدَّهْرَ كُلَّهُ » .

وهذه الأيام بمنزلة الرواتب من الفرائض ؛ لتمحص رمضان من كل خلل يحدثه الصائم .

٤ — أما صوم يوم النصف من شعبان فلما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يصوم شعبان كما فى الحديث الآتى :

عن عائشة رضى الله عنها قالت :

« كَانَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ لاَ يُفْطِرُ ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ لاَ يَصُومُ ، فَمَا رَأَيْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ إلاَّ رَمَضَانَ ، وَمَا رَأَيْتُهُ أَكْثَرَ صِيَاماً مِنْهُ فِى شَعْبَانَ » .

وجاء فى حديث آخر عن عائشة رضى الله عنها قالت :

« لَمْ يكُنِ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يَصُومُ شَهْرًا أَكْثَرَ مِنْ شَعْبانَ ، فَإِنَّهُ كانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ ، وكَانَ يَقُولُ : خُذُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ ، فَإِنَّ اللهَ لاَ يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا » (رواه البخارى)

٥ — أما صيام أيام البيض ، وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر ، فلما ورد فى الحديث الشريف الآتى :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : « أَوْصَانِى خَلِيلِى صلى الله عليه وسلم بِثَلاَثٍ : صِيَامِ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ، وَرَكْعَتَى الضُّحَى ، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ »

وقد كانت الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يكثرون من صيام التطوع ، فقد كان سيدنا نوح عليه السلام يصوم الدهر كله ، وسيدنا داود يصوم يوما ويفطر يوما ، وسيدنا عيسى يصوم يوماً ويفطر يومين ، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم يصوم حتى يقال لايفطر ، ويفطر حتى يقال لا يصوم ؛ وحكمة اختلافهم عليهم الصلاة والسلام فى الصوم هو لاختلاف حالهم ، ولأن الصوم ترياق النفوس ، والترياق لايؤخذ منـــه إلا بقدر الحاجة .

الأيام التى يحرم فيها الصوم

أما الأيام التى يحرم صومها فهى: يوم عيد الفطر ، ويوم عيد النحر ، وأيام التشريق ، وهى من ١١ إلى ١٣ من ذى الحجة .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

« نَهَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عَنْ صِيَامِ يَوْمَيْنِ : يَوْمِ الاضْحى ، وَيَوْمِ الْفِطْرِ » . (رواه الخمسة)

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : « هٰذَانِ يَوْمَانِ نَهَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عَنْ صِيَامِهِمَا : يَوْمُ فِطْرِكُمْ مِنْ صِيَامِكُمْ ، وَالْيَوْمُ الآخِرُ تَأْكُلُونَ فِيهِ مِنْ نُسُكِكُمْ » . (رواه البخارى)

وقال صلى الله عليه وسلم :

« أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ ، وَشُرْبٍ ، وَذِكْرُ اللهِ تَعَالَىٰ » . (رواه أحمد ومسلم)

حكمة تحريم الصوم فى تلك الأيام

اعلم أن الشارع الحكيم حرم علينا الصوم فى يومى العيدين ؛ لأن المسلم فيهما يكون فى مظهر من السرور والانشراح ، و إعطاء النفس قسطها من الراحة ، ومباشرة بعض الملاذّ التى لم ينه عنها الشارع الحكيم ؛ وأيضاً يكون الإنسان ظاهراً بمظهر الجود والكرم على الفقراء والمساكين ، فإذا صام الإنسان يومى العيدين لم يحصل على هذه المزية التى أقل مافيها من الفائدة أنها تمرن على الجود والكرم .

وحرم الصوم فى أيام التشريق ؛ لأن الحاج يكون فى شغل فى هذه الأماكن الطاهرة ولأجل أنه مسافر ، وترى أن الشارع قد عمم تحريم الصوم ولم يخصص به الحاج حتى يكون أداء العبادة على وتيرة واحدة ؛ وأيضاً إن الإنسان بإفطاره هذه الأيام يتذكر هؤلاء الحجاج ويتشوق إليهم ، ويتمنى أن يكون معهم ، فيفوز بما فازوا به من رؤية البيت الحرام ، وزيارة قبر المصطفى عليه الصلاة والسلام .

وكذلك اليوم الأخير من شهر شعبان المكرم حرم صومه ليستقبل المسلم شهر رمضان المعظم ، وهو فى قواه بغير ضجر ولا ملل إلا إذا كان الإنسان صائماً الأشهر الثلاثة : رجب ، وشعبان ، ورمضان .

حكم من مات وعليه صيام من رمضان

من مات وعليه صوم فات ولم يقضه بغير عذر أطعم عنه وليه لكل يوم فات مد طعام.

ويسن للولى أن يصوم عنه ، وللأجنبى بإذنٍ من ولى الميت بأجرة أو بدونها ، ويجوز أن يصوم عنه ثلاثون رجلاً يوماً واحداً بالإذن .

قال عليه الصلاة والسلام : « مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ » .

(عن عائشة)

وقال عليه الصلاة والسلام :

« مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَلْيُطْعِمْ عَنْهُ مَكَانَ كُلِّ يَوْمٍ مِسْكِينًا » .

(رواه الترمذى)

الاعتكاف

الاعتكاف هو الإقامة فى المسجد ، واللبث فيه مع الصوم ، والنية عند مالك ؛ وعند الشافعى وأحمد ليس الصوم بشرط فى الاعتكاف ، وعند أبى حنيفة شرط فى الواجب فقط ، وهو ثابت بالكتاب والسنة والإجماع .

قال الله تعالى: (وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) (سورة البقرة)

وقال تعالى : (وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ) (سورة البقرة)

وأقسامه ثلاثة : واجب وهو المنذور . وسنة وهو الذى فى العشر الأخير من رمضان . ومستحب ، وهو الذى فى غير ذلك من سائر الأزمان .

وقد اعتكف النبى صلى الله عليه وسلم العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله ، ثم اعتكف من بعده أزواجه أمهات المؤمنين ، فعن عائشة رضى الله عنها قالت :

« كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ ، ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ » . (رواه الخمسة)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال .

« كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَعْتَكِفُ فِي كُلِّ رَمَضَانٍ عَشَرَةَ أَيَّامٍ ، فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الذِي قُبِضَ فِيهِ اعْتَكَفَ عِشْرِينَ يَوْمًا » (رواه البخارى)

وقال صلى الله عليه وسلم : « لَا اعْتِكَافَ إِلَّا بِصِيَامٍ » .

وفى رواية : « لَيْسَ عَلَى الْمُعْتَكِفِ صِيَامٌ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَهُ عَلَى نَفْسِهِ » .

وقال : « كُلُّ مَسْجِدٍ فِيهِ إِمَامٌ وَمُؤَذِّنٌ فَالاعْتِكَافُ فِيهِ يَصِحُّ » .

والاعتكاف عند الشافعى وأحمد : الزيادة على قدر الطمأنينة ، ولا حد لأكثره ؛ وعند

مالك أقله يوم وليلة ، ولاحد لأكثره ؛ وعند أبى حنيفة أقله لحظة فى النفل ، ويوم وليلة فى الواجب، ولاحد لأكثره ، وأن يكون فى مسجد فلا يصح فى غيره .

وشروط صحته : الإسلام ، والعقل ، والخلوّ من الحدث الأكبر .

والأفضل الاعتكاف فى العشر الأواخر من رمضان لفعله عليه الصلاة والسلام : ولطلب ليلة القدر ، وهى منحصرة فى العشرة الأخيرة كما نص عليها الإمام الشافعى رضى الله عنه ، ومن علامتها أن تكون طلقة لاحارة ولا باردة .

روى ابن خزيمة عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« لَيْلَةُ الْقَدْرِ طَلْقَةٌ بَلْجَةٌ لَاحَارَّةٌ وَلَا بَارِدَةٌ ، تُضِيءُ كَوَاكِبُهَا ، وَلَا يَخْرُجُ شَيْطَانُهَا حَتَّى يُضِيءَ فَجْرُهَا » .

وقال صلى الله عليه وسلم :

« تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوِتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ » .

وروى أبوداود عن معاوية رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ » .

وبه قال جمهور من الصحابة والتابعين . ومن نذر اعتكاف يوم فأكثر لزمه ، وإن نذر اعتكاف ليلة لزمه يوم وليلة .

والمرأة تعتكف فى مسجد بيتها ، وهو الموضع الذى أعدته للصلاة ؛ ولا يجوز لها أن تعتكف فى مسجد الجماعة عند أبى حنيفة ؛ وعند الثلاثة لايصح اعتكافها إلا فى المسجد كغيرها ، لأن المسجد شرط لصحته مطلقاً بلا كراهة ؛ ولا يصح اعتكافها بغير إذن زوجها اتفاقاً . ولا يخرج المعتكف من المسجد إلا لحاجة شرعية ، كالجمعة والعيدين ، أو طبيعية ، وهى مالابد منه كالبول ، والغائط ، والحيض ، والنفاس ، والمرض الذى يشق معه المقام فى المسجد ، والغسل لو احتلم ، ولا يمكنه الاغتسال فى المسجد ، فإن خرج بغير عذر مباح فسد اعتكافه بالاتفاق .

حكمة الصوم وأسراره

أما الحكمة فى الصوم إيجاباً وندباً فهى :

١ — أن الأبدان إذا امتلأت من الأغذية المستلذة ، والأشربة المستعذبة ، ودامت على رفاهيـة العيش طغت وتجبرت ، وكثر آلامها وأسقامها ، ونسيت تذكر أحوال المحتاجين ، فاقتضت الحكمة تأديبها بجوعها وعطشها ، المنقص لموادها ، المذكر لأمر معادها ، إيجاباً فى العام كشهر رمضان ، وندباً فى باقى الأيام .

٢ — تأديب العباد بألم الجوع حتى يعرفوا قدر نعم المشبع ، كابتلاء الأجسام بالسقم حتى يعرفوا قدر نعمة العافية من ابتلى بذلك فيكثر تضرعه ، وابتهاله إلى الله تعالى ، وحتى يتذكر الغنى منهم الفقير عند جوعه ، ويعلم مقدار مايقاسى الفقير من الفاقة فيحثه ذلك ، ويحرضه على الإحسان للمحتاجين .

٣ — التشبه بصفات الملائكة عليهم الصلاة والسلام : من ترك المطعم والمشرب ، واللذة البهيمية .

٤ — قهر العدو الشيطان ، وإذلال سلطته ، وإبطال سطوته فى تحكمه على النفس بسبب الشهوات ، والحث على الرّغبات المدنية من الملكات ، والجوع يدفع محنته ، ويقطع حجته ، ولذلك ورد فى الحديث :

« إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِى مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ فَضَيِّقُوا مَجَارِيَهُ بِالْجُوعِ وَالْعَطَشِ »
(رواه البخارى ومسلم)

فوائد الصوم

أما فوائد الصوم فهى : بدنية ، ومالية ، وأدبية .

أولا — أما الفوائد البدنية ، فصحة البدن ، ودفع الأمراض عنـــه ، فإن سببها فى الغالب الأكل والشرب ، وحصول فضلة الأخلاط فى المعدة ؛ وناهيك بما يترتب على المرض : من تشويش الفكر ، واشتغال القلب ، وتنغيص العيش ، ومقاساة الآلام الشديدة ، وعدم القدرة على أداء الفرائض الدينية ، والحاجة إلى الدواء والطبيب ، وما يحتاج معه إلى المؤن والنفقات ، ولذلك أشار الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله :

« مَا مَلَأَ أبْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ ، الْبِطْنَةَ دَاءٌ ، وَالْحِمْيَةُ رَأْسُ الدَّوَاءِ » .

وقد أشار بعض الأطباء باستعمال الحمية والصوم فى بعض الأمراض ، لما فيهما من الفوائد الصحية ، كما أنه شفى بواسطة الصوم كثيرون ممن كانوا مصابين بأمراض مزمنة .

ثانياً — وأما الفوائد المالية فهى : خفة المؤنة ، فإن من تعوّد قلة الأكل والشرب ، كفاه من المال قدر يسير ، والذى تعوّد الشبع محتاج إلى المال الكثير ، وليس المقصود من قلة الأكل ما يضر بالصحة ، بل الاقتصاد ، وعدم الإفراط فى الطعام والشراب .

ثالثاً — وأما الفوائد الأدبية فهى كثيرة منها :

١ — ذل النفس وانكسارها ، وزوال البطر والأشر الذى هو مبدأ الطغيان والغفلة عن الله تعالى ؛ لأن النفس لاتذل ولا تنكسر بشىء أكثر من الجوع ، فإذا زلت سكنت لربها ، وخشعت ووقفت عند حدها .

٢ — صفاء القلب ، وتوقد القريحة ، وتنوّر البصيرة ، لأن الصوم من أهم الأسباب فى ذلك ، لأن قلة الأخلاط فى المعدة يسبب عدم تكاثف الأبخرة فى الدماغ التى تغطى الفكر ، وتحول دون سرعة الإدراك .

٣ — الصبر بمقاومة آلام الجوع والعطش ، ولو رغبت الصائم بأعظم الرغائب على أن يتناول من الطعام ذرة ، أومن الشراب قطرة لما وسعه ذلك ، ووجد فى نفسه ما يكدر خاطره ، و ينغص عيشه .

٤ — الأمانة ، وعدم الخيانة فيما عهد إليه من هذه العبادة السرية ؛ فإن الصائم تجده وهو فى خلوته واحتجابه عن أعين الناس شديد الحرص على حفظ ما أُوتمن عليه من هذه العبادة السرية التى ليس فيها عمل يُشَاهَدُ ، ومن كانت هذه حالته فهو جدير بأن يؤتمن على أنفس شىء وأعظمه .

٥ — الحياء ، وذلك لأن الصائم وهو فى أشد الأمكنة خفاء وأبعدها عن أعين الخلق رؤية ، لايجسر على متابعة نفسه فى الإفطار ، وفى تعاطيها الفضول من الطعام ، أو أكل ماتشتهيه حياء من الله تعالى أن يراه حيث نهاه .

٦ — الثبات ، وقوة العزيمة ، وذلك بما يقاوم به الصائم نفسه عند نزوعها إلى الشهوات ، وركونها إلى الدنيء من اللذات ، فتجده عند ذلك يقاومها بحزم ثابت ، وعزيمة صادقة ، فيتسلط عقله على نفسه ، بعد أن كانت نفسه متسلطة عليه ، والسعادة كل السعادة فى أن يملك الإنسان نفسه ، لا فى أن تملكه نفسُه .

٧ — المروءة ، فإن من حافظ على أداء هذه العبادة السرية فى أشد الأمكنة خفية ، وبُعده عن أعين الرائين ، لاشك أنه كامل المروءة ، عالى الهمة .

٨ — العفة التى هى من أخص صفات الكمال للإنسان ، وذلك بضبط الصائم نفسه عن رغباتها الشهوانية ، ومشتهياتها البهيمية ، والاقتصاد فى اللذات الجسمية .

٩ — الشجاعة ، التى هى عماد الفضائل ، وذلك بجهاد الصائم نفسه وشهواته . ذلك الجهاد الذى سماه الرسول صلى الله عليه وسلم بالجهاد الأكبر حيث قال :

« رَجَعْتُ مِنَ الجِهَادِ الأَصْغَرِ إِلَى الجِهَادِ الأَكْبَرِ » .

يريد جهاد النفس بكفها عن كل ماتشتهيه ، ومنعها عما تبتغيه .

١٠ — صون اللسان عن الغيبة ، والنميمة ، والكذب ، والشتم ، والسب ، فإن خاصمه أحد ، أوشاتمه فليقل : إنى صائم ، لقوله صلى الله عليه وسلم :

« إِنَّمَا الصَّوْمُ جُنَّةٌ ، فإِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ صَائِمًا فَلَا يَرْفُثْ ، وَلَا يَجْهَلْ ، وَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ ، أَوْشَاتَمَهُ ، فَلْيَقُلْ : إِنِّى صَائِمٌ » .

١١ — كف البصر عن النظر إلى ماحرم الله ، وكف الجوارح من اليد والرجل وغيرهما عن الآثام ، وارتكاب المعاصى .

١٢ — صون النفس عن ارتكاب المحرمات ، وجميع الموبقات ، لقوله صلى الله عليه وسلم لمن خاف على نفسه العزوبة :

« يَامَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ » (أى قاطع للشهوة) .

١٣ — الإكثار من ذكر الله ، وتلاوة القرآن الكريم ، وتدبر معانيه .

هذه هى فوائد الصوم ، فإذا لم يراعها الإنسان ، ويكون لها الأثر المطلوب فلا فائدة فيه ، وأى فائدة فى تأخير أكله ؟ وجمع أكلتين عند العشاء ، مع الانهماك فى الشهوات الأخر طول النهار ، فلا يكون نصيب الصائم من صيامه سوى الجوع والعطش ، كما قال صلى الله عليه وسلم :

« كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلاَّ الجُوعُ وَالْعَطَشُ »

وقال الدكتور الحاج أحمد عارف الوديفى ، من قصيدة له فى الطب النبوى فى فوائد الصوم :

والصوم برء للحياة وصحة ... قد زفها المختار للأحياء
فى الجوع تهذيب النفوس وعصمة ... من تخمة تدنى من الإفناء
ومن الطعام بلية فى أهله ... رب امتلاء كان شر بلاء

اللهم وفقنا لأداء الصيام على وجهه المشروع ، وتقبل صيامنا وصلاتنا إنك السميع المجيب

هذا ، وفى الجمعة الأخيرة من شهر رمضان ، ويقال لها : «الجمعة اليتيمة» يذهب كثير من الناس لصلاتها (بمسجد عمرو) بمصر القديمة ، ويتوجه (جلالة الملك) فى حفل عسكرى عظيم ، أومن ينوب عنه لأدائها ، ومعه حضرات وزرائه الكرام ، وفضيلة شيخ الجامع ، ونقيب الأشراف ، وبعض كبار العلماء والعظماء .

أنواع من الصوم

١ — الصوم علاج لمن خاف العزوبة

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فقال : (مَنِ اسْتَطَاعَ مِنكُمُ الْبَاءَةَ) النفقة (فَلْيَتَزَوَّجْ فإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ) أى قاطع للشهوة ؛ وهذا الحديث سبق ذكره فى البند ١٢ من فوائد الصوم .

٢ ـ الصيام فدية عن الهدى فى الحج

قال تعالى : (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ) وهو شاة يذبحها (وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ) أى لاتتحللوا (حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ) أى حيث يحل ذبحه وهو مكان الإحصار فيذبح فيه بنية التحلل ويفرق على مساكينه ويحلق ، وبه يحصل التحلل (فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ) لثلاثة أيام (أَوْ صَدَقَةٍ) بثلاثة آصع من غالب قوت البلد على ستة مساكين (أَوْ نُسُكٍ) أى ذبح شاة (فَإِذَا أَمِنْتُمْ) العدو بأنه ذهب (فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ) أى استمتع بالعمره بسبب فراغـــه منها بمحظورات الإحرام (إِلَى الْحَجِّ) أى إلى الإحرام به بأن يكون أحرم بها فى أشهره (فَمَا اسْتَيْسَرَ) تيسر (مِنَ الْهَدْيِ) أى عليه شاة يذبحها بعد الإحرام به ، والأفضل يوم النحر . (فَمَنْ لَمْ يَجِدْ) الهدى لفقده أو فقد ثمنه (فَصِيَامُ) أى فعليه صيام (ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ) أى فى حال الإحرام به ، فيجب حينئذ أن يحرم قبل السابع من ذى الحجة ، والأفضل قبل السادس لكراهة صوم يوم عرفة ، ولا يجوز صومها أيام التشريق (وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ) إلى وطنكم مكة أوغيرها (تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ) ذلك الحكم المذكور من وجوب الهدى أوالصيام على من تمتع (لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) بأن لم يكونوا على دون مرحلتين من الحرم فإن كان فلا دم عليه ولا صيام وإن تمتع .

(وَاتَّقُوا اللَّهَ) فيما يأمركم به وينهاكم عنـه (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) لمن خالفه . (سورة البقرة)

٣ ـ الصيام كفارة القتل

قال تعالى : (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً) محضاً فى قتله من غير قصد (وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً) بأن قصد رمى غيره كصيد أوشجرة فأصابه أوضربه بما

لايقتل غالبا (فَتَحْرِيرُ) عتق (رَقَبَةٍ) نسمة (مُؤْمِنَةٍ) عليه (وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ) أى مؤداة (إِلَى أَهْلِهِ) أى ورثة المقتول (إِلاَّ أَنْ يَصَّدَّقُوا) يتصدقوا عليه بها بأن يعفوا عنها (فَإِنْ كَانَ) المقتول (مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ) حرب (لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ) على قاتله كفارة ، ولادية تسلم إلى أهله لحرابتهم (وَإِنْ كَانَ) المقتول (مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ) عهد كأهل الذمة (فَدِيَةٌ) له (مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ) وهى ثلث دية المؤمن إن كان يهوديا أونصرانيا ، وثلثا عشرها إن كان مجوسيا (وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ) على قاتله (فمَنْ لَمْ يَجِدْ) الرقبة بأن فقدها وما يحصلها به (فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ) عليه كفارة (تَوْبَةً مِنَ اللهِ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً) بخلقه (حَكِيماً) فيما دبره لهم . (سورة النساء)

٤ — الصوم كفارة الأيمان

قال الله تعالى : (لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ) وهو مايسبق إليه اللسان من غير قصد الحلف كقول الإنسان : لا والله ، و بلى والله (وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ) أى كفارة اليمين إذا حلفتم فيه (إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ) لكل مسكين مد (مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ) منه (أَهْلِيكُمْ) أى أقصده وأغلبه لا أعلاه ولا أدناه (أَوْ كِسْوَتُهُمْ) بما يسمى كسوة كقميص وعمامة و إزار (أَوْ تَحْرِيرُ) عتق (رَقَبَةٍ) أى مؤمنة كما فى كفارة القتل (فَمَنْ لَمْ يَجِدْ) واحداً مما ذكر (فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ) كفارته ، وظاهره أنه لايشترط التتابع وعليه الشافعى (ذَلِكَ) المذكور (كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ) وحنثم (وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ) عن أن تنكثوها ما لم تكن على فعل برّ أو إصلاح بين الناس (كَذَلِكَ) أى مثل مابين لكم ماذكر (يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) أى تشكرون الله على ذلك . (سورة المائدة)

٥ — الصيام كفارة الظهار

الظهار أن يقول الرجل لامرأته أنت علىَّ كظهر أمى .

فى هذه الحالة لا يقربها ، وقد حرم الله تعالى ذلك فى الإسلام ، وشنع على المظاهر وجعل مكان الرجوع فيه فك رقبة ، أى عتق رقبة من قبل أن يتماسا ؛ أو صيام شهرين ؛ أو إطعام ستين مسكيناً لقوله تعالى :

(وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ . فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ، فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ، ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ) .

(سورة المجادلة)

وكفى بالصيام علاجًا للنفس ، وتطهيراً من الذنوب ، وطلباً للرحمة والغفران من علام الغيوب ، الرب المعبود ، المطلع على أسرار خلقه فى كل زمان ومكان ، الحاكم بينهم بالعدل والإحسان .

خطبة منبرية لفضيلة الأستاذ السيد محمد الببلاوى

فى الصـــوم

الحمد لله الذى أودع فى الصوم محاسن الآداب ، وهذب به النفوس حتى لحقت بنفوس الملائكة المقربين .

وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة عبد عرف أسرار العبادة فجدّ فيها واجتهد . وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله خير قائم بدعاء الخلق إلى نعيمى الدنيا والآخرة . اللهم صلِّ وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين أحسنوا فيما عملوا ، وأخلصوا لله فى أداء ما كلفوا به ، فأورثهم مشارق الأرض ومغاربها (أُولٰئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ . الذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) قال الله تعالى : (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ القُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ، فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) .

عباد الله — فرض الله علينا صيام شهر رمضان ، ولم يفرضه علينا عبثاً ، ولم يأمرنا بصومه لغير حكمة ، فإن أفعال الله لا تخلو عن حكمة ، وإن كل عبادة تعبّد الله بها خلقه ، وطلبها من عباده إنما يقصد بها تهذيب النفوس ، وتطهير القلوب حتى تخرج من نقص الحيوانية إلى كمال الملكية .

وإن الصوم الذى تعبد الله به عباده ليس هو مجرد ترك الأكل والشرب نهاراً ، وكف النفس عن شهواتها ؛ بل الصوم الذى أمرنا به الله أرقى وأجل من ذلك ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : « رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ » .

إن الصوم الذى أمرنا الله به ، ووعدنا عليه جميل الثواب يرقى بصاحبه إلى أرفع الدرجات وأعلى المنازل فى الدنيا والآخرة ، فإنه يكسب صاحبه صفاتٍ كل واحدة منها تؤهله لرضاء الله عليه ، وفوزه بالنعيم المقيم .

فمن الأوصاف التى يكتسبها الصائم بصومه : الشفقة على الفقراء ، فإنه إذا أحس بألم الجوع ، ولهيب العطش ، يتذكر الفقير الذى لا يملك قوته ، ولا يجد ما يحفظ حياته ، فيرقّ

قلبه إلى الفقراء ، ويعطيهم مما أعطاه الله ، ويديم شكر الله على نعمه عليه . ومتى عطف الأغنياء على الفقراء قلّت الجنايات ، وزالت الشرور التى يؤدى إليها الفقر الذى استعاذ منه سيد الأولين والآخرين .

ومنها الأمانة وحفظ العهد ، فإن الصائم وهو فى خلوته وبُعده عن أعين الناس حريص على ما اؤتمن عليه من هذه العبادة السرية ، لا يجسر أن يتناول طعاماً أو شراباً أو شيئا مما يُفسد صيامه ، ويستحى أن يراه الله حيث نهاه ؛ ولو لم يكن للصيام فى المزايا غير تعويد النفس على الإتصاف بالشفقة والأمانة والتخلق بحفظ العهد لكفاه شرفاً وفضلاً ، وكان ذلك كافياً لأدائه والمحافظة عليه ، فإن هذين الوصفين متى تمكّنا من النفوس وصارا من خلقها يعم بهما الأمن ، وتقوى علائق المحبة بين أفراد الأمة ، ويقل التحاسد والتباغض ، ويكونون يداً واحدة على جلب المنافع ، ودفع المضار ، ويحتمل الأخ من أخيه فلتة لسانه ، وحدّة غضبه ، ويقابله بما أشرب قلبه من الشفقة ، وما اتصف به من الأمانة وحفظ العهد ، وحينئذ يصبح معاشر المسلمين كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا . فأى فائدة توازى هذه الفوائد التى يكتسبها الصائم بصومه ؟ وأى خسارة توازى خسارة مَنْ حرم هذه المزايا ؟ بترك صيام شهر رمضان بغير عذر شرعى . هذا فضلاً عما يدخرُه الله عنده للصائم من النعيم المقيم ، ويُعده للمفطر بغير عذر من العذاب الأليم .

فيا عباد الله صوموا رمضان مخلصين لله عزّ وجل ، وطهروا قلوبكم من دنس الحسد ودرن الأحقاد ، وعطروا ألسنتكم بترك الغيبة والكلام فيما لايعنى ولا ينبغى ، وأشعروا قلوبكم الرأفة ، وعوّدوا نفوسكم الأمانة وحفظ العهد ، وكونوا عباد الله إخوانا ، وليقدم كل منكم ماينفعه (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا ، وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ) .

الحديث

« الصِّيَامُ جُنَّةٌ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ : إِنِّى صَائِمٌ ، إِنِّى صَائِمٌ » .

خطبة منبرية أخرى لفضيلة الأستاذ الشيخ حمزة حسن الصالحى

فى فضيلة الصوم

الحمدلله الذى فضل شهر رمضان على سائر الشهور ، وفتح فيه أبواب الإجابة للسائلين . وأشهد أن لا إله إلا الله القائل فى كتابه (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ) وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله إمام الصائمين، وسيد الأولين والآخرين . اللّهم صَلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا أنفسهم، وطهروا قلوبهم من أمراض الباطن ، فرضى الله عنهم ورضوا عنه ؛ أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون .

أما بعد ، فإن الصوم من أعظم الفرائض التى كلف بها الإنسان . ومن أجَلّ الأمانات المطالب بأدائها والمحافظة عليها ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنَّ الصَّوْمَ أَمَانَةٌ فَلْيَحْفَظْ أَحَدُكُمْ أَمَانَتَهُ » ولا يستطيع الإنسان أن يؤدى هذه الأمانة إلا إذا أعد لذلك العدة بحبس النفس عن شهواتها كى يقهر عدوه ويغلبه على أمره ؛ فبالصوم تطهر النفوس وتكمل روحانيتها ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لِكُلِّ شَىْءٍ زَكَاةٌ وَزَكَاةُ الجَسَدِ الصَّوْمُ ، وَالصِّيَامُ نِصْفُ الصَّبْرِ » وبه تضيق سبل الشيطان وتنقطع وساوسه كما فى الحديث الشريف « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِى مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ فَضَيِّقُوا مَجَارِيَهُ بِالْجُوعِ وَالْعَطَشِ » وبالصوم تضعف حركة النفس فى المحسوسات ، وتبتعد عن الاسترسال فى اللذات والشهوات ، وتسارع إلى الطاعات والعبادات ؛ وليس الغرض من الصوم أن يمتنع الإنسان عن الطعام والشراب ليعذب نفسه بألم الجوع والعطش ؛ بل المقصود منه التخلق بمكارم الأخلاق ، والاقتداء بالملائكة فى الكف عن الشهوات ، وفى ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلّهِ حَاجَةٌ فِى أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ » .

والإنسان رتبته فوق رتبة البهائم لقدرته على كسر شهوته بنور العقل الذى خلقه الله فيه ،

ودون رتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه . فكلما انهمك فى اللذات والشهوات انحط إلى أسفل السافلين . وإذا قمع شهوته ارتفع إلى أعلى عليين والتحق بالملائكة المقربين ، فيكف الجوارح عن الآثام بغض البصر عن النظر إلى كل مايشغل القلب وينهى عن ذكر الله عز وجل. فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « النَّظْرَةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ لعَنَهُ اللهُ ، فَمَنْ تَرَكَهَا خَوْفًا مِنَ اللهِ آتَاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ. إِيمَانًا يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فى قَلْبِهِ » لأن الصوم أعظم مهذب للنفس ، يعوّدها على الصبر عند المكاره ، ويربيها على الجهاد عند الشدائد ، ويغرس فيها الشفقة والعطف والحنان بالضعفاء والفقراء والمساكين . فيبادر بالإحسان إليهم فينال بذلك ماعند الله من حسن الجزاء :قال الله سبحانه(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) .

الحديث

عن سهل بن سعد رضى الله عنه عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ فِى الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ » .

(رواه البخارى ومسلم والنسائى والترمذى)

خطبة منبرية لفضيلة الشيخ محمود خليفة

فى توديع رمضان وبيان حكمه وذكرياته

(عن مجلة الإسلام العدد ٣٧ السنة السادسة عشرة)

الصادر فى ٢٣ رمضان سنة ١٣٦٧ هـ

الحمد لله الواحد الصمد الكريم الوهاب ، غافر الذنب، وقابل التوب، شديد العقاب ، أحمده وهو بالحمد جدير ، وأستنصره وهو نعم المولى ونعم النصير ، وأتوب إليه وأستغفره ، وأسأله التوفيق للجد والاجتهاد ، فى التزود ليوم المعاد . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، المبيد الوارث ، المعيد الباعث ، الدائم بلا تحول ولا زوال ، الذى ليس له شبيه ولا مثال ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، الهادى البشير ، الصادع النذير ، الذى اختاره الله من الخلق أمينه ، وجعل الإسلام شريعته ودينه ، فأمر صلى الله عليه وسلم بالحق فى دين الله ونهى ، حتى أظهر دين الإسلام على الأديان كلها ، صلى الله على محمد وعلى آله وأصحابه صلاة لامنتهى لها ، ولاغاية لأمدها ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فيقول الله تبارك وتعالى وهو أصدق القائلين :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) .

أيها المسلمون : أشرق رمضان فأشرقت معه فى قلوب المؤمنين أنوار الهداية ، وأضواء الفضائل ، وانبعث مع أضوائه أشعة من الدين والحق والإيمان ، ورأى المسلمون فى أضوائه بنور البصيرة أملاً طالما ترقبته نفوسهم التقية ، و بشيراً بأيام تعبد وتقوى وصلاح وانتصار على الكفار ، وكما يهل على الوجود الربيع الضاحك ، فيبعث الحياة فى الرياض ، ويحيل الطبيعة فى مجاليها من موات الشتاء إلى الازدهار والإشراق والنماء ، كذلك يهل رمضان على قلوب الصادقين الأخيار ، فيرون فيه ربيعاً لقلوبهم الطاهرة ، يبعث فيها النور والحياة والقوة ، فيغمرون نفوسهم وقلوبهم وأرواحهم فيه بفيض من العبادة الخالصة الصادقة ، ويخلصون قلوبهم من كل شئون الحياة وشجونها ، حتى ينهلوا من فيض أنواره أقباس

الهداية ، وأضواء الفضيلة ، فتسترد نفوسهم منه ماترده الشمس على الوجود من صبح على ليل ، وتفيض على الفكر من رجاء بعد يأس ، ومن ابتسام بعد عبوس ، ومن نور بعد ظلام ، ومن هداية بعد ضلال .

ذلك لأن الله سبحانه كأنما أراد أن يجعل للأرواح ربيعاً ، كما جعل للطبيعة ربيعاً ، فكان شهر رمضان ربيعاً ، تزدهر فيه تلك البواعث الإنسانية العليا التى تدفع الإنسان دفعاً إلى الكمال ، وتعرج به إلى معارج الفضائل ، وتحقق للناس الهداية ، لأن النفوس إذا خلصت للعبادة والصلاح والتقوى فى موسم الصوم كان لها من ذلك ربيع تنمو فيه الميول الإنسانية الطاهرة ، وتظهر فيه آمال القلوب المؤمنة ، وتشرق فيه بشائر الحق والفضيلة .

ولذلك كرم الله شهر الصوم فجعله أفضل شهور العام ، وأتم فيه للمسلمين نعمة الإسلام والسلام ، وحقق فيــه لذلك الدين الحنيف الرفعة والمجد والخلود . ولقد شاءت الأقدار الصمدانية أن تجمع فيه للمسلمين أقدس ذكريات الإسلام الخالدة ، فاختص الله سبحانه وتعالى شهر رمضان بنعمة عظيمة إذ أنزل فيه القرآن هدًى للناس و بينات من الهدى والفرقان ، وتلك ذكرى لو لم يكن لشهر رمضان سواها لكان هذا كفيلاً بتقديس أيامه على مرّ الدهور والأعوام ؛ ولكن الله تعالى جعل فيه ذكريات أخرى جليلة مجيدة ؛ ففى أيامه الغرّ الميامين أتم الله النعمة على المسلمين ، نعمة النصر المبين ، بفتح مكة التى توطدت به أركان هذا الدين ، وتمكن به الإسلام من الذيوع ، ونشر الطمأنينة والهداية فى النفوس . ووقعت فى هذا الشهر الكريم غزوة بدر الكبرى التى كانت حدًّا فاصلاً بين الحق والباطل ، و بين عنت المشركين ، وصبر المؤمنين ، وكانت بداية يالها من بداية نشرت الراية ، و بلغت الغاية ، ومكنت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته أن يغزوا العالم جميعه بسلطان الرحمة والعدل والعرفان .

واختص الله رمضان أيضاً بأن جعل فيــه ليلة هى خير من ألف شهر ، ونرجو يا ألله يامغيث المستغيثين ، ويا أمن اللاجئين ، ويا ناصر الدين أن تجعل رمضان هــذا مسجلاً فى صحيفته ذكرى جليلة تضم إلى ذكرياته الماضية الكريمة هى ذكرى انتصار الإسلام على اليهودية ، وذكرى علو المسلمين على الدول الغربية ، وذكرى انهزام جحافل الباطل ، والتعصب الممقوت ، والإجرام البغيض .

(يارمضان) : ما أكرم لياليك، وما أجمل صيامك وقيامك ؛ أنت موسم حافل بالذكريات الخالدة ، يتجه فيك المسلمون متحدين إلى العمل على التطهر بصومك من كل رجس ، والرقى بالعبادة فيك عن كل مايشين ، فأنعم برمضان من شهر مبارك كريم ، وأنعم بأهله من أصفياء بررة مهتدين .

كما شرع الله الصلاة على المسلمين لتستمد النفوس منها الخشية من الخالق سبحانه وتعالى ، وتقوى بها فى القلوب دوافع مراعاة أوامر الله ونواهيه فى معاملات الإنسان ، وجعلها تنهى عن الفحشاء والمنكر — شرع الله الصوم فى رمضان ليوصل النفس للعروج فى مراقى الكمال ، والتجرد من عالم المادة العاتية بصدق اليقين وقوة الإيمان ، وجعل الله مكانة الصيام بين العبادات أرفع مكانة ، فقد نسبه الله تعالى إلى نفسه فى حديث قدسى طالما رددناه : « كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ » .

وإنما أراد الله بالصوم للإنسان أن يكون فيه مشرق النور الإلهى ، ومنبع الفيض القدسى ، واختصاصه سبحانه وتعالى بالصوم مع أنه خالق كل شىء، وهو المقصود وحده بالعبادة ، فى هذا الاختصاص معنى كبير ، إذ لايقدر ثواب الصيام بما قدرت به الحسنات والأعمال التعبدية الأخرى الحسنة بعشر أمثالها ، أوغير ذلك مما يجازى به عباده عليها، وإنما يقدر باعتبار نسبته إليه تعالى ، وما نسب إليه تعالى فليس فى الوجود مايقاس به .

هذه — ياعباد الله — بعض حكم الصيام، وهى أكبر من أن تحصى ، ولذلك جعل الله لصومه آداباً لابد من مراعاتها ، منها غض البصر عن كل مذموم ومكروه ، واجتناب كل مايثير الشهوة وحاجة الجسد ، وحفظ اللسان من آفاته ، كالغيبة والنميمة والمراء والكذب ، وكف السمع عن الإصغاء إلى البذىء من الأقوال ، وكف جميع الجوارح عن الشهوات والآثام ، وإلا انتفى الغرض المقصود من الصيام ، ولذلك يقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه :

« مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ »

ويقول أيضاً : « إِذَا كَانَ صَوْمُ يَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ فَإِنْ شَاتَمَهُ

أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ؛ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ».

هذا رمضان، وهذا صيامه، وهـذه بعض آدابه وأحكامه، ونرجو أن يشمل الله المسلمين ببركته، وبخاصة فى هذا العام الذى يقوم فيه أبناؤه لا ليحاربوا اليهود وحدهم، ولكن ليحاربوا الرأسمالية الأمريكية، والشيوعية الروسية، فإن هـذه القوى الغاشمة المتنازعة قد اتفقت — وياللعجب — لأول مرة على إهدار حق شعب كريم، وتمزيق دولة إسلامية عربية عزيزة لم تعبث يوماً بالأمن، ولم تهدد السلام العالمى.

اعتمد المؤمنون والعرب، وهم فى مستهل رمضان، شهر الجهاد والانتصار، شهر بدر الكبرى، وفتح مكة، اعتمدوا على الله وحده، ورفضوا الهدنة التى أرادها ثانيةً هـذا الوسيط اليهودى، وليس هناك عاقل يفرح للحرب أو يفرح بها، فالحرب معركة مريرة يخسرها المنتصر والمهزوم على السواء، ولكننا الآن فى وضع ليس أمامنا فيه إلا طريقان، أحلاهما مرّ ومؤلم، فخير لنا أن نموت شرفاء على أن نعيش أذلة نذبح كالنعاج؛ إن بقاء الصهيونية خطر أى خطر، وستبقى شعوبنا مهددة، وسلامتنا فى كفة الشيطان مالم نقض على هذه العصابات المجرمة، (وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ) و (كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ، وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ). نصر المسلمون الأوائل فى (فارس) بخمسة وثلاثين ألفاً على مائة وعشرين ألفاً، ففتحوا فارس، وقضوا على عرش (كسرى)، ونشروا الإسلام هنالك؛ وانتصر العرب فى وقعة (اليرموك) وجيشهم أربعون ألفاً – لا يزيدون على مائة ألف أو يزيدون، وسننتصر – إن شاء الله – بعددنا على كثرة أعدائنا «وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ».

يارمضان اشهد لنا عند ربك أن البلاد العربية كلها قد قبلت تحدى الغرب الظالم المتعصب منكر الجميل، فلا يهمنا شىء مما يهددوننا به، وسنسير على بركة الله، واثقين بنصره، مطمئنين إلى صادق وعده، لا خائفين ولا وجلين، فإن الذين لا يخافون لا يموتون، والأمم التى تستعذب الموت فى سبيل الحرية تستحق الحياة.

يارمضان ادع لنا ربك فإنا قومك وعشيرتك وصوّامك وقوّامك، ادع لنا ربك أن

يكشف هذا الرجز عنا ، فقد استأنفت الدول العربية القتال ، بعد أن أثبتت لها الأيام أن المدنة كانت ضارة بهم ، وأن الوسيط قد غشهم ، ولم يتقدم بأى مشروع يؤدى إلى حفظ كرامتهم ، وتحقيق السلام فى بلادهم ، استأنفوا الحرب على بركة الله من جديد ، ليعيدوا الأمن والنظام فى البلاد ، بلاد الإسراء والمعراج ، ومهد المسيح ، ومهد الأنبياء .

ونحن — بحمد الله — كما قال (المليك المعظم حفظه الله) : « لقد أهبنا بالضمير العالمى أن يرعى قواعد العدل والإنصاف فى حل قضيتنا ، ثم صبرنا وصابرنا حتى اتهمنا بالضعف ، ولكنا رابطنا ، ولما تمادى المعتدون فى عدوانهم ، لم يكن بدّ من أن تدخل الجيوش العربية (فلسطين) لنشر السلام فى ربوعها ، ولتعيد الأمن إلى أهلها ، وتظل فلسطين عربية خالصة لسكانها » .

إننا كما قال (جلالة الملك) : « سنذكر على الدوام موقف الدول الكبرى منا ، وإن يكن موقف كثير منها لا يسعف الحق ، فقد كان من بينها من اتخذ سبيل الحكمة ، وقارب نهج الإنصاف ؛ والعرب قوم يذكرون الجميل ، ولا ينسونه لصاحبه » .

فاللّهم أمد الجيوش العربية بمددك ، وأيدهم بجندك ، واكتب لهم من النصر على عدوهم وعدوك ، ما كتبته لمن أعلوا كلمتك ، ونشروا فى آفاق الدنيا توحيدك (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » .

صيام شهر شعبان وحكمته

إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوم شهر شعبان كما جاء في الأحاديث الآتية :

روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت :

١ — « لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَصُومُ شَهْرًا أَكْثَرَ مِنْ شَعْبَانَ فَإِنَّهُ كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ »

٢ — وعن أبى داود فى حديث أم سلمة : « أَنَّهُ صلى الله عليه وسلم كَانَ لَا يَصُومُ مِنَ السَّنَةِ شَهْرًا تَامًّا إِلَّا شَعْبَانَ يَصِلُهُ بِرَمَضَانَ » . والحكمة فى ذلك هو ما جاء فى حديث أخرجه النسائى وأبو داود وصححه ابن خزيمة عن أسامة بن زيد قال : « قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ لَمْ أَرَكَ تَصُومُ مِنْ شَهْرٍ مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ . قالَ : ذاكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَب وَرَمَضَانَ ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ » .

فبين صلى الله عليه وسلم وجه صيامه لشعبان دون غيره فى الشهور، وذلك لما اكتنفه شهران عظيمان : الشهر الحرام وشهر الصيام ، اشتغل الناس بهما فصار مغفولاً عنه . هذا وفى صيام شعبان تمرين على صيام رمضان . فكأنَّ النبى صلى الله عليه وسلم أراد أن يفعل بأمته ما يفعله كبار المربين وحكماء المؤدبين من التمهيد للواجب بمقدمة تمرينية ، وأخذهم من يؤدبونه بأفعال فعلية تعويدا للنفس على المشاق ، وتدريباً لها على أداء الواجب لتعتاد الأمة بصيام شعبان حلاوة رمضان ولذته ، فيدخلوا فى صيام رمضان بقوة ونشاط لا بمشقة وكلفة ، فشعبان مقدمة لرمضان ، ولذا شرع فيه ما شرع فى رمضان من الصيام وقراءة القرآن ليحصل لهم أهبته ، و يتم للنفوس رياضتها .

٣ — وعن أنس رضى الله عنه قال : كان المسلمون إذا دخل شعبان انكبوا على المصاحف فقرءوها ، وأخرجوا زكاة أموالهم تقويةً للضعيف والمسكين على صيام رمضان .

(لواء الاسلام)

ليلة النصف من شعبان

الاحتفال بها وما ورد فيها وفضلها فى حادث تحويل القبلة

اعتاد جماعات من المسلمين أن يحتفلوا بليلة النصف فى شعبان وأن يحيوها بالصلاة وقراءة القرآن والدعاء إما في المساجد ، او فى البيوت ، أو فى غيرها ، وأن يتخذوا لذلك كله مظاهر خاصة تميز هذه الطاعة من غيرها من الطاعات .

وقد أنكر عمل هؤلاء بعض أهل العلم ورموهم بالابتداع ، ووصفوهم بالشذوذ عما جاءت به الشريعة الغراء ، وإليك ما جاء فيها من الأقوال ، والحادث الخطير الذى وقع فيها من تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المكرمة .

قال أبو بكر بن العربى : ليس فى ليلة النصف من شعبان حديث يعول عليه ، لافى فضلها ، ولا فى نسخ الآجال فيها . وأما الدعاء المعروف ، وهو مايدعو به الناس فى هذه الليلة مجتمعين فى المساجد بعد صلاة المغرب فلم يثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فضلاً عن أن فيه جملا لا يجوز الدعاء بها لأن فيها خطأً علمياً . وذلك ما ورد فيه .

اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ كَتَبْتَنِى عِنْدَكَ فى أُمِّ الْكِتَابِ شَقِيًّا ، أَوْ مَحْرُومًا ، أَوْ مُقَتَّرًا عَلَىَّ فى الرِّزْقِ ، فَامْحُ اللَّهُمَّ بِفَضْلِكَ شَقَاوَتِى وَحِرْمَانِى وَإِقْتَارَ رِزْقِى .

فإن طلب المحو والإثبات من أم الكتاب ، سواء أقلنا إن المراد بأم الكتاب باللوح المحفوظ أم علم الله تعالى ، فهما ليس محل محو و إثبات وتبديل وتغيير ، لان علم الله تعالى ، منزه عن المحو والتغيير؛ وهناك خطأ آخر حيث ورد فى ذلك الدعاء وصف ليلة النصف بأنها الليلة التى يفرق فيها كل أمر حكيم ، مع أن الصحيح أن ذلك الوصف هو خاص (بليلة القدر) فإن المواضع التى ذكر فيها نزول القرآن هى ثلاثة ، أولها سورة القدر ، وثانيها سورة الدخان ، وكلتاهما مكيَّة ، ثم سورة البقرة وهى مدنية .

وهذا هو ترتيب نزولها على حسب تاريخ النزول .

قال تعالى فى سورة القدر : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ) ثم فى سورة الدخان :

قال الله تعالى : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ . فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) .

وجميع المحققين من المفسرين يذهبون مع نص القرآن ، بأن الليلة المباركة هى بعينها ليلة القدر ، وهى التى يفرق فيها كل أمر حكيم .

فبنزول القرآن فصل كل أمر ملتبس بالحكمة ، ثم قال تعالى فى السورة المدنية وهى سورة البقرة : (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) فأبان أن تلك الليلة هى فى شهر رمضان لا فى شعبان كما يشير إليه الدعاء .

حادث تحويل القبلة فى نصف شعبان

ولعله من مزايا شهر شعبان المعظم ما حدث فيه من أمر خطير فى تاريخ نشر الدعوة الإسلامية . وذلك هو أمر تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ، فإن ذلك كان فى نصف شعبان فى السنة الثامنة من الهجرة ، كما قاله محمد بن حبيب ، وجزم به فى الروضة مع ترجيحه فى شرح مسلم .

وقد كان هذا التحويل اختباراً وفتنةً . أما المؤمنون فما يُظهرونه من الصدق والرضا؛ وأما المرتابون فبما يظهرونه من الريب والاعتراض بقولهم كما حكى الله تعالى عنهم : (مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ؟) فقال تعالى رداً عليهم (وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ) .

وظلَّ صلى الله عليه وسلم يستقبل بيت المقدس بالمدينة ستة عشر شهراً على قول ، أو سبعة عشر شهرا على قول آخر استئلافاً لليهود واستجلاباً لهم إلى شريعة القرآن والدين الجديد (دين التوحيد) فأعرضوا عن هداه ، بل عارضوا مسعاه ، وأجمعوا أمرهم على أذاه ، وحملتهم شقاوتهم على الإمعان فى العناد ، وعلى الإصرار فى الضلال ، وكانوا يقولون يخالفنا محمد ويتبع قبلتنا ، فكره ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ورفع وجهه إلى السماء يتشوف لتحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة ، وكان يدعو وينظر إلى السماء .

قال تعالى : (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ) لأن الكعبة قبلة إبراهيم ، والتوجه إليها أدعى إلى إيمان العرب ، وعلى العرب المعوّل فى ظهور هذا الدين العام .

ولا غرابة فى تشوفه صلى الله عليه وسلم إلى قبلة إبراهيم وقد جاء هو بإحياء ملته وتجديد دعوته .

ففى تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة خذلان لليهود وانتصار للإسلام ، حيث كان اليهود يلبسون الحق بالباطل ليفتنوا المسلمين ويوقعوا بينهم ، وكانوا يظنون أن فى إمكانهم اجتذاب المسلمين إليهم ، والاستظهار بهم على المشركين من العرب فتصبح الجزيرة العربية يهودية كلها أو على الأقل منطقة نفوذ لليهود (كرغبتهم الآن من عرب فلسطين وهى إقامة « دولة إسرائيل المزعومة » لجعلها وطناً قوميا لليهود) خيب الله آمالهم وشتت شملهم ونكس أعلامهم .

فلما خاب أملهم فى ذلك أخذوا يرجفون ويتحدثون ، فعابوا على المسلمين رجوعهم إلى الكعبة عن بيت المقدس ، وأخذوا يعيرونهم ويقولون : مادرى (محمد) وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم ؟

فإذا عظم المسلمون هذا الشهر (شهر شعبان) فهو تعظيم لانتصارهم فيه على اليهود ، وبعلوّ الفكرة الإسلامية على الفكرة اليهودية ، وفشل الخطط اليهودية ، ونصرة الخطة الإسلامية ؛ وفيه قضاء على تخرصات اليهود ، ودحض لحجتهم ، وحجة المشركين الذين كانوا يشايعونهم ويقولون إن محمدا يدعى ملة إبراهيم ويخالف قبلته .

ويصح أن يُعدّ (هذا اليوم يوم النصف من شعبان) من أيام السنة الفاضلة ، ذلك اليوم الذى حدث فيه هذا النصر المبين للحق ووجهته ، وتحويل لقبلة رضيها الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأصبحت من خصائصه وخصائص أمته من بعده إلى يوم الدين .

(مجلة لواء الإسلام ، العدد الثانى عشر ، غرة شعبان سنة ١٣٦٧ ، ٨ يونيه سنة ١٩٤٨)

ليلة نصف شعبان فى الإسلام

كان صلى الله عليه وسلم فى ليلة النصف من شعبان يصلى ويطيل الصلاة قياماً بشكر الله حتى روى الحافظ البيهقى فى مسنده عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت :

« قامَ رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى فَأَطَالَ السُّجُودَ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدْ قُضِىَ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ قُمْتُ حَتَّى حَرَّكْتُ إِبْهَامَهُ فَتَحَرَّكَ فَرَجَعْتُ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ :

أَعُوذُ بِعَفْوِكَ مِنْ عِقَابِكَ ، وَأَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لاَأُحْصِى ثَنَاءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ .

فلما فرغ من صلاته قال لها : هَذِهِ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ . إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَطَّلِعُ عَلَى عِبَادِهِ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِلْمُسْتَغْفِرِينَ ، وَيَرْحَمُ الْمُسْتَرْحِمِينَ ، وَيُؤَخِّرُ أَهْلَ الْحِقْدِ كَمَا هُمْ » .

كما كان صلى الله عليه وسلم فى ليلة النصف من شعبان يدعو لأمته الأحياء منهم والأموات ؛ فقد حدثت عائشة « أَنَّهُ خَرَجَ فى هٰذِهِ اللَّيْلَةِ (ليلة النصف من شعبان) إِلَى الْبَقِيعِ (جبانة المدينة) فَوَجَدَتْهُ يَسْتَغْفِرُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالشُّهَدَاءِ » .

ووردت أحاديث كثيرة تنص على أنه صلى الله عليه وسلم كان يحتفى بهذه الليلة ، ويقوم بتكريمها بكثرة الصلاة والدعاء والاستغفار (رواها الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده كما رواها الترمذى والطبرانى وابن حبان وابن ماجه والبيهقى والنسائى) .

فلا بدع إذاً ولا غرابة فى أن تكون ليلة النصف من شعبان ليلة ذكريات مجيدة على المسلمين أن يرددوا ذكراها ، ويرجعوا الدعاء والاستغفار فيها ، ويصلوا لله ما شاء الله لهم أن يصلوا .

(مجلة الإسلام العدد ٣٢)

(الصادر فى ١٧ شعبان سنة ١٣٦٧ هـ — ٢٥ يونية سنة ١٩٤٨ م)

فضل الصوم فى شعبان

إن الصوم فى شعبان له فضل عظيم ، وثواب كبير ، لأنه يزكى أعمال العباد إذا رفعت إلى الله ، وما أجدرنا يامعشر المسلمين أن نروض أنفسنا على الصوم فيه بقدر ما تيسر فى هذا الزمن الذى استحوذت فيه الغفلة على قلوب الناس ، فأنستهم ذكر الله حتى جعلتهم يتحللون من دين الله بالاستهتار ، وبالحيل الباطلة ، عسى الله أن يفتح قلوبنا للحق ، ونكون من الفائزين بسعادة الدارين .

قال صلى الله عليه وسلم :

« رَجَبُ شَهْرُ اللهِ ، وشَعْبَانُ شَهْرِى ، وَرَمَضَانُ شَهْرُ أُمَّتِى » .

خطبة لفضيلة الأستاذ السيد محمد البيلاوى

فى ليلة النصف من شعبان

الحمد لله مصرّف الأقدار ، مقدر الأعمال والأعمار ، الحكم العدل ، القوى المتين .

أحمده أن هدانا للإيمان ، وأشكره ضاعف لنا الإحسان ، وأتوب إليه وأسأله الرحمة فهو أرحم الراحمين .

وأشهد أن لا إله إلا الله خلق فقدر ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله بشّر وأنذر .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

قال الله تعالى : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ . فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ . أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ . رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)[١] .

---

(١) هذه الليلة المباركة هى ليلة النصف من شعبان كما روى عن عكرمة وغيره من المفسرين ؛ وإن كان الصحيح أن هذه الآية نزلت فى ليلة القدر .

أما بعد : فياعباد الله ، كم لله عليكم من نعم لم تقدروا قدرها ، ومنن جليلة لم تحسنوا شكرها ، وستر جميل سلكتم فيه طريق الغُواة المعتدين ؟.

هل منا من نهى النفس عن الهوىٰ ؟ هل منا من عمل للخلود بجنة المأوىٰ ؟ وأشفق على نفسه من الخزى والعذاب المهين .

بل لم نزل نضرم شرر الشرور ، ونسبح فى لجج المخالفات والفجور ، وننهج مناهج الملاهى كأننا من الحياة على يقين .

فياغريقاً فى بحار العصيان ، بادر إلى المتاب، فقد أظلتك ليلة نصف شعبان ، ليلة يتجلى فيها على العباد رب العالمين ، ليلة يغفر الله فيها لمن أراد به السعادة ، ليلة تقدّر فيها الأعمال والأعمار ، فللذين أحسنوا الحسنى وزيادة .

فقوموا ليلها ، وصوموا نهارها ، تكونوا من الفائزين (وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ . وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) .

الحـــديث

« إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ نِصْفِ شَعْبَانَ فَقُومُوا لَيْلَهَا ، وَصُومُوا يَوْمَهَا ، فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَنْزِلُ فِيهَا لِغُرُوبِ الشَّمْسِ إلى السَّماءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ : أَلاَ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ ؟ أَلاَ مِنْ مُسْتَرْزِقٍ فَأَرْزُقَهُ ؟ أَلاَ مِنْ مُبْتَلًى فَأُعَافِيَهُ ؟ أَلاَ كَذَا أَلاَ كَذَا حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ » .

خطبة منبرية أخرى لفضيلة الشيخ حمزة حسن الصالحى

فى ليلة النصف من شعبان

الحمد لله الذى يغفر لمن استغفره ، ويجيب من سأله ، وأشهد أن لا إله إلا الله الذى عمّ العباد بفضله ونعمه المتواصلة ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله الذى لا تعد صفاته وشمائله . اللّهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الذين حافظوا على فروض الله ونوافله .

أما بعد : فكان الرجل فى الأزمنة الماضية يعمر طويلاً، فيعيش ألف سنة بل أكثر، وبعضهم كان يقضى حياته فى العبادة مابين جهاد فى سبيل الله ، وصوم وصلاة ، وكلما طال عمره كثرت طاعته ، وزاد أجره وثوابه ؛ وعند ماينتهى أجله يكون قد جمع من الحسنات أحمالاً عديدة ترضى ربه ، ويفوز بها على أقرانه فى اليوم الآخر ، ولكن الأعمار مازالت فى النقصان شيئاً فشيئاً حتى ظهر نور الإسلام فى وقت لا يعيش فيه الإنسان غالباً أكثر من ستين عاماً ، وهذه مدة لاتعادل جزءاً يسيراً من أعمار السابقين ، فتألم بعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم حيث لم يهبهم الله أعماراً يقومون فيها بكثير من العبادة كغيرهم ، فتفضل الله على المسلمين إكراماً لخاتم الأنبياء وسيد المرسلين ، وخصهم بليالى وأيام ، العبادة فيها تعدل العبادة فى سنين عديدة من الأمم الماضية كليلة القدر ، فإن ثواب العبادة فيها خير من عبادة ألف شهر فى الأمم السابقة ، كذلك شهر شعبان وليلة النصف منه ، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الصوم كثيراً فى شعبان ، حتى ورد فى الحديث عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصوم شعبان كله ، قالت: قلتُ «يارسولَ اللهِ أحَبُّ الشُّهُورِ إِلَيْكَ أَنْ تَصُومَهُ شَعْبَانُ ؟ قَالَ: إِنَّ اللهَ يَكْتُبُ فِيهِ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ مَيْتَةٍ تِلْكَ السَّنَةَ فَأُحِبُّ أَنْ يَأْتِيَنِي أَجَلِي وَأَنَا صَائِمٌ» .

وروى البخارى ومسلم وغيرهما عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كَانَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ لَا يُفْطِرُ ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ لَا يَصُومُ ، وَمَارَأَيْتُ

رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط إلا شهر رمضان ، وما رأيته في شهر أكثر صياما منه في شعبان » .

وفى ليلة النصف من شعبان يطلع الله إلى خلقه ، فيغفر لمن استغفره ، ويرحم من طلب منه الرحمة ، ويجيب دعاء من دعاه .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتاني جبريل عليه السلام : فقال هذه ليلة النصف من شعبان ، ولله فيها عتقاء من النار بعدد شعور غنم بني كلب ، لا ينظر الله فيها إلى مشرك ، ولا إلى مشاحن ، ولا إلى قاطع رحم ، ولا إلى مسبل ، ولا إلى عاق لوالديه ، ولا إلى مدمن خمر » .

وروى البيهقي عن عائشة رضى الله عنها قالت : « قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل فصلى فأطال السجود حتى ظننت أنه قد قبض ، فلما رأيت ذلك قمت حتى حركت إبهامه فتحرك ، فرجعت فسمعته يقول في سجوده : أعوذ بعفوك من عقابك ، وأعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، فلما رفع رأسه من السجود قال : يا عائشة أو يا حميراء أظننت أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قد خاس بك ؟ قلت : لا والله يا رسول الله ، ولكني ظننت أنك قبضت لطول سجودك . فقال : أتدرى أي ليلة هذه ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : هذه ليلة النصف من شعبان إن الله عز وجل يطلع على عباده في ليلة النصف من شعبان ، فيغفر للمستغفرين ، ويرحم المسترحمين ، ويؤخر أهل الحقد كما هم » .

فاتقوا الله عباد الله ، وأكثروا من العبادة والاستغفار تكونوا من السعداء الفائزين ، وإذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها ، وصوموا يومها ، لما روى أن الله عز وجل يفتح فيها باب السماء ، فيغفر لمن استغفره ، ويرزق من استرزقه ، ويعافى المبتلى .

الحـــديث

روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يَطَّلِعُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إلى خَلْقِهِ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِعِبَادِهِ إلاَّ اثنَيْنِ : مُشَاحِناً وَقَاتِلَ نَفْسٍ » .

تفسير سورة القدر باختصار

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ) أى أنزلنا القرآن جملةً واحدةً من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا على جبريل عليه السلام ، ثم هو أخذ ينزل به آيات على رَسول الله محمد صلى الله عليه وسلم (فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) أى فى الليلة المباركة العظيمة الشرف .

وهذه الليلة فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان ، وتنزل الملائكة فيها إلى الأرض من أجل كل أمر قدره الله .

(وَمَا أَدْرَاكَ) وما أعلمك يامحمد (مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ) ما هى ليـلة القدر ؟ تعظيم لشأنها وتعجيب منه (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ) أى العمل الصالح فى تلك الليلة خير من العمل فى ألف ليلة من كل شهر ليست فيها .

(تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا) أى تتنزل الملائكة والروح ، أى جبريل فى تلك الليلة إلى الأرض (بِإِذْنِ رَبِّهِـــمْ) أى بأمره (مِنْ كُلِّ أَمْرٍ) قضاه الله فيهـا لتلك السنة القابلة .

(سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) أى ماهى إلا سلامة ، أوماهى إلا سلام ، لكثرة ما تسلم الملائكة فيها على المؤمنين ، محيّين لهم ، ومتقر بين إليهم إلى وقت طلوع الفجر .

خطبة لفضيلة السيد محمد البيلاوى

فى ليـــلة القدر

الحمد لله الذى أنزل القرآن هدًى للناس ، و بيناتٍ من الهدى والفرقان ، وجعل السعيد من اتبع أوامره ، واجتنب نواهيه .

وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة أنجو بها من غضـبه ، وأستحل بها حُرُم رضوانه ، وأشهد أن سيدنا محمدًا رسول الله صفوته من خلقه ، ورحمته لعباده .

اللَّهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه الذين خدموا ربهـــم فأخدمهم السعادة ، وأذلوا أنفسهم فى طاعته ، فأورثهم العز والسيادة (أُولٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) .

قال الله تعالى : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ، لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ) .

إن الله جل شأنه خلق الخلق وكلفهم بعبادته ، وجعل الجنة داراً لمن أحسن وأطاع ، والنار داراً لمن عصاه وخالف أمره .

ومن رحمته جعل الحسنة بعشر أمثالهـا إلى سبعمائة ضعف ، والسيئة بمثلها ، ليرغب المحسن فى إحسانه ، و يخجل المسىء من توالى كرم ربه عليه ، ورحمته به .

وقد جعل الله ليلة القدر ، مظهراً لتجلياته ، و إفاضة إحسانه على عباده ، من قام فيها بواجب الخدمة لربه ، وأحسن الخضوع لخالقه ، ضاعف أجره ، وأكمل نعمه عليه ، فجعل حسناته تضاعف ، كل حسنة إلى سبعمائة ضعف ، رحمة منـــه وفضلاً ، والله ذو الفضل العظيم .

وقد اتفق العلماء على أنها فى شهر رمضان ، واختلفوا فى تعيين وقتها منه ؛ والذى

ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها فى أفراد العشر الأخير من رمضان ، وأنها كما قال تعالى : (خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ) تسلم فيها ملائكته على أهل الاستقامة ، الذين أحسنوا فى صومهم وصلاتهم ، وكفوا أذاهم عن إخوانهم ؛ فمن كان حريصاً على زيادة أجره ، راغباً فى توالى نعمة الله عليه ، فليحيي هذا العشر الأخير من هذا الشهر المبارك بالعبادة والخضوع لله عز وجل ، والتخلق بما أمرنا الله به فى كتابه ، ورغبنا فيه نبيُّنا صلى الله عليه وسلم من مكارم الشيم ، وجلائل الصفات ، وأن يكثر فى هذه الليالى من الابتهال والدعوات الصالحات ، فإن الله يقبل على من أناب ، ويعفو عن كثير

الحـــديث

قال عليه الصلاة والسلام : « تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوِتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ » .

وقال عليه الصلاة والسلام ، عن أبى هريرة رضى الله عنه .

« مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » .

نسأله سبحانه وتعالى : أن يوفقنا جميعاً لطاعته ، وأن يدخلنا بفضله دار رحمته ، إنه هو الجواد المنان ، بيده الخير ومنه الغفران .

خطبة منبرية أخرى فى ليلة القدر

لفضيلة الأستاذ الشيخ حمزه حسن الصالحى

الحمدُ لله الَّذى أنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الكتابَ ولم يجعلْ له عوجاً. قَيِّماً ليُنْذِرَ بَأْساً شديداً مِن لَدُنْهُ ، وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً ، مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا . وأشهد أن لاإله إلا الله القائل : (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، الذى أرسل بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وكفىٰ بالله شهيداً . اللّٰهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ، الذين أشرقت على قلوبهم شمس الهدى فأضاءت لهم السبيل القويم .

أما بعد ، فقد قال الله وهو أصدق القائلين : (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ) السورة .

عباد الله : إن الله عز وجل يُذَكِّرُ عباده على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بتلك النعمة العظيمة ، والمنحة الكبيرة ، التى جاءت رحمةً عامةً ، وهدايةً حقةً إلى عباده ، لتكون لهم مصباحاً مُنيراً يهتدون به فى طريقهم ، وقانوناً يرجعون إليه فى صلاح معاشهم ومعادهم ، ودستوراً عامًّا يحتكمون إليــه فيما شجر بينهم ؛ لأنه القسطاس المستقيم ، الذى يضىء نوره مشارق الأرض ومغاربها ، ويهتدى به كل ضال إلى سبيل السعادة ، وطريق اليقين . ألا وهو (القرآن الكريم) . كتاب الله الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، فهو معجزة باقية ، يحث العباد على طاعة الله ، وينهى عن المعاصى والمنكرات ، ويكشف الستار عن حقيقة الدنيا ، وأن مصيرها إلى الزوال والفناء (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ) وهو شفاء للقلوب من مرض الشرك والنفاق ، ودواء من الكبر والرياء ، مقرب للعبد من رب العالمين ، كما قال سبحانه : (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَاهُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) فمن تمسك به واهتدى بهديه فاز بالسعادة الدائمة . كما قال سبحانه : (إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ، وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيرًا) ، ومن تركه وأعرض عنه نسيه الله وتركه إلى شيطانه وهواه ، قال تعالى : (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً) الآية .

أيها المؤمنون ، أنزل الله القرآن الكريم فى ليلة عظيمة كما قال عز وجل : (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ، إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ) وأنزله جملةً واحدةً من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة فى السماء الدنيا ، وكان الله تعالى ينزله على رسوله صلى الله عليه وسلم بعضه فى إثر بعض متفرقاً على حسب الأحوال .

ولعظم ليلة القدر أمر الله عباده بطلبها ، فعن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال فى تفسير قوله تعالى : (وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ) هو ليلة القدر .

وقد فضلها سبحانه عن سائر الليالى وخصها بفوائد كثيرة لاتوجد فى غيرها ، لما روى عن كعب أنه قال : إِنَّ اللهَ اخْتَارَ السَّاعَاتِ فاخْتَارَ سَاعَاتِ أَوْقَاتِ الصَّلَاةِ ، وَاخْتَارَ

الأَيَّامَ فاختَارَ يومَ الجمعةِ ، واختارَ الشهورَ فاختار شهرَ رمضانَ ، واختار اللَّيَالِيَ فاختار ليلة القَدْرِ ، فهى أفضل ليلة فى أفضل شهر ، ولفضلها حثَّ النبى صلى الله عليه وسلم أمته على العمل فيها فقال : « مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَاتَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم أيضا أنه قال : « إِنَّ اللهَ وَهَبَ لِأُمَّتِى لَيْلَةَ الْقَدْرِ ، وَلَمْ يُعْطِهَا مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ » وفيها تنزل الملائكة ، فلا يبقى بيت ولا دار ولا مكان فيه مؤمن أو مؤمنة إلا دخلته الملائكة ، فيسلمون على الذاكرين ، ويصافحون المصلين ، ويؤمنون على دعاء الداعين ، فيحف الله الجميع برحمته ، وينزل عليهم السكينة ، ويذكرهم عنده فى المقربين (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فى الصُّدُورِ، وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) فاتقوا الله واحرصوا على عبادة ربكم لتكونوا من الفائزين (وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) .

الحديث

عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فى الْوِتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ » (رواه البخاري)

المليك فى الاحتفال بليلة القدر

احتفل أمس بليلة القدر المباركة فى (مسجد الجزيرة) ، وقد رأس الاحتفال (صاحب الجلالة الملك) لحضر إلى المسجد من قصر القبة العامر ، وفى معيته القائمقام (محمد توفيق زاهر بك ياور جلالته) وكان فى استقباله حضرات : رئيس الوزراء ، ورئيس مجلس النواب ، والوزراء ، وممثلى الدول العربية ، وكبار رجال القصر والجيش .

وبعد أن تصدر جلالته الاحتفال وإلى يمينه أصحاب الفضيلة : شيخ الأزهر ، ومفتى الديار المصرية ، ورئيس المحكمة الشرعية العليا ، وشيخ مشايخ الطرق الصوفية ، وكبار

العلماء، ألقى فضيلة الأستاذ الشيخ (عبد العزيز المراغى) كلمة ضافية، فسر فيها سورة القدر مبيناً ما فيها من الإشادة بالقوة الروحية والسلام؛ وهدى القرآن. ثم ختمها بالدعاء لجلالة الملك والأمم الإسلامية.

وعلى إثر ذلك استمع جلالة الملك والحاضرون لترتيل آى الذكر الحكيم.

ثم انصرف جلالته بين مظاهر التعظيم والإجلال إلى قصر عابدين العامر.

و بعد أن استراح قليلاً بالطابق العلوى تفضل بالنزول يحيط به رجال القصر والحاشية إلى الساحة الخارجية، حيث جلس يستمع لتلاوة القرآن الكريم بين ضيوف جلالته من أفراد الشعب، ونهض حفظه الله بعد ذلك فصافح دولة رئيس الوزراء وعاد إلى الطابق العلوى بين الهتافات والدعوات.

ثم أطل من الشرفة الملكية على الجموع المحتشدة فى ميدان عابدين وحيَّاها. وظلت هذه الجماهير تهتف بحياة جلالته حتى غادر القصر فى رعاية الله.

الأهرام فى ٢٧ رمضان سنة ١٣٦٧، ٣ أغسطس سنة ١٩٤٨

الاحتفال بعيدى الفطر والأضحى المبارك

فى عهد السلطان عبد الحميد (رحمه الله)

كان السلطان عبد الحميد يجرى فى الاحتفال بهذين العيدين على الرسوم التى جرى عليها آباؤه وأجداده من سلاطين آل عثمان، مع تفرده بخصوصيات دونهم، اقتضتها ظروفه وملابساته.

فكان يخرج من قصر (يلديز) العامر لصلاة العيد فى موكب فخم، تحف به المهابة والجلال إلى جامع (بشكطاش) وتعلوه الأبهة والجمال، وقد ارتدى جلالته حلة ملازم من ضباط الجيش، وعلى صدره النيشان العثمانى العلى الشان.

و بعد أن يؤدى صلاة العيد ، يقدم إليه جواد مطهم من خيرة الجياد السلطانية فيعلو صهوته ، ثم يسير فى موكبه الباهر ؛ ويمشى بجوار ركابه (الغازى عثمان باشا) يليه الصدر الأعظم والوكلاء والوزراء ، وجميعهم مشاة على مقربة من جواد السلطان ، ولا يزال الموكب سائراً بين تهليل الشعب وتكبيره ، وجنود الجيش متراصة على جانبى الطريق ، حتى يصل إلى سراى (طولمه بغچه) فيترجل منها نحو القاعة الكبرى حيث يجلس على تخت السلطان (الغورى) المرصع باللؤلؤ والياقوت ، والمحلى بالذهب الابريز ، وهو التخت الذى استلبه (السلطان سليم) من مصر فيما استلب من تراث سلاطينها .

ثم تجرى التشريفات ، فيكون أول من يمثل بين يدى جلالته نقيب الأشراف ، فينهض السلطان واقفاً لاستقباله ، فيهنئ ويدعو بطول العمر ودوام التأييد .

ثم يدخل الصدر الأعظم فيقبل طرف ثوبه ، وكذلك يفعل شيخ الإسلام ، ثم يؤذن للوكلاء فيدخلون منحنى الرءوس فيقبلون رجله ، و يقفون بإزائه صفاً .

وهنا يجلس جلالة السلطان ، ثم يؤذن بالدخول لأرباب المناصب فيدخلون على طبقات مراتبهم العلمية والملكية والعسكرية ؛ فيقبلون (السّجق) وهو عبارة عن هداب من الحرير ، يمسك أحد طرفيه الغازى عثمان باشا وهو واقف عن يمين التخت .

فإذا انتهت التشريفات عاد السلطان فى مركبته الملكية الخاصة ، وفى موكبه الفخم إلى قصر (يلديز) وهناك يتلقى التهانى والتبريكات من سفراء الدول بواسطة تراجمتهم .

هكذا كان الشأن فى الاحتفال الرسمى بالعيدين ، ولا يتمايزان إلا بشىء واحد وهو : أن الخطيب فى عيد الفطر كان لايعدو فى خطبته أن يروى من الأحاديث إلا قوله : « إنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ » كما لايعدو فى خطبة عيد الأضحى قوله : « سَمِّنُوا ضَحَايَاكُمْ » . وهذا الالتزام لم يحدث إلا فى عهد السلطان عبد الحميد فقط ، أما فى عهود غيره من السلاطين المتقدمين ، فقد كان الخطيب غير مقيد إلا بما يدعو إليه الشرع ؛ و يتفق والتقاليد الموروثة

ومما كان يمتاز به عيد الأضحى أن السلطان يأمر بنحر ثلاثين كبشاً توزع لحماتها على من يقع عليه الاختيار .

وكان يقوم بنحر هذه الكباش عن جلالته موظف خاص يسمى (قرباغى ياسى) .

« عن كتاب تاريخ الاحتفال بالمولد النبوى للأستاذ حسن السندوبى »

الاحتفال بالعيدين فى مصر

فى عهد الأسرة المالكة

الاحتفال بالعيدين فى مصر كان قاصراً على عمل التشريفات التى تقام فى سراى عابدين ، وسراى رأس التين بالإسكندرية ، حيث يحضر الخديوى أو السلطان أو الملك ، بعد تأدية صلاة العيد فى أقرب مسجد من السراى ، ويقف بملابسه الرسمية فى الصالون الكبير (القاعة الكبيرة) وحوله رجال قصره الكرام ، وحضرات وزرائه العظام . ويتقدم أولاً للتشرف بمقابلته أفراد الأسرة المالكة، لتهنئته بالعيد ، ثم حضرة فضيلة الشيخ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، وحضرة نقيب الأشراف ، وهيئة كبار العلماء بملابس التشريفة فيصافحهم ، ويجلسون قليلاً ، ثم ينصرفون بعد شرب القهوة أو القرفة .

ثم يمر أمام جلالته كبار موظفى الحكومة من رتبة بك إلى مافوقها بملابسهم الرسمية ثم حضرات العمد والأعيان ، وحضرات سفراء الدول وقناصلها ، حسب الترتيب المبين بالوقائع المصرية إلى أن تنتهى التشريفات ، وينصرف الجميع شاكرين مهنئين ، وتطلق المدافع فى ليلة العيد بعد ثبوت الرؤية إيذانا بالفطر ، ثم تبتدئ فى صباح يوم العيد ، وتستمر فى جميع أوقات الصلاة إلى عصر اليوم الثالث من عيد الفطر ، وعصر اليوم الرابع من عيد الأضحى (عيدالنحر) ويخطب الخطباء فى عموم المساجد خطبة عيد الفطر لبيان زكاة الفطر ومقدارها ونوعها ، وخطبة عيد الأضحى لبيان ذبح الذبائح ووقتها وأسبابها .

وفى هذين العيدين يتبادل الأهل والإخوان والأصدقاء الزيارة للتهنئة ، وإرسال بطاقات المعايدة .

وأذكر أنه فى سنة من السنين فى عهد المغفور له (محمد توفيق باشا) خديوى مصر ، والمغفور له الحاج (عباس حلمى) كان يحضر التشريفات بعض طلبة المدارس العليا والمدارس الثانوية والابتدائية المتفوقين فى الدراسة مع ناظرهم وضباطهم ، وقد أبطلت هذه العادة بعد ذلك .

وقد استمرت التشريفات إلى عهد جلالة الملك (فاروق) ثم انقطعت مدة الحرب ، واقتصر على وضع دفاتر بديوان التشريفات الملكية بقصر عابدين ، لكتابة أسماء حضرات المهنئين .

الاحتفال بعيد الفطر المبارك

لسنة ١٣٦٧ هـ

أبلغتنا المحكمة العليا الشرعية أمس (٢٩ رمضان سنة ١٣٦٧) أنه ثبت اليوم الجمعة (أول شوال سنة ١٣٦٧) هو أول أيام عيد الفطر، وعلى هذا يحتفل المسلمون بالعيد المبارك فيقصدون فى الصباح إلى المساجد ليؤدوا صلاة العيد، ثم يتزاورون متبادلين التهنئات.

فى قصر عابدين

وسيتوافد العظماء والكبراء صباح اليوم فى قصر عابدين العامر، فيقيدون أسماءهم فى سجل التشريفات، رافعين إلى السدة الملكية آيات التهنئة والولاء.

فى المحافظات وعواصم المديريات

وتقام صباح اليوم حفلات فى دور المحافظات والمديريات، يستقبل فيها حضرات المحافظين والمديرين وفود المهنئين من كبار الموظفين والأعيان.

وتعرض فى أثنائها قوات الجيش والبوليس، ثم ترفع فى نهايتها برقيات التهنئة إلى القصر الملكى.

(الأهرام فى أول شوال و ٦/٨/١٩٤٨)

خطبة لفضيلة الأستاذ السيد محمد البيلاوى

فى عيد الفطر

الله أكبر (تسع مرات مفردة) الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرةً وأصيلاً، الله أكبر ما أشرقت فى صباح هذا اليوم شمس المسرة، وتم شهر الصوم واستعد وفد الحج والعُمرة، ولبس المؤمنون جديد الثياب إظهاراً لجميل الإنعام.

سبحان من سبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته.

سبحان من خلق الخلائق بباهر قدرته، سبحان من أوجب الفطر فى هذا اليوم

وحرم الصيام (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ . وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .

الحمد لله مقدر الأيام والليالى ، أحمده وأشكره على جميل الإفضال ، وأتوب إليه وأستغفره من الذنوب والآثام ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله خير نبى أرسله . اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه البررة الكرام .

أما بعد : فياعباد الله ، إن من آداب الإسلام المشهورة إخراج (زكاة الفطر) حسب السُّنة المأثورة ، فادفعوها للفقراء عسى أن يتقبل الله منكم الصيام ؛ وأوجبها أبو حنيفة على المكلف عن نفسه وولده الصغير ، وعبد الخدمة ، بشرط أن يملك نصاب الزكاة زيادة عما أهمه ، وأسقط عنه زوجته ووالديه إلا على سبيل التبرع لا الإلزام .

وتجب عند باقى الأئمة على المكلف ومن يلزمه الإنفاق عليه ، وهم أولاده العاجزون عن الكسب ورقيقه وزوجته ، والفقير من والديه ، واشترط أن يملك زيادة عن لوازم يومه الأئمة الثلاثة الأعلام وقدرها (قدح وثلث) عن كل إنسان، من غالب قوت أهل البلد وتكفى القيمة عند أبى حنيفة النعمان .

وتأخير إخراجها إلى أن تغرب شمس هذا اليوم حرام .

فتعجلوا بإخراجها فهى مطهرة لصيامكم ، ومن جاء من طريق فليرجع من أخرى ، لتشهدا لكم عند ربكم .

ولا تحزن أيها الفقير فكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام .

الحـــديث

« زَكَاةُ الْفِطْرِ [1] طُهْرَةٌ لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ ، وَطُعْمَةٌ لِلْمَسَاكِينِ ، مَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ ، وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ » .

---

(١) زكاة الفطر سبق شرحها فى باب الزكاة .

الركن الخامس

الحج

الحج : هو الركن الخامس من أركان الإسلام ، وهو تأدية أفعال مخصوصة فى أوقات معلومة .

وقد فرض الله الحج على الإنسان مرةً فى العمر ، وثبت ذلك بالكتاب والسنة والإجماع .

قال الله تعالى :

(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ . فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِىٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) (سورة آل عمران)

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان إلى أمور :

الأول : بيان ماللبيت الحرام من الفضائل والمزايا التى منها (أَنَّهُ أَوَّلُ بَيْتٍ) وضعه الله موضعاً للطاعات والعبادات ، ومقصداً للحج والعُمرة ، ومكاناً للطواف (وَمُبَارَكاً) بزيادة الخيرات ، ومضاعفة الحسنات لمن قصده ، أوأقام فيه (وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ) يهتدون به إلى وحدة دينهم ، وذلك الفضل العميم ، والخير الجسيم ، بما اشتمل عليه من الآيات البينات التى منها (مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ) أى الحجر الذى كان يقوم عليه عند بنائه ، وكان فيه أثر قدميه عليه الصلاة والسلام ، واندرس من كثرة المسح بالأيدى ، ومنها أن (مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً) فلا يقتل فيه أحد ، ولايقطع شجره ، ولاينفّر صيده ، حتى إن الإمام الأعظم فضّله على بقية الأركان ، لما ظهر له من جليل الأسرار ، وهذه الفضائل والمزايا التى للبيت الحرام ، هى التى وردت فى الآية الأولى .

الثانى : بيان فريضة الحج ، وأنه واجب على كل مسلم بالغ ، بشرط أن يستطيع السبيل الموصل إليه ، وقد فسر صلى الله عليه وسلم الاُستطاعة بالزاد والراحلة ، ويدخل فى الاُستطاعة دخولاً أوّلياً : أن تكون الطريق إلى الحج مأمونة ، بحيث يأمن الحاج على

نفسه وماله وعرضه ؛ أما لو كانت الطريق غير آمنة فلا يجب الحج ؛ وقد أفاد الله ذلك كله بقوله : (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً) .

الثالث : بيان جزاء تارك الحج ، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله : (وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) أى من ترك الحج ، ولم يقم بأدائه ، فإن الله غنى عن العالمين ؛ لأن الله جل شأنه لم يشرع لعباده هذه الشرائع إلا لنفعهم ومصلحتهم ؛ أما هو فهو غنىٌّ لاتعود عليه طاعات عباده بأسرها بنفع ، وعبَّر جل شأنه عن الترك بالكفر تأكيداً لوجوبه وتشديداً على تاركه ، وفيه من الدلالة على مقت تارك الحج مع الاستطاعة وخذلانه ، وبعده من الله سبحانه وتعالى ما لا يخفى .

وقال صلى الله عليه وسلم :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمُ الْحَجُّ فَحُجُّوا » .

وقال صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ مَلَكَ زَادًا وَرَاحِلَةً تُبَلِّغُهُ إِلَى بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ فَلَمْ يَحُجَّ فَلاَ عَلَيْهِ أَنْ يَمُوتَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا » .

وفى رواية :

« مَنْ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ ذَلِكَ حَاجَةٌ ظَاهِرَةٌ ، أَوْ سُلْطَانٌ جَائِرٌ ، أَوْ مَرَضٌ حَابِسٌ ، فَمَاتَ وَلَمْ يَحُجَّ فَلْيَمُتْ إِنْ شَاءَ يَهُودِيًّا ، وَإِنْ شَاءَ نَصْرَانِيًّا » .

وقال : « مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ فَلْيَتَعَجَّلْ » . (عن ابن عباس)

ويُقضى الحجُّ عن الميت كما يصح عن الصبى ، بدليل الحديث الآتى :

عن ابن عباس رضى الله عنهما :

« أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ : إِنَّ أُمِّى نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ فَلَمْ تَحُجَّ حَتَّى مَاتَتْ أَفَأَحُجُّ عَنْهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ حُجِّى عَنْهَا ، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَيْهَا دَيْنٌ أَكُنْتِ قَاضِيَتَهُ ؟ اقْضُوا اللهَ فَاللهُ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ » .

(رواه البخارى والنسائى)

وعن ابن عباس رضى الله عنهما :

« أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : إِنَّ أَبِي مَاتَ وَعَلَيْهِ حَجَّةُ الْإِسْلَامِ أَفَأَحُجُّ عَنْهُ ؟ قَالَ : أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ أَبَاكَ تَرَكَ دَيْناً عَلَيْهِ أَتَقْضِيهِ عَنْهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَاحْجُجْ عَنْ أَبِيكَ » . (رواه النسائى والشافعى)

فصريح هذه النصوص يدل على أن من مات ، وعليه واجب للعباد كالدَّين ، أولله كالحج والكفارة والزكاة والنذر وجب على وليِّه قضاؤه من رأس ماله إن كان ، و إلا ندب له قضاؤه ؛ ولو قضاه أجنبى بإذن وليه كفى ، و يجب الوفاء بنذر الحج ، ولا يسقط به الفرض لأنه أصلى .

وقيل : يجزئ عن النذر ، وحج الإسلام :

حكمة كون الحج للكعبة المكرمة

وقد اختار الله مكة للحج لما لها من الفضل على سائر بقاع الأرض ، ففيها البيت الحرام الذى فرض الله حجه على الناس ، والذى يوجه الناس وجوههم إليه عند الصلاة ، وفيها اجتمع آدم بحواء ، وتابا إلى الله ، فقبل توبتهما ، وفيها أمر الله إبراهيم بذبح ولده ، فأطاع أمر ربه ، ومنَّ الله عليهما بالفداء ، وفيها ولد محمد صلى الله عليه وسلم ، و بعثه الله إلى الناس كافةً بشيراً ونذيرًا ، وفيها أوذى محمد صلى الله عليه وسلم ، وقابل الإيذاء بالصبر فنصره الله نصراً عزيزاً ، ومنها هاجر إلى المدينة المنورة ، تلك الهجرة التى كانت سبباً فى رقىّ الأمم الإسلامية وسعادتها السعادة الخالدة .

مواقيت الحج وما يجب تركه فيه وما يجب فعله

وقت الحج : أى وقت عمله أشهرٌ معلومات ، وهى شوال ، وذو القعدة ، وعشر ذى الحجة ، لقوله تعالى : (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما :

« أَشْهُرُ الْحَجِّ شَوَّالٌ ، وَذُو الْقَعْدَةِ ، وَعَشْرٌ مِنْ ذِى الْحِجَّةِ ، فَلَا يَصِحُّ الْإِحْرَامُ بِالْحَجِّ فِى غَيْرِ هٰذِهِ الْأَوْقَاتِ » .

وقد نهى الله عن الرفث (مقدمات الجماع) والفسوق والجدال فى الحج فقال :

(فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الحَجَّ ، فَلاَ رَفَثَ ، وَلاَ فُسُوقَ ، وَلاَ جِدَالَ فِي الحَجِّ) .

أى من ألزم نفسه وأوجب عليها الحج فى هذه الأشهر المعلومة بالشروع فيه بالنية قصداً باطناً ، وبالإحرام فعلاً ظاهراً ، وبالتلبية نطقاً مسموعاً ، فليتجنب الرفث ، وهو الجماع ومقدماته ، والجدال ، وهو المراء والخصومة ، بأن تمارى صاحبك حتى تغضبه ؛ ولذا يقول صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ حَجَّ ، وَلَمْ يَرْفُثْ ، وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ »

وبعد أن نهى جل شأنه عن إتيان القبيح قولاً وفعلاً حثَّ على فعل الجميل ، وأخبر بأنه عالم به ، وسيجزى عليه أوفر الجزاء يوم القيامة فقال :

(وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ) .

وبعد النهى عن ترك القبيح ، والحثّ على فعل الجميل ، أمر باتخاذ الزاد ، فقال : (وَتَزَوَّدُوا) : أى اتخذوا من الزاد مايبلغكم لسفركم إلى أخراكم ، وأرشد أن خير الزاد إلى الدار الآخرة هو استصحاب التقوى . فقال : (فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى) ؛ ومنها أن لا يكون الحاج عالةً على غيره .

وبعد أن عمم الأمر بالتقوى لسائر العباد عمد إلى تخصيص ذوى العقول والأفهام منهم . فقال : (وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ) . لأنهم هم المطيعون لأوامر الله ، القائمون بتنفيذها .

شروط الحج

وقد فرضه الله على كل مسلم ومسلمة ، حرّ مكلف قادر على نفقة الحج وكل ما تحتاج إليه أسرته ، ومن تلزمه نفقاتهم مدة السفر فى الحج ، بشرط : أن لايكلف أحداً شيئاً من حاجياته ، وبشرط أن لا يرهق أحداً ممن يعولهم من زوجه وأولاده ، وبشرط أن يكون المال الذى ينفقه فى سفره وإقامته من كسبه ، أوما يملكه حلالاً مزكى ، بعيداً عن الربا

والدنس ، وبشرط أن يكون الحاج غير مدين ، وبشرط أن يكون سليماً من الأمراض ، وبشرط أن تكون الطريق آمنة خالية من موارد التهلكة .

فمن توفرت فيه هذه الشروط وجب عليه الحج فوراً عند الثلاثة ، وعند الشافعى على التراخى ، ويزاد لوجوبه على المرأة خروج زوجها معها ، أو محرَم لها ، أو نسوة ثقات عند الشافعى ومالك ؛ وعند أبى حنيفة الواجب خروج الزوج ، أو المحرَم فقط ؛ وعند أحمد النسوة لاتكفى .

العمرة

الْعُمْرَة : هى سنة عند أبى حنيفة ومالك ؛ وفرض عند الشافعى وأحمد ، ومعناها : زيارة البيت الحرام ، وأعمالها : إحرام ، وطواف ، وسعى ، ثم حلق أو تقصير .

قال عليه الصلاة والسلام :

« مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا ، فَمَاتَ أُجْرِىَ لَهُ أَجْرُ الحَاجِّ الْمُعْتَمِرِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

أوجه الحج

للحج ثلاثة أوجه : الإفراد ، والتمتع ، والقران .

١ — الإفراد : هو الإحرام بالحج وحده فى زمنه ، ثم أداء العمرة وحدها بعد الانتهاء من أعمال الحج .

وعن عائشة رضى الله عنها ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى الله عليه وسلم أَفْرَدَ الْحَجَّ .
(رواه الخمسة)

٢ — التمتع : هو الإحرام بالعُمرة وحدها فى أشهر الحج ، ثم أداء الحج وحده بعد الانتهاء من العمرة .

٣ — القران : هو الإحرام بالحج والعمرة معاً لأدائهما فى زمن واحد .

واتفق الأئمة على أنه يصح الحج بكل وجه من الأوجه الثلاثة المذكورة ، واختلفوا فى الأفضل منها ، فاختار الشافعى ومالك الإفراد ؛ واختار أحمد التمتع ، واختار أبو حنيفة القران ، كما سيأتى ذكره .

رأى الأئمة فى بيان الأفضل

فى أوجه الحج الثلاثة

قال الحنفية : إن القران أفضل ، ويليه التمتع ثم الإفراد ، وإنما يكون القران أفضل لمن لم يخف ارتكاب محرّم من محرمات الإحرام ، فأما من خاف ماذكر لطول المدة فالتمتع فى حقه أفضل .

ولا يصح القران والتمتع ممن كان داخل الميقات ، فليس له سوى الإفراد .

وفضل المالكية : الإفراد ، ويليه القران ، ثم التمتع .

وفضل الشافعية : الإفراد ويليه التمتع ثم القران ، وإنما يكون الإفراد أفضل لمن أراد أن يعتمر فى بقية ذى الحجة ، فإن أراد أن يؤخر العمرة عن ذى الحجة فالتمتع والقران أفضل منه .

وفضل الإمام أحمد بن حنبل : التمتع ويليه الإفراد ، ثم القران .

قال الشافعى رضى الله عنه ، عندما قرر أن الإفراد خير من التمتع ؛ والتمتع خير من القران : اخترت الإفراد ، والتمتع حسن لانكرهه .

لباس الإحرام

لباس الإحرام — هو إزار ، ورداء أبيضان جديدان ، ونعلان للرجل ؛ أما المرأة فتكون فى ثيابها المعتادة ، ولكنها تكشف عن وجهها فقط . ويحرم على المحرم لبس القميص ، والعمامة ، والسراويل والبرنس ، والخف بنصّ الحديث :

عن ابن عمر رضى الله عنهما « أَنَّ رَجُلا قَالَ : يَارَسُولَ اللهِ مايَلبَسَ المحْرِمَ مِنَ الثِّيَابِ ؟ قَالَ : لاَيَلْبَسُ القُمُصَ ، وَلاَ الْعَمَائمَ ، وَلاَ السَّرَاوِيلاتِ ، وَلاَ البَرَانِسَ ، وَلاَ الخِفَافَ إِلاَّ أَحَدٌ لاَيَجِدُ نَعْلَيْنِ ، فَلْيَلْبَسْ خُفَّيْنِ وليَقْطَعْهُمَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ ، وَلاَ تَلْبَسُوا مِنَ الثِّيَابِ شَيْئاً مَسَّهُ زَعْفَرَانٌ أَوْ وَرْسٌ » .

(الْوَرس كالورد : نبات أصفر باليمن طيب الرائحة يصبغ به ولونه بين الصفرة والحمرة) .

الإحرام ونية الحج والعمرة

هى أن يصلى الحاج ركعتين فى غير وقت الكراهة ؛ ينوى بهما سنة الإحرام ، وينوى ماأراد من عُمرة ، أو حج إفراداً ، أو تمتعاً ، أو قِراناً ، ويستحب أن يتكلم بلسانه بما ينوى بقلبه ، فيقول إذا أراد أن يحرم بالحج :

اللَّهُمَّ إِنِّى أُرِيدُ الحجَّ ، فَيَسِّرْهُ لِى وَتَقَبَّلْهُ مِنِّى .

وإذا أراد أن يحرم بالعُمْرة يقول :

اللَّهُمَّ إِنِّى أُرِيدُ الْعُمْرَةَ ، فَيَسِّرْهَا لِى وَتَقَبَّلْهَا مِنِّى .

وإذا أراد أن يحرم بالعُمْرة والحج معاً يقول :

اللَّهُمَّ إِنِّى أُرِيدُ الْعُمْرَةَ وَالْحَجَّ ، فَيَسِّرْهُمَا لِى وَتَقَبَّلْهُمَا مِنِّى .

اللَّهُمَّ أَحْرَمَ لَكَ شَعْرِى وَبَشَرِى وَجَسَدِى وَجَمِيعُ جَوَارِحِى مِنَ الطِّيبِ وَالنِّسَاءِ ، وَكُلِّ شَىْءٍ حَرُمَ عَلَى الْمُحْرِمِ ، أَبْتَغِى بِذَلِكَ وَجْهَكَ الْكَرِيمَ يَارَبَّ الْعَالَمِينَ .

ثم يكثر من التلبية .

التلبيـــة

هى شرط لصحة الإحرام عند أبى حنيفة ، واجبة عند مالك ؛ وسنة عند الشافعى وأحمد ، وصيغتها هى :

«لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَاشَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ ، وَالْمُلْكَ لَاشَرِيكَ لَكَ» .

قال صلى الله عليه وسلم :

«أَتَانِى جِبْرِيلُ فَقَالَ لِى : إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْمُرَ أَصْحَابَكَ بِأَنْ يَرْفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّلْبِيَةِ ، فَإِنَّهَا مِنْ شِعَارِ الْحَجِّ» .

ويستحب أن يقول بعد التلبية : اللَّهُمَّ أَعِنِّى عَلَى أَدَاءِ فَرْضِ الْحَجِّ وَتَقَبَّلْهُ مِنِّى .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما « أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا اُسْتَوَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ قَائِمَةً عِنْدَ مَسْجِدِ ذِى الْحُلَيْفَةِ أَهَلَّ فَقَالَ : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ . لَبَّيْكَ لَاشَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ . إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ . وَالْمُلْكَ لَاشَرِيكَ لَكَ » . (رواه الخمسة)

مواقيت الإحرام

لكل من الحج والعُمْرة ميقاتان : زمانىّ ، ومكانىّ .

فالزمانى للحج : يبتدئ من أول يوم من شوال ، ويستمر إلى قبيل فجر عيد النحر بزمن يسع الإحرام والوقوف بعرفة ، فلا يصح الإحرام بالحج قبلها ولا بعدها عند الشافعى ، وعند الثلاثة يصح قبلها مع الكراهة ، والأفضل لمن فى مكة الإحرام من أول يوم من ذى الحجة ، ولغيرهم متى وصل الميقات الكافى . والزمانى للعُمرة فى أىّ يوم من أيام السنة ؛ ويكره الإتيان بها فى خمسة أيام : يوم عرفة ، ويوم عيد النحر ، وأيام التشريق الثلاثة التى بعده .

والمكانىّ للحج وحده أو العمرة ، يختلف باختلاف الناس ، فهو لمن بمكة من أهلها ، أو غيرهم نفس مكة ، فلهم أن يُحرموا من أى جهة منها ؛ والأفضل لأهل مكة الإحرام من المسجد الحرام ؛ ولغيرهم من المقيمين فيها الإحرام من المواقيت المحدّدة لغير أهل مكة ، وهى :

(الْجُحْفَةُ) لأهل مصر والشام والمغرب ، ومن يأتى من جهة بلادهم ، وهى التى تعرف الآن (بِرَابِغَ) ، وسيأتى الكلام عليها

(ذُو الْحُلَيْفَةِ) لأهل المدينة المنورة ، ومن يأتيها من جهتها ، و بينها و بين المدينة ستة أميال .

(ذَاتُ عِرْقٍ) لأهل العراق والشرق الأقصى ، ومن يأتى من جهتهما .

(قَرْنُ الْمَنَازِلِ) لأهل نجد ، ومن يأتى من جهتها ، وهى على بُعْدِ مرحلة من الطائف ، ومرحلتين من مكة .

(يَلَمْلَمُ) لأهل اليمن والهند ، ومن يأتى من جهتهما .

وقد ورد تحديد هذه الأماكن فى الأحاديث الصحيحة ، فعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم :

وَقَّتَ (حدّد) لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ (ذَا الْحُلَيْفَةِ) ، وَلِأَهْلِ الشَّامِ (الْجُحْفَةَ) وَلِأَهْلِ نَجْدٍ (قَرْنَ الْمَنَازِلِ) ، وَلِأَهْلِ الْيَمَنِ (يَلَمْلَمَ) ، وَقَالَ : هُنَّ لَهُنَّ وَلِكُلِّ مَنْ أَتَى عَلَيْهِنَّ مِنْ غَيْرِهِنَّ ، فَمَنْ أَرَادَ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ ، وَمَنْ كَانَ دُونَ ذَلِكَ ، فَمِنْ حَيْثُ نَشَأَ حَتَّى أَهْلُ مَكَّةَ مِنْ مَكَّةَ » . (رواه البخارى ومسلم)

والمسافر إلى مكة فى البحر يُحرم متى حاذى ميقات إحرامه المقرر له ؛ أما القاطنون بين مكة ، وهـذه المواقيت فيُحرمون من مساكنهم ، وميقات العُمرة وحدها (الحلّ) لمن بمكة من أهلها أو من غيرهم ، فيخرج الحاج إليه ، ويحرمون منه ، ولغير من بمكة مواقيت الحج المكانية المتقدمة ، ومن بلغ ميقاتاً لم يجز له مجاوزته بغير إحرام ، فإن فعل لزمه العود إلى الميقات بالاتفاق .

ويجب على المتمتع دَمٌ إن لم يكن من حاضرى المسجد الحرام ، وهو شاة بالاتفاق ؛ ويجب دم التمتع بالإحرام بالحج عند الثلاثة ، وعند مالك لايجب حتى يرمى جمرة العقبة .

واختلفوا فى وقت إخراجه ، فقال الثلاثة : لايجوز ذبح الهدى قبل يوم النحر ، وقال الشافعى : يجوز بعد الفراغ من العُمرة ، وإن لم يجد الهدى فى موضعه انتقل إلى الصوم ، وهو ثلاثة أيام فى الحج ، وسبعة إذا رجع إلى أهله ، ولا تصام الثلاثة عند مالك والشافعى إلا بعد الإحرام بالحج ، وعند أبى حنيفة وأحمد إذا أحرم بالعُمرة جاز له صومها ، ولا يجوز صومها فى أيام التشريق عند أبى حنيفة والشافعى ، وعند مالك وأحمد يجوز . وأما صوم السبعة ، فعند الشافعى إذا رجع إلى أهله ، وعند مالك إذا رجع من منًى ، وعند أبى حنيفة وأحمد إذا فرغ من الحج وإن كان بمكة .

محظورات أو محرمات الإحرام

يحرم على المحرم أشياء بالاتفاق ، فيحرم عليه .

١ — لبس المَخيط والمحيط فى سائر بدنه .

٢ — الجماع ومقدماته كالمفاخذة والاستمناء، والتقبيل، واللمس بشهوة ، والتزوج والتزويج .

٣ — (قتل الصيد البرى المأكول) .

٤ — استعمال الطيب .

٥ — إزالة الشعر والظفر .

٦ — دهن اللحية والرأس بسائر الأدهان عند الثلاثة خلافاً لأحمد ، فلا يحرم عنده إلا الدهن بالأدهان المطيبة ، والمرأة فى ذلك كله كالرجل ، إلا أنها تلبس المخيط والمخيط فى سائر بدنها ، وتستر رأسها ، ولا بد من كشف وجهها ويديها ، لأن إحرامها فيهما عند مالك ؛ وعند الثلاثة الواجب كشف الوجه فقط .

واتفقوا على أن كفارة الحلق على التخيير : ذبح شاة ، أو إطعام ستة مساكين ثلاثة أصوع ، أو صيام ثلاثة أيام .

وإذا وطىء المحرم فى الحج والعمرة قبل التحلل الأول فسد نسكه، ووجب المضىّ فى فاسده، والقضاء على الفور من حيث أحرم فى الأداء بالاتفاق، ويلزمه عند الشافعى (بدنة) وعند أحمد يلزمه (بدنة) بالوطء فى الحج ، (وشاة) بالوطء فى العمرة ، وعند مالك يلزمه (هدى) ، والأفضل أن يكون بدنة ، وعند أبى حنيفة إن وطىء قبل الوقوف فسد حجه ؛ ولزمه (شاة) وإن كان بعده لم يفسد حجه ، ولزمه (بدنة)، وعقد الإحرام لا يرفع بالوطء فى الحالتين بالاتفاق .

أما قتل الصيد فى حال الإحرام ، فقد نهى الله جل شأنه عن تعاطيه ؛ فقال :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ) .

وبين مايلزم مرتكب القتل من الفدية فقال :

(وَمَنْ قَتَلَهُ مِنكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَاقَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنكُمْ هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ ، أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ ، أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَاماً لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ).

مبطلات الحج والعمرة

ويبطل كل من الحج والعمرة إذا ترك الشخص ركناً من أركانه سواء حصل ذلك عمداً أو سهواً ، فإن ترك الحاج شيئاً من الواجبات فلا يبطل الحج أو العمرة ، وعليه فقط الفدية عن كل واجب تركه ، أما السنة فلا يبطل الحج أو العمرة بتركها اتفاقاً .

إتمام الحج والعمرة والإحصار وأنواع الدم

الواجب فى النسك

قال تعالى :

(وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ، فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ، فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ ، وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ، ذَٰلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ؛ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ . (سورة البقرة)

يقول الله تعالى : (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ) أى ائتوا بهما كاملين بمناسكهما ، وشرائطهما لوجه الله تعالى من غير توان ، ولا نقصان يقع منكم فيهما . (فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ) أى منعتم عن إتمامهما بأن حال العدوّ بينكم و بين الوصول إلى البيت (ف)عليكم (مَااسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ) من بعير ، أو بقرة ، أو شاة ؛ كما حصل ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه (يوم الحديبية) حين حال المشركون بينهم و بين الوصول إلى البيت ، فأنزل الله لهم

رخصة أن يذبحوا مامعهم من الهدى ، وأن يحلقوا رءوسهم ، وأن يتحللوا من إحرامهم ؛ وهذا معنى : (فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ) .

و بعد أن أمر الله جل شأنه بإتمام الحج والعُمرة ، و بيّن حكم من منعه العدو من الوصول إلى البيت ، أخذ يبين حكم من أمن من العدوّ ، ووصل إلى البيت فقال : (وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ) أى لا يصح لكم فى حالة الأمن والوصول إلى البيت أن تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله ومكانه الذى يجب نحره فيه ؛ وهذا لمن لم يكن به مرض يضطره إلى الحلق ، ومن لم يكن برأسه أذًى بسبب مافيه من القمل والصداع والجراح ، أما من كان به ذلك فيحلق ، وعليه فدية ، وهى أن يطعم ستة مساكين ، أو يهدى شاة ، أو يصوم ثلاثةَ أيام ، وهذا ما أشار الله تعالى إليه بقوله :

(فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ ، فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ) .

أى فمن كان منكم مريضاً مرضاً يلجئه إلى الحلق ؛ أو كان به أذًى من رأسه ، وهو القمل والصداع والجراح ونحوها ، فعليه إذا حلق فدية من صيام ، أو صدقة أو نسك ، ثم قال الله تعالى : (فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ ، فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ) .

يعنى : إذا أمنتم من العدو ، ووصلتم إلى البيت ، فمن تمتع منكم فى أثناء ذلك بإحرامه بالعمرة ، واستباح ما لا يحل للمحرم استباحته ، و بقى على هذا التمتع إلى الحج ، أى إلى أن أحرم به ، فعليه أن يذبح فى نظير تمتعه هذا ماقدر عليه من الهدى ، وأقلّه شاة ، ثم قال جل شأنه : (فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِى الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ، تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ) .

أى فمن لم يجد الهدى ، إما لعدم المال ، أو لعدم الحيوان ، فعليه صيام ثلاثة أيام فى الحج ، وهو أشهره ما بين الإحرامين : إحرام الحج ، وإحرام العُمرة ، وسبعة إذا رجعتم إلى أوطانكم وأهليكم تلك عشرة كاملة ، ثم قال : (ذَٰلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِى

(ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ) أى ذلك التمتع خاص بمن لم يكن أهله من أهل الحرم ، ثم قال : (وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ) أى فيما أمركم به ونهاكم عنه (وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ) أى لمن خالف أمره وتهاون فى إقامة حدوده ، وارتكب مانهاه عنه .

قال عليه الصلاة والسلام : « ٱلْعُمْرَةُ إِلَى ٱلْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا ، وَٱلْحَجُّ ٱلْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا ٱلْجَنَّةُ » .

العمرة

ويسن لمن أراد الإحرام بالعُمرة أن يغتسل غسلاً كغسل الجنابة ، ثم يأتزر بإزارين أبيضين ، ويتلو نية العمرة وهى :

اللّهم إنى أريد العُمرة فيسرها لى وتقبلها منى ؛ نويت العُمرة وأحرمت بها لله تعالى . ويصلى ركعتين سنة الإحرام (بمسجد العمرة) ويلبى ويدعو الله بما يشاء . ثم يعود إلى مكة وهو يلبى ، ومتى دخل المسجد الحرام ، ترك التلبية وطاف سبعاً وسعى سبعاً كما فى الحج ، ثم يحلق رأسه ، وبذلك تتم عمرته .

فوائد الحج ومنافعه

قال عز وجل فى بيان فضل الحج ، وما اشتمل عليه من المنافع لسائر الناس ، وإطعام الفقراء والمساكين :

(وَأَذِّنْ فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ . لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ، وَيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ فِى أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَارَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا ٱلْبَائِسَ ٱلْفَقِيرَ ، ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ، وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ، وَلْيَطَّوَّفُوا بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ) . (سورة الحج)

تشير هذه الآية إلى بيان فضل الحج ، وعظم مكانته عند الله تعالى ، وشدة رعايته له ، وعنايته به ، حيث أمر نبيّه إبراهيم عليه السلام بعد فراغه من بناء البيت أن ينادى

فى الناس ويدعوهم إلى حجه ، ووعده بأنه إذا دعاهم أتوه مشاةً وركباناً من سائر بقاع الأرض ، وهذا ما أشار إليه تعالى بقوله :

(وَأَذِّنْ فى النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً ، وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) أى ناد يا إبراهيم فى الناس داعياً لهم بالحج إلى هــذا البيت الذى أمرناك ببنائه (يَأْتُوكَ رِجَالاً) أى ماشين على أرجلهم (وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ) أى راكبين على بعير ضامر مهزول بمـا انتابه من عناء السفر (مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) أى طريق بعيد .

وقد أشار الله إلى بيان المنافع التى يشهدونها فى هذا الحج بقوله : (لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ) أى ليحضروا منافع دنيوية وأخروية ، فيها التعارف والتآلف والتوادد ، وليذكروا الله فى أيام النحر على هداياهم وضحاياهم التى يذبحونها فى ذلك اليوم ليأكلوا منها ؛ وليطعموا البائس الذى حلّ به البؤس من شدة الفقر ، فقال: (وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فى أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَارَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ، فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ) .

ثم أمرهم الله بأن يقضوا ماعليهم من مناسك حجهم من : حلق الرأس وأخذ من الشاربين ، ونتف الإبط ، وحلق العانة ، وقص الأظافر ، والأخذ من العارضين ، ورمى الجمار ، والوقوف بعرفة والمزدلفة ، والسعى بين الصفا والمروة ، و بأن يفوا نذورهم بمـا نذروا من هدْى وبدنة وغير ذلك ، و بأن يطوفوا ببيت الله الحرام (الذى سمى بالعتيق ؛ لأن الله أعتقه من الجبابرة أن يصلوا إلى تخريبه وهدمه) وفى ذلك يقول الله تعالى: (ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ) .

ثم بين الله أن هذه الضحايا من شعائر الله ، وأن فى نحرها خيراً لهم ، ولهذا سخرها لهم فقال تعالى : (وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ، فَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ ، فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ، كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) . (سورة الحج)

أى أن (الْبُدْنَ) الإبل الضخام ، جعلناها لكم أيها الناس من أعلام أمر الله الذى

أمركم به فى مناسك حجكم ، وفيها خير لكم ، وهو الأجر فى الآخرة بنحرها والصدقة بها ، فعند نحركم إياها (صَوَافَّ) أى معقولة إحدى يديها قائمةً على ثلاث قوائم ، اذكروا اسم الله عليها ، وقولوا: الله أكبر لا إله إلا الله ، اللّهم منك ولك ؛ فإذا سقطت ووقعت جنوبها إلى الأرض بعد النحر (فَكُلُوا مِنْهَا ، وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ) القانع : المتعفف ، والمعتر : أى السائل .

واشكروا الله أيها الناس على تسخيرها لكم ، واعلموا بأنه لم يصل إلى الله لحومها ولا دماؤها ، ولكن يناله التقوىٰ منكم ، بأن أردتم بنحرها وجه الله ، وعملتم فيها بما ندبكم إليه ، وأمركم به فى أمرها ، وعظمتم بها حرماته بالتكبير عليها ، وذبحها فى تلك الأيام ، و بشر الله من أطاعه فى ذلك بالجنة ، فقال تعالى: (لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَـٰكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ ؛ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ) بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ . (سورة الحج)

حكمة مشروعية الحج وفوائده

فرض الله على من استطاع من عباده حج بيته المحرم ، ليتعارف المسلمون المجتمعون من أنحاء العالم ببعضهم ، و يستفيد أهل كل قطر مما عند غيرهم من علم نافع وصناعة غريبة ، و يتخلق بالخلق المحمود والعادات الحسنة ، و يعطف غنيهم على فقيرهم ؛ وصحيحهم على مريضهم ، وتتبادل المنافع فيما بينهم من أحوال التجارة والصناعة والزراعة ، وغيرها من الفوائد المستحسنة ، فيكونوا آباء رحماء ، وأبناء بررة ، يشملهم الله برحمته ، ويعمهم بإحسانه .

فترى فى هذا المجتمع العظيم ، أو المؤتمر العام فى كل عام ، أمماً اختلفت ألسنتهم ، وتخالفت أشكالهم ، وتباعدت أقطارهم ، وتباينت عاداتهم ، تجمعهم عبادة واحدة ، فى أرض واحدة ، على دين واحد ، يرجون رحمة الله ويخافون عذابه ، وفى ذلك كمال الارتباط ، ودوام الاتحاد بين أفراد الأمم الإسلامية ، ومايترتب على ذلك من الخير العميم لعموم

المسلمين ؛ وناهيك بما فى الحج من الأذكار والصلوات والتسبيحات ، فإنها مدحضة للذنوب ، كافلة بنوال المرغوب .

ومن حكم الحج وأسراره ، أن به كمال العبودية ، ونهاية الاسترقاق بما اشتمل عليه من الأعمال التى لاتأنس بها النفوس ، ولا تهتدى إلى معانيها العقول بادئ بدء ، كرمى الجمار بالأحجار ، والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار ، فإن هذه الأعمال مع عدم اهتداء العقل إلى الغرض المقصود منها بادئ بدء ، لايكون فى الإقدام عليها باعث إلا الأمر المجرد ، وقصد الامتثال للأمر من حيث إنه أمر واجب الاتباع فقط ، وذلك نهاية التذلل والعبودية .

هو ذلك الأمر الذى يعده صاحب هذه الشريعة عليه السلام من أشرف أوصافه وأكمل نعوته ، و يقول مامعناه : « أَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ، وَآكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ» .

ولقد نهى عن الإطراء فى مدحه . فقال مامعناه باختصار : « لَا تَطْرُونِى وَلَكِنْ قُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ » ، وقد وصفه ربه بالعبودية فى أشرف مقام ذكره فيه . فقال تعالى :

(سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى) .
(سورة الإسراء)

فكان له فى ذلك أكمل المبرة ، وأوفر المسرة .

ومن حكم الحج وأسراره المندرجة فى أعماله ، أن الطواف بالبيت الحرام عند قدوم الحجاج إليه إنما هو تمثيل لصورة طواف قلوبهم برب هذا البيت ، والبيت إنما هو مكان ظاهر فى عالم الملك لتلك الحضرة التى لاتشاهد بالبصر . وأن استلام الحجر الأسود المسمى (يمين الله) إنما هو بمنزلة مبايعة العبد ربه على أن لايعصى له أمراً ولا نهياً ؛ فإذا صمم العزم على الوفاء بتلك البيعة استحق من الله الرضى والكرامة ؛ ومن غدر فى المبايعة استحق منه المقت والخذلان .

و إلى ذلك الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم :

« الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ يَمِينُ اللهِ فِى الْأَرْضِ يُصَافِحُ بِهَا عِبَادَهُ » .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « الحَجَرُ يَمِينُ اللهِ ، فَمَنْ مَسَحَهُ فَقَدْ بَايَعَ اللهَ » .

وأن فى السعى بين الصفا والمروة فى فناء البيت غير ماذكر الإشارة إلى أن من يتردد على فناء الملك جائياً وذاهباً مرةً بعد أخرى ، يظهر بذلك إخلاصه فى خدمته ، ويرجو ملاحظته بعين الرحمة ، كالذى دخل على الملك وخرج ، وهو لايدرى ما الذى يفعله الملك به من قبول أو رفض ؟ فلا يزال يتردد فى فنائه مرةً بعد أخرى رجاء أن يرحم فى الثانية إن لم يرحم فى الأولى .

وأن فى الوقوف بعرفة واجتماعهم فيه ألوفاً مؤلفة على اختلاف لغاتهم وتباين أجناسهم يقصد الكل غرضاً واحداً ، وهو طلب المغفرة والرضوان من الرحيم الرحمن ، ونزول الرحمة بهم ، فإن فى اجتماع المسلمين ، راغبين فى الله ، راجين منه العفو والمغفرة ، راهبين منه ، مسلّمين وجوههم إليه ، خاصة عجيبة فى نزول البركات ، وتدلّى الرحمات ، وخصوص هذا اليوم ، وهذا المكان متوارث عن الأنبياء عليهم السلام ، والأخذ بما جرت به سنة السلف الصالح .

وأن فى رمى الجمار غير ماتقدم من إظهار الرق والعبوديّة والانتهاض لمجرد الامتثال عن غير حظ للنفس : التشبه بسيدنا الخليل إبراهيم عليه السلام حيث عرض له إبليس (عليه لعنة الله) فى ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة ، أو يفتنه بمعصية ، فأمره الله عز وجل أن يرميه بالحجارة طرداً له ، وقطعاً لأمله .

والسرّ فى كون نزول منًى من أعمال الحج أنها كانت سوقاً عظيماً من أسواق الجاهلية مثل (عكاظ) وغيرها ، وإنما اصطلحوا عليه لأن الحج يجمع أقواماً كثيرة من أقطار متباعدة ولا أحسن للتجارة ، ولا أروج لها من أن يكون موسمها عند هذا الاجتماع .

ولما جرت العادة بنزولها اقتضى ديدن العرب ، وحميّتهم ، أن يجتهد كل حىّ فى التفاخر والتكاثر ، وذكر مآثر الآباء ليرى ذلك القاصى والدانى ، ويبعد ذكره فى الأقطار ، وكان للإسلام حاجة إلى اجتماع مثل هذا تظهر فيه شوكة المسلمين وعدّتهم ، ليظهر دين الله ، ويبعد صيته فى سائر الأقطار فأبقاه النبى صلى الله عليه وسلم وحثّ عليه ، وندب إليه ، ولكنه نسخ التفاخر وذكر الآباء ، وأبدله بذكر الله ؛ وفى ذلك قوله تعالى :

(فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْأَشَدَّ ذِكْرًا) . (سورة البقرة)

وناهيك بما ابتلى به سيدنا إبراهيم عليه السلام فى هذه الأماكن الطاهرة من أمره ذبح ولده وفلذة كبده ، وامتثال كل منهما ما أمر به ، وإنعام الله عليهما بالفداء ، وإبدال حزنهما بالهناء ، إلى غير ذلك من الأعمال المرضية ، مما يدل على ماله من الطاعة ، وحسن الانقياد لمولاه ، فبتذكر أعماله ومحاكاتها تنبعث النفوس لتذكار بقية أعماله وعباداته ، فتشتاق للاقتداء به ، والتخلق بأخلاقه فى كل مايرضى خالقه .

وحسبك مافى الحج من حكمة التجرد فى الإحرام من المخيط ، وترك أنواع الترف والزينة ، ليهذب من نفوسهم ، ويكسر من شدتهم ؛ فترى السيد الجليل الذى ملأ القلوب إجلاله واحترامه خاضعاً لله عز وجل ، أشعث ذى طِمرين ، وبجانبه البائس الفقير الذى لايملك قوت يومه كل يناجى ربه ، ويبتهل إلى جبار الأرض والسموات قائلاً :

لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ : إِنَّ الحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لاَشَرِيكَ لَكَ .

يصيحون بالتلبيــة ، خاشعين لله عز وجل ، فيُنزل عليهم رحمته ، ويباهى بهم ملائكته المقربين .

وللحج فوائد ومنافع لاتكاد توجد فى غيره من سائر العبادات ، حيث يجتمع فيه أئمة الدين معظمين لشعائر الله التى يقول الله تعالى فيها : (ذٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) متضرعين إليه ، راغبين فيه ، راجين منه الخير ، وتكفير الذنوب .

ومن حكم الحج أنه موسم جليل يجتمع فيه الحجيج من كل بلاد المعمورة ، وكل بلد تعرض نموذج تجارتها وصناعتها بين أهل البلدان الأخرى التى لايمكن الوصول إليها ؛ إما لسبب البعد ، أولأمر سياسى آخر ، فهو بذلك أنجع طريق للتجارة ، وتبادل المنافع بين المسلمين .

وبالجملة فلو لم يكن فى الحج إلا أنه عبادة جمعت بين الذكر والتسبيح ، والأدعيـة والتذلل والخضوع ، وتمام العبودية ، وكمال الاسترقاق لله تعالى ، وصرف أنفس الأشياء عند العبد وأحبها لديه ، وهو المال ، ابتغاء مرضاة الله تعالى فى سبيل التحصيل عليها ،

ومفارقة الأهل والأوطان ، وتكبد المشقات ، وتحمل المتاعب والمصاعب ابتغاء مرضاة الله تعالى ، وطلباً لمثوبته ورضوانه ، وأنه يجتمع فيه المسلمون من أقطار الأرض ، يتبادلون فيه أنواع المحبة والمودة ، ويتعاضدون ويتحابون ، ويساعد بعضهم بعضاً ، ويعلم العالم منهم الجاهل ، وتطهير نفوسهم من نقائص الحيوانية ، واجتماعهم فى صعيد واحد ، مخلصين لله عزّ وجل لـكفى فى وجوب اعتباره ، وكمال افتخاره ، وكان جديراً بأن يؤمّه جميع المسلمين من سائر أقطار العالم من كل فج عميق رجالاً ونساء ، والله يتقبلهم بلطفه ورحمته ، ويسبغ عليهم نعمته .

خطبة منبرية لفضيلة الأستاذ السيد محمد البيلاوى

فى الحث على الحج

الحمد لله الذى يسَّرَ لأحبابه حج بيته ، ووفقهم لسلوك الطريق المستقيم بفضله ، فلا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون مايؤمرون .

وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة عبد خاضع لجلاله ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله داعى الخلق إلى الحق ، ومرشدهم إلى سبيل السعادة .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه الذين صدقوا ماعاهدوا الله عليه ، فأورثهم مشارق الأرض ومغاربها ، أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولو الألباب .

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين : (الحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ، فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الحَجِّ ، وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ ، وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ) .

عباد الله — فرض الله الحج على من استطاع ليتعارف المسلمون ، ويستفيد أهل كل قطر ماعند غيرهم من علم نافع ، وصناعة غريبة ، وخلق محمود ، ويعطف غنيهم على فقيرهم ، وصحيحهم على مريضهم ، ويتبادلوا المنافع فيما بينهم ، ويكونوا آباء رحماء ، وأبناء بررة ، يشملهم الله برحمته ، ويعمهم بإحسانه ، وفى ذلك يقول الله تعالى :

(وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ . لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ ، فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ) .

فترى في هذا المجتمع أمماً اختلفت ألسنتهم ، وتخالفت أشكالهم ، وتباعدت أقطارهم ، وتباينت عاداتهم ، تجمعهم عبادةً واحدةً ، على دين واحد ، فى أرض واحدة ، يرجون رحمةَ الله و يخافون عذابه .

دعا الله من استطاع من عباده إلى حج بيته المحرم ، منشأ النور المحمدى ومصدر النبوة والرسالة ، وقبلة المسلمين أينما كانوا ليبلوهم أيهم أحسن عملاً ؛ فيتقرب إليه المخلص بإخلاصه والطائع بطاعته ، والمحسن بإحسانه ، والعاصى بذنوبه ، فيعمهم بمغفرته ، و يخرجون من الذنوب كيومَ ولدتهم أمهاتهم .

أمر الله حجاج بيته بالإحرام ، والتجرد من المخيط ، وترك أنواع الترف والزينة ، ليهذب من نفوسهم ، و يكسر من شِرَهِهم ، فترى الأمير الجليل الذى ملأ القلوب إجلاله واحترامه خاضعاً لله ، أشعث أغبر ذا طمرين ، و بجانبه البائس الفقير الذى لا يملك قوت يومه كلاً يناجى ربه ، ويبتهل إلى بارىء الأرض والسموات : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والمُلك ، لا شريك لك » يضجون بالتلبية خاشعين لله عز وجل ، فينزل الله عليهم رحمته ، ويُباهى بهم ملائكته المقربين .

ياعباد الله : لو لم يكن للحج من الفوائد غير تعارف المسلمين ، وتبادل المنافع فيما بينهم وتطهير نفوسهم من نقائص الحيوانية ، واجتماعهم فى صعيد واحد على دين واحد ، مخلصين لله عز وجل ؛ لكان ذلك كافياً للرغبة فيه وانتهاز الفرصة متى سنحت لإدراكه ؛ وليت مَن بسط الله لهم بسطة فى الرزق ، ومنحهم منحتين : الحياة والعلم يقتدون بخيارهم فيجعلون من رِحَلهم إلى الأقطار الشاسعة والبلاد المتباعدة ، رحلةً إلى هذه البقاع الطاهرة ليتقربوا إلى الله بما ينفقون على إخوانهم الذين أضناهم الجوع ، وأهلكهم الفقر ، ويُعلوا منار الدين ويُقوّوا دعائمه ؛ فبهم يقتدى وعنهم يؤخذ ! .

نسأل الله أن يجعلنا من حجاج بيته ؛ وأن ييسر لنا سبيل الوصول إليه حتى نكون ممن رضى الله عنهم ورضوا عنه (أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) .

الحديث

فى الحديث القدسى يقول الله تعالى : « إِنَّ عَبْدًا صَحَّحْتُ لَهُ جِسْمَهُ ، وَوَسَّعْتُ عَلَيْهِ فى الْمَعِيشَةِ تَمْضِى عَلَيْهِ خَمْسَةُ أَعْوَامٍ لاَ يَفِدُ إِلَىَّ لَمَحْرُومٌ » .

خطبة منبرية أخرى فى الحث على الحج

لفضيلة الشيخ حمزة حسن الصالحى

الحمد لله الذى فتح أبواب الرحمة لمن طرقها ، ووضح منهاج السعادة لقلوب وفقها ، وأشهد أن لا إله إلا الله الذى أنزل على عبده المصطفى : (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا) وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله خير البرية سلفاً وخلفاً ، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الكاملين الشرفا .

أما بعد : جرت العادة بأن كل مالك يتصرف فى ملكه كيف يشاء ، ومُلك السموات والأرض لله الواحد القهار ، فله أن يعظِّم من شاء ويأمر بما يريد ، وقد اقتضت إرادته تعظيم الأراضى المقدسة ، وزادها تشريفاً بأن وُلد فيها سيد الكونين وانبعث منها نور الإسلام ،وأشرق على قلوب من أراد الله هدايتهم؛ فأجابوا داعى الله كما تشرق الشمس على الكرة الأرضية فتضيئها وتقتل الحشرات الفتاكة ، والجراثيم القتالة .

ولعظم الكعبة كانت تؤمها الملائكة حتى قبل خلق آدم عليه السلام ، وما زالت تقصدها جميع المخلوقات ، وتأتى إليها من جميع الآفاق ، إلى أن جعلها الله قبلة للمسلمين ، يتوجهون إليها فى صلاتهم أينما كانوا ؛ ثم فرض الحج على الأغنياء منهم القادرين على الزاد والراحلة ونفقة العيال فى أشهر معدودة ، وأيام محدودة ، تفضل فيها الخالق على الحجاج بالعفو عن الذنوب ، والغفران حتى يرجع الحاج إلى أهله طاهراً من السيئات كيوم ولدته أمه .

و إن الله تعالى جعل المسلمين أشبه شيء بشجرة امتدت غصونها ذات اليمين وذات الشمال ، وجذرها واحد ، فإذا ماهبت ريح وحركت الجذع تحركت جميع الفروع ، وعندئذ يكون للشجرة دوى عظيم يسمع فى جميع الآفاق ، وجذع الشجرة هو الأراضى المقدسة التى جعلها الله ليجتمع فيها المسلمون على اختلاف أجناسهم ، وتباين لغاتهم وتباعد بلدانهم ، فتتألف قلوبهم وتجتمع كلمتهم ، فتقوى شوكة الإسلام والمسلمين ، ويصبحون أعزةً على الكافرين . وفى كثير من الأمور الدينية إشارة إلى ذلك ، كالجمعة والعيدين .

ولكن لما كانت هذه لاتجمع من المسلمين إلا أهل كل بلدة على حدة ، شرع الحج ، ليجمع المسلمين قاطبةً فى مكان واحد ؛ وفرض على الأغنياء وهم يكونون وفوداً عن بلادهم وليخبروا قومهم إذا رجعوا إليهم عن أحوال إخوانهم المسلمين ، وعن المسجد الحرام الذى هو أول بيت وضع للناس بمكة كما قال الله : (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ . فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ، وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً ، وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) .

فهو الكعبة الوحيدة التى يجب أن تشد إليها الرحال ، ويؤمها الناس من كل فج كما أمر الله خليله إبراهيم عليه السلام بأن ينادى الناس للحج فقال سبحانه (وَأَذِّنْ فى النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً ، وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) الآية .

فقال إبراهيم : يارب ، وما يبلغ صوتى ؟ قال : أذّن وعلىّ البلاغ ، قال : رب كيف أقول ؟ قال : قل يأيها الناس كُتب عليكم الحج إلى البيت العتيق. فنادى إبراهيم كما أمره ربه ، فسمعه أهل السماء والأرض وأجابوه بالتلبية فى أصلاب الرجال وأرحام النساء .

فليس حاج يحج من يومئذ إلى أن تقوم الساعة إلا من أجاب إبراهيم عليه السلام ، فمن أجاب مرةً حج مرة ، ومن أجاب مرتين حج مرتين وهكذا . ومن لم يجب لم يحج ؛ وإن الحج من أعظم الأشياء التى تذكر العبد بفناء الدنيا ، لأنه عندما يخلع ثيابه ويلبس غير المخيط فى ميقات الإحرام يتذكر الموت ، وتجريده من ثياب الدنيا .

وعند اجتماع الناس فى عرفات وكل يسأل ربه العفو والمغفرة ، يتذكر الوقوف بين يدى أحكم الحاكمين فى يوم لاينفع فيه مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم .

فيكون ذلك باعثاً له على إصلاح قلبه ، فيسعد فى الدنيا والآخرة ، وقد خصَّ الله مكة بالرحمة والبركة ودعا لها سيدنا إبراهيم عليه السلام ولأهلها بالأمان والرزق كما ذكر الله ذلك فى القرآن الكريم فقال : (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ : رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً ، وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ . رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ ، فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ، رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ)

الحديث

روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»

وروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « سُئِل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ، قيل ثم ماذا ؟ قَالَ : الْجِهَادُ فى سَبِيلِ اللهِ ، قيل ثم ماذا ؟ قَالَ حَجٌّ مَبْرُورٌ) .

الاحتفال بعرض المحمل والكسوة الشريفة

احتفل أمس (٢٢ ذى القعدة سنة ١٣٦٧ — ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٤٨) بعرض المحمل وكسوة الكعبة المشرفة ، فأعدت محافظة القاهرة سرادقات فخمة فى مكان الاحتفال السنوى بميدان (الخفير) فى العباسية خصص أحدها لدولة نائب جلالة الملك وكبار المدعوين .

ومنذ الصباح الباكر أخذت قوات البوليس أمكنتها على جانبى الطريق إلى ميدان (الخفير) باشراف حضرات اللواء سليم زكى باشا (رحمه الله) والأميرألايات عبد الفتاح نصر وأحمد طلعت ومحمد ماهر رشدى .

ثم بدأ كبار المدعوين يتوافدون على السرادق، يتقدمهم فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع

الأزهر ، ومعالى رئيس الديوان الملكى وسعادة أمير الحج (حامد جوده بك رئيس مجلس النواب) ومعالى وزير الحربية والبحرية ، ووزراء الدول العربية والشرقية ، والمفوضون ، وغيرهم من الكبراء والعلماء وكبار الموظفين والأعيان .

نائب جـــلالة الملك

وفى الساعة العاشرة وصل دولة نائب جلالة الملك (دولة النقراشى باشا) ، تقله مركبة ملكية ، جلس عن يساره فيها سعادة اللواء (عبد الله النجومى باشا) ، فعزفت الموسيقى النشيد الملكى وأطلقت المدافع تحيةً لمقدمه . وبعد أن حيا دولته الحاضرين تصدّر السرادق حيث لبث مدة قصيرة ، ثم خرج يتبعه كبار المدعوين فشهد معهم دورات المحمل التقليدية السبع ، وجرى تسليم مقود جمل المحمل وعرض قطع الكسوة كالمعتاد .

العرض العسكرى

وعلى أثر ذلك عرض على دولته قوات الجيش ، فمرت قوات أسلحة الفرسان الملكى والسيارات المصفحة والدبابات وسرية الاقتحام ؛ والمدفعية ، والأنوار الكاشفة ، والإشارة واللاسلكى ، ثم الموسيقات والكلية الحربية ، والمشاة والصيانة ، وجماعة مستشفى الميدان .

وكانت الجماهير بادية الحماسة لهذا المظهر العسكرى الرائع ، وتستقبل كلاً من هذه الوحدات بالهتاف بحياة جلالة الملك وحياة مصر وجيشها ، مبدية إعجابها الشديد بحسن تدريب الجنود وسموّ روحهم المعنوية ورائع مظهرهم ! .

وفى ختام العرض انتهت الحفلة بعرض النشيد الملكى وإطلاق المدافع .

وعاد موكب نائب جلالة الملك ، مشيعاً من الحاضرين ، وعلى طول الطريق ، مظاهر الحفاوة .

ثم سار موكب المحمل والكسوة إلى المسجد الحسينى مجتازاً الشوارع المعتادة بين تحيات الجماهير المصطفة على جوانبها حتى بلغ مستقره بسلام .

وقد عطلت أمس الأعمال فى المصالح الحكومية بالقاهرة احتفالاً بهذه المناسبة السعيدة .

الأهرام فى ٢٣ ذى القعدة سنة ١٣٦٧ — ١٩٤٨/٩/٢٦

تاريخ المحمل الشريف والكسوة

واحتفال الحكومة المصرية بسفرها إلى الأراضى الحجازية المقدسة

فى كل سنة تحتفل الحكومة المصرية ، بسفر المحمل الشريف ، إلى الأراضى الحجازية المقدسة .

وفى هذه السنة احتفلت مصر فى الأسبوع الماضى (٢٢ ذو القعدة سنة ١٣٦٧ — ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٤٨) بعرض المحمل وكسوة الكعبة المشرفة ، لسفرها إلى الأراضى الحجازية المقدسة احتفالاً ابتهج له المسلمون فى مصر والبلاد الإسلامية عموماً كما مرّ ذكره .

ولهذه المناسبة نذكر شيئاً عن تاريخ المحمل والكسوة الشريفة :

للمحمل تاريخ قديم يرجع إلى أكثر من ألف سنة ، حين خرجت (شجرة الدر) وهى (أول ملكة إسلامية) تولت حكم مصر قاصدةً زيارة الكعبة المكرمة . خرجت فى هودج فوق جمل ، وقد سارت خلفها قافلة من الجمال ، تحمل الهدايا والكسوة الشريفة .

وتصنع (الكسوة) فى مصر فى إدارة خاصة يقال لها : (إدارة الكسوة الشريفة بالخرنفش) بواسطة صناع مهرة ، وقد تعلموا هذه الصناعة من الأتراك ، حين كانوا يقومون بصناعتها فى العصر التركى (وهى من الحرير الجيد ومكتوب عليها بخيوط من الذهب كثيرة)

وظلت الكسوة دون أن تغير سنوات طويلة ، منذ عهد المغفور له الخديوى (الحاج عباس حلمى الثانى) إلى أن أمر جلالة الملك (فاروق الأول) بتجديدها فى كل عام ، وصنعها من الحرير الجيد .

وهى تكلف الحكومة حوالى ١٥ ألف جنيه ، عدا الهدايا والصدقات التى تسافر معها وتبلغ قيمتها نحو ٢٥ ألف جنيه .

وقد كسا النبى الكريم (صلى الله عليه وسلم) الكعبة ، وتبعه الخلفاء ، فملوك العرب والفرس وسلاطين الأتراك (آل عثمان) .

ولما تولى المغفور له محمد على باشا الكبير مؤسس الأسرة الملكية الكريمة حكم مصر أمر بأن تقوم مصر وحدها بنفقات الكسوة .

وظلت مصر حتى الآن ، هى البلد الإسلامى الوحيد الذى يتحمل نفقاتها و إيصالها إلى الحجاز .

بناء الكعبة

قيل : إن أول من بنى الكعبة (آدم عليه السلام) بعد خروجه من الجنة .

ويقول التاريخ : إن الذى بناها (إبراهيم الخليل) وولده (إسماعيل) منذ أكثر من ٢٠٠٠ سنة ، حين هاجر مع زوجته (هاجر) إلى مكة ، واكتشفت زوجه (بئر زمزم) فأمر الله ببنائها بجانب البئر .

والكعبة بناء مكعب ، قائم وسط المسجد الحرام ، ويرتفع بابها عن الأرض بقدر مترين ، ويصعد إليه الزائر على مدرج من الخشب المغطى بالفضة . وفى الركن الجنوبى الشرقى للكعبة يقع (الحجر الأسود) وهو بيضاوى مصقول ، وعلى سطحه بقع حمراء وتعاريج صفراء ، يحيط به إطار من الفضة ، وسيأتى الكلام عليه .

غسل الكعبة

ويقوم بغسل الكعبة حارسها الشيخ (الشيبانى[١]) مرتين فى العام الواحد ، ويحضر هذه العملية ، جلالة الملك آل سعود ، ومعه أمير الحج المعين من قبل جلالة الملك من مصر .

ويجمع ماء الغسيل (وقيل إنه من ماء الورد) فى قوارير ، تهدى مع المكانس إلى الحكام .

هذا وبعد الانتهاء من غسل الكعبة ترفع الكسوة القديمة التى كانت مغطاة بها وتوضع الكسوة الجديدة التى أحضرت من مصر بواسطة عمال يحضرون معها من مصر

---

(١) الشيخ الوقور الشيبانى : هو عميد (بنى شيبة) وهو يحمل شرفاً يحسده عليه الكثيرون ويتمنون لو شاطروه إياه . وبنى شيبة هم الذين سلمهم الرسول مفتاح الكعبة قائلا «خذوها يابنى شيبة بأمانة الله خالدة تالدة ، لاينزعها منكم إلا ظالم» .

ويتهافت الحجاج على شراء قطع من الكسوة القديمة بواسطة أغاوات وخدم الحرم حتى بلغ ثمن القطعة الصغيرة جنيه سعودى ، وأكثر الحجاج اقتناء لها هم الهنود ، على سبيل البركة .

وجاء فى مجلة المصور بالعدد ١٢٥٧ الصادر فى ١١ محرم سنة ١٣٦٨ عن غسل الكعبة هذا العام (١٣٦٨) مايأتى :

« قبل أن يقف الحجاج (وقفة عرفات) ، تحتفل الحكومة السعودية كل عام بغسل الكعبة المشرفة بماء زمزم ممزوجاً بالزعفران وروح الورد .

وكان جلالة الملك عبد العزيز يقوم بغسل الكعبة بنفسه ، يعاونه فى ذلك رجال الدولة وكبار الحجاج ، فإذا ماتعذر على جلالته ـ لأسباب صحية ـ أناب عنه أحد أنجاله أو أحفاده .

وقد كان نائب جلالة الملك هذا العام سمو الأمير (عبد الله الفيصل) واشترك معه فيها أمير الحج المصرى (سعادة الأستاذ حامد جودة رئيس مجلس النواب المصرى) ، وأعضاء البعثة المصرية ، وكبار حجاج الأقطار الشقيقة ، حتى إذا ما انتهوا من الغسل والطواف ، صلىٰ الجميع ركعتين أمام مقام إبراهيم الخليل (عليه السلام) ، بعد تقبيل الحجر الأسود .

ويقبل الحجاج على اقتناء الماء المتخلف من غسل الكعبة تبركاً ، ويتزاحمون على أن ينال كل منهم ولو قطرة .

وقد بلغ من شدة لهف الحجاج هذا العام على اقتنائه ، أن بيع الكوب الواحد منه بريالين سعوديين .

بيان مناسك الحج والعمرة عند الأئمة الأربعة

عند أبى حنيفة ـ أركان العمرة : الطواف .

وأركان الحج : الوقوف بعرفة فى وقته ، وطواف الإفاضة ، وكونه أربعة أشواط

وشروطه : الإحرام بالعُمرة ، والإحرام بالحج ، والتلبية مع الإحرام ، ووقوف السعى بعد الطواف .

وواجباته : الإحرام من الميقات ، والسعى للعُمرة ، والبدء بالسعى فى الصفا ، وأداء السعى ، والطواف مع القدرة ، والبدء بالحجر الأسود فى الطواف ، وستر العورة وركعتا الطواف ، وتأخير صلاة المغرب مع العشاء ، والنفرة مع الإمام من عرفة ، والوقوف بمزدلفة ، ورمى الجمرات ، والحلق ، والتقصير ، والترتيب بين الرمى ، والذبح ، والحلق .

وسننه : السعى ، وطواف القدوم ، وعدم الفصل بين السعى والطواف ، وموالاة الأشواط فى السعى والطواف ، والمبيت بمنى أيام التشريق ، وعدم تأخير الرمى إلى الليل وتأخير طواف الإفاضة عن الرمى .

وعند مالك ـ أركان العُمرة : الإحرام ، والطواف ، والسعى .

وأركان الحج : الإحرام ، والوقوف بعرفة ليلاً ، وطواف الإفاضة ، والسعى .

وشروطه : ستر العورة فى الطواف ، والطهارة ، والبدء فى السعى من الصفا ، وكون الطواف سبعة أشواط ، والطواف وراء الحجر والشاذوران مع جعل البيت عن يساره .

وواجباته : التلبية مع الإحرام و بعد السعى ، والإحرام من الميقات ، وطواف القدوم ، والبدء بالحجر الأسود فى الطواف ، وركعتا الطواف ، ووقوع السعى بعد الطواف ، والمشى فى الطواف ، والسعى مع القدرة ، وموالاة الأشواط فيهما ، والوقوف بعرفة نهاراً ، والوقوف بمزدلفة ، والمبيت بمنًى ليالى التشريق ، ورمى الجمرات ، وعدم تأخير الرمى إلى الليل ، والحلق والتقصير ، وتأخير طواف الإفاضة عن الرمى ، ووقوع طواف الإفاضة فى أيام النحر إلى آخر شهر ذى الحجة .

وسننه : تاخير صلاة المغرب مع العشاء جمعاً بمزدلفة ، والترتيب بين الرمى والذبح ، والحلق بالحرم ، وجعله أيام النحر ، وطواف الوداع ، وعدم الفصل بين السعى والطواف .

وعند الشافعى .

أركان العُمرة : الإحرام ، والطواف ، والسعى ، والحلق ، أو التقصير ، والترتيب .

وأركان الحج : الإحرام ، والوقوف بعرفة ، والحلق ، والتقصير ، وطواف الإفاضة ، والسعى ، وترتيب المعظم .

وواجباته : الإحرام من الميقات ، والوقوف بمزدلفة ، والمبيت بمنًى ليالى التشريق ، ورمى الجمرات ، وطواف الوداع .

وشروطه : البدء بالحجر الأسود فى الطواف ، وستر العورة ، والطهارة ، وكون الطواف سبعة أشواط من وراء الحجر والشاذوران ، وجعل السعى بعد الطواف ، وبدء السعى من الصفا .

وسننه : التلبية مع الإحرام ، وطواف القدوم ، والمشى فى الطواف ، والسعى مع القدرة ، وركعتا الطواف ، وعدم الفصل بين السعى والطواف ، وموالاة الأشواط فى الطواف ، والسعى ، وتأخير صلاة المغرب مع العشاء ، والنفرة مع الإمام من عرفة ، وعدم تأخير الرمى إلى الليل ، والترتيب بين الرمى والذبح والحلق ، والحلق بالحرم وأيام النحر ، وتأخير طواف الإفاضة ، وجعل طواف الإفاضة أيام النحر .

وعند أحمد :

أركان العُمرة : الإحرام ، والطواف ، والسعى .

وأركان الحج : الإحرام ، والوقوف بعرفة ليلاً ونهاراً ، وطواف الإفاضة ، والسعى بين الصفا والمروة .

وواجباته : الإحرام من الميقات ، والوقوف بعرفة ليلاً ، والمبيت بمزدلفة ، والمبيت بمنًى ليالى أيام التشريق ، ورمى الجمرات ، وطواف الوداع ، والحلق أو التقصير .

وشروطه : البدء بالحجر الأسود فى الطواف ، وستر العورة ، والطهارة ، وكون الطواف سبعة أشواط من وراء الحجر ، والشاذروان ، والمشى فى الطواف مع القدرة ، وجعل السعى بعد الطواف ، والبدء بالسعى من الصفا .

وسننه : التلبية مع الإحرام وبعد السعى وطواف القدوم ، والسعى مع القدرة ، وركعتا الطواف ، وعدم الفصل بين السعى والطواف ، وتأخير صلاة المغرب مع العشاء ، والنفرة مع الإمام من عرفة ، وعدم تأخير الرمى ، والحلق بالحرم ويوم النحر ، وتأخير طواف الإفاضة ، وجعل طواف الإفاضة أيام النحر .

مناسك الحج

نظم الدكتور الحاج أحمد عارف الوديني مهداة إلى كتاب الدين والحج

عبدٌ يضيء فؤادَه الحرمانِ ... نال الخلودَ وفاز بالرضوانِ

ورأيتُ يُمن الروض والرضوانِ ... إني لأذكر يوم صافاني المنى

فيها بلوغ سعادةٍ وأمانِ ... فإذا حباك الله مثلي (حَجَّةً)

في صَفْوَة الأحباب والخلانِ ... ووصَلْتَ في البحر الخضم (الرابغ)[1]

بعد اغتسال صَلِّ ثم ارفع بتلبيةٍ دعاء المخلص المتفاني

وإذا (جمعت) بلغتَ خير (قِرانِ) ... أحرم (بقصد الحجّ) أو (مُتمتعاً)

أو المحيط وصيد برّ) في رُبا الوديانِ ... و (موانع الإحرام) من (لبس المخيط

إن رُمْتَ (حَجًّا صادقَ الإيمانِ) ... (لاتقترب) من (كلِّ محذوراته)

ك مُلبياً) في قوة الإذعانِ ... وإذا بدَتْ لك (مكةٌ) فارفعْ (يدا

حَجَراً) يفوق قلائد العقيانِ ... وادخل إلى (البيت) الكريم (مُقَبِّلاً

صفو النعيم وموردَ الإحسانِ ... واجعله بدءاً عن (يمينك) تَغْتنم

مع صدق قلبٍ واستلام (يماني) ... من خلف حِجر البيت طفْ مُتبتلاً

م (بركعتين) لباريء الأكوانِ ... واجعل (طوافك سبعةً) ثم الختا

للخلق ظلُّ سعادةٍ وأمان ... (بمقام إبراهيمَ) صَلِّ فإنه

فيه يطبُ الوِرْدُ للظمآنِ ... واشرب رحيقاً صافياً من (زمزم)

وانهض لسعيك للصفا والمرْوَةِ الغرّاء سبعاً في أجلّ مكانِ

وارجُ الهدى مِن منعمٍ منّانِ ... وانشط (بهَرْوَلَةٍ لدى ميليهما)

مُتَحَلِّلاً فَضْلاً من الرحمنِ ... و (الحلقُ) إن تكُ (بالحمَى متمتعاً)

والسعدُ (للعُمَّارِ) خير ضمانِ ... والآن تمتْ (عُمْرَةٌ) فاسْعَدْ بها

كسبيل (طه المصطفى العدْنانِ) ... في (يوم ترويةٍ) تَسيرُ إلى (مِنًى)

---

(١) الميقات لكل حاج يمر بها من مصر أو الأقطار العربية .

مِن بعد (إحرام بحَجٍّ شاملٍ) وتفرُّغٍ للواحــد الدَّيان
فى (يومه الثانى) إلى (عرَفَاتَ) مِنْ حين (الظهيرةِ) سِرْ مَعَ الأظعانِ
(واجمع) بتقديم (صلاة الظهرْ ثمــم العصر) وَارْجُ مواهب المنانِ
ثم (الوقوف مُلَبِّيًا وَمُسَبِّحًا) فى السرِّ متَّصِلا وفى الإعلانِ
بعد (الغروب) تفيض من (عرفاتٍ) صوب المشعر المذكور فى الفرقانِ
واجمع هنالك (مَغْربًا) ثم (العشا ءَ لجمع تأخيرٍ) بغــير توانِ
واجمع (حصى الجمرات مِن حصبائها) فهىَ المعتاد لذلك الميــدانِ
عند (الصباح إلى منًى للحلق ، ثمــم الذبح ثم الرَّجم للشيطانِ)
واذكر (بيوم النَّحْرِ رمياً واحداً) سَتُقيم فيـــه شعائر الإيمان
بالحلق حلَّ لك المباح سوى النسا ءِ وفزْتَ بالإسـعادِ والغفرانِ
وتعودُ يومَ النحر بعد الرَّمى نحـ و (البيت) بينَ بشائرٍ وتهانى
هذا (طواف إفاضةٍ) فاسْعَدْ به فهو (الطواف المحض فى الأركان)
قبل الغروب إلى منًى عُدْ مُسرعاً من كعبة البيت الرفيع الشَّان
(فارْمِ الثلاثة فى الزوال بيومى التـ تشريق) ولْيَسْعَدْ بك (اليومان)
وإذا أردت تمامهن لرابع فأقِمْ) وأتمم حكمة القرآن
و (الحجُّ) تمَّ (سوى طوافك للودا ع) ولا وداع لـكعبة الرحمنِ
فإذا بلغتَ مُصَلَّى نور المصطفى شاهدتَ مجـداً دونه القمرانِ
وصلِّ به نفلاً تحيــةَ مسجد ثم ائت قبرَ المصطفى العدنانِ
فقل السلام عليكَ ياخير الورى يا صفوة الخلان فى الأكوانِ
والآل والأصحاب ماهبَّ الصبا وسَرَى نشيد الطير فى الأغصانِ
مَنْ فاز بالإشراق مِن أنواره نال الخلــودَ وفاز بالرضوانِ

كيفية أداء فريضة الحج

١ — تقديم الطلب للحصول على جواز السفر (الباسبور)

إذا عزمت أيها المسلم العاقل ، الرشيد البالغ ، على السفر إلى الأقطار الحجازية ، لأداء

فريضة الحج المطالب بها شرعاً مرةً واحدةً فى العمر، إجابةً لنداء ربك ، وكنت مستطيعاً للسفر أى عندك الزاد والراحلة ، فعليك باتباع التعليمات الآتية :

أولاً — جهز أمتعتك وملابسك الواجب على كل مسافر أخذها معه ، وهى المدونة فى الإرشادات العامة للحجاج الآتية بعد .

ثانياً — قدم الطلب اللازم على ورقة تمغة إلى مأمور المركز أو مأمور القسم الذى تقطنه فى دائرة اختصاصه مبيناً الدرجة التى ترغب أن تسافر بها (بالباخرة أو بالطائرة) ، وارفق صورتك الفتوغرافية مقاس (٤ × ٣) . وأن تذكر فى طلبك أسماء الذين ستصحبهم معك فى السفر إلى الحجاز إن كانت أعمارهم دون السادسة . أما إذا كانت تزيد عليها فيجب أن تحرر خطاباً خاصًّا ليخرج لهم جوازات سفر خاصة إذ يعاملون معاملة البالغين .

ثالثاً — توجه بعد ذلك إلى مكتب الصحة التابع للمركز أو القسم الذى أنت فيه لأخذ الحقن اللازمة والتطعيم قبل السفر حسب الأصول الصحية المتبعة .

رابعاً — تستطيع بعد ذلك أن تسأل من المركز أو القسم الذى حرر لمأموره الطلب عن نتيجة طلبك حتى يمكنك أن تدفع المبلغ الذى تقرر عليك لهذا السفر حتى تتسلم جواز السفر فى الدرجة التى طلبتها .

خامساً — كن على استعداد للرحيل عند إخبارك من قبل المركز أو القسم فى الميعاد الذى يعينونه لك .

إرشادات عامة للحجاج

أهم ما يأخذه معه الحاج من الملبوسات واللوازم :

١ — شنطة جلد كبيرة اوخرج سفر يضع لوازمه فيه .

٢ — شمسية من قماش أبيض ثقيل لاتقاء حرارة الشمس .

٣ — كمر جلد ذو جيوب لحفظ النقود والمفاتيح أو محفظة جلد متينة لحفظ الأوراق المالية .

٤ — بشكيرين للإحرام ، كإزار ورداء .

٥ — جلبابان أو (بيجامتان) صيفيتان أو مثلهما شتويتان .

٦ — ملابس داخلية للتغيير فانيلتان أو ثلاثة ولباسان أو ثلاثة .

٧ — فوطة وجه وصابونة و إبريق زنك ، وفرشة للأسنان أو مسواك .

٨ — نظارة باغة تحمى العينين من أشعة الشمس والغبار .

٩ — روائح عطرية تستعمل فى غير أوقات الإحرام .

١٠ — إسعافات ضرورية كملينات ومسكنات .

١١ — بطارية كهربائية صغيرة خاصة باليد .

١٢ — فرش النوم يكون من سجادة و بطانية ووسادة على حسب القدرة .

١٣ — أما ملابس السيدات للإحرام فهى كالعادة .

١٤ — نموسية خفيفة لاتقاء الباعوض والناموس خصوصاً فى مكة .

١٥ — زمزمية لحمل الماء الصافى للشرب ونعلان للبسهما بين الصفا والمروة .

ملاحظات واجب اتباعها

١ — لاتكثر من حمل الأمتعة التى تتوهم أنها تلزمك فى بيتك ، بل كن خفيفاً فى سفرك ، واقتصر على أهم ما يأخذه الحاج معه من الملبوسات واللوازم المعروفة فى كتاب (الدين والحج) وهى المذكورة سابقاً .

٢ — البدلة (الحلة) لست فى حاجة إليها عند ركوبك الباخرة فى السويس حتى تعود إليها إلا إن كنت تحضر الحفلات الرسمية فى مكة .

٣ — الطربوش لايستطيع الاحتفاظ به مدة الحج الا فى علبة خاصة .

٤ — لاتكلف نفسك حمل الفواكه ، فستجد ماتشتهيه هناك من برتقال وتفاح ورمان و بطيخ و بلح من أجود الأصناف .

٥ — لاحاجة لأخذ الخبز الكثير معك فستجد هناك العيش (الفينو) والكعك والخبز البلدى بأثمان زهيدة .

٦ — لاحاجة لأخذ علبة السجاير ىهى فى الحجاز أرخص من مصر بكثير مع اختلاف أنواعها

٧ — لاتكثر من حمل الأدوية إلا مالزم فإنك ستجد فى كل مكان الأطباء والصيادلة فى مكة والمدينة .

٢ — الخروج من المنزل للسفر بقطار السكة الحديد

قبل الخروج من المنزل صَلِّ ركعتين ، واقرأ فى الأولى (سورة الفاتحة) و(سورة الكافرون) وفى الثانية سورة (الفاتحة وسورة الإخلاص: قلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) .

فإذا فرغت من صلاتك ارفع يديك متضرعاً لله وقل الدعاء الآتى :

« اللَّهم أنت الصاحب فى السفر ، والخليفة فى الأهـل والمـال والأصحاب ، احفظنا وإياهم من كل آفة وعاهة ، وهم وغم وكرب . اللَّهم إنا نسألك فى مسيرنا هذا البرّ والتقوىٰ ، ومن العمل ماترضىٰ . اللَّهم إنا نسألك أن تطوى لنا الأرض ، وتهوّن علينا السفر ، وأن ترزقنا السلامة فى سفرنا هذا سلامة البـدن والدين والمـال ، وتبلغنا حج بيتك المعمور ، وزيارة قبر نبيك محمد صلى الله عليه وسلم .

ولا حول ولا قوّة إلا بالله العـلى العظيم ، توكلت على الله ، اللَّهم وفقنى لمـا تحب وترضى ، واحفظنى من الشيطان الرجيم » .

ثم ودع أهلك وإخوانك واستحلهم ، واطلب دعاءهم ، وقل لكل واحد منهم . فى حالة توديعك لهم : أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك ، وتخرج من بيتك خروج الخارج من الدنيا .

واجعل خروجك من المنزل فى يوم الخميس أو الاثنين فى أول النهار ، وصَلِّ على النبى المختار .

ثم توجه إلى محطة (كوبرى الليمون) مبكراً لركوب القطار المخصص للحجاج فى الدرجة التى طلبتها ، بهدوء وسكون ، وبدون تزاحم حتى تقعد فى مقعدك وبجوارك أمتعتك ، وسافر على بركة الله إلى مدينة السويس .

والتمس فى سفرك رفيقاً صالحاً ، محباً للخير ، معيناً عليه ، إن نسيت ذكّرك وأعانك ، وإن عجزت قواك وشجعك ، وإن ضاق صدرك من شىء صبرك .

« ... وَلاَ تُسَافِرُ الْمَرْأَةُ يَوْمَيْنِ إلاَّ وَمَعَهَا زَوْجُهَا أوْ ذُومَحْرَمٍ » (رواه البخارى)

٣ — السفر إلى (مدينة السويس)

السويس هى ميناء على البحر الأحمر ، يبحر منها الحجاج المصريون القاصدون أداء فريضة الحج ، ويوجد بها فنادق ومساكن للأجرة مدة الإقامة بها ولو يوما واحداً ، فيلزم المسافر إذا وصل إليها أن يسترشد الناس عن التأشير على جواز السفر ، وماذا يجب اتخاذه من الإجراءات قبل ركوب البحر من السويس ؟.

وهناك يمكنه أن يشترى منها مايلزمه من مأكل وخلافه ، ثم يودع أهله وأصحابه الذين رافقوه فى السفر من مصر إلى السويس قبل ركوب الباخرة بين تهليل المسافرين ، وسرور المودعين .

وعندها أيضاً ترسو البواخر العائدة من الحج بسلامة الله .

٤ — السفر من السويس إلى جدة بالباخرة

يجب عليك أن تصعد إلى الباخرة فى هدوء وسكون دون أن تزاحم أو تضايق أحداً ، كما يجب أن ترتب أمتعتك ، وتجلس فى الدرجة التى عزمت أن تسافر عليها ، والتى يدلك عليها الموظف القائم بذلك فى الباخرة .

ولتكن على ظهر الباخرة لطيف الحديث والمعاشرة ، وحسن المعاملة ، متجاوزاً عن الهفوات والزلات ، التى قد تصدر من بعضهم عفواً ، حلماً ، ولتكثر من التهليل والتكبير والاستغفار .

ويوجد بالباخرة (كانتين) مطعم منظم به جميع مايحتاجه المسافر من مأكل ومشرب ويوجد به أيضاً روائح عطرية ، وبشاكير الإحرام .

وبالباخرة حمامات ومقهى لما يطلب منها من شاى وقهوة وخلافه .

صلاة المسافر للحج

سفر الحج سفر مستوف شروط القصر ، فاقصر الصلاة الرباعية ، صل كل من الظهر والعصر والعشاء ركعتين فقط ؛ أما الصبح والمغرب فلا قصر فيهما .

فاقصر مادمت مسافراً حتى تدخل مكة ، فأتم صـلاتها فيها إن نويت الإقامة بها أربعة أيام تامة .

ثم اقصر فى عرفات ومنًى وفى مكة فى رجوعك إليها لأنك لاتدرى متى تغادرها ؟.

واستمر قاصرًا حتى فى المدينة إلا إذا نويت الإقامة فيها أربعة أيام أيضاً .

واقصر فى جُدة وفى الطور حتى تعود إلى بلدك .

جمع الصلاة

لاتجمع وأنت مسافر بين صـلاتى الظهر والعصر ، ولا بين المغرب والعشاء لا تقديماً ولا تأخيرًا إلا إذا كنت (بعرفة) فاجمع العصر مع الظهر تقديماً ، أو كنت (بالمزدلفة) فاجمع المغرب مع العشاء تأخيرًا .

صلاة الجمعة

أجمعت الأمة على أن المسافر لاتجب عليه الجمعة إلا إذا نوى الإقامة أربعة أيام تامة ، وأنها لاتصح إلا فى دار الإقامة .

وعلى ذلك فلا تصح الجمعة فى الباخرة ولا فى عرفات ، لأنهما ليستا بدار إقامة ، أما لو صلاها فى دار إقامة كجدة ومكة ومنًى والمدينة ، فإنها تصح ولو أنها غير واجبة عليه كما سبق.

٥ — تيسير السفر بالطائرات

تسهيـلاً للسفر، واقتصاداً فى الوقت ، قد تم الاتفاق بين (شركة سعيدة للطيران) وشركة مصر للملاحة البحرية ، وإدارة الحج على تيسير الخطوط الجوية لشركة سعيدة بين القاهرة ، وجدة ، والطور .

فعلى من يرغب السفر للحج بالطائرة أن يتقدم لحجز محله على الطائرات عن طريق إحدى الجهات الآتية :

(١) شركة سعيدة ٢٧ شارع الملكة فريدة .

(٢) شركة مصر للملاحة البحرية رقم ٢ شارع البورصة القديمة بالإسكندرية .

(٣) إدارة الحج بوزارة الداخلية .

٦ — الإحرام من الميقات (رابغ)

إذا مادنت الباخرة من ثغر (رابغ) عندها تنبه الباخره بصفارة للإحرام .

فأحرم بالحج أو بالعُمرة إذا كنت قاصدا دخول مكة أولا للحج أو العُمرة ، أما إذا كنت قاصدا زيارة المصطفى صلى الله عليه وسلم قبل أن تحج فأخر إحرامك بالحج أو العمرة حتى تنتهى من الزيارة . والأفضل تأخير الزيارة لأن الحج فرض، والزيارة نفل]

فإذا انتهيت منها وخرجت من المدينة قاصداً مكة فأحرم من ميقات أهل المدينة ، وهو (ذو الحليفة) وقبل أن تحرم تزيل الشعر المطلوب إزالته شرعًا كشعر الإبط والعانة وتقلّم أظافرك وتقص شاربك ، ثم تغتسل غسلاً كغسل الجنابة بنية غسل الإحرام - ويؤمر بهذا الغسل كل من أراد الإحرام حتى الحائض والنفساء .

كيفية الإحرام

و بعد الغسل تلبس إزارًا فى وسطك ، ورداء على كتفيك وظهرك ، كما تفعل عند دخول الحمام ، ونعلين مخصوصتين للحجاج ، واجعل رأسك مكشوفاً - والمرأة تكشف عن وجهها ، ولا تلبس قفازين فى يديها ولا أحدهما فى إحدى اليدين ؛ وتلبس فى باقى بدنها ماشاءت .

و بعد الغسل واللبس على ما ذكر للرجل والمرأة تصلى ركعتين سنة الإحرام فى غير وقت الكراهة - أى فى طلوع الشمس وغروبها .

ثم تحرم قائلاً : نَوَيْتُ الْحَجَّ وَأَحْرَمْتُ بِهِ لِلّٰهِ تَعَالَى ؛ أَوْ نَوَيْتُ الْعُمْرَةَ وَأَحْرَمْتُ بِهَا لِلّٰهِ تَعَالَى ؛ أَوْ نَوَيْتُ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ وَأَحْرَمْتُ بِهِمَا لِلّٰهِ تَعَالَى .

ومتى أحرمت بأى كيفية من الكيفيات الثلاث تقل عقب ذلك : « لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك» .

أوجه الحج

وهذه الكيفيات الثلاث هى: الإفراد ، والتمتع، والقِران، وهى معروفة. أما الإفراد فهو الإحرام بالحج وحده ؛ وأما التمتع فهو الإحرام بالعُمرة أوّلاً . وبعد الفراغ منها فى أشهر الحج (وهى شوال وذو القعدة وعشر ذى الحجة) تحرم بالحج .

وأما القِران فهو الإحرام بالحج والعُمرة معًا ، وعلى القارن والمتمتع هدْىٌ أقله شاة من الغنم تجزئ فى الأضحية (فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ) .

وأما المفرِد فلا يلزمه هدى ، وإن تطوع به فخير . واتفق الأئمة على أنه يصح الحج بكل وجه من الأوجه الثلاثة المذكورة . واختلفوا فى الأفضل منها ، فاختار الشافعى ومالك الإفراد ، واختار أحمد التمتع ، واختار أبو حنيفة القران . ومتى صرت محرمًا فعليك أن تجتنب النساء والطِّيب ولبس المخيط من الثياب ، (والمخيط كالقميص المنسوج على قدر البدن أو بعضه) ، وتقليم الأظافر ، وإزالة الشعر ، والتعرض للصيد البرى كالحمام واليمام والظباء . وعليك بترك الرفث (وهو الفحش فى القول) ، وترك الفسوق ، وهو الخروج عن حدود الله تعالى . وترك الجدال والخصام مع الرفقة والأمراء وغيرهم . قال الله تعالى : (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ) .

ويستحب لك تجديد التلبية من وقت لآخر ، وتكرارها عند ملاقاة الرفاق ، وخلف الصلوات ، وعند تغير الأحوال كصعود وهبوط مع التوسط فى تكرارها ورفع الصوت بها ولا تزال تلبّى عند مالك حتى تدخل الحرم إن كنت محرمًا بالعُمرة ، أما إذا كنت محرمًا بالحج، أو بالحج والعمرة معاً؛ فتستمر فى التلبية إلى أن تشرع فى طواف القدوم . فإذا طفت للقدوم وسعيت بعده فارجع إلى التلبية حتى تصل إلى (عرفة) بعد زوال اليوم التاسع من ذى الحجة فتقطعها حينئذ ولا تعود إليها . وعند الشافعى وأبى حنيفة التلبية من شعائر الإحرام فيأتى بها المحرم من وقت لآخر إلا فى حالة الطواف والسعى فيتركها اكتفاء بالذكر الوارد فيهما . ويقطعها من ابتداء الشروع فى رمى جمرة العقبة يوم النحر ، وعند أحمد لا بأس بالإتيان بها سرًّا فى الطواف .

التلبية ومعناها

التلبية : هى إجابة دعوة الله تعالى إلى خلقه حين دعاهم إلى حج بيته على لسان خليله إبراهيم صلى الله عليه وسلم حيث قال : (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) .

فعلى كل حاج عند قيامه من جُدة قاصداً مكة المكرمة أن يلبى وهو راكب فى سيارته أو دابته قائلاً : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، لاَ شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ . والملبى : هو المستسلم المنقاد لغيره .

ومعنى لبيك اللّهم لبيك : إنّا مجيبوك يا مولانا لدعوتك ، مستسلمون لحكمتك ، مطيعون أمرك مرةً بعد أخرى ، لا نزال على ذلك معترفين لك بالملك دون سواك .

والتلبية هى شعار الحاج ، وأفضل الحجّ (العجُّ والثجُّ) فالعجُّ : هو رفع الصوت بالتلبية ، والثجُّ : هو إراقة دماء الهدى لفقراء الحرم ؛ ولهذا يفضل رفع الصوت بها للرجل بحيث لا يجهد نفسه ، والسيدة ترفع صوتها بحيث تسمع جارتها الملازمة لها أو القريبة منها .

الأحوال التى تستحب فيها التلبية

تستحب التلبية عند اختلاف الأحوال كهبوب الرياح فجأة ، وعند هياج البحار بتلاطم أمواجها ، مثل ما لو صعدت أكمةً أو جبلا أو هبطت واديًا أو سمعت ملبيًا ، أو أقبل الليل والنهار.

وتستحب أيضًا عند ملاقاة الرفاق ، وعند استيقاظك من النوم . وتستحب عند الركوب والنزول ، كما تستحب عند سماعك مجادلة بين اثنين أو أكثر لفضها فى الحال كى لا تلام فتقلل من ثواب الحج .

وعلى كل حال ينبغى أن تكثر منها بالقدر المستطاع مع تدبر معناها ومغزاها

وقد روى : « أَنَّ مَنْ لَبَّى حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ فَقَدْ أَمْسَى مَغْفُورًا لَهُ » وادع الله عقب التلبية ، وصلّ على النبى صلى الله عليه وسلم ، واسأله رضوانه والجنة ، والنجاة من النار .

هذا مع ملاحظة الاستمرار فى التلبية إلى أن تدخل المسجد الحرام أو تبدأ بالطواف إن كان إحرامك بالعُمرة .

وأما إذا كنت محرمًا بالحج ، أو بالعُمرة والحج : أى قارنًا فلا تقطعها إلا عند رميك جمرة العقبة . (عن كتاب الدين والحج)

٧ — الوصول إلى جُدة

فإذا وصلت الباخرة ثغر (جُدة) نزل فيها قاصد الحج ، ومكث يومين أو ثلاثًا يجهز فيها مئونة سفره إلى مكة ، ومن (جُدة) يجد قاصد الحج كثيراً من المرشدين يقال لهم : (المطوفون) ، ولكل مطوف حجاج مخصوصون على حسب تغاير البلاد ، وهو الذى يتولى أمر حاجياتهم ، وأداء جميع مايلزمهم نظير أجر معلوم .

وتقع جُدة على ساحل البحر الأحمر . وأهمّ شوارعها الشارع (الفيصلى) الذى يشق البلدة من الميناء إلى داخلها ، وبها مساجد كبيرة غاية فى النظافة ، وكان يحيط بها سور خماسى الشكل يقدر محيطه بثلاثة آلاف متر تقريبًا .

بيان المسافات بالحجاز

١ — بين جدة ومكة ٧٥ كيلو مترًا تجتازها السيارات فى مدة ساعتين ؛ والدواب مثل الخيل والحمير فى ليلة واحدة ، والجمال فى مرحلتين .

٢ — بين جُدة والمدينة المنورة تبلغ المسافة ٤٥٠ كيلو متراً وتجتازها السيارات فى مدة عشر ساعات ، والجمال فى عشرة أيام .

٣ — بين المدينة المنورة وينبع تبلغ المسافة ٢٥٠ كيلو مترًا تجتازها السيارات فى مدة بين ٥ و ٦ ساعات ، والجمال فى ثلاثة أيام.

٤ — بين مكة وعرفات تبلغ المسافة ٢٢ كيلو مترًا تجتازها السيارات فى ٤٥ دقيقة ، والجمال فى ٦ ساعات .

وفى الطريق العام أقيمت مقاهى عديدة ، ومظلات صحية تيسرت فيها جميع وسائل المعالجة والماء العذب .

أما المسافة فى البحر الأحمر بين السويس وجُدة فتبلغ ٦٤٦ ميلاً .

٨ — السفر من جدة إلى مكة (أم القرى)

فإذا عزم السفر من جُدة استأجر دابة أو سيارة ، وسار بها على بركة الله قاصداً مكة فيقطع نحو ٨ كيلو مترات ، ويمر ببحرة[1] وجبل الشميس ، والمقتلة ، وقهوة البستان ، وغيرها من القرى الصغيرة ؛ فإذا بدت له مبانى مكة ، هلَّل بالتكبير والتلبية ، وحمد الله على سلامة الوصول ، وقال : اللَّهُمَّ اجعَلْ لِي بِها قَرَاراً ، وارزُقنِي فِيها رزقاً حَلالاً .

الوصول إلى مكة المكرمة

فإذا وصل إلى مكة دخلها من (باب جرول) قائلاً :

اللَّهُمَّ إِنى جِئْتكَ مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ ، بِذُنُوبٍ كَثِيرَةٍ ، وَأَعْمَالٍ سَيِّئَةٍ ، أَسْأَلُكَ مَسَائِلَ الْمُضْطَرِّينَ إِلَيْكَ ، الْمُشْفِقِينَ مِنْ عَذَابِكَ ، أَنْ تَسْتَقْبِلَنِي بِمَحْضِ عَفْوِكَ وَكَرَمِكَ وَأَنْ تُحَرِّمَ جَسَدِى عَلَى النَّارِ ، بِجَاهِ النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ ، وَأَنْ تُدْخِلَنِي فى فَسِيحِ جَنَّتِكَ جَنَّةِ النَّعِيمِ .

الدخول فى الحرم المكى (الكعبة الشريفة)

ثم يدخل الحرم الشريف من (باب السلام) قائلاً :

اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ ، وَمِنْكَ السَّلَامُ ، فَحَيِّنَا رَبَّنَا بِالسَّلَامِ ، وَأَدْخِلْنَا دَارَ السَّلَامِ ، بِفَضْلِكَ يَاذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ . اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ وَمَغْفِرَتِكَ ، وَأَدْخِلْنِي فِيهَا ، بِسْمِ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلهِ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ .

---

(١) بحرة : بلدة صغيرة ، موقعها فى منتصف الطريق بين جدة ومكة المكرمة ، وبها مسجد يسمى (مسجد بحرة) صلى فيه سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم . وبها يمكن الحاج أن يستريح ، ويقضى فيها جميع مطالبه . وبها مقاهى نظيفة ومظلات للاستراحة ونقطة بوليس . ومستشفى ومكتب تليفون .

وبعد بحرة توجد نزلة أخرى تسمى (حدة) ولكنها أقل استعدادا من بحرة وإن كانت أجود منها هواء .

ثم يسير نحو البيت الحرام من جهة الشرق ، وهو يقول :

اللَّهُمَّ إِنَّ هٰذَا الْحَرَمَ حَرَمُكَ ، وَهٰذَا الأَمْنَ أَمْنُكَ ، اللَّهُمَّ حَرِّمْ جَسَدِي عَلَى النَّارِ . فإذا نظر إلى الكعبة قال :

بِسْمِ اللهِ اللهُ أَكْبَرُ (ثلاثاً) لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . أَعُوذُ بِرَبِّ الْبَيْتِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَضِيقِ الصَّدْرِ ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

اللَّهُمَّ زِدْ بَيْتَكَ هٰذَا تَشْرِيفاً وَتَكْرِيماً وَتَعْظِيماً ، وَمَهَابَةً وَرِفْعَةً وَبِرًّا ، وَزِدْ يَارَبِّ مَنْ شَرَّفَهُ وَكَرَّمَهُ وَعَظَّمَهُ مِمَّنْ حَجَّهُ وَاعْتَمَرَهُ ؛ تَشْرِيفاً وتَكْرِيماً وتَعْظِيماً ، ومَهَابَةً ورِفْعَةً وبِرًّا .

ثم يدخل الكعبة من (باب بنى شيبة) للطواف قائلاً :

(وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ، وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيرًا . وقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ، ونُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَاهُوَ شِفَاءٌ ورَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ، ولاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارا) .

(سورة الإسراء)

الطواف حول الكعبة

ثم يطوف حول الكعبة سبع مرات ، مبتدئاً بالحجر الأسود ـ وسيأتى الكلام عليه ـ جاعلاً البيت على يساره قائلاً :

اللَّهُمَّ إِنِّى نَوَيْتُ طَوَافَ بَيْتِكَ الْمُعَظَّمِ سبعةَ أشواطٍ فيسِّرْها لِي وتقبَّلها منِّى ، وكلما مرّ بالحجَر الأسود استلمه ، أو أشار إليه بيمينه قائلاً :

بِاسْمِ اللهِ . اللهُ أَكْبَرُ ، وَلِلهِ الْحَمْدُ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبِي وطَهِّرْ قَلْبِي واشْرَحْ صَدْرِي

ثم يصلى ركعتين خلف مقام (سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام) ، ويسأل الله الرضى والمغفرة ، ثم يذهب إلى (بئر زمزم) فيشرب منها .

كيفية الطواف

الطواف هو أن تدور حول الكعبة سبع مرات (أشواط) بنية الطواف مبتدئاً فى كل شوط من الحجَر الأسود ، محاذياً له بجميع بدنك ، ومنتهياً إليه ، جاعلاً الكعبة عن يسارك ، خارجاً بجميع بدنك عن (حجر إسماعيل عليه السلام) ، وعن الشاذروان (وهو بناء مستقيم قدر ثلثى ذراع خارج عن عرض جدار الكعبة) موالياً بين الأشواط السبعة ، متطهراً من الحدث الأصغر والأكبر ، طاهراً من جميع النجاسات فى ثوبك وبدنك ، مستور العورة ، ماشيًا إلا لعذر . ويكون طوافك داخل المسجد مسرعاً فى الأشواط الثلاثة الأولى فوق المشى المعتاد ودون الجرى . ولا تضع يدك على الأخرى فى الطواف .

وزاد غير مالك أن تكون الخطى متقاربة . وزاد بعض الشافعية والحنفية هزّ الكتفين أيضًا ، ويكون الإسراع للرجل فقط : أى أنه خاص بالذكور دون الإناث فى غير طواف التطوع ، وهذا الإسراع إنما يطلب فى طواف يعقبه سعى بين الصفا والمروة عند الشافعية والحنفية . وعند المالكية والحنابلة يطلب فى طواف القدوم والعُمرة ، وفى طواف الإفاضة لمن لم يطف طواف القدوم لعذر أو نسيان بل لو تركه عمداً عند الحنابلة .

ويطلب من الرجل حال الطواف أن يجعل وسط ردائه تحت إبطه الأيمن ، ويلقى الطرفين على الكتف الأيسر ، وهذا مطلوب فى كل طواف يعقبه سعى عند الشافعية والحنفية ، وعند الحنابلة هو كالإسراع السابق عندهم ، وغير مطلوب عند مالك . وتدعو فى طوافك بما تشاء ، أو بالدعاء الآتى صحبة المطوفين .

أدعية الطواف (أو أذكار الطواف)

اللَّهُمَّ إِنى أُرِيدُ طَوَافَ بَيْتِكَ الحَرَامِ فيسِّرْهُ لِى وَتَقَبَّلْهُ مِنِّى ،طواف الحج أو العُمرة أو الوَداع سبعة أشواط . ثم يقبّل الحجر الأسود ، ويرفع يديه ويقول : بِسْمِ اللهِ ، اللهُ أَكْبَرُ ، وَلِلهِ الحَمدُ .

دعاء الشوط الأول

سُبحانَ الله ، وَالحَمدُ لله ، ولاَ إلهَ إلاَّ الله ، اللهُ أكبَر ولاَ حولَ ولاَ قوَّةَ إلاَّ بالله العليِّ العظيم ، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

اللَّهُمَّ إيمَانًا بكَ ، وَتَصْديقًا بِكتَابِكَ ، وَوَفاءً بِعَهْدِكَ ، وَاتِّبَاعًا لِسُنَّةِ نَبيِّكَ وحَبِيبِك محمد صلى الله عليه وسلم . اللَّهُمَّ إنى أسألُكَ العَفوَ والعافِيَةَ والمُعافَاةَ الدَّائمة فى الدِّينِ والدُّنيَا والآخِرَةِ ، والفَوْزَ بِالجَنَّةِ والنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ .

ويقول بين الركنين فى كل شوط : (رَبَّنَا آتِنَا فى الدُّنيَا حَسَنَةً وفى الآخِرَةِ حسَنةً وَقِنَا عَذَاب النَّار) وأَدْخِلنَا الجَنَّةَ مَعَ الأبْرَارِ يَاعَزِيزُ يَاغفَّارُ يَاربَّ العَالَمِين .

دعاء الشوط الثانى

اللَّهم إن البيْتَ بيتُك ، والحرمَ حرمُك ، والأمنَ أمنُك ، والعبدَ عبدُك وأنا عبدُك وابنُ عبدِكَ ، وهذا مَقامُ العائذ بِكَ منَ النار ، فحرِّم لحومَنا و بشرتَنا على النار .

اللَّهمَّ حبِّب إلينا الإيمانَ ، وزيِّنه فى قلوبنا ، وكرِّه إلينا الكُفرَ والفُسُوقَ والعِصيانَ واجْعلْنا منَ الراشدين .

اللَّهمَّ قِنِى عذابَك يومَ تَبعثُ عبادَك ، اللَّهم ارْزُقْنى الجنةَ بغيرِ حساب .

دعاء الشوط الثالث

اللَّهمَّ إنى أعوذُ بِك من الشَّكِّ والشِّركِ والشقاق والنِّفاق ، وسوء الأخلاق ، وسوء المنظرَ ، والمُنقلَب فى المالِ والأهلِ والولدِ ، اللَّهمَّ إنى أسألُك رِضاكَ والجنةَ ، وأعوذُ بكَ مِنْ سَخطِك والنارِ . اللَّهم إنى أعوذُ بِك من فِتنةِ القبرِ ، وأعوذُ بكَ من فتنةِ المحيا ، والمماتِ .

دعاء الشوط الرابع

اللهمَّ اجعله حجًّا مبروراً ، وسعيًا مشكوراً ، وذنبًا مغفوراً ، وعملاً صالحًا مقبولا ، وتجارةً لن تبور ، يا عالمَ ما فى الصدورِ ، أخرجنى يا ألله من الظُّلماتِ إلى النورِ .

اللهم إنى أسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والسلامة من كل إثم ، والغنيمة من كل بِرٍّ والفوز بالجنة والنجاة من النار . ربِّ قنعنى بما رزقتنى ، وبارك لى فيما أعطيتنى ، واخلف علىَّ كل غائبة لى منك بخير .

دعاء الشوط الخامس

اللهم أظلنى تحت ظل عرشك يوم لاظل إلا ظلك ، ولا باقى إلا وجهك ، وأسقنى من حوض نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم شربةً هنيئةً مريئةً لانظمأ بعدها أبدًا .

اللهم إنى أسألك من خير ما سألك منه نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وأعوذ بك من شر ما استعاذك منه نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . اللهم إنى أسألك الجنة ونعيمها ، وما يقربنى إليها من قول أو فعل أو عمل ، وأعوذ بك من النار وما يقربنى إليها من قول أو فعل أو عمل .

دعاء الشوط السادس

اللهم إن لك علىَّ حقوقًا كثيرةً فيما بينى وبينك ، وحقوقًا كثيرةً فيما بينى و بين خلقك . اللهم ما كان لك منها فاغفره لى ، وما كان لخلقك فتحمله عنى ، وأغننى بحلالك عن حرامك ، و بطاعتك عن معصيتك ، و بفضلك عمن سواك ، ياواسع المغفرة .

اللهم إن بيتك عظيم ، ووجهك كريم ، وأنت يا الله حليم كريم عظيم تحب العفو فاعف عنى .

دعاء الشوط السابع

اللّهم إنى أسألك إيمانًا كاملاً ، ويقينًا صادقًا ، ورزقًا واسعاً ، وقلباً خاشعًا ، ولسانًا ذا كرًا ، وحلالاً طيباً ، وتوبةً نصوحاً ، وتوبةً قبل الموت ، وراحةً عند الموت ، ومغفرةً ورحمةً بعد الموت ، والعفو عند الحساب ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار برحمتك ياعزيز ياغفار ، رب زدنى علماً وألحقنى بالصالحين .

و بعد طواف الشوط السابع يقف الحاج بالملتزم و يدعو بالدعاء الآتى :

دعاء الملتزم

اللهُمَّ يارَبَّ البيت العتيق ، أعتق رِقابَنا ورقابَ آبائنا وأُمَّهاتِنا وأخواتِنا وأولادِنا من النار ياذا الُجود والكرمِ ، والفضلِ والمنِّ ، والعَطاءِ والإحسانِ . اللَّهمَّ أحسِن عاقبتنا فى فى الأمورِ كلِّها ؛ وأجِرْنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة . اللَّهمَّ إنى عبدك وابن عبدكَ واقفٌ تحت بابك، مُلتزم بأعتابك ، متذلل بين يديك ، أرجو رحمَتك وأخشىٰ عذابك ، ياقديمَ الإحسانِ. اللَّهم إنى أسألُك أن ترفع ذكرى ، وتضع وزرى، وتصلح أمرى ، وتطهر قلبى ، وتنوِّرَ لِى فى قبرى ، وتغفِر لى ذنبى ، وأسألك الدرجات العُلىٰ من الجنة آمين .

دعاء مقام إبراهيم عليه السلام

بعد الفراغ من دعاء الملتزم ؛ ينصرف الحاج إلى مقام إبراهيم عليه السلام ، ويدعو بالدعاء الآتى :

اللَّهم إنك تعلم سرِّى وعلانِيَتى ، فاقبل معذرتى ، وتعلَم حاجتى فأعطنى سؤلى ، وتعلم مافى نفسى فاغفر لى ذنوبى .

اللَّهمَّ إنى أسألك إيمانًا يباشر قلبى ، ويقيناً صادقاً حتى أعلم أنه لايصيبنى إلاَّ ما كتبت لى ، رضًا منك بما قسمت لى ، أنت وَلِيِّى فى الدنيا والآخرة ؛ توفنِى مُسلما ، وألحقنى بالصالحين .

اللّهم لاتدع لنا فى مقامِنا هذا ذنبًا إلا غفرته ؛ ولا همًّا إلا فرَّجته ، ولا حاجةً إلا قضيتَها ويسَّرتها ، فيسِّرْ أمورنا ، واشرح صدورنا ، ونوِّر قلوبنا ، واختم بالصالحات أعمالنا .

اللّهم توفنا مسلمين ، وأحينا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين ، غير خزايا ولا مفتونين .

دعاء حجر إسماعيل عليه السلام ، ويعرف بالحطيم

اللّهم أنت ربى لاإله إلا أنت خلقتنى ، وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك مااستطعت ، أعوذ بك من شرِّ ماصنعت ؛ أبُوء لك بنعمتك علىَّ ، وأبوء بذنبى ، فاغفر لى ، فإنه لايغفر الذنوب إلا أنت (وهذا يسمى سيد الاستغفار) .

اللّهُمَّ إنى أسألك من خير ما سألك به عِبادك الصالحون ؛ وأعوذُ بك من شرِّ مااستعاذَكَ منه عبادُكَ الصالحون .

اللّهم بِأسمائك الحُسنَىٰ ؛ وصفاتك العُليا ؛ طهِّر قلوبنا من كلِّ وصف يباعدنا عن مشاهدتك ومحبتك ، وأمِتنا على السُّنَّة والجماعة ؛ والشوْق إلى لقائك ياذا الجلال والإكرام .

اللّهم نوِّر بالعلم قلبى واستعمل بطاعتك بدنى ؛ وخلِّص من الفتن سرِّى ؛ واشغل بالاعتبار فكرى ، وقِنى شرَّ وَسَاوِس الشيطان ، وأجِرنى منه يارحمن ، حتى لا يكون له علىَّ سُلطان . ربَّنا إننا آمَنَّا فاغفر لنا ذنوبنا وقِنا عذاب النَّار .

الدعاء عند شرب ماء زمزم (وهى فى وسط الحرم)

بئر زمزم فى وسط الحرم ؛ ويسنّ شرب مائها دائماً متجهاً إلى القبلة داعياً بهذا الدعاء :

اللّهُمَّ إنى أسألك علمًا نافعاً ، ورزقاً واسعاً ؛ وشفاء من كلِّ داء وسَقَم برحمتك يا أرحم الراحمين .

ويمصه مصًّا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ» .

دعاء الصفا

بعد شرب ماء زمزم ، يتوجه الحاج للخروج من باب الصفا ، قاصداً السعى ؛ ويدعو بما يأتى :

أبدأ بما بدأ الله ورسوله : (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ ، فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ، وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ) .

ثم يرتفع على درج الصفا ناوياً للسعى ويقول : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، ولله الحمد .

ثم يتلو الدعاء الآتى :

دعاء السعى مختصراً

اللهُ أكبر كبيرا ، والحمدُ لله كثيرا ، وسُبحان الله العظيم وبحمده الكريم بُكرةً وأصيلاً ، ومِنَ الليل فاسجُدْ له وسبِّحْه ليلاً طويلاً . لاإله إلا الله وحده ، أنجز وعده ، ونَصَرَ عبده ، وأعَزَّ جُنْدَهُ ، وهزم الأحزاب وحده . لاشىء قبله ولا بعده ، يُحيى ويُميت ، وهو حىٌّ دائم لايموت ؛ بيدِه الخير وإليه المصير ، وهو على كلِّ شىء قدير .

رب اغفِر وارحَم ، واعفُ وتكرَّم ، وتجاوز عما تعلم ، إنك تعلم مالا نعلم ، إنك أنت الله الأعز الأكرم . ربِّ نجنا من النار سالمين غانمين فرحين مستبشرين مع عبادك الصالحين مع الذين أنعم الله عليهم من النَّبيِّينَ والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين ، وحسن اولئك رفيقاً ، ذلك الفضل من الله ، وكفى بالله عليماً . لاإله إلا الله حقاً حقاً ، لاإله إلا الله تعبداً ورقاً ، لاإله إلا الله ولا نعبدُ إلا إيَّاه ، مخلِصين له الدين ولو كَرِهَ الكافرون . لاإله إلا الله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذى لم يتخذ صاحِبةً ولا ولداً ، ولم يكن له شريك فى المُلك ولم يكن له وَلِىٌّ من الذُّلِّ وكبِّرْهُ تكبيرًا . اللَّهُمَّ إنك قلت فى كتابك المُنزل : (ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ) دعوناك ربنا فاغفر لنا كما أمرتنا إنك لاتخلف الميعاد .

(رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ، رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ، رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ . رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) .

اللَّهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر ، وأعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك لاأحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك ، فلك الحمد حتى ترضى .

اللَّهم إنى أسألك من خير ماتعلمَ ، وأستغفرُك من كل ماتعلم ، إنك أنت علاَّم الغيوب لا إله إلا الله الملك الحق المبين ، محمد رسول الله الصادق الوعد الأمين .

اللَّهم ابْسُط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك . اللَّهُمَّ إنى أسألك النعيم المقيم الذى لا يحول ولا يزول أبداً .

اللَّهم إنى عائذ بك من شرٍّ ما أعطيتنا ومن شرٍّ مامنعتنا .

اللَّهم توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين ، غير خزايا ولا مفتونين . رب يسِّر ولا تعسر ، رب تمم بالخير .

(إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ ، فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ، وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا ، فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ) وعند المروة ينتهى السعى .

دعاء يقال بعد تمام السعى

ربنا تقبَّل منَّا وعافنا واعف عنا ، وعلى طاعتك وشكرك أعِنَّا ، وعلى غيرك لا تَكِلْنا ، وعلى الإيمان والإسلام الكامل جميعاً توفَّنا وأنت راضٍ عنا . اللَّهمَّ ارحمنى بترك المعاصى أبداً ما أبقيتنى ، وارحمنى أن أتكلف ما لايعنينى ، وارزقنى حسن النظر فيما يرضيك علىَّ ياأرحم الراحمين .

الحجر الأسود

الحجر الأسود : هو صقيل، ولونه أخضر قاتم مائل إلى الحمرة ، ويعلو عن الأرض بمتر

ونصف ، وهو موضوع على الركن الشرقى من جدار الكعبة وقطره ٣٥ سنتيمتراً ، وعليه إطار (برواز) من الفضة مجوف بقدر مايسع رأس الحاج . ويطلب من الحاج فى ابتداء طوافه ، وفى كل شوط من الأشواط الباقية أن يقبله إن أمكن بلا صوت ، أو يشير إليه ، وأن يستلم الركن اليمانى ، وهو ماقبل الحجر ، ولا يستلم الركنين : العراقى ، والشامى ، وهما اللذان يليانه .

٩ — استلام الحجر والملتزم والحطيم والركنين اليمانيين

بعد دخوله المسجد يأتى إلى الحجر الأسود فيستقبله ويستلمه بيده ويقبله . وكان عمر رضى الله عنه يقبل الحجر ويقول : « إِنِّى لَأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ ، وَلَوْلَا أَنِّى رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَبَّلَكَ مَا قَبَّلْتُكَ » فإن عجز عن استلامه لكثرة الزحام مسَّه بشىء فى يده كالعصا ، ثم قبله ، وإلا أشار إليه ، ثم طاف طواف القدوم كما سيأتى بيانه .

عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « نَزَلَ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ مِنَ الْجَنَّةِ وَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ فَسَوَّدَتْهُ خَطَايَا بَنِى آدَمَ » .

فما من مذنب استلمه أو قبله تائباً إلا غفرت ذنوبه ، فلهذا صار أسود .

« وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَسْتَلِمُ مِنَ الْحَجَرِ رُكْنَهُ الْيَمَانِىَّ وَيُقَبِّلُهُ فِى طَوَافِهِ وَيَضَعُ خَدَّهُ عَلَيْهِ » ومنه يبدأ الحجاج طوافهم حول الكعبة وإليه ينتهى الشوط الأخير من ذلك الطواف .

وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قالَ « فِى الْحَجَرِ : وَاللهِ لَيَبْعَثَنَّهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ يَشْهَدُ عَلَى مَنِ اسْتَلَمَهُ بِحَقٍّ » .

(رواهما الترمذى)

أى يشهد له بالجنة ، فالحجر الأسود له مقام خاص ، ومنزلة سامية من بين الشهود الذين يشهدون للحجاج والمعتمرين يوم القيامة .

الملتزم : والملتزَم هو المكان الذى يلتزمه الطائفون فى حائط الكعبة بين الحجَر والباب

الحطيم : ويقال له : حجر إسماعيل ، وسمى بهذا الاسم لأنه تحطَّمَ من بناء الكعبة ، ولأنه يحطم الذنوب؛ ويقف الحاج عنده بعد انتهاء الطواف ويلصق صدره به ويفرد ذراعيه.

الركنان اليمانيان : والركنان اليمانيان هما : الركن الذى فيه الحجر ، والركن الذى قبله ، وسميا بذلك لأنهما جهة اليمن .

عن ابن عمر قال : « لَمْ أَرَ النَّبِيَّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَلِمُ مِنَ الْبَيْتِ إلاَّ الرُّكْنَيْنِ الْيَمَانِيَّيْنِ » .

١٠ — أنواع الطواف

قال الله تعالى : (وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) . (سورة البقرة)

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « أَوَّلُ شَيْءٍ بَدَأَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلم حِينَ قَدِمَ مَكَّةَ أَنْ تَوَضَّأَ ثُمَّ طَافَ بِالْبَيْتِ » . (رواه البخارى)

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « كَانَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إِذَا طَافَ فِي الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ أَوَّلَ مَا يَقْدَمُ فَإِنَّهُ يَسْعَى ثَلاَثَةَ أَطْوَافٍ بِالْبَيْتِ ، ثُمَّ يَمْشِي أَرْبَعَةً ، ثُمَّ يُصَلِّي سَجْدَتَيْنِ ، ثُمَّ يَطُوفُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ » . (رواه الخمسة)

والطواف بالبيت : أى بالكعبة المشرفة ، ويكون بالبدء بالحجر الأسود ، وجعلِ البيت عن يساره ، وأن يكون أشواطه سبعة ، واستلام الحجر، وتقبيله ، واستلام الركنين والحطيم ، وصلاة ركعتى الطواف كما سيأتى .

وأنواع الطواف ثلاثة : (١) طواف القدوم (٢) طواف الإفاضة (٣) طواف الوداع .

طواف القدوم

وطواف القدوم سنة لكل من دخل مكة تحية للبيت كتحية المسجد لداخله ، وعليه الجمهور سلفاً وخلفاً ، والأئمة الثلاثة ، وقال المالكية ، وبعض الشافعية : إنه واجب .

والمريض يطوف راكباً أو محمولاً على سرير لما ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما

«أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طَافَ بِالْبَيْتِ وَهُوَ عَلَى بَعِيرٍ كُلَّمَا أَتَى عَلَى الرُّكْنِ أَشَارَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ فِي يَدِهِ وَكَبَّرَ» رواه البخارى .

١١ – السعى بين الصفا والمروة

إذا فرغ الحاج من طواف القدوم سعى بين الصفا والمروة ، وهو واجب عند الحنفية ، والمعروف عند مالك أن السّعى ركن لا بدّ منه فى صحة الحج ، وسنة عند غيرهم .

وكيفية السعى : أن يبتدئ بالصفا فيصعد عليه ، ثم يستقبل القبلة فيوحد الله ويكبره ويدعو بما كان يدعو به النّبيُّ صلى الله عليه وسلم ، فيقول : « لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ » . روى جابر ذلك فى صفة حج النبى صلى الله عليه وسلم ، وسبق ذكره .

ثم ينحدر من الصفا والمروة ساعياً بين الميلين الأخضرين فيصعد عليهما ويفعل مثل ما فعل على الصفا ، يفعل ذلك سبع مرات يفتتح بالصفا ويختم بالمروة ، وفى ذلك يقول الله تعالى : (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ ، فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ) . (سورة البقرة)

تشير هذه الآية إلى وجوب السعى بين الصفا والمروة لمن حج أو اعتمر ؛ أى أراد فعل العُمرة والحج .

والصفا والمروة جبلان بمكة معروفان: الأول يعرف باسم جبل أبى قبيس، والثانى يعرف بجبل قينقاع ، وقد جعلهما الله من شعائر الحج ؛ أى من أعلام مناسكه ومتعبداته ، ولا يكونان كذلك إلا إذا كان السعى بينهما فرضاً واجباً ، ولما ثبت من قوله صلى الله عليه وسلم : « اسْعَوْا فَإِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ السَّعْيَ » .

ولما كان الصفا والمروة من شعائر الله وأعلام دينه فلا إثم على من أراد الحج والعُمرة أن يطوّف بهما بأن يسعى بينهما .

وقوله تعالى: (وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ). أى من فعل خيراً – ومنه السعى المذكور على سبيل أنه طاعة لله تعالى يتقرب بها إليه – فإن الله شاكر للعبد ومثيبه عليه .

حكمة مشروعية السعى بين الصفا والمروة

الأصل فيه سعى هاجر سُرِّيّة سيدنا إبراهيم عليه السلام وترددها بينهما فى طلب الماء لولدها إسماعيل عليه السلام لما نفد ماؤهما وزادهما حين تركهما إبراهيم عليه السلام هنالك ، وليس عندهما أحد من الناس ، وقال : (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ، رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) . (سورة إبراهيم)

فلما خافت على ولدها الضيعة حين ذاك قامت تطلب الغوث من الله عزّ وجل ، فلم تزل تتردد فى هذه البقعة بين الصفا والمروة متذلّلةً خاضعةً خائفةً وجلةً مضطرةً فقيرةً إلى الله تعالى حتى كشف الله كربتها وآنس غربتها ، وفرّج شدتها ، وأنبع لها (عين زمزم) بمنزلة ماء وزاد ، ولم تزل كذلك إلى اليوم ، فالساعى بينهما ينبغى له أن يستحضر فقره وذله وحاجته إلى الله فى هداية قلبه وصلاح حاله وغفران ذنوبه ، وأن يلتجئ إلى الله عزّ وجل فى تطهيره من النقائص والعيوب ، وأن يهديه إلى الصراط المستقيم ، وأن يثبته عليه إلى مماته ، وأن يحوّله من حاله الذى هو عليه إلى حال الكمال والغفران كما فعل بهاجر عليها السلام .

١٢ – الوقوف بمنى والوقوف بعرفة

إذا فرغ الحاج من السعى بين الصفا والمروة أقام بمكة محرماً إلى اليوم الثامن من ذى الحجة ، ويسمى (يوم التروية) ثم يخرج فيه إلى منًى فيبيت بها مارًّا بجبل (حراء) الذى كان الرسول يتعبد فيه قبل أن ينزل عليه الوحى ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم فعل ذلك ، فإذا طلع الفجر ، أوطلعت الشمس من يوم عرفة (وهو اليوم التاسع من ذى الحجة)

دفع إلى (عرفة) ووقف بها حتى تزول الشمس ، ومن فاته الوقوف بعرفة من طلوع فجر يوم النحر فقد فاته الحج .

ثم يخطب الإمام فى الناس خطبةً يعلمهم فيها مناسكهم من موضع الوقوف ووقته ، والدفع إلى منًى ومبيتهم (بمزدلفة) وأخذ الحصى لرمى الجمار ، ثم يأمر بالأذان فيصلى بالناس الظهر والعصر ، ويقيم لكل صلاة إقامة ، وهذا هو الموضع الذى تصلى فيه العصر قبل وقتها ، فإذا صلى الصلاتين ذهب إلى الموقف بعرفة ، وهى كلها موقف إلا بطن عُرَنة .

والوقوف بعرفة ركن من أركان الحج لايصح الحج بدونه .

وإذا وقف أكثرَ من ذكر الله تعالى والدعاء فإنه يوم ترجىٰ فيه الإجابة ، ويدعو بما دعا به النبى صلى الله عليه وسلم ، مثل ماروى عن علىّ رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أَكْثَرُ دُعَاءِ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي وَدُعَائِى عَشِيَّةَ عَرَفَةَ : لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

وفى الحديث الشريف : « إِنَّهُ مَارُؤِىَ الشَّيْطَانُ يَوْماً أَصْغَرَ وَلاَ أَدْعَرَ وَلاَ أَحْقَرَ وَلاَ أَغْيَظَ مِنْهُ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ لِمَا يَرَاهُ مِنْ تَنَزُّلِ الرَّحْمَةِ وَتَجَاوُزِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَنِ الذنُوبِ الْعِظَامِ » .

وروى من دعاء النبى صلى الله عليه وسلم :

« اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَرَى مَكَانِي ، وَتَسْمَعُ كَلاَمِى ، وَتَعْلَمُ سِرِّى وَعَلاَنِيَتِى ، وَلاَ يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِى ؛ أَنَا الْبَائِسُ الْفَقِيرُ ، الْمُسْتَغِيثُ الْمُسْتَجِيرُ ، الْوَجِلُ الْمُشْفِقُ ، الْمُقِرُّ الْمُعْتَرِفُ بِذَنْبِهِ ، أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ الْمِسْكِينِ ، وَأَبْتَهِلُ إِلَيْكَ ابْتِهَالَ الْمُذْنِبِ الذَّلِيلِ ، وَأَدْعُوكَ دُعَاءَ الْخَائِفِ الضَّرِيرِ ، مَنْ خَشَعَتْ لَكَ رَقَبَتُهُ ، وَذَلَّ لَكَ جَسَدُهُ ، وَفَاضَتْ لَكَ عَيْنُهُ ، وَرَغِمَ لَكَ أَنْفُهُ ، فَلاَ تَجْعَلْنِى شَقِيًّا ، وَكُنْ بِى رَءُوفًا رَحِيماً » .

ثم يقف الإمام على ناقته بقرب (جبل الرحمة) مستقبلاً القبلة ، ويدعو جهراً ويعلم الناس المناسك ، ويستمر فى الوقوف إلى غروب الشمس ، ولا يشترط للوقوف طهارة ، ولا تشترط فيه النية .

فإذا غربت الشمس دفع الحجيج إلى (المزدلفة) ، وقد نزل فى هـذا اليوم قوله تعالى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً) . (سورة المائدة)

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَدْرَكَ عَرَفَةَ قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ فَقَدْ أَدْرَكَ الْحَجَّ »
(روى عن ابن عباس)

مايقوله الحاج عند دخوله عرفة

يقول الحاج عند دخوله إليها حال كونه ذاكراً مستغفراً ملبيا : اللّهم إليك توجهت ، وبك اعتصمت ، وعليك توكلت ؛ اللّهم اجعلنى ممن تباهى به اليوم ملائكتك إنك على كل شىء قدير .

دعاء عرفة

يقوله الحاج بعد زوال الشمس و بعد صلاة الظهر والعصر
إن كان ممن يجوز له الجمع

يقف أسفل جبل الرحمة عند الصخرات الكبار موقف النبى صلى الله عليه وسلم ، « وَعَرَفَةُ كُلُّهَا مَوْقِفٌ » ويدعو ويكثرُ من قول « لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، يُحْيِي وَيُمِيتُ ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

اللّهمّ إنك وفقتنى ، وحملتنى عَلَى ماسخرْت لى حتى بلغتنى بإحسانكَ إلى زيارة بيتك ، والوقوف عند هذا المشعر العظيم ، اقتداء بسنةِ خليلك ، واقتفاء بآثار خيرَتك من خلقك ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن لكلّ ضيفٍ قرى ، ولكلّ وفد جائزةً ، ولكلّ زائر كرامة ، ولكلّ سائر عطيّة ، ولكلّ راجع ثوابًا ، ولكلّ ملتمس لما عندكَ جزاء ، ولكلّ راغب إليك زلفة ، ولكلّ متوجه إليكَ إحسانًا ، وقد وفقنا لهذا المشعر العظيم ، رجاء لما عندك ، فلا تخيب إلهنا رجاءنا فيك ياسيدنا يامولانا ، يامن خضعت كلّ الأشياء لعزه ، وعنت الوجوهُ لعظمتهِ .

اللّهم إليك خرجنا ، و بفنائك أنخنا ، و إياك أمّلنا ، وما عندك طلبنا ، ولإحسانك تعرّضنا ، ولرحمتك رجونا ، ومن عذابك أشفقنا ، ولبيتك الحرام حججنا ، يامن يملك حوائج السائلين ، و يعلم ضمائر الصامتين ، يامن ليس معه ربٌّ يدعى ، ولا إله يرجى ، ولا فوقه خالق يخشى ، ولا وزير يؤتى ، ولا حاجب يُرشى ؛ يامن لايزدادُ على السؤال إلا كرماً وجودًا ، وعلى كثرة الحوائج إلا تفضلاً و إحساناً ، يامن ضجت بين يديه الأصوات بلغات مختلفات ، يسألونك الحاجات ، وسكبت الدموع بالعبرات والزفرات ، ملحين بالأصوات ، فحاجتى إليك يارب مغفرتك ، ورضاء منك عليّ ، لاسخط بعده ، وهدًى لاضلال بعده ، وعلم لاجهل بعده ، وحسن الخاتمة ، والعتق من النار ، والفوز بالجنة ، وان تذكرنى عند البلاء إذا نسينى أهل الدنيا ووارانى الترب ، وانقطع عنى الأحباب ، وانقطعت بى الأسباب ، ياعزيز ياوهاب يا أرحم الراحمين .

اللّهمّ أنهج بنا مناهج المفلحين ، وألبسنا خلع الإيمان واليقين ، وخصنا منك بالتوفيق المبين ، ووفقنا لقول الحق واتباعه ، وخلصنا من الباطل وابتداعه ، وكن لنا مؤيداً ، ولا تجعل لفاجر علينا يداً ، واجعل لنا عيشاً رغداً ، ولا تشمت بنا عدوًّا ولا حاسداً ، وارزقنا علماً نافعاً ، وعملاً متقبلاً ، وفهماً ذكيًّا ، وطبعًا صفيا ، وشفاء من كل داء .

اللّهم عاملنا بغفرانك ، وامنن علينا بفضلك و إحسانك ، ونجنا من النار ، وعافنا من دار الخزى والبوار ، وأدخلنا بفضلك الجنة دار القرار ، واجعلنا مع الذين أنعمت عليهم فى دار رضوانك ؛ يامن ظهرت معرفته للقلوب ، فلا يخفى وجوده ، وعمّ جميع خلقه كرمه وجوده .

اللّهم لاتجعل هذا آخر عهدى من هذا الموقف العظيم ، وارزقنى الرجوع إليه مرات كثيرة بلطفك العميم ، واجعلنى فيه مفلحًا مرحومًا ، مستجاب الدعاء ، فائزاً بالقبول والرضوان ، والتجاوز والغفران ، والرزق الحلال الواسع ، وبارك لى فى جميع أمورى ، وما أرجع إليه من أهلى ومالى وأولادى .

(رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) ، واغفر لنا

ولوالدينا ولوالد والدينا ، وذرياتنا و إخواننا وأهلينا ، والحاضرين والغائبين من المسلمين أجمعين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين (اهـ باختصار) .

ملحوظة — يوجد (مسجد نمرة) بعرفات وهو مسجد كبير له خمسة أبواب وأمامُ بابه بئر وسبيل يسقى منه الحجاج ، وتروى منه الماشية ، وهو أول مايشاهده الإنسان عند قدوم عرفة .

خطبة لفضيلة الأستاذ السيد محمد الببلاوى

فى يوم الوقوف بعرفة (يوم الحج)

الحمد لله الذى محا جميع ذنوب أهل عرفة ، وأفاض حلل الإحسان على من آمن به وعرَفه ، وأعلى كعب من قصد الكعبة البيت الحرام .

أحمده مدّ لحجاج بيته موائد الضيافة ، وأشكره شكرًا يوجب برّه و إسعافه ، وأتوب إليه وأستغفره من الذنوب والآثام .

وأشهد أن لا إله إلا الله مجيب دعاء من دعاه ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، الداعى إلى طريق النجاة . اللَّهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الكرام .

قال الله تعالى : (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ . ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ، وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

أما بعد — فياعباد الله ، إن هذا اليوم (يوم الحج الأكبر) الذى ينال فيه إخوانكم الحجاج من المغفرة النصيب الأوفر ، قد تجلى عليهم ربهم بالقبول والإكرام ، وقفوا بأرض عرفة شعثاً غُبراً خاشعين لله ، يطلبون منه عفوًا وسترًا ، فأجاب سؤالهم ، وأعطاهم فوق مايرام ، وبالأمس كانوا غرقى فى بحار الذنوب ، فنالوا بهذا الموقف غاية المطلوب ، واستحقوا

بامتثال أمر ربهم دار السلام ، فهنيئاً لمن غربت عليه شمس هذا اليوم فى تلك البقاع ، فما دخل الليل حتى عدَّ فيمن أخلص لله وأطاع ، وحاز فى الدارين غاية التبجيل والإعظام .

فيا عباد الله — سعيدٌ مَن قام على قدم النشاط فى الطاعة وفاز بالرضوان مَن تباعد عن اللغو والإضاعة ، ونال مَن أخلص جميل الإنعام ؛ فتوبوا إلى الله ، فمَن تاب إليه قُبل، وسلوه الهداية ، ومَن يهد الله فما له من مضلّ ، وتقربوا إليه تنالوا فى الآخرة أعلى مقام .

الحديث

« إِذَا كَانَ يَوْمُ عَرَفَةَ فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُبَاهِي بِهِمُ المَلائِكَةَ فَيَقُولُ : أنظُرُوا إِلَى عِبَادِى أَتَوْنِى شُعْثًا غُبْرًا ضَاحِينَ (بارزين للشمس) مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ أُشْهِدُكُمْ أَنِّى قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ » .

خطبة لفضيلة الأستاذ السيد محمد الببلاوى

فى عيد الأضحى

الله أكبر (تسع مرات مفردة) الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيرًا ، وسبحان الله بكرةً وأصيلاً . الله أكبر ماسار الحجاج إلى حرم الله من كل فج عميق ، فلما وصلوا إلى المواقيت التى فى الطريق تجردوا من المخيط ، وتذكروا حال القبر والحشر ، الله أكبر ما أدوا المناسك كاملة ، ورجعوا إلى أوطانهم ، ومغفرة الله لهم شاملة ، فأقبلت عليهم وفود الخير ، وزال عنهم الشر وأدبر ، سبحان من خلق الخلائق على غير مثال ، سبحان الموصوف بصفات الجمال والجلال ، سبحان من لايقع فى ملكه الا ما أراد وقدّر .

(سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ . وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .

الحمد لله بسط لنا بساط الأنس والمحبة ، وقبل عمل حجاج بيته ، فعاملهم معاملة الأحبة . أحمده جل شأنه ، فهو أجل من يحمد ويشكر ، وأشهد أن لا إله إلا الله أذل مَن

جحد وكفر ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله خير من حج واعتمر . اللّهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ماهلل مسلم وكبر .

أما بعد — فياعباد الله : قد أوحى الله فى المنام إلى سيدنا الخليل بذبح ولده إسحٰق أو إسماعيل ، فهمّ فى مثل هذا اليوم بذبحه ، فنزل الفداء فذبح الفداء واستبشر ؛ فصارت الأضاحى من ذلك الوقت مرغوبة ، وفضيلة من فضائل الإسلام مطلوبة ؛ حمل أبو حنيفة الطلب على الوجوب وغيره على السنة كما يروى عنهم ويؤثر . واتفقوا على أن المخاطب بها الحر المسلم القادر ؛ والقادر عند مالك مَن لا يحتاج لثمنها فى عامه ؛ وعند الشافعى فى الوقت الحاضر ؛ والقادر عند أبى حنيفة من بزكاة الفطر يؤمر . والمجزى من الغنم ما أتم حولاً ؛ وعند الإمام أحمد نصف حول كذلك ؛ ومن البقر ماطعن فى الثالثة ؛ ويشترط الدخول فى الرابعة عند مالك ؛ واكتفى الشافعى وأبو حنيفة بما هو دون السنة كما هو فى كتب الفقه مقرّر ، وأول وقتها من صلاة العيد عند أبى حنيفة لأهل الأمصار ولغيرهم كأهل القرى من فجر هذا النهار ؛ واعتبر الشافعى قدر ركعتين وخطبتين بعد أن تطلع الشمس وتظهر ؛ واعتبر مالك للامام فراغه من خطبته ولغيره أن يشرع الإمام فى ضحيته ، فينتظر للزوال إن تعذر .

وينتهى وقتها بغروب اليوم الثالث عند جميع الأئمة ، وقال بغروب اليوم الرابع الشافعى خير الأئمة ؛ واشترط مالك النهار . ويصح عند غيره فى جميع هذا الوقت المقدر ، ولا يبيع لحماً ولا جلداً من أضحيته ، ولا يعطى الجزار شيئاً منها فى أجرته ، وليس له التصرف سوى الأكل والتصدق ؛ والهدية تُحظر .

فتقربوا رحمكم الله بضحاياكم ، واستسمنوها فإنها على الصراط مطاياكم ، ذلكم أزكى لكم وأطهر ، وكبروا الله فى (أيام التشريق) عقب الصلوات ، ومن جاء من طريق فليرجع من أخرى ؛ لتكثر لكم الحسنات ، وعظموا شعائر الله ، واذكروه كما هداكم ، ولذكر الله أكبر .

الحـــــديث

«مَنْ ضَحَّى قَبْلَ الصَّلَاةِ فإِنَّمَا ذَبَحَ لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ ذَبَحَ بَعْدَ الصَّلَاةِ فقَدْ تَمَّ نُسُكُهُ وَأَصَابَ سُنَّةَ المُسْلِمِينَ» .

جلالة الملك فى صلاة عيد الأضحى

يؤدى صاحب الجلالة الملك صلاة عيد الأضحى فى مسجد الغورى (بالقبة) .
وموعد الصلاة فى الساعة السادسة والدقيقة ٢٢ صباح الأربعاء (أول يوم العيد) .

المهنئون فى قصر عابدين

اقتضت الإرادة الملكية السامية ألا تقام تشريفات فى عيد الأضحى المبارك هذا العام وسيكتفى بإعداد دفاتر بدائرة التشريفات الملكية بقصر عابدين غداً (الأربعاء) ، لكتابة أسماء حضرات المهنئين .

(الأهرام فى ١٢ / ١٠ / ١٩٤٨)

وقفة عرفات

اليوم (٩ ذى الحجة سنة ١٣٦٧ و١٢ أكتوبر سنة ١٩٤٨) يقف الحجاج فى عرفات مكبرين مرددين التلبية والدعوات حتى إذا أمسى المساء نفروا نفرتهم الكبرى عائدين إلى (منى) حتى يقضون (أيام التشريق) ويكملون مناسك الحج .

الاحتفال بعيد الأضحى المبارك

يحتفل المسلمون اليوم بعيد الأضحى المبارك ، فيبكرون إلى المساجد ليؤدوا صلاة العيد ثم ينحرون الأضاحى ، ويوزعون لحومها على الفقراء ، ويتزاورون متبادلين التهنئات ، وتتعطل الأعمال فى البنوك والأسواق المالية والمتاجر احتفالاً بالعيد .

فى قصر عابدين

وستقصد الأمراء والكبراء والعظماء صباح اليوم إلى قصر عابدين العامر ، فيقيدون أسماءهم فى سجلات التشريفات ، رافعين إلى السدة الملكية آيات التهنئة وشعائر الولاء .

(الأهرام فى ١٣/١٠/١٩٤٨)

خطبة منبرية لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمود خليفة

فى صلاة عيدى الفطر و (الأضحى)

من أكبر المظاهر التى تتجلى فى يومى الفطر والأضحى ، اجتماع المسلمين لصلاة العيد . والأصل فى مشروعيتها الكتاب والسنة ، و إجماع الأمه . أما الكتاب فقوله عزّ وجلّ : (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) فسرت الصلاة بصلاة العيد ، والنحر بنحر الأضحية . وأما السنة فقد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم بالتواتر أنه كان يصلى العيدين ، و يروى : « أَنَّ أَوَّلَ عِيدٍ صَلَّى فِيهِ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عِيدُ الْفِطْرِ فِى السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ » ، ثم لم يزل يواظب على صلاة العيدين حتى التحق بالرفيق الأعلى .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما « شَهِدْتُ صَلَاةَ الْفِطْرِ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَأَبِى بَكْرٍ وَعُمَرَ فَكُلُّهُمْ يُصَلِّيهَا قَبْلَ الْخُطْبَةِ » .

وأما الإجماع فما عليه المسلمون من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا .

حكم صلاة العيدين

قال الحنفية : إنها واجبة وجوبًا عينيًّا على الرجال الأحرار العقلاء الأصحاء المبصرين المقيمين فى مصر جامع (والمصر كل بلد لايسع أكبر مساجده أهله المكلفين ، على ماذهب إليه أكثر الفقهاء) أو فى مكان قريب من المصر بحيث لايبعد عنه أكثر من أربعمائة ذراع ، بشروط لاتصح إلا بها :

(١) أن تؤدى فى وقتها ، و يبتدئ من ارتفاع الشمس بعد طلوعها قدر رمح وهو اثنا عشر شبراً ، و ينتهى بزوال الشمس عن وسط السماء فلا تصح صلاتها قبل هذا الوقت ولا بعده .

(٢) أن تكون فى جماعة ، فلا تصح إذا صلوها منفردين .

(٣) أن تحصل فى المصر فلا تصح فى القرى .

أما الخطبة فإنها سنة بعدها فلا تتوقف صحة الصلاة عليها . فلو صلى العيد ولم يخطب بعد الصلاة أو خطب أولاً ثم صلىٰ صحت مع الكراهة .

وقال الشافعية : صلاة العيدين سنة مؤكدة . وقال بعض الشافعية : هى فرض كفاية إذا فعله البعض سقط الإثم عن الباقين ، ولو تركه الكل أثموا وقوتلوا على تركه .

ووقتها عندهم مابين طلوع الشمس إلى أن تزول عن وسط السماء . والأفضل ألا تصلىٰ فى أول وقت طلوع الشمس ، بل تؤخر حتى ترتفع قدر رمح وهو اثنا عشر شبرا .

وقال المالكية : صلاة العيدين سنة مؤكدة كما عليه جمهور الشافعية ، ووقتها عندهم من ارتفاع الشمس إلى الزوال كما قالت الحنفية .

وقالت الحنابلة : صلاة العيدين فرض على الكفاية إذا قام بها من يكفى سقطت عن الباقين وإن اتفق أهل بلد على تركها قاتلهم الإمام (الحاكم) ؛ وأول وقتها إذا ارتفعت الشمس ، وآخره إذا زالت .

كيفية الصلاة عند الحنفية

يصلى الإمام بالناس ركعتين ناوياً صلاة العيد ؛ وإن كان مأموماً نوىٰ متابعة الإمام أيضاً ، ثم يكبر تبعاً لإمامه تكبيرة الافتتاح رافعاً يديه ، ثم يضع اليمنى على اليسرى تحت سرته ، ثم يقرأ الإمام والمأموم الثناء وهو « سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ وَلاَ إِلَهَ غَيْرُكَ » وبعده يكبر الإمام ثلاث تكبيرات رافعاً يديه عند كل تكبيرة ، ويتبعه المأمومون ويسكت بين كل تكبيرتين بمقدار ثلاث تكبيرات ، ثم يقول الإمام سراً : (أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ) ، ثم يقرأ الفاتحة جهراً ، ويضم إليها سورة ، ويستحب أن تكون سورة (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى) ثم يفعل ما يفعله الإنسان فى كل ركعة من ركعات الصلاة . فإذا فرغ من الركعة الأولى وقام إلى الثانية ابتدأ بالتسمية سراً فالفاتحة والسورة جهراً ؛ ويندب أن تكون سورة (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ) ثم كبر ثلاث تكبيرات رافعاً يديه فى كل تكبيرة ساكتاً بين كل تكبيرتين بمقدار ثلاث تكبيرات وبعدها يكبر للركوع وجوباً فيركع ويسجد ،

ويتم ويتمون معه صلاتهم كالمعتاد ، ولو كان الإمام غير حنفى تابعه المأموم الحنفى فيما زاد على هذه التكبيرات إلى ست عشرة تكبيرة ، ثم لايتابعه بعد ذلك ؛ و إذا أدرك المأموم الإمام بعد ما كبر، فإن أدركه فى القيام كبر فى الحال؛ كما أنه يكبر لو أدركه فى الركوع غير أنه لا يرفع يديه فى تلك الحال لأن وضعهما على ركبتيه فى حال الركوع سنة ، و إن رفع الإمام رأسه قبل أن يتم التكبير سقط عنه مابقى لئلا يفوته متابعة الإمام ، ولو سبق بركعة كاملة وقام لقضائها فإنه يقرأ أولاً الفاتحة ويضم إليها السورة ثم يكبر تكبيرات الزوائد و يركع .

كيفيتها عند الشافعية

قالوا : صلاة العيد ركعتان فى جماعة بنية عيد الفطر ، أو الأضحى ، و بعد أن يكبر تكبيرة الإحرام يقرأ دعاء الافتتاح وهو «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً مُسْلِمًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ . إِنَّ صَلاَتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) . و بعده يكبر سبع تكبيرات يجهر بها رافعًا يديه إزاء منكبيه مع كل تكبيرة ، فاصلاً بين كل تكبيرتين قدر آية ؛ ويستحب أن يقول فى هذا الفصل سرًّا « سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ وَلاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ » أو يقول سرًّا : « لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ » ومن السنة أن يضع يده اليمنى على اليسرى تحت سرته بين كل تكبيرتين ، و بعد التكبيرات يتعوذ و يسمى و يقرأ الفاتحة و يضم إليها سورة ، والسنة أن تكون سورة ق ، أو (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) ثم يركع و يسجد فإذا قام إلى الثانية وكبر للقيام أتى بخمس تكبيرات يفصل بين كل تكبيرتين ، و يضع يمناه على يسراه كما سبق له فى الركعة الأولى ، ثم يتعوذ و يسمى و يقرأ الفاتحة وسورة القمر أو سورة (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ) ويجهر الإمام بالقراءة فى صلاة العيدين بخلاف المأموم . أما التكبير فالجهر به سنة للإمام والمأموم والمسبوق ، وإذا اقتدى الشافعى بمالكى يكبر فى الأولى ستًّا ، أو بحنفى يكبر ثلاثًا ، تابعه بدون زيادة ، وإذا سبقه إمامه

بالتكبيرات أو ببعضها لم يقض لأنه ذكر مسنون فات محله ، وإذا سبق بركعة ثم قام بعد تسليم الإمام لقضائها كبر خمس تكبيرات غير تكبيرة القيام .

كيفيتها عند المالكية

قالوا : صلاة العيد ركعتان يحرم بهما بنية عيد الفطر ، أو الأضحى ؛ ويسنّ أن يزاد في الركعة الأولى بعد تكبيرة الإحرام وقبل القراءة ست تكبيرات ، كما يسنّ أن يزاد في الثانية بعد تكبيرة القيام وقبل القراءة خمس تكبيرات ولا يفصل بين التكبيرات بذكر ، ولا سكوت إلا بقدر تكبير المأموم ، ولا يرفع يديه إلا في تكبيرة الإحرام فقط ، وإذا سبقه الإمام ببعض التكبير تابعه فيما أدرك منه ، ثم قضى مافاته ، ولا يكبر مافاته أثناء تكبير الإمام ، وإذا دخل مع الإمام بعد أن كبر وابتدأ في القراءة ، فإن كان في الركعة الأولى كبر بعد إحرامه ستًا ، وإن كان في الركعة الثانية كبر بعد إحرامه خمسًا ، وبعد سلام الإمام يكبر في الركعة التي يقضيها ستًا بعد تكبيرة القيام . وإذا أخر الإمام التكبير عن القراءة أو زاد في عدد التكبير أو نقص لايتبعه المأموم ، وإذا نسى المصلى التكبير كله أو بعضه كبر حيث تذكره في أثناء القراءة أو بعدها ، وإن كان غير مأموم ندب له إعادة القراءة مالم يركع وسجد بعد السلام لزيادة القراءة الأولى ، وإن ركع فلا يرجع للتكبير ولا يأتى به في ركوعه ، فإن رجع له بطلت صلاته وإذا لم يرجع سجد غير المؤتم قبل السلام لنقص التكبير ، والمؤتم إذا نسيه ثم تذكره وهو راكع ، فلا سجود عليه لأن الإمام يتحمل عنه سهوه .

كيفيتها عند الحنابلة

قالوا : ينوى صلاة ركعتين فرضًا كفائيًا ، ثم يكبر للإحرام ، ويقرأ بعده دعاء الاستفتاح المتقدم عند الشافعية ، ثم يكبر ستًا يرفع يديه مع كل تكبيرة إمامًا كان أو مؤتمًا . ويستحب أن يفصل بين كل تكبيرتين بمطلق الذكر سرًا كأن يقول : « اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا ، وَالْحَمْدُ لِلهِ كَثِيرًا ، وَسُبْحَانَ اللهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ

الأمِّيِّ وَآلِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيماً كَثِيرًا » ثم يتعوذ عقب التكبيرة الأخيرة ويسمى ، ويقرأ الفاتحة وسورة الأعلى ويركع ويسجد ، فإذا قام للركعة الثانية كبر خمس تكبيرات سوى تكبيرة القيام ، ثم يفعل كما فعل فى الركعة الأولى من الفصل بين كل تكبيرتين والتعوذ والبسملة والفاتحة والسورة، غير أنه يقرأ سورة الغاشية ، ويركع ويسجد ويتم صلاته ؛ وإذا سبقه الإمام بالتكبيرات كلها أو بعضها ، لم يأت بما فاته؛ وإذا نسى التكبير لم يعد إليه وسبق أن الجماعة شرط لصحة صلاة العيدين عند الحنفية ، فإن فاتته الجماعة فلا قضاء عليه ، وإذا أحب أن يقضى منفردًا صلى أربع ركعات بدون تكبيرات الزوائد .

وكذلك يشترط الحنابلة لصحة صلاة العيدين أن تكون فى جماعة كالجمعة غير أنه يسنُّ لمن فاتته الجماعة أن يقضيها على الصفة المعلومة عندهم فى أى وقت شاء .

وأما عند الشافعية فالجماعة سنة لغير الحاج ؛ ويسنُّ لمن فاتته الجماعة أن يصليها فى أى وقت شاء بصفتها المعلومة عندهم ، غير أنها إن وقعت قبل الزوال كانت أداء ، وإن وقعت بعد الزوال كانت قضاء .

وأما عند المالكية فالجماعة شرط لوقوعها على وجه السنة ، فمن فاتته مع الإمام فعلها ندبًا قبل الزوال ولا يقضيها بعده .

تكبير التشريق

قال الحنفية : يجب تكبير التشريق عقب كل فرض مطلقاً سواء أكان المصلى منفردا أو بجماعة كما هو مذهب أبى يوسف ومحمد وعليه الفتوى .

وابتداؤه عقب صلاة الفجر من يوم عرفة ، ونهايته عقب صلاة العصر من آخر يوم من أيام التشريق الثلاثة التى تلى يوم العيد .

وصفته أن يقول : « اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ ، اللهُ أَكْبَرُ وَلِلهِ الْحَمْدُ » . وإن تركه الإمام أتى به المؤتم وجوبًا لما عرفت من أن تكبير التشريق واجب .

وقال الشافعية : تكبير التشريق سنة بعد الصلوات المكتوبة مطلقاً فى جماعة

أو فى غير جماعة ، و بعد النافلة ، وصلاة الجنازة ، والصلاة الفائتة .

ووقته من فجر يوم عرفة إلى غروب آخر يوم من أيام التشريق الثلاثة

و يسنُّ أن يكبر جهراً فى المنازل والأسواق وغيرها من غروب شمس ليلتى العيدين إلى أن يدخل الإمام فى صلاة العيد .

وقال المالكية : تكبير التشريق مستحب لكل من صلى خمس عشرة فريضة فى جماعة وغير جماعة وفى المصر وغير المصر ؛ ووقته من بعد صلاة الظهر من يوم العيد ، وينتهى بصلاة الصبح من اليوم الرابع . (ولفظه) اللهُ أكبَرُ ، اللهُ أكبَرُ ، اللهُ أكبَرُ .

وقال الحنابلة : تكبير التشريق سنة عقب كل صلاة مفروضة أديت بجماعة .

ووقته من صبح يوم عرفة ، وينتهى بعصر آخر يوم من أيام التشريق .

تنبيهان : (١) يسن أن يغتسل الإنسان للعيدين ويستاك ويتطيب ، ويلبس أحسن ثيابه ، ويظهر الفرح والبشاشة ، ويكثر من التصدق ، ويسارع إلى المصلى . والسنة للإمام ألا يخرج إلا فى الوقت الذى يوافى فيه الصلاة ، ويصلى الفجر فى مسجد الحى الذى يسكن فيه ، ويتوجه إلى المصلى ماشيًا مكبرًا ، ويذهب إليها فى طريق ، ويرجع فى أخرى ، ولا يؤذن لصلاة العيد ، ولا يقيم لها .

(٢) اتفق العلماء على جواز صلاة العيد فى الصحراء وفى المساجد ، وأن الأفضل إيقاعها فى الصحراء إذا ضاق المسجد بالمصلين ، وأن إيقاعها فى المسجد الحرام بمكة أفضل لمشاهدة الكعبة ، وهى عبادة لا توجد فى غير المسجد الحرام .

نسأل الله التوفيق والهداية . ولا يسعنى فى هذه الفرصة الطيبة المباركة إلا أن أرفع لإخوانى المسلمين أكرم التهنئات ، وأطيب التمنيات بعيد الأضحى المبارك ، أعاده الله وأمثال أمثاله على الأمة الإسلامية وهى متمتعة بالاعتصام بحبل الله ، والتعاون على نصر دين الله ، والاستمساك بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٣ — الدفع إلى مزدلفة بعد الرجوع من عرفة

إذا غربت الشمس دفع الإمام إلى مزدلفة ، ودفع معه الحجيج ، ولا يصلون المغرب حتى يأتوا إلى مزدلفة ، فيصلون المغرب والعشاء معاً ، ويجمعون بينهما جمع تأخير ، ويقيم لكل صلاة إقامة ، لما روى أسامة بن زيد قال: «دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم مِنْ عَرَفَةَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالشِّعْبِ نَزَلَ فَبَالَ ثُمَّ تَوَضَّأَ ، فَقُلْتُ لَهُ : الصَّلَاةُ يَارَسُولَ اللهِ . فَقَالَ : الصَّلَاةُ أَمَامَكَ ، فَرَكِبَ فَلَمَّا جَاءَ مُزْدَلِفَةَ نَزَلَ فَتَوَضَّأَ فَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ ، ثُمَّ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَصَلَّى الْمَغْرِبَ ، ثُمَّ أَنَاخَ كُلُّ إِنْسَانٍ بَعِيرَهُ فِي مَنْزِلِهِ ، ثُمَّ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَصَلَّى وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُمَا » .   (حديث متفق عليه)

فإن صلى المغرب قبل أن يأتى مزدلفة ولم يجمع بينها وبين العشاء فقد خالف السنة وبطلت صلاته ، ووجب عليه إعادة المغرب مع العشاء عند أبى حنيفة وأصحابه وأكثر أهل العلم ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم جمع بين الصلاتين ، فكان الجمع نسكاً وقد قال: «خذوا عَنِّى مَنَاسِكَكُمْ » . وقال الحنابلة : إن صلاته صحيحة ، ولكنها مكروهة لمخالفة السنة .

١٤ — المبيت بمزدلفة والوقوف عند المشعر الحرام

ويبيت بمزدلفة حتى يطلع الفجر فيصلى الصبح بمسجد المزدلفة ؛ والسنة أن يجعلها فى أول وقتها ليتسع وقت الوقوف عند المشعر الحرام . وفى حديث جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم « حِينَ تَبَيَّنَ لَهُ الصُّبْحُ » . وفى حديث ابن مسعود « أنه صَلَّى الْفَجْرَ حِينَ طَلَعَ الْفَجْرُ . قائل يقول : قدْ طلعَ الفجرُ . وَقَائِلٌ يَقُولُ : لَمْ يَطْلُعْ ، ثم قال فى آخر الحديث : رأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يفعله ، ثم إذا صلى الفجر وقفَ عند المشعر الحرام وهو (قُزَحُ) اسم جبل فيرقى عليه إن أمكنه ، وإلا وقف عنده فذكر الله تعالى ودعا واجتهد » .

قال الله تعالى : (فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ) .

وفى حديث جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم « أَتَىٰ الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ فَرَقَى عَلَيْهِ فَدَعَا اللَّهَ وَهَلَّلَهُ وَكَبَّرَهُ وَمَجَّدَهُ » .

ويستحب أن يكون من دعاء الحاج : « اللهمَّ كما وفقتنا فيه وأريتنا إياه ، فوفقنا لذكرك كما هديتنا ، واغفر لنا وارحمنا ، كما وعدتنا بقولك :

(لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ . ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وسيأتى ذكر دعاء المشعر الحرام .

بيَّنَ الله سبحانه وتعالى فى هذه الآيات الكريمات :

أولاً — الترخيص لمن حج فى التجارة وغيرها من الأعمال النافعة التى يتوصل بها إلى الرزق ، وهذا هو المشار إليه بقوله تعالى :

(لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ) .

أى لا إثم عليكم فى أن تبتغوا وتطلبوا فى موسم الحج رزقاً ونفعاً ، وهو الربح فى التجارة مع سفركم لتأدية فريضة الحج ، وذلك من قبيل الرخصة لا غير ، وتركه أولىٰ .

ثانياً — الإفاضة من عرفات إلى المزدلفة ، والحث على ذكر الله بها عند المشعر الحرام أى مما يليه ويقرب منه فإنه أفضل ، وإلا فمزدلفة كلها موقف إلا (وادى محسِّر) .

والمشعر الحرام : جبل بالمزدلفة يسمى (جبل قزح) وهذا هو المشار إليه بقوله تعالى :

(فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ) .

أى إذا دفعتم أنفسكم من عرفات إلى المزدلفة ، فهناك اذكروا الله عند المشعر الحرام بالتلبية والتكبير ، وصلاة المغرب مع العشاء جمعاً فإنها لم تصلّ بعرفات ؛ ويستدل بهذه الآية على الوقوف بعرفة ، لأن الإفاضة لا تكون إلا بعده ، ولا يتم الحج إلا به على قول بعض الأئمة ؛ ووقت الإفاضة من عرفات بعد غروب الشمس ، فإذا غربت دفع منها وأخر صلاة المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء بمزدلفة .

ولما بيّن الله جل شأنه أحكام الحج ومناسكه أخذ ينبه الناس على ما أنعم به عليهم من الهداية والبيان والإرشاد إلى مشاعر الحج . فقال :

(وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ) .

أى واذكروه تعالى لهدايته إياكم ، وإن كنتم من قبل هذا الهدى لمن الضالين الجاهلين الذين لايعرفون كيف يذكرونه تعالى ويعبدونه .

السير إلى منى

ثالثاً — الحث على الإفاضة من المزدلفة إلى منًى كما فعل سيدنا إبراهيم عليه السلام ، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى (ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ) أى ثم بعد وقوفكم بالمزدلفة أفيضوا منها إلى منًى من حيث أفاض الناس ، والمراد بهم إبراهيم عليه السلام ، ومن كانوا من بعده على هديه لا كما يصنعه من تَسمَّوْا بالحُمس ؛ وقوله تعالى :

(وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) أى واستغفروا الله من مخالفتكم فى الموقف من جميع ذنوبكم إن الله غفور رحيم ، أى ساتر لذنوب عباده برحمته .

دعاء المشعر الحرام

بعد صلاة الصبح

يرقى عليه إن أمكن أو يقف عنده فيحمد الله تعالى ويهلل ويكبر ويدعو فيقول :

اللّهم كما أوقفتنا فيه ، وأريتنا إياه ، فوفقنا لذكرك كما هديتنا ، واغفر لنا وارحمنا كما وعدتنا بقولك ، وقولك الحق : (فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ. ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

اللّهم إنا نسألك ياغفور يارحيم أن تفتح لأدعيتنا أبواب الإجابة ، يامن إذا سأله المضطر أجابه ، يامن يقول للشىء كن فيكون .

اللّهم إنا جئناك بجمعنا ، متشفعين إليك فى غفران ذنوبنا ، فلا تردّنا خائبين ، وآتنا

أفضل ماتؤتى عبادك الصالحين ، ولا تصرفنا من هذا المشعر المعظم إلا فائزين مفلحين ، غير خزايا ولا نادمين ولا ضالّين ولا مضلّين يا أرحم الراحمين .

اللّهم وفقنا للهدى ، واعصمنا من أسباب الجهل والردى ، وسلمنا من آفات النفوس فإنها شر العدى ، واجعلنا ممن أقبلت عليه فأعرض عمن سواك ، وخذ بأيدينا إليك ، وارحم تضرعنا بين يديك . إلهنا قوّمنا إذا اعوججنا ، وأعنّا إذا استقمنا ، وكن لنا ولا تكن علينا ، وأحينا فى الدنيا مؤمنين طائعين ، وتوفنا مسلمين تائبين ، واجعلنا عند السؤال ثابتين ، واجعلنا ممن يأخذ كتابه باليمين يوم الفزع الأكبر ومن الآمنين ، ومتعنا اللّهم بالنظر إلى وجهك الكريم برحمتك يا أرحم الراحمين .

ويكثر بعد ذلك من الذكر ومن قول : (رَبَّنَا آتِنَا فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) .

مسجد المزدلفة والسبيلين ومسجد الخيف

يوجد مسجد المزدلفة بالمشعر الحرام ، ويوجد بمنًى (السبيل المصرى) الذى أنشأته وزارة الأوقاف سنة ١٣٤٠ ليشرب منه ركب المحمل المصرى وسائر الحجاج الذين ينزلون بالقرب منه ، وكان ذلك بأمر حضرة صاحب الجلالة المغفور له الملك (فؤاد الأول) .

ويوجد أيضاً (السبيل السعودى) الذى أنشأه جلالة الملك (عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود) ملك الحجاز ، وبه المياه متوفرة فوق العادة ، وعليه حراس يلاحظون دوام نظافته ليشرب منه الحجاج عند الإقامة بمنًى .

ويوجد أيضاً (مسجد الخيف) وبه المحراب والمنبر الذى خطب عليه النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى وسطه فناء كبير يتوسطه قبة ومئذنة .

وعن يمين الداخل مئذنة وجزء غير مسقوف ، وكذلك عن شماله .

أما الجهة اليسرى للمسجد ؛ فهى متسع من الأرض مسقوف وبه المحراب والمنبر الذى خطب عليه النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو ست درجات ومقعد من الحجر والجبس خلو من الأخشاب ، وأعدته ٧٢٤ ، وفى الجهة المقابلة للمحراب مدخل عال بخمس درجات ، والقبة فى وسط الفناء بها سبعة مداخل ومحراب ، وفى المحراب نافذة صغرى تطل على الفناء .

١٥ — رمى الجمار

رمى جمرة العقبة ، وذبح الهدى ، والحلق أو التقصير

فإذا أسفر النهار دفع من مزدلفة إلى منًى قبل طلوع الشمس ، وأخذ حصى الجمار من طريقه ، فاذا وصل منًى رمى (جمرة العقبة) بسبع حصيات يكبر إثر كل حصاة ، ويرميها من بطن الوادى ، ويستحب أن يدعو بما دعا به النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فقد روى أحمد ابن حنبل باسناده عن زيد بن أسلم قال « رأيت سالم بن عبد الله استبطن الوادى ورمى الجمرة بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة . (اللهُ أَكْبَرُ ، اللهُ أَكْبَرُ) ثم قال :

اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ حَجًّا مَبْرُورًا ، وَذَنْبًا مَغْفُوراً ، وَعَمَلاً مَشْكُوراً ، فسألته عمَّا صَنَعَ ؟ فَقَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَمَى الْجَمْرَةَ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ ، وَيَقُولُ كُلَّمَا رَمَى حَصَاةً مِثْلَ مَاقُلْتُ » .

ويقطع التلبية عند رمى الجمار ، ثم ينحر الهدى ، ويحلق أو يقصر ، وحلّ له كل ما كان محظوراً عليه إلا النساء لما روت عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« إِذَا رَمَيْتُمْ وَحَلَقْتُمْ فَقَدْ حَلَّ لَكُمُ الطِّيبُ وَالثِّيَابُ وَكُلُّ شَيْءٍ إِلاَّ النِّسَاءَ » .

والمرأة تقصر من شعرها قدر الأنملة ، ولا تحلق شعرها باجماع أهل العلم ؛ لأن الحلق فى حقها مُثْلَةٌ .

وقد روى ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَيْسَ عَلَى النِّسَاءِ حَلْقٌ إِنَّمَا عَلَى النِّسَاءِ التَّقْصِيرُ » . (رواه أبو داود)

التحلل الأصغر - الأول

إذا رمى الحاج جمرة العقبة حل له كل ما كان محرّمًا لأجل الإحرام إلا النساء والتعرض للصيد ؛ ويكره التطيب . ويسمى هذا التحلل الأصغر (الأول) هذا عند مالك ؛ وعند أبى حنيفة بالحلق والتقصير يحل له كل ما كان محرّما ماعدا النساء ؛ وعند الشافعى

وأحمد يحصل التحلل الأول بأمرين من ثلاثة : الرمى لجرة العقبة . الحلق أو التقصير . طواف الإفاضة .

١٦ – الرجوع إلى مكة – طواف الإفاضة

فإذا رمىٰ الجمار ونحر وحلق رجع إلى مكة ، فيطوف بالبيت سبع مرات (لطواف الإفاضة أو الزيارة) وهو ركن للحج لايتم إلا به ، وليس فى ذلك خلاف لأن الله تعالى يقول : (وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « حَجَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَأَفَضْنَا يَوْمَ النَّحْرِ فَحَاضَتْ صَفِيَّةُ ، فَأَرَادَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مَا يُرِيدُ الرَّجُلُ مِنَ أَهْلِهِ ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّهَا حَائِضٌ . قالَ : أَحَابِسَتُنَا هِيَ ؟ قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ : إِنَّهَا قَدْ أَفَاضَتْ يَوْمَ النَّحْرِ . قَالَ : أَخْرُجُوا » . (حديث متفق عليه)

وهو يدل على أن هذا الطواف من أركان الحج ، وأنه حابس لمن لم يأت به ، ومانع له من السفر حتى يأتى به فإذا طاف طواف الإفاضة ، فقد حلّ له كل شىء كان محظوراً عليه بسبب الإحرام ، وحلت له النساء بعد طواف الإفاضة يسعى بين الصفا والمروة سبعاً إن كان سعيه أوّلاً عن العُمرة فقط .

أما إذا كان سعيه أوّلاً عن الحج وحده ، أو الحج والعُمرة معاً فلا يطلب منه سعى بعد هذا الطواف ؛ وهذا عن الأئمة الثلاثة غير أبى حنيفة ؛ وعن أبى حنيفة الحكم كما ذكر فيمن أحرم ابتداء بالعُمرة وحدها أو بالحج وحده ؛ أما إذا أحرم ابتداء بالحج والعُمرة معاً فحكمه كما يأتى :

إذا قدم مكة ابتداء طاف وسعى بين الصفا والمروة بنية العُمرة ، ثم يطوف طواف القدوم للحج ، ثم يسعى بعد للحج أيضا ، فإذا جاء يوم العيد ورمىٰ جمرة العقبة وذبح هديه وحلق أو قصر رجع إلى مكة فطاف طواف الإفاضة (الزيارة) للحج ولا يسعىٰ بعده ، ومتى انتهىٰ من طواف الإفاضة ومن السعى بعده إن كان باقياً فقد حلّ له جميع ما كان محظوراً عليه بإجماع الأئمة الأربعة .

١٧ — الرجوع من مكة إلى منى للمبيت بها ورمى الجمار

ثم يرجع بعد طواف الإفاضة فى يوم النحر إلى منًى لما روى ابن عمر « أَنَّ النبى صلى الله عليه وسلم أَفَاضَ يَوْمَ النَّحْرِ ، ثُمَّ رَجَعَ فَصَلَّى الظُّهْرَ بِمِنًى » .

(حديث متفق عليه)

وقالت عائشة رضى الله عنها : « أَفَاضَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ آخِرِ يَوْمِهِ حِينَ صَلَّى الظُّهْرَ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مِنًى فَمَكَثَ بِهَا لَيَالِيَ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ » .

(رواه أبو داود)

ويبيت بمنى ثلاث ليال يبتدئ من ليلة الحادى عشر من ذى الحجة إن لم يتعجل ، فإن تعجل يبيت فيها ليلتين فقط . ومن تعجل سقط عنه رمى اليوم الثالث بعد يوم العيد ، وسقط عنه أيضاً المبيت بمنًى ليلة ذلك اليوم لقوله تعالى : (فَمَنْ تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ) .

١٨ — رمى الجمرات ، أو الجمار

فإذا كان من الغد وزالت الشمس ، رمى الجمرة الأولى أو الكبرى بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة ويقف عندها ويرمى الوسطى ، ثم يرمى جمرة العقبة بسبع حصيات ولا يقف عندها ، ويفعل فى اليوم الثانى كذلك ، وفى الثالث كذلك . والأصل فى هذا ماروت عائشة رضى الله عنها قالت : « أَفَاضَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم مِنْ آخِرِ يَوْمٍ حِينَ صَلَّى الظُّهْرَ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مِنًى فَمَكَثَ بِهَا لَيَالِيَ التَّشْرِيقِ يَرْمِى الْجَمْرَةَ إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ كُلَّ جَمْرَةٍ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ وَيَقِفُ عِنْدَ الأُولَى وَالثَّانِيَةِ ، فَيُطِيلُ الْقِيَامَ ، وَيَتَضَرَّعُ وَيَرْمِى الثَّالِثَةَ ، وَلاَ يَقِفُ عِنْدَهَا » .

(رواه أبو داود)

وقت رمى الجمار

وقت رمى الجمار من كل يوم من الأيام الثلاثة أو الاثنين للمستعجل دخول وقت الظهر ، ويمتد إلى غروب الشمس فى كل يوم من هذه الأيام عند غير أبى حنيفة ؛ وعنده مبدأ الرمى

فى الأول والثانى من الأيام الثلاثة زوال الشمس ، ويمتد إلى طلوع الفجر من اليوم الثانى ، وفى اليوم الأخير وقت الرمى من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، ورمى كل جمرة يكون بسبع حصيات ، وبالكيفية السابقة فى رمى جمرة العقبة ؛ والمرمى به يكون من جنس الحجارة أو من جنس الأرض كما تقدم .

ويطلب بعد رمى الجمرة الأولى أن تقف عندها مستقبلاً الكعبة حامداً الله تعالى مكبراً مهللاً مصليًا على النبى صلى الله عليه وسلم داعيًا ، ويكون وقوفك هذا بمقدار قراءة سورة البقرة (أى نصف ساعة تقريبًا) وكذا تقف بعد رمى الجمرة الثانية ؛ وأما الجمرة الثالثة فتنصرف بعد رميها حيث شئت ، ثم إذا كنت محرماً أولاً بالحج والعُمرة أو بالعُمرة وأحرمت بالحج بعدها وأتممت عملهما فقد أديت النسكين (الحج والعُمرة) .

أما إذا كان إحرامك أولاً بالحج وحده وقد فرغت من جميع أعماله الآن فيطلب منك طلباً أكيدًا أن تأتى بالعُمرة بعد الحج إن لم تكن قد اعتمرت من قبل ، وهى إحرام وطواف بالكعبة ، وسعى بين الصفا والمروة سبعًا ، وبعد ذلك يكون التحلل منها بالحلق أو التقصير . والإحرام بالعُمرة يكون من الحل وهو ماعدا الحرم ، والإحرام بالعُمرة يكون لمن لم يأت بها من قبل .

والمستحب أن يكون الإحرام بها من (الجعرّانة) عند مالك والشافعى؛ ومن (التنعيم) عند أبى حنيفة ، وتتجرد من الثياب ، ويلزم ما التزمته فى الإحرام السابق بيانه لك وتصلى قبله ركعتين إلى آخر ما تقدم .

وكذلك الطواف والسعى على الكيفية السابقة وبذلك تكون قد عملت بقوله صلى الله عليه وسلم : « تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ، وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلَّا الْجَنَّةَ »

(رواه الترمذى)

« عن كتاب الدين والحج ، ورسالة الحج على المذاهب الأربعة التى وضعتها إدارة الحج »

١٩ — طواف الوداع

متى قضيت جميع الأعمال المطلوبة منك ، وأردت الخروج من مكة يطلب منك أن تطوف بالبيت الحرام سبعاً بالكيفية السابقة .

ثم بعد الطواف تأتى الملتزم فتقف عنده وتدعو بما تيسر كما تقدم ، ثم تصلى ركعتين الطواف ، وهذا عند مالك .

ولا تسرع فى الأشواط الثلاثة الأول من هذا الطواف ، ولا تضطبع ؛ ويسمى هذا الطواف (طواف الوداع أو الصدر) .

وعند أبى حنيفة يدخل وقت طواف الوداع بمجرد الفراغ من طواف الزيارة ، ولا يتقيد ذلك بالعزم على الخروج من مكة .

ويكون هذا الطواف عند مالك متصلاً بخروجك من مكة فلا تمكث بعده إلا لشغل خفيف ثم تخرج ؛ والأفضل أن يكون خروجك من طريق (كدى) ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من حج أو عُمرة أو غزو يقول :

« آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ ، صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ) ، فيستحب لك أن تقولها حين خروجك اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم .

فعند الشافعى وأبى حنيفة بعد الفراغ من الطواف تصلى الركعتين ؛ وزاد أحمد تقبيل الحجر الأسود قبل صلاة الركعتين ، ثم بعد صلاة الركعتين عند الأئمة الثلاثة تأتى الملتزم فتلصق به بطنك وصدرك ، وتبسط يديك ، وتضع خدك الأيمن أو جبهتك عليه ، وتدعو بهذا الدعاء .

« اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، حملتنى على دابتك ، وسيرتنى فى بلادك ، حتى أدخلتنى حرمك وأمنك ، وقد رجوت بحسن ظنى أن تكون قد غفرت لى ذنبى ، فلك الحمد ولك الشكر .

اللهم احفظنى من يمينى ومن شمالى ، ومن خلفى ومن أمامى ، ومن فوقى ومن تحتى ، حتى تقدمنى على أهلى ، فإذا أقدمتنى على أهلى ، فاكفنى مئونة عيالى ، واكفنى مئونة خلقك أجمعين .

وبعد هذا عند الحنابلة تأتى (الحطيم) وتدعو بما أحببت.

وعند الشافعى وأبى حنيفة لاتأتى الحطيم.

ثم عند الأئمة الثلاثة تأتى زمزم وتشرب منها قائماً مستقبل القبلة، متضلعاً منه، متنفساً مراراً، ناظراً فى كل مرة إلى البيت، ماسحاً وجهك ورأسك صاباً منه على جسدك إن أمكن.

وبعد ذلك تعود إلى الحجر الأسود فتستلمه وتقبله، ثم تخرج من مكة من طريق (كدى) داعياً بالدعاء السابق عند المالكية، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: «آيِبُونَ تَائِبُونَ إلى آخره».

٢٠ - فضل الحج المبرور وجزاؤه

عن أبى هريرة قال: «سُئِلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ. قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: جِهَادٌ فِى سَبِيلِ اللهِ. قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: حَجٌّ مَبْرُورٌ».

وعن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت: «يَا رَسُولَ اللهِ نَرَى الْجِهَادَ أَفْضَلَ الْعَمَلِ أَفَلَا نُجَاهِدُ؟ قَالَ: لَا، لَكِنْ أَفْضَلُ الْجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ». (رواه البخارى)

وروى الإمام أحمد بإسناد حسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةَ».

آثار تاريخية دينية بمكة المكرمة

١ — المعلى (اسم لقبور أهل مكة)

المعلى، هى قبور أهل مكة، وبها قبر (السيدة آمنة) أم النبى صلى الله عليه وسلم (والسيدة خديجة الكبرى) زوجته عليه الصلاة والسلام، وجدى النبى عليه الصلاة والسلام (عبدالمطلب وعبد مناف) وقبر عمه (أبى طالب) فمن يزورها من الحجاج يقف على بابها ويقول:

السلام عليكم يا أهل المعلى ورحمة الله وبركاته، غفر الله لى ولكم الذنوب، وجعل الجنة مسكنكم ومأواكم.

اللّهم أمتنا على الكتاب والسنة ، وارزقنا حسن الخاتمة .

اللّهم اغفر لى ولوالدى وارحمهما كما ربيانى صغيراً .

اللّهم ارحم واعف عن المسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات برحمتك يا أرحم الراحمين ، ثم يقرأ الفاتحة .

٢ – جبل النور وبه غار حراء

(غار حراء) الذى اختفى فيه النبى صلى الله عليه وسلم مع أبى بكر الصديق حين عزمت قريش على قتله ، كما أشار تعالى إليه بقوله : (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يتعبد قبل البعثة فى (غار حراء) ، ويمكث فيه الليالى ذوات العدد ويتردد لذلك ؛

ثم جاء جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى فقال : (اقْرَأْ) قال : (مَا أَنَا بِقَارِئٍ) قال : فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال : (اقْرَأْ) فقلت : (مَا أَنَا بِقَارِئٍ) ، فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ؛

ثم أرسلنى فقال : (اقْرَأْ) فقلت : (مَا أَنَا بِقَارِئٍ) فأخذنى فغطنى الثالثة ثم أرسلنى فقال : (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) . (سورة العلق)

٣ – غار ثور

هو الجبل الذى اختفى فيه النبى صلى الله عليه وسلم مع أبى بكر الصديق رضى الله عنه ونزل فيه قوله تعالى : (إِذْ هُمَا فِى الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) .

فعلى الحاج أن يزور هذا الغار ويقف عنده ويقول :

اللّهم بجاه محمد وأنيسه وصديقه يسّر أمورنا ، واشرح صدورنا ، ونوّر قلوبنا ، واختم بالصالحات أعمالنا .

اللهم إنك تعلم سرى وعلانيتى ، فاقبل معذرتى ، وتعلم حاجتى فأعطنى سؤلى ، وتعلم مافى نفسى فاغفر لى ذنوبى فإنه لايغفر الذنوب إلا أنت . أشهد أن لاإله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله .

٤ — جبل أبى قبيس

هو الجبل الذى ارتقى عليه سيدنا إبراهيم عليه السلام حينما أنزل عليه قوله تعالى :
(وَأَذِّنْ فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) . وعلى الحاج أن يقف عنده و يقول :

اللّهم إنى أسألك إيماناً كاملاً يباشر قلبى ، ويقيناً صادقاً حتى أعلم أنه لايصيبنى إلا ما كتبته لى ، أنت وليى فى الدنيا والآخرة .

اللّهم أجرنى من الشيطان ، حتى لا يكون له علىّ سلطان .

اللّهم إنى أودعت فى هذا المكان الشريف من يومنا هذا إلى يوم القيامة خالصاً مخلصاً: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله .

المدينة المنورة

دار الهجرة النبــــوية

المدينة المنورة و يقال لها (طيبة) و (يثرب) و (دار الهجرة النبوية) هى مدينة كبيرة تكتنفها حرتان عظيمتان ، وهى محصنة تحصيناً قويا و بأطرافها بعيداً عنها جبال متعددة أهمها (جبل أُحد) الشهير الذى به قبر (سيدنا حمزة) عم الرسول . ومسا كنها كثيرة بها استعداد تام لنزول الحجاج و إقامتهم بها .

وهى البلدة التى اختارها الله لهجرة نبيه صلى الله عليه وسلم من مكة واستيطانه ومدفنه بها . وهى البلدة التى نزل بها (جبريل) عليه السلام . وبهـا مساجد متعددة وفنادق ومكاتب كثيرة أهمها مكتبة شيخ الإسلام (عارف حكمت) والمكتبة المحمودية وغير ذلك من الآثار المهمة التى سيأتى ذكرها .

وبالمدينة رجال استعدوا لخدمة الحجاج يسمون (الأدلاء) أو (المزورين) ومهمتهم كمهمة المطوفين بمكة يخدمون الحجاج مدة إقامتهم و يرشدونهم الى كل ما يسألون عنه .

السفر إلى المدينة المنورة

لزيارة قبر الرسول ومسجده الشريف

١ — السفر إلى المدينة المنورة

يخرج الحاج من مكة بعد أن يتسلم جواز السفر من المطوف ، راكباً سيارةً أو لورياً ، ويتوجه إلى جُدة ويمكث بها قليلاً ، ثم يسير بسيارته قاصداً المدينة ، ماراً بطريق وعر غير ممهد ، كثير التعرجات والعثرات بين الجبال والهضاب ، ويقضى فيه ليلتين أو ثلاثاً حسب سرعة السيارة أو اللورى ، ويبيت فى جهة تسمى (رابغ) ليلة وفى (المسيجيد) ليلة أخرى ، ثم يستمر فى سيره بالسيارة أو اللورى . إلى أن يصل إلى (باب العنبرية) أو باب المدينة فيجد فيها حراساً ومفتشين للإطلاع على جواز السفر (الباسبور) وللسماح له بالدخول إلى المدينة .

فإذا مابانت له أبنية المدينة فليقل : اللّهم إن هذا حرم بيتك ، وقد حرّمته على لسانه صلى الله عليه وسلم فاجعله وقايةً لى من النار ، وأماناً من سوء الحساب .

كيفية الإقامة فى المدينة المنورة

عند مايصل إلى المدينة يجد من أهلها الترحيب لجلوسه بمنازلهم مدة إقامته عندهم ، فيضع أمتعته عند الشخص الذى يختاره للإقامة عنده ، بعد الاتفاق معه على الأجر فى مدة إقامته .

هذا مع العلم بأن أهل المدينة من أحسن الناس خلقاً ، وأحسنهم معاملةً ، وأطيبهم معاشرةً ، ومساكنهم نظيفة ، ومطاعمهم طيبة لذيذة ؛ وأهم مايوجد عندهم أنواع البلح خصوصاً السكرى ، ويوجد له سوق خاص بالقرب من المسجد النبوى ، ووكالة تسمى : (وكالة البلح) ويوجد بها سوق خاص لبيع الأقمشة الحريرية والعقال والكوفية والحلى الفضية من أساور للسيدات ودبل للرجال وغير ذلك .

وبعد ذلك يغتسل ويتطيب ويلبس أفخر الثياب ويقصد زيارة الحرم النبوى وزيارة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام .

كيفية زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم، ومسجده الشريف

إن زيارة سيد الأنام، ومصباح الظلام، وخاتم الرسل والأنبياء الكرام، النبى بعثه الله رحمةً لجميع الأنام، سنة من سنن سيد المرسلين، وقربة من قربات رب العالمين، لقوله صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ وَجَدَ سَعَةً وَلَمْ يَزُرْنِي فَقَدْ جَفَانِي » . وقوله : « مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي » . وقوله : « مَنْ زَارَنِي مُحْتَسِباً كُنْتُ لَهُ شَهِيدًا وَشَفِيعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . والأحاديث فى ذلك كثيرة .

فمن أراد زيارته أكثر من الصلاة والتسليم عليه فى طريقه قائلاً : (إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً) .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَدَدَ مَا فِي عِلْمِ اللهِ صَلَاةً دَائِمَةً بِدَوَامِ ذِكْرِ اللهِ .

ثم يتوجه إلى المسجد ويدخل من (باب السلام) بكل سكينة ووقار، مقدمًا رجله اليمنى فى دخوله قائلاً :

بِسْمِ اللهِ، وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم . رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ، وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ، وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا . رَبِّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ . وَأَدْخِلْنِي فِيهَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

ثم يقصد المسجد ، فإذا دخله صلى فيه ركعتين تحية المسجد واستحضر من الخشوع ما يمكنه .

الروضة الشريفة بالحرم النبوى

ثم يتوجه إلى الروضة الشريفة وهى التى قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا بَيْنَ قَبْرِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ » ويصلى فيها ركعتين ويدعو بهذا الدعاء : اللَّهُمَّ إِنَّ هَٰذِهِ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ شَرَّفْتَهَا وَكَرَّمْتَهَا وَنَوَّرْتَهَا بِنُورِ نَبِيِّكَ

وحَبِيبِك مُحمدٍ صلى الله عليه وسلم؛ فَنَسْألك يا ألله أن تحشرنا فى زُمْرَتِهِ ، وأن تميتنا على سُنَّتِهِ ومحبته، وأنْ تَسْقِينا من حَوْضِهِ وبِيَدِهِ الشريفة شربةً هنيئة لا نَظْمأُ بعدها أبداً إنَّكَ على كل شَىْءٍ قَدِيرٍ » ثم تنهض إلى الحجرة النبوية .

الحجرة النبوية التى بها قبر النبى صلى الله عليه وسلم
وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما

ثم يقف بعيداً عن المقصورة الشريفة بمقدار أربعة أذرع بغاية الأدب والخشوع محاذياً لرأس النبى عليه الصلاة والسلام ووجهه الأكرم ، ملاحظاً نظره السعيد إليه ، وسماعه كلامه عليه ، ورده سلامه ، وتأمينه على دعائه ، ويلازم الأدب والخشوع والتواضع ، وغض البصر وسكون الجوارح ، وإطراق الرأس ، مستحضراً علمه بوقوفه بين يديه ، وجلالة رتبته ، وعلو منزلته ، وعظيم حرمته . ثم يسلم عليه قائلاً مع خفض الصوت:

السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم

السلام عليك يارسول الله، السلام عليك يانبى الله، السلام عليك ياحبيب الله، السلام عليك ياخير خلق الله ، السلام عليك يامزمل ، السلام عليك يامدثر ، السلام عليك يانبى الرحمة ، السلام عليك ياشفيع الأمة ، السلام عليك ياأبا القاسم ، السلام عليك يابشير ، السلام عليك يانذير ، السلام عليك يا أكرم ولد آدم ، السلام عليك ياسيد الأنبياء والمرسلين ، السلام عليك ياقائد الغر المحجلين ، السلام عليك ياقائد الخير وفاتح البر وهادى الأمة ، السلام عليك وعلى أهل بيتك الطيبين الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ؛ السلام عليك وعلى أصحابك أجمعين ، وعلى أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين ، السلام عليك وعلى سائر الأنبياء والمرسلين ، وعباد الله الصالحين ؛ جزاك الله يارسول الله أحسن وأفضل ماجزى نبياً عن قومه ورسولاً عن أمته ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنك عبده ورسوله وأمينه وصفيه وخيرته من خلقه ، وأشهد أنك قد بلغت الرسالة ، وأديت الأمانة ، ونصحت أمتك ، وأوضحت الحجة ، وجاهدت فى الله حق جهاده ، وأقمت الدين ، وجاهدت عدوك ، وعبدت ربك حتى أتاك اليقين يا خير الرسل إن الله عز وجل أنزل عليك كتاباً صادقاً قال فيه :

(وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً) . (سورة النساء)

وقد جئتك مستغفراً من ذنبى ، مستشفعاً بك إلى ربى .

السلام على أبى بكر رضى الله عنه

ثم ينتقل عن يمينه مقدار ذراع ، ويسلم على أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فيقول : السلام عليك ياخليفة رسول الله ، السلام عليك ياصاحب رسول الله فى الغار ، ورفيقه فى الأسفار ، وأمينه على الأسرار ، يامن أيد الله به الدين يوم الردّة ، جزاك الله عن الإسلام والمسلمين خيراً ؛ اللّهم ارض عنه .

السلام على عمر بن الخطاب رضى الله عنه

ثم ينتقل عن يمينه قدر ذراع ، ويسلم على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فيقول : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، السلام عليك يامن أيد الله بك الدين ، السلام عليك يامظهر الإسلام ، السلام عليك يامكسر الأصنام ، جزاك الله عن الإسلام والمسلمين خيراً . اللّهم ارض عنه .

ثم يرجع إلى موقفه الأول ، قبالة وجه النبى صلى الله عليه وسلم ، فيحمد الله تعالى ويمجده . ويصلى على النبى ، ويكثر من الدعاء والتضرع ، ويجدد التوبة فى حضرته الكريمة ، ويسأل الله تعالى متوسلاً بجاهه أن يجعلها توبةً نصوحًا ، ويتعلق بأذيال عطفه وكرمه ، فهو الوسيلة إلى نيل المعالى .

ثم يأتى الروضة الشريفة ويصلى فيها ما شاء ، ويدعو بما أحب ، ويجتهد فى إحياء الليالى مدة إقامته ، واغتنام مشاهدة الحضرة النبوية ، وزيارته فى عموم الأوقات ، ويلازم الصلوات مكتوبة ، ونافلةً ، فى مسجده خصوصاً بالروضة الشريفة .

البقيع مقابر أهل المدينة المنورة

ثم يخرج إلى زيارة البقيع فيأتى المشاهد والمزارات المشهورة بها ، من قبور سيدى العباس ، والحسن ابن الإمام على كرم الله وجهه ، وبقية آل الرسول ، ويزور قبر امير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وإبراهيم ابن النبى ، وأزواج النبى ، وعمته صفية ،

والصحابة والتابعين رضى الله عنهم أجمعين ، وشهداء أُحُد ؛ ويقرأ آية الكرسى والإخلاص، إحدى عشرة مرةً وسورة يٰس إن تيسر ، و يهدى ثواب ذلك لجميع الشهداء، ومن بجوارهم من المؤمنين ، ثم يقول : السلام عليكم ياأهل البقيع ، ياأهل الجناب الرفيع . أنتم السابقون ونحن إن شاء الله تعالى بكم لاحقون ، أبشروا بأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور ، آنسكم الله تعالى ، شرفكم الله تعالى بقول أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

الآثار الإسلامية التى بالمدينة

١ — مسجد قِباء

لما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة المنورة لبث فى بنى عمر و بن عوف بضعة عشرة ليلة وأسس هذا المسجد الذى أسس على التقوىٰ وصلىٰ فيه ، ثم استأذنه فى الذهاب إلى المدينة ، ثم ركب راحلة فصار يمشى معه الناس حتى دخلوا المدينة فأشرقت وأضاء منها كل شىء .

ومافرح المؤمنون بشىء أكثر من فرحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم، وامتلأت الشوارع والأزقة بالتكبير والهتاف : الله أكبر جاء رسول الله ، الله أكبر جاء رسول الله وصعدت ربات الخدور على بيوتهن يوقعن هذا النشيد بنغمة شجية :

طلع البــدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينـا جئت بالأمر المطاع

ووقف اليهود والمشركون أمام هـذا الاحتفال العظيم ينظرون نظرة دهشة غير حاسبين للحياة الجديدة التى ستدبّ فى مدينتهم أى حساب .

وهذا المسجد يبعد عن الحرم المدنى ساعة سيراً على القدم ذهابًا و إيابًا .

فعلى كل حاج عند زيارته لهذا المسجد أن يدعو بهذا الدعاء : اللهُمَّ إنَّ هَذَا المَسْجدَ مَسْجدُ قباء ومصلَّى نبينا وحبيبنا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

اللّهمّ إنكَ قلتَ وقولكَ الحق فى كتابك المنزل على لسان نبيك المرسل (لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ، فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ، وَاللهُ يُحِبُّ المطَّهِّرِينَ) اللّهمّ طهر قلوبنا من النفاق ، وأعمالَنا من الرياء ، وفروجَنا من الزنا ، وألسنتَنا من الكذب والغيبة، وأعينَنا من الخيانة، فإنك تعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور . ربَّنا ظلمنا أنفسَنا وإن لم تغفرْ لنا وترحمنا لنكوننَّ من الخاسرين .

٢ — بئر أريس

بجوار مسجد قباء : بئر أريس المسماة (بئر الخاتم) لأن خاتم النبى صلى الله عليه وسلم وقع فيها فقلّبت البئر ، ولم يوجد الخاتم .

وقد جاء فى مختصر الزبيدى للبخارى قصة عن أبى موسىٰ الأشعرى يستدل منها على أن النبى صلى الله عليه وسلم بشر أصحابه أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً الذين توضئوا من هذه البئر بالجنة .

٣ — جبل أحد وقبر سيدنا حمزة عم النبى صلى الله عليه وسلم وسيد الشهداء

أقيم فوق هذا الجبل الذى استشهد به سيدنا حمزة قبر ودفن به . وورد فى كثير من كتب السير أن سيدنا حمزة قتل تحت جبل (الرماة) وهو جبل عثين؛ فالمدفن غير المصرع وذلك فى غزوة أُحد التى ابتلى المسلمون فيها ببلاء حسن ، واستشهد كثير منهم كان لهم فيها من العظة والاعتبار ماسلك لهم فى المستقبل نهجًا أماناً وطريقاً رشداً .

فعند زيارتك لمقابر هؤلاء الشهداء تقف عندهم وتقول : السلام عليكم ياسيدنا حمزة ياعم رسول الله ، السلام عليكم يا أسد الله ، السلام عليكم ياشهداء ، أسكنكم الله الجنة ، ثم تقرأ الفاتحة وتدعو بما تشاء .

٤ — مسجد القبلتين بالمدينة المنورة

كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى فيه مستقبلاً بيت المقدس ، فنزل عليه قوله تعالى :

(قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) .

فحوّل صلى الله عليه وسلم وجهه الشريف إلى المسجد الحرام ، فسمى هذا المسجد بمسجد القبلتين ، يصلى فيه الحاج ركعتين ويدعو بهذا الدعاء :

اللهم إن هذا مسجد القبلتين ، ومصلى نبينا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم .

اللهم كما بلغتنا فى الدنيا زيارته وأثره الشريف ، فلا تحرمنا يا ألله فى الآخرة من فضل شفاعته صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، واحشرنا فى زمرته وتحت لوائه ، وأمتنا على محبته وسنته ، واسقنا من حوضه المورود بيده الشريفة شربةً لانظمأ بعدها أبداً إنك على كل شىء قدير .

٥ — مسجد الفتح بالمدينة المنورة

هو على قطعة من جبل (سلع) خارج المدينة مشهور ، من جهة المغرب ، يصعد إليه بدرجتين : شمالية وشرقية ، وهو المراد بمسجد الفتح عند الاطلاق ، ويقال له أيضاً : مسجد الأحزاب ، والمسجد الأعلى ، وبجواره منازل بنى عوف بن مالك .

ففى يوم وقعة (الخندق) المشهورة ، وقف النبى صلى الله عليه وسلم على جبل أشرف منه على المعركة ، وقد بنى فيه هذا المسجد فصلّى فيه ركعتين .

فإذا أتيت هذا المسجد فصلِّ فيه ركعتين وادع بهذا الدعاء :

اللهم إن هذا المسجد مسجد الفتح ، ومأثرة من مآثر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموٰات والأرض ورب العرش الكريم .

اللهم لك الحمد هديتنى من الضلالة ، فلا مكرم لمن أهنت ، ولا مهين لمن أكرمت .

اللهم ارزقنا التوفيق ، وحسن الأعمال ، واختم لنا بالخير ، وتقرأ الفاتحة .

الخروج من المدينة

إذا عزم الحاج على الخروج من المدينة فليأت القبر الشريف لوداع الرسول ، ويدعو بالدعاء الآتى :

الوداع يارسول الله ، الفراق يانبي الله ، الأمان ياحبيب الله ، لاجعله الله تعالى آخر العهد منك ، ولامن زيارتك ، ولامن الوقوف بين يديك ، إلا من خير وعافية ، وصحة وسلامة ، إن عشت إن شاء الله جئتك ، و إن مت أودعت عندك شهادتى وأمانتى ، وعهدى وميثاق من يومنا هذا إلى يوم القيامة ، وهى : شهادة أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ . وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .

قال النبى صلى الله عليه وسلم : « مَنْ زَارَنِي بَعْدَ مَمَاتِي فَكَأَنَّمَا زَارَنِي فِي حَيَاتِي »

ثم يدعو الله عز وجل أن يرزقه العودة إليه ، ويسأله السلامة فى السفر ، ثم يصلى ركعتين فى الروضة ؛ فإذا خرج فليخرج برجله اليسرى أولاً ثم اليمنى وليقل :

اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، ولا تجعله آخر العهد بنبيك ، وحط أوزارى بزيارته ، واصحبنى فى سفرى السلامة ، ويسر رجوعى إلى أهلى ووطنى سالماً ، يا أرحم الراحمين .

السفر من المدينة إلى جُدة ثم إلى جبل الطور

بعد أن يؤدى الحاج زيارة قبر الرسول ، وزيارة الآثار الإسلامية بالمدينة يعود إلى جُدّة ويمكث بها بضعة أيام إلى أن يحصل على جواز سفر العودة إلى مصر من المفوضية المصرية ، ثم يبحر من جُدة إلى جبل الطور ليقضى به أيام الحجر الصحى المقررة ، وهى ثلاثة أيام ، ثم يعود بسلامة الله إلى السويس ومنها إلى بلده بمصر .

المذاء بجبل الطور

هو ميناء جميلة يمر بها الحجاج العائدون من الأقطار الحجازية ، قاصدين العودة إلى الأراضى المصرية ، ولو يوماً واحداً للتبخير وتغيير الهواء ، وبالمذاء عدة غرف على درجات

أولى وثانية ؛ وتمتاز الأولى عن الثانيـة بوجود أسرّة ، ووجر على نفقة الحاج ، وأما باقى الغرف فهى بدون مصاريف للنوم بها ، والجميع فى غاية النظافة .

وموجود بالمذاء مستودع أو كانتين (مطعم) لمبيع جميع أنواع الطعام وكل مايطلبه الحاج ويحتاجه بثمن معتدل ، وبه خدم لتنظيف الغرف فى كل الأوقات .

وبه طبيب مباشر يمرّ كل يوم مرتين لفحص صحة الموجودين .

وهذا المذاء غاية فى جودة الهواء الطلق ؛ لأنه لا يحجبه أى بناء محاذٍ له ، ويوجد به مكتب تلغراف لتبليغ الإشارات بسلامة عودة الحجاج لأهلهم ووطنهم .

فإذا قضى الحاج مدة الحجر الصحى ، فليعجل بالرجوع إلى أهله لقوله عليه الصلاة والسلام : « إِذَا قَضَى أَحَدُكُمْ حَجَّهُ فَلْيُعَجِّلِ الرُّجُوعَ إِلَى أَهْـلِهِ فَإِنَّهُ أَعْظَمُ لِأَجْرِهِ » . (عن عائشة)

العودة إلى مصر

بعد انتهاء مدة الحجر الصحى المقررة يعود الحجاج إلى أوطانهم فيركبون الباخرة من الطور إلى السويس ، وهناك يجد الحاج أقاربه وأصحابه وأحبابه فى انتظاره بسياراتهم ، فيركب معهم ، أو يركب القطار من السويس إلى القاهرة .

فإذا وصل الحاج إلى بلده صلّى ركعتين شكراً لله الذى وفقه لحج بيته الحرام ، وزيارة قبر رسوله الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

وعند زيارة الحاج ومقابلته للتهنئة بسلامة العودة فليسلم عليه ويصافحه ويطلب منه الاستغفار فإنه مغفور له ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا لَقِيتَ الحَاجَّ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَصَافِحْهُ وَمُرْهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَهُ فَإِنَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ » (عن ابن عمر)

أيهما يقدم : الحج أم الزيارة ؟

اختلفت الآراء من فقهاء المذاهب الأربعة فى تقديم أيهما (الحج أو الزيارة على الآخر ؟) فقال تقى الدين السبكى : اختلف السلف رحمهم الله فى أن الأفضل البداءة بالمدينة قبل مكة ، أو بمكة قبل المدينة ؟

وممن نص على هذه المسألة وذكر الخلاف فيها الإمام أحمد رحمه الله فى كتاب المناسك الكبير من تأليفه ، وفى هذه المناسك سُئل عمن يبدأ بالمدينة قبل مكة ؟

فذكر باسناده عن عبد الرحمن بن يزيد وعطاء ومجاهد أنهم قالوا : إذا أردت مكة فلا تبدأ بالمدينة وابدأ بمكة ، وإذا قضيت حجك فامرر بالمدينة إن شئت .

وذكر باسناده عن الأسود قال: أحب أن يكون نفقتى وجهازى وسفرى أن أبدأ بمكة .

وعن إبراهيم النخعى : إذا أردت مكة فاجعل كل شىء لها تبعاً . وعن مجاهد : إذا أردت الحج أو العُمرة فابدأ بمكة واجعل كل شىء لها تبعاً . وعن إبراهيم قال : إذا حججت فابدأ بمكة ثم مرّ بالمدينة بعد .

وذكر الإمام أحمد أيضاً بإسناده عن عدى بن ثابت أن نفراً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يبدءون بالمدينة إذا حجوا يقولون : نُهلّ من حيث أحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذكر ابن أبى شيبة فى فضيلة هذا الأمر أيضاً ، باسناده عن علقمة والأسود وعمرو بن ميمون : أنهم يبدءون بالمدينة قبل مكة إلى أن قال : وممن نص على هذه المسألة من الأئمة أبوحنيفة رحمه الله وقال : الاحسن أن يبدأ بمكة (أى بالحج) .

وقال الشيخ على القارى : الأنسب أن تكون الزيارة بعد الحج ، كما هو مقتضى القواعد الشرعية من تقديم الفرض على السنة .

وقد روى الحسن عن أبى حنيفة تفصيلا حسنًا ، وهو :

أنه إن كان الحج فرضاً ، فالأحسن للحاج أن يبدأ بالحج، ثم يثنّى بالزيارة ، وإن بدأ بالزيارة جاز ، وإن كان الحج نفلاً فهو بالخيار ، فيبدأ بأيهما شاء ، ثم قال : والأظهر أن الابتداء بالحج أولىٰ لإطلاق الحديث : « مَنْ حَجَّ فَزَارَ قَبْرِى بَعْدَ وَفَاتِى كَانَ كَمَنْ زَارَنِى فِى حَيَاتِى » (عن عبد الله بن عمر)

ولتقديم حق الله على حقه صلى الله عليه وسلم، ولذا تقدم تحية المسجد النبوى على زيارة المشهد المصطفوى .

وهناك كلام طويل فى هذه المسألة فى كتاب (الغدير) لعبد الحسين أحمد الأمينى النجفى فى الجزء الخامس ، فلنكتف بما ذكر ، والله ورسوله أعلم .

خطبة منبرية لفضيلة الأستاذ محمود خليفة

فى الزيارة النبوية

اللهم لك الحمد هديتنا من الضلالة ، وأنقذتنا من الجهالة ، نحمدك ونتوجه إليك أن ترزقنا العفو والعافية فى الدنيا والآخرة ، ونستغفرك ونتوب إليك ، ونسألك البرّ والتقوى ، ومن العمل ماتحب وترضى ، ونشهد أن لاإله إلا أنت وحدك لاشريك لك ، لامكرم لمن أهنت ، ولا مهين لمن أكرمت ، ولا خاذل لمن نصرت ، ولا ناصر لمن خذلت ، لك الخلق والأمر ، وأنت على كل شىء قدير ، ونشهد أن محمداً عبدك ورسولك ، الهادى البشير الصادع النذير ، إمام المتقين ، وسيد المرسلين ، وشفيع المذنبين ، ومن أثنى الله عليه فى الملائكة المقربين ، وأمر بالصلاة والسلام عليه عباده المؤمنين ، صلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلم تسليماً .

أما بعد : فيقول الله تبارك وتعالى وهو أصدق القائلين : (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيماً) .

أيها المسلمون : لكل قلب فى هذا الوجود ذكريات ، ولكل وقت للكلام مناسبات ، والذكريات السعيدة المباركة ؛ تثيرها فى القلوب الأوقات السعيدة المباركة ، ولا شك أن هذه الأيام الكريمة التى تمرّ بنا ، وهذه الأشهر العزيزة التى تعود علينا تبعث فى نفس كل مسلم مخلص لدينه ، مؤمن بربه أعظم الذكريات خطراً ، وأجلها قدراً ، ذكرى زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الخليقة ، وأهداهم طريقة ، المصطفى المجتبى ، المجاهد فى الله حق جهاده ، زعيم الأنبياء فى هديه و إرشاده ، محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب ، سيد من مشى على الأرض ، وأعظم من خلق الله فى السموات والأرض ، صلى الله عليه وسلم.

فيا سعادة هؤلاء الإخوان الأبرار الذين رضى الله عنهم فوفقهم لزيارة النبى المختار، إنهم سيتشرفون بدخول المدينة المنورة ، وتكتحل عيونهم بنور الروضة المطهرة ، وتنشرح صدورهم بما هنالك من النفحات القدسية ، وتقر عيونهم بالتعطفات المحمدية تفيض عليهم من أشرف الخلق وخير البرية ، صلى الله عليه وسلم .

إنهم ـ والله ـ لأسعد الناس بتوفيق الله إياهم لهذه الزيارة ، فقد اكتسبوا بها رضا الرسول، ونالوا بقربه المأمول ، وضمنوا القبول ، ووصلوا القربى ، وأدّوا الواجب ، وخلصوا من تبعة الفريضة ، وبعدوا بأنفسهم عن دنيا هؤلاء الأنانيين المتكالبين ، الذين يتهافتون على متع الحياة وشهواتها ، ويتعلوكون ويتصارعون من أجلها ؛ كأنهم فيها خالدون أو كأنهم أمنوا ريب المنون .

نعم هم أسعد الناس وأرضاهم لله ، تركوا الأهل والأقارب والبلاد والمناصب ، وهرعوا إلى أكرم أهل ، وأرحب بلد ، وخير منصب ، اتخذوا الرسول خير خلق الله موئلاً ، وتشرفوا بأرض كانت للرسول صلى الله عليه وسلم مهجراً ومستقراً ، وتبوءوا منصبًا يضمن لهم النجاة فى الموقف يوم العرض الأكبر ، منصب الشفاعة العظمى ، يوم يعرض الناس على ربهم ، ويأخذ الفزع بقلوبهم ، ويبلغ العرق إلى رقابهم (يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ . وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ . لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ) يوم يتمنى أهل الموقف الذهاب ولو إلى النار ، هنالك يذهب أولئكم الزوّار من الحجاج الأبرار إلى صاحب الشفاعة العظمى فيقولون : نحن زوّارك ياحبيب الله فاشفع لنا عند ربك ، فيتوجه الحبيب المحبوب إلى ربّ العزة ساجداً ضارعاً إليه ـ عزّ وجل ـ أن يغفر لهم ، ويخفف حسابهم ، ولا يزال صلى الله عليه وسلم ساجداً تحت العرش حتى ينادى من قِبَل الله ـ سبحانه ـ : يامحمد ارفع رأسك ، وسل تعط ، واشفع تشفع ، فيرفع رأسه ، ويشفع للناس فى فصل القضاء شاكراً ربه ، مبشراً زوّاره بأن الرءوف الرحيم صدق وعده ، واستجاب شفاعته ، وحقق قوله لأمته : « مَنْ تَشَرَّفَ بِزِيَارَتِي فَقَدْ وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي » .

فأبشروا أيها الحجاج المخلصون . قَبِل الله حجكم ، وغفر ذنبكم ، وردكم إلى أهلكم وأولادكم غانمين سالمين، بلّغوا عنا السلام صفوة الخلق عليه الصلاة والسلام ، وصحابته الهداة الأعلام ، فإن قلوبنا لتطير شوقاً للتمتع بزمزم والمقام ، وزيارة سيد الأنام ، وهبنا الله ملوهبكم ، وأكرمنا كما أكرمكم ، حتى نسعد بما سعدتم به من حج بيت الله ، والوقوف بين يدى رسول الله .

اذكروا أيها الحجاج الأطهار حين تقفون أمام الروضة المشرفة ، ماقام به صلى الله عليه وسلم من الدعوة إلى ربه لايملك إلا نفسه وكلمة الحق التى أنزلها الله عليه . واذكروا

ما كان من قومه له من الترهيب تارة والترغيب أخرى فقد استعدوا عليه أشياعهم وحلفاءهم فلم يزدد إلا مضيًا فى دعوته ، وثقة بوعد ربه ، وتفانيًا فى الحق الذى جاء به ، وتربصوا به الدوائر فكانت عليهم دائرة السوء ، وظنوا أن يكون فى وحدته وقلة من آمن به سبيل إلى النيل منه والصد عن دعوته ، ولكن الله الذى قال له : (وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) جعل من وحدته قوة ، ومن قلته كثرة ، وضاعف عدد أنصاره وأتباعه يعبدون الله وحده حتى صار (محمد المفرد الوحيد) يسيطر على ملايين الملايين من الأفئدة والقلوب ، ويعبر بهم الحياة الدنيا صالحين وينقلبون إلى الله صالحين إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .

اذكروا أيها الحجاج وأنتم واقفون حيال قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم ما كان منه حين مناه قومه الأمانى ، ووضعوا بين يديه مناصبهم وجاههم وأموالهم ، على أن يتركهم وما يعبدون فلا يسفه أحلامهم ، ولا يعيب آلهتهم ، فتلا عليهم من كلام الله تعالى ما أصغر شأن الدنيا ، وحقر مامنوه به من الأمانى ، وجابههم بأنه جاد فى الدعوة التى أرسله الله بها لايثنيه عن ذلك تهديد ، ولا يرده وعد أو وعيد ، وأنهم لو وضعوا الشمس فى يمينه ، والقمر فى يساره على أن يترك هذا الأمر ماتركه حتى يظهره الله أو يهلك دونه .

اذكروا حين تقفون على قبر الرسول صلى الله عليه وسلم وقبرى صاحبيه أبى بكر وعمر رضى الله عنهما — ما كان فى عملهم من النفع والحكمة ، والخير للإنسانية قاطبة ، استعرضوا حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وحياة ضجيعيه ووزيريه وجهادهم فى سبيل إعلاء كلمة الله ، ونشر دين الله ، واذكروا ما كانوا عليه من بساطة العيش منذ تولوا أمر الناس وإيثارهم على أنفسهم وأهليهم ، وانصرافهم عن الاستمتاع بالدنيا وطيباتها خشية أن يدخل عليهم منها ماليس لهم بحق ، اذكروا ماضربوه للعالم من المُثل العليا فيما يجب أن يكون عليه من يتولى أمر الناس .

اذكروا أيها الحجاج الموفقون كل هذا وغير هذا من تاريخ أولئكم الـكملة الأخيار ، ثم اقتدوا به ، وأرشدوا إخوانكم إليه ، حتى تتحقق بذلك محبتكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن علامة محبته الاقتداء به واتباع سنته ، والعمل بأقواله وأفعاله ، والتأدب بآدابه فى عسره ويسره ومنشطه ومكرهه ، وإيثار ما شرعه وحض عليه على ما يحبه الإنسان ويشتهيه .

لاتنس أيها الحاج أن زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم من أحسن القرب ، وآكد السنن ، فأخلص النية لها ، وانوِ معها زيارة المسجد النبوى فإنه أحد المساجد الثلاثة التى تشدّ إليها الرحال (والصلاة فيه خير من ألف صلاة فيما سواه ، إلا المسجد الحرام) .

فإذا توجهت إلى المدينة المنورة بهذه النية المباركة ووقع بصرك على أشجار المدينة ومعالمها فأكثر من الصلاة والسلام على ساكنها ، واسأل الله تعالى أن ينفعك بهذه الزيارة وأن يقبلها ، وإذا دخلت الحرم النبوى فلتكن على طهارة تامة ، ولتدعُ الله حين الدخول بالأدعية المأثورة ، وبعد أن تصلى ركعتين تحية المسجد تقصد القبر الشريف متواضعاً خاشعًا فارغ القلب من شواغل الدنيا ، واضعًا يمينك على شمالك واقفًا على مسافة أربعة أذرع منه ، مستقبلاً لوجهه الشريف ، مستحضراً أنه عليه الصلاة والسلام عالم بحضورك وقيامك وسلامك ، ثم تقول بذلّ واستعبار ، بين الإعلان والإسرار : السلام عليك يا خير خلق الله يا إمام المتقين ياسيد المرسلين ، إنى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنك عبده ورسوله ، قد بلّغت الرسالة وأدّيت الأمانة ، ونصحت الأمة ، فجزاك الله عنا أفضل ماجازى نبياً عن أمته ، ثم تصلى وتسلم على الرسول صلى الله عليه وسلم ثم تقول : اللّهم إنك قلت : « وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيماً » وقد أتيتك يارسول الله مستغفراً من ذنوبى ، مستشفعًا بك إلى ربى ، فأسألك يارب أن توجب لى المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه فى حياته ، اللّهم اجعله أول الشافعين يا أرحم الراحمين ، ثم تدعو لوالديك وللمسلمين، وتبلغ سلام من أوصاك تبليغ سلامه ، ثم تتأخر عن يمينك قليلاً فتقول : السلام عليك ياخليفة رسول الله ، السلام عليك يا صاحب رسول الله وأنيسه فى الغار ، وأمينه على الأسرار ، جزاك الله عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم خيراً ، ثم تتأخر عن يمينك قليلاً فتقول : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، السلام عليك ياناصر المسلمين ، السلام عليك يامن أعزّ الله به الإسلام ، جزاك الله عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم خيراً، ثم تدعو الله تعالى بما شئت، وتكثر من الصلاة والدعاء فى الروضة المطهرة، وتكرر هذا كلما دخلت الحرم الشريف .

رزقنا الله وكل محب حجّ بيته الكريم وزيارة رسوله الأمين ، وكتب السلامة والأمان للحاجين والمعتمرين وردهم إلى أوطانهم سالمين غانمين ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

عن نافع عن سالم عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ جَاءَنِى زَائِرًا لَا تَحْمِلُهُ حَاجَةٌ إِلَّا زِيَارَتِى كَانَ حَقًّا عَلَىَّ أَنْ أَكُونَ لَهُ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وعن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ حَجَّ فَزَارَ قَبْرِى بَعْدَ مَوْتِى كَانَ كَمَنْ زَارَنِى فِى حَيَاتِى » .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم قال : « لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا لِثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ : الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَمَسْجِدِى هٰذَا ، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى » .

أوصاف المساجد الثلاثة التى تشد إليها الرحال

أو الأماكن المقدسة الإسلامية

المساجد التى قال النبى صلى الله عليه وسلم فى حقها : « لَا تَشُدُّوا الرِّحَالَ إِلا لِثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ : الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ، وَمَسْجِدِى هٰذَا »
ولنتكلم على وصف كل منها بالاختصار فنقول :

١ — المسجد الحرام أو الحرم المكى

يوجد الحرم المكى فى وسط مكة ، وشكله مربع تقريبا ، ومساحته من الداخل ١٧٩٠٢ متر ؛ أى أربعة أفدنة وربع ، يحيط به من جهاته الأربع ثلاثة أروقة وبواكى فى الأكثر يفصل بين كل رواق وآخر صفٌّ من الأعمدة يوازى لجدار المسجد ، ويفصل بين كل عمودين عقد من البناء المتين ، وأقيم على كل أربعة أعمدة قبة محكمة البناء فنشأ من ذلك (قباب) متداورة تكون سقفا لتلك الأروقة ، وعدد تلك القباب كثير . وصحن المسجد مكشوف إلى السماء ، وفرشه الحصباء إلى مايتخلله من المماشى الموصلة من الأبواب إلى البواكى ودائرة المطاف؛ وغالب أوقات الصلاة خصوصًا بعد صلاة العصر يفرش المطوفون لحجاجهم السجاجيد والأكلمة ليجلسوا ويصلوا عليها ويشاهدوا عظمة الكعبة الشريفة بالنظر إليها ؛ فإنه عبادة .

أما حَمام الحمىٰ المنتشر فى المسجد فلونه أزرق قاتم جميل ، به نقط رمادية وسوداء ومطوق بالخضرة ، ويوجد بكثرة بجوار الحجاج يلتقط الحبوب من بين الحصباء فى أرض الحرم ، وهو آمن فى سيره ووجوده .

ويوجد بالحرم ما يأتى :

١ — (الكعبة) فى وسط الحرم، وهى مربعة الشكل يبلغ طولها ١٥ مترا .

٢ — (باب الكعبة) يعلو عن الأرض مترين من الخشب ومصفح بالفضة .

٣ — (ميزاب الكعبة) من الذهب الخالص وموضوع فى سطحها .

٤ — (الشاذروان) بناء مسنم بقدر ثلثى ذراع خارج عن عرض جدار الكعبة .

٥ — (الأبواب) وعددها ٢٥ بابًا ذا فتحة وفتحتين وثلاثة وخمسة .

٦ — (المنائر) سبعة : أربعة فى الزوايا ، واثنتان شمالاً ، وواحدة شرقًا .

٧ — (المنبر) وهو من الرخام المرمر دقيق الصنع جميل الشكل وبابه من حديد .

٨ — المدرج هو سلم من الخشب دقيق الصنع موصل لدخول الكعبة .

٩ — (الحطيم) هو بناء مرتفع قدر متر ونصف ، وهو من أرض الكعبة . ويقال له حجر إسماعيل .

١٠ — دائرة الطواف ؛ هى صحن المطاف ، مرخمة بالرخام المرمر .

١١ — (مقام إبراهيم) هى مقصورة من النحاس بداخلها الحجر الذى كان يقف عليه سيدنا إبراهيم عليه السلام وقت بناء الكعبة .

١٢ — (بئر زمزم) هو بناء بصحن الحرم على حدود المطاف .

١٣ — (باب بنى شيبة) هو كباكية كبيرة على عمودين قائم فى وسط الحرم على حدود المطاف ومكتوب بأعلاه (ادْخُلُوهَا بِسَلاَمٍ آمِنِينَ) .

١٤ — (الحجر الأسود) وهو فى ركن الكعبة يعلو عن سطح الأرض مترا ونصف ، وعليه إطار من الفضة ، ولونه أحمر قاتم .

٢ ـ المسجد النبوى أو الحرم النبوى

الحرم النبوى ، وله خمسة أبواب :

باب السلام ، باب الرحمن ، باب النساء ، باب جبريل . وباب مجيدى .

وله خمس منارات : منارة رئيسية ، منارة سليمانية ، منارة أشكلية ، منارة باب الرحمن ، منارة باب السلام .

وبه ثلاثة محاريب : محراب النبى صلى الله عليه وسلم ، ومحراب سدنا عثمان رضى الله تعالى عنه ، ومحراب سليمان سلطان الروم .

والروضة الشريفة وطولها ٢٢ متراً من الشرق إلى الغرب ، وعرضها ١٥ متراً ، وبها شباك النبى عليه الصلاة والسلام ومكتوب عليه (محمد) وبجواره (أبو بكر ، وعمر) رضى الله عنهما ، ولها بابان .

والحجرة النبوية التى بها قبر النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما. مصنوعة من النحاس الأصفر وطولها ١٦ متراً وعرضها ١٥ متراً . ومكتوب عليها (الله) (محمد) لا إله إلا الله الملك الحق المبين ، محمد رسول الله الصادق الوعد الأمين .

٣ — المسجد الأقصى ببيت المقدس

هو ثالث المساجد التى تشد إليها الرحال ، وبه منبر ومحراب وجزء من الداخل ،مكتوب عليها بالخط الجميل آيات وأحاديث ؛ ويوجد به (مسجد الصخرة) وهو مسجد كبير من تحتها؛ وهى من الحجر الجرانيت الأسود ، وهى فخمة المنظر جدًّا ، ويبلغ ارتفاعها ١١ متراً ونصف ، وقطرها عشرون متراً على قاعدة منحنية الشكل ،طول كل ضلع منها عشرون متراً ، وحيطانها مكسوة بالرخام المرمر ، ومحلاة بالنقوش الذهبية الجميلة التى يعجز عن القيام بمثلها أمهر الرسامين ، ويحار فى وصفها الواصفون .

وبها عدة شبابيك فيها زجاج ملون غاية فى الإبداع يأخذ بالأبصار ، وأرضها مفروشة بالرخام وفوقه السجاد العجمى والسرادق غاية فى الجمال .

وزيارة المسجد الأقصى فى أى وقت ، فليس له زمن معين ولا شرط مثل شروط الحج أو خلافه .

وهذا المسجد هو ثانى القبلتين ، وأحد الحرمين ، وأحد المساجد الثلاثة التى لا تشد الرحال إلا إليها ، ولا تتحمل النفقات والمشاق فى مسجد من المساجد دونها .

روى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلاَّ إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ : مَسْجِدِى هٰذَا ، وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ » كما مر ذكره .

والرحال للإبل كالسروج للخيل ؛ وشد الرحال كناية عن السفر .

وقد دل هذا الحديث على أن الذين يسافرون إلى غير هذه المساجد منحرفون عن هدى نبيّهم ، أومتبعون لأهوائهم ، وحق على العلماء أن يهدوهم صراطاً سويًّا .

غير أن بعض العلماء يلحق (مسجد قِباء) بهذه المساجد الثلاثة ، فيجيز شد الرحال إليه أيضًا ؛ لأنه أول مسجد بنى فى الإسلام ، وأول مسجد أعلن فيه النبى صلى الله عليه وسلم الجماعة بأصحابه ، وأول مسجد بنى لجماعة المسلمين عامة ، وكانت المساجد قبله خاصة .

وكفى بالمسجد الأقصى شرفاً وفضلاً أن الإسراء انتهى إليه ، وأن المعراج ابتدأ منه ، وأن النبى صلّى الله عليهِ وَسلّم صلى بإخوانه الأنبياء إماماً فى هذه الرحلة المباركة ، على ماهو مشهور ومفصل فى القصة الشريفة ، بل حسبه شرفاً وفضلاً أن النبى صلى الله عليه وسلم مكث سبعة عشر شهراً يصلى إليه حتى ولاّه الله تعالى قبلة يرضاها ، وهى الكعبة : البيت الحرام ، وقد كان مسجد الأنبياء السابقين ، وقبلة الأمم السالفين .

وورد أن الصلاة فيه بخمسمائة صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، والمسجد النبوى .

وروى النسائى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى اللهُ عليهِ وسلم قال :

« إنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ لَمَّا بَنَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ سَأَلَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خِلاَلاً ثَلاَثاً : حُكْماً يُصَادِفُ حُكْمَهُ (أى يوافق حكم الله وشريعته) فَأُوتِيهِ ، وَمُلْكاً لا يَنْبَغِى لِأحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ فأُوتِيهِ ؛ وسأَلَ اللهَ تعالى حينَ فَرَغَ مِنْ بِنَائِهِ أَلاَّ يَأْتِيَهُ أَحَدٌ لاَ يَنْهَزُهُ (أى لا يخرجه ولا يدفعه) إلاَّ الصَّلاَةُ فِيهِ أَنْ يُخْرِجَهُ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » .

وروى أبو داود عن ميمونة مولاة النبى صلّى الله عليه وسلم وخادمته أنها قالت :

« يارسول الله أفتنا فى بيت المقدس ؟ فقال : إيتُوهُ فَصَلُّوا فِيهِ ، فَإِنْ لَمْ تَأْتُوهُ وَتصلوا فِيهِ فَابْعَثُوا بِزَيْتٍ يُسْرَجُ فِى قَنَادِيلِهِ » .

كلمة ختامية

للأستاذ الشيخ الطاهر عبد الله سليم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

به المستعان ، إنه بعباده رءوف رحيم

الحمد لله الكافى بدينه الذى ارتضاه ، على لسان رسله قدماً سواه ، أشهد أن لا إله إلا هو ، خشعت له القلوب ، وعنت الجباه ، وأن محمداً عبده ورسوله اصطفاه ، خاتم رسله واجتباه ، سبحانه إليه يصعد الكلم الطيب ، والعمل الصالح يرفعه ، فضلاً منه ونعمة ، من شاء أضل ، ومن شاء أسعده وهداه ، والصلاة والسلام على القدوة المنذرين المبشرين ، بما أوحى إليهم من الحكمة ، فكانوا آباء الأمم المهتدين الهادين ، خصوصاً المنتجب من سلالة عدنان محمداً النبى الأمىّ ، المؤيد بالنور العربى ، المنزل على قلبه ليكون من المنذرين ، بلسان عربىّ مبين ، صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى من اتبعوا ذلك النور من الأنصار والمهاجرين ، والتابعين لهم بإحسان ، ما أبن أبان ، وأبان لسان ، وبيّن ساطع برهان ، إلى يوم الدين .

أما بعد — فإن الإيمان قول وعمل ، هما سفينة النجاة المستوية على جودىّ السلامة ، روح وريحان ، وجنة نعيم ، مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وذلك هو الفوز العظيم ؛ ولكن خير القول والعمل ما اتبع فيهما كتاب الله ، وسنة رسوله المبينة له ، وجزى الله عنا بالخيرات شموس الاهتداء ، ودراريها من حملة الشريعة وورثة الأنبياء ، من الصحابة والتابعين ، وقد كانوا فيما حملوه من كتاب ربنا ، وسنة نبينا ، خير أمناء مبلّغين ، ولأمر رسولنا إياهم بتبليغنا ممتثلين ، فأدوا إلينا ذلك كله غضاً ، مندوباً إليه وفرضاً ، بحيث يزداد فى ترديد اللسان جمالاً ، ويزيده مرّ الليالى جدةً ، وتقادم الأيام قوةً وشباباً ، وقد أغناهم رب العزة عن المعدّلين ، فلا ينال منهم جرح المجرّحين (وأين الثريا من يد المتناول ؟) ، فقال : (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) .

هذا ، وقد حمل الصحابة رضى الله عنهم إلى التابعين ما أوتوه من علم ، وقد تفرقوا فى الأمصار ، وكل معه هدى نبينا صلى الله عليه وسلم يعمل به مع تبليغه ، والمتأخر ناسخ للمتقدم ، متى تعين كلّ ، فإذا تعذر عاد الأمر إلى التخيير فى العمل ، بأى هدى من هدى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكان من وراء ذلك اختلاف الأئمة المداة فى فروع الشرع ، فأصبح بذلك مذاهب مختلفة فى الأحكام العملية ، تلقاها السلف من الأمة المحمدية بالقبول ، كلها رضًى وهدًى ، فلا ينعى شافعى على مالكى ، ولا حنفى على حنبلى ، وألفت المؤلفات فى كل مذهب ، تقرباً إلى الله فى اهتداء الناس إلى ماشرع الله لهم من الدين .

وتناول كل هذه الأحكام بالتهذيب ، لتقريبها إلى الأفهام ، لتكون على طرف الثمام وحبل الذراع ، وقد ساهم « على فكرى » أحسن الله جزاءه عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم فى ذلك ، فكان قدحه المعلّى ، وأجرى القلم فى المضمار ، فعاد سابقاً ، فتناول (أركان الإسلام الخمسة) بسطاً وإيضاحاً فى مذاهب الأئمة الأربعة ، فكان الكتاب فيها منار السبيل ، ورشاد الدليل ، فى أسلوب جلىّ قريب الفهم لقارئه أياً كان ، وقد وُفّق فيه (شكر الله له سعيه) أيما توفيق ، وغدا لمريد الأحكام الدينية خير نصّ وثيق ، ولقد تصفحته من (ألفه إلى يائه) ، فرأيت ما بهر من معانٍ كسيت من العبارات أجمل حلة ، وزينت من در الكلم أبهى زينة ؛ ولا عجب فالمؤلف حفظه الله فى مضمار التأليف فى مختلف الأغراض سبّاق غايات ، وفى صوغ الأساليب لمختلف المطلعين على كتبه صاحب آيات ، والله المسئول أن يجعل من كتابه هذا خير معلم لأى متعلم ، آمين ؟

١٤ من ربيع الآخر سنة ١٣٥٥ للهجرة .

هذه الكلمة الطيبة كتبها أخونا الأستاذ المفضال الشيخ الطاهر عبد الله سليم فى الطبعة الأولى ، فله منى غاية الشكر والثناء ، وجزاه الله عنى وعن الإسلام أحسن الجزاء ، والصلاة والسلام على خير الأنبياء ، سيدنا محمد سيد الأنام فى البدء والختام .

كلمة مجلة الأزهر

بشأن هذا الكتاب للطبعة الأولى

الصادرة فى سنة ١٣٥٥ صفحة ٦٥٩

كتاب خلاصة الكلام

فى أركان الإسلام

هذا كتاب ألفه الأستاذ النابه « على فكرى أفندى » الأمين الأول لدار الكتب المصرية (سابقاً) فى أركان الإسلام وعباداته على المذاهب الأربعة ؛ وقد أحصى جميع ما يجب على الإنسان أن يعرفه منها فى عبارة طلية خالية من التعقيد ككل ما وضعه من المؤلفات القيّمة .

وقد وقع فى نحو ثلاثمائة وخمس وستين صفحة مرتبةً ترتيباً يكفل سهولة الرجوع إلى كل مسألة منه عند الحاجة .

فنشكر لحضرة المؤلف المجتهد هذه الخدمة ، ونرجو له التوفيق للمزيد منها .

وقد عنيت بطبعه مطبعة (مصطفى البابى الحلبى) فطبعته طبعاً متقناً على ورق حسن .

بحمد الله تعالى قد تمت الطبعة الثانية من كتاب :

[خلاصة الكلام فى أركان الإسلام]

مصححا بمعرفة لجنة من العلماء برياسة : الشيخ أحمد سعد على.

القاهرة فى يوم الاثنين { ٢٦ صفر سنة ١٣٦٨ هـ
٢٧ ديسمبر سنة ١٩٤٨ م }

ملاحظ المطبعة — محمد أمين عمران

مدير المطبعة — رستم مصطفى الحلبى

الفهـــرس